

٢١٢

ك ٠ ر الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
التأويل ، تأليف الزمخشري، محمود بن عمر -٥٣٨هـ.
كتبه ابراهيم الزيدى، في القرن الثاني عشر الهجرى
تقديرا.

٤٢٤ ج ١، ٢، ٣ في ٣ مج (٢١١، ١٩٩، ٢١٨ق) ،
٤٥، ٤١ س ، ٥ر٢٩× ٨ر١٩ ســـم .
نسخة جيدة، خطها نسخ بعضه جيد وبعضه حسن، بها
خروم واسماء السور والآيات بالحمرة، طبع .
الاعلام ٨ : ٥٥ ، معجم المطبوعات ١ : ٩٧٤
١- التفسير، القرآن الكريم وعلومه أ- المؤلف
ب- الناسخ ج- تاريخ النسخ د- تفسير الكشاف
هـ- تفســـير الزمخشــري .

الاول من الكشاف



بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

الحمد لله الذي انزل القران كلاما مؤلفا منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفتتحا وبالاستعاذة مختتما واوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سورا وسوره ايات وميز بينهن بفصول وغايات وما هي الا صفات مبتدا مبتدع وسمات منشا مخترع فسبحان من استاثر بالاولية والقدم ووسم كل شي سواه بالحدوث عن العدم انشاه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحيا ناطقا ببينات وحجج قرانا عربيا غير ذي عوج مفتاحا للمنافع الدينيه والدنياويه مصدقا لما بين يديه من الكتب السماويه معجزا باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائرا من بين ساير الكتب على كل لسان في كل مكان افحم به من طولب بمعارضته من العرب العربا وابكم به من تحدى به من مصاقع الخطبا فلم يتصد للاتيان بما يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كانوا اكثر من حصى البطحا واوفر عددا من رمال الدهنا ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافراط في المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعا ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخطط وركوبهم في كل ما يرومونه الشطط ان اتاهم احد بمفخرة اتوا بمفاخر وان رماهم بماثرة رموه بماثر وقد جرد لهم الحجة اولا والسيف اخرا فلم يعارضوا الا السيف وحده على ان السيف القاضب مخراق لاعب ان لم تمض الحجة حده فما اعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم ان البحر قد زخر فطم على الكواكب وان الشمس قد اشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من اوحي اليه حبيب الله ابي القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذي اللواء المرفوع في بني لوي وذي الفرع المنيف في عبد مناف بن قصي المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبي الامي المكتوب في التوراة والانجيل وعلى اله الاطهار وخلفايه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانصار اعلم ان متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلما فيه متدانيه واقدام الصناع فيه متقاربة او متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطا يسيرة او تقدم الصانع الصانع لم يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذي تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستباق والتناضل وعظم التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى امد من الوهم متباعد وترقى الى ان عد الف بواحد ما في العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطايف معان يدق فيها مباحث الفكر ومن غوامض اسرار محتجبة وراء استار لا يكشف عنها من الخاصة الا اوحدهم واخصهم والا واسطتهم وفصهم وعامتهم عماة عن ادراك حقايقها باحداقهم عناة في يد التقليد لا يمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم ثم ان املا العلوم بما يغمر القرايح وانهضها

بما يبهر الالباب القوارح من غرايب نكت يلطف مسلكها ومستودعات اسرار يدق سلكها علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذي علم كما ذكر الجاحظ في كتاب نظم القران فالفقيه وان برز على الاقران في علم الفتاوي والاحكام والمتكلم وان بز اهل الدنيا في صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية احفظ والواعظ وان كان من الحسن البصري اوعظ والنحوي وان كان انحى من سيبويه واللغوي وان علك اللغات بقوة لحييه لا يتصدى منهم احد لسلوك تلك الطرايق ولا يغوص على شي من تلك الحقايق الا رجل قد برع في علمين مختصين بالقران وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما اونه وتعب في التنقير عنهما ازمنه وبعثته على تتبع مظانهما همة في معرفة لطايف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد ان يكون اخذا من ساير العلوم بحظ جامعا بين امرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه فارسا في علم الاعراب مقدما في حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شانها متنبها على الرمزة وان خفي مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دربة باساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويولف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع في مداحضه ومزالقه ولقد رايت اخواننا في الدين من افاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الي في تفسير اية فابرزت لهم بعض الحقايق من الحجب افاضوا في الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم اطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الي مقترحين ان املي عليهم الكشف عن حقايق التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذي حداني على الاستعفاء على علمي انهم طلبوا ما الاجابة اليه علي واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمي المعاني والبيان فامليت عليهم مسالة في الفواتح وطايفة من الكلام في حقايق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السوال والجواب طويل الذيول وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت في مجتازي بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملي متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رايت من عطفي وحرك الساكن من نشاطي فلما حططت الرحل بمكة اذا انا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف ال رسول الله ابي الحسن علي بن حمزة بن وهاس ادام الله مجده وهو النكتة والشامة في بني الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم اعطش الناس كبدا والهبهم حشا واوفاهم رغبة حتى ذكر انه كان يحدث نفسه في مدة غيبتي عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشاغل بقطع الفيافي وطي المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت علي المستعفي الحيل وعيت به العلل ورايتني قد اخذت مني السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التي سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت في طريقة اخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوايد والفحص عن السراير ووفق الله وسدد ففرغ منه في مقدار مدة خلافة ابي بكر رضي الله عنه وكان يقدر تمامه في اكثر من ثلاثين سنة وما هي الا اية من ايات هذا البيت المحرم وبركة افيضت علي من بركات هذا الحرم المعظم اسال الله ان يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجيني ونورا على الصراط يسعى بين يدي وبيميني ونعم المسوول

سورة فاتحة الكتاب مكيه وقيل ومدنية

لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة اخرى وتسمى ام القران لاشتمالها على المعاني التي في القران من الثنا على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد

بين
ورد ورد عليه
اليه
والاذنابه
الصدقه
مكيه



وسورة الكنز والوافية والكافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة
وسورة الصلاة لانها تكون فاضلة او مجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفا والشافية
وهي سبع ايات بالاتفاق الا ان منهم من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم
من مذهبه على العكس ❁ بسم الله الرحمن الرحيم ❁ قراء
المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست باية من الفاتحة ولا من
غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر
ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة
والكوفة وفقهاؤها على انها اية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه رحمهم الله
ولذلك يجهرون بها وقالوا اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القران ولذلك
لم يثبتوا آمين فلولا انها من القران لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة
واربع عشرة اية من كتاب الله عز وجل فان قلت بم تعلقت الباء قلت بمحذوف
تقديره بسم الله اقرا او اتلو لان الذي يتلوا التسمية مقرو كما ان المسافر اذا حل وارتحل
فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل
فاعل يبدا في فعله ببسم الله كان المعنى مضمرا ما جعل التسمية مبدا له ونظيره في حذف
متعلق الجار قوله عز وجل في تسع ايات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع ايات وكذلك
قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة
بمعنى اعرست او نكحت ومنه قوله ❁
❁ فقلت الى الطعام فقال منهم ❁ فريق نحسد الانس الطعاما ❁
فان قلت لم قدرت المحذوف متاخرا قلت لان الاهم من الفعل والمتعلق
به المتعلق به لانهم كانوا يبدون باسماء الهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب
ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عز وجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتاخير الفعل كما فعل
في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله
مجريها ومرساها فان قلت فقد قال اقرا باسم ربك فقدم الفعل قلت
هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم فان قلت
ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة قلت فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم
بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المومن لما اعتقد ان فعله لا يجي معتدا
به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله تعالى لقوله عليه السلام كل امر ذي
بال لم يبدا فيه ببسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله
كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت
بالدهن على معنى متبركا بسم الله اقرا وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه
اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه اعرب واحسن فان قلت
فكيف قال الله تعالى متبركا باسم الله اقرا قلت هذا مقول على السنة العباد كما
يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى اخره وكثير من القران
على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه
ويعظمونه فان قلت من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد ان تبنى
على الفتحة التي هي اخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه
وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر قلت اما اللام فللفصل بينها وبين
لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا
اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن
اذ كان دابهم ان يبتدئوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة
ولوضعها على غاية من الاحكام واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم
من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال باسم الذي في كل سورة
سمه وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء
وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمى واشادة بذكره ومنه
قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى

فان

فان قلت فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك الاعلى قلت
قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال
وقالوا طولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه
طول الباء واظهر السنات ودور الميم والله اصله الاله قال ❁ ❁
❁ معاذ الاله ان تكون كظبية ❁ ونظيره الناس اصله الاناس قال ❁ ان المنايا
يطلعن على الاناس الامنينا ❁ فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك
قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم
يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم
غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب
سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم
اشتق تاله واله واستاله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر
فان قلت اسم هو ام صفة قلت بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا
تصف به لا تقول شيء اله كما تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وايضا فان
صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير
جارية على اسم موصوف بها وهذا محال فان قلت هل لهذا الاسم اشتقاق
قلت معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة
هذا الاسم وصيغة قولهم اله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمهما معنى التحير
والدهشة وذلك ان الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر
الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح فان قلت هل تفخم لامه قلت
نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم واطباقهم عليه دليل انهم ورثوه
كابرا عن كابر والرحمن فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم
فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك
قالوا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى
وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلي غضبا ومما طن على اذني من ملح العرب انهم يسمون
مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق
الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال اليس ذاك اسمه الشقدف قلت
بلى فقال فهذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة
كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله تعالى من الاسماء
الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمن اليمامة وقول شاعرهم فيه ❁ ❁ ❁
وانت غيث الورى لا زلت رحمانا ❁ فباب من تعنتهم في كفرهم فان قلت
كيف تقول الله رحمن اتصرفه ام لا قلت اقيسه على اخواته من بابه اعني نحو عطشان
وغرثان وسكران فلا اصرفه فان قلت قد شرط في امتناع صرف فعلان فعلى
واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف قلت كما حظر ان
يكون له مونث على فعلى لانه كندمانة فاذن لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض
فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص العارض وهو القياس على نظايره فان قلت
ما معنى وصف الله بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على ما فيها
قلت هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم
اصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم
خيره ومعروفه فان قلت فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس
الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض قلت
لما قال الرحمن تناول جلائل النعم وعظائمها اردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول
ما دق منها ولطف الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم الحمد والمدح اخوان
وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته
على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال
❁ ❁ افادتكم النعماء مني ثلاثة ❁ يدي ولساني والضمير المحجبا ❁

شرح لها

والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد راس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله راس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثنا على موليها اشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد واداب الجوارح لخفاء عمل القلب وما في عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفي ويجلي عن كل مشتبه ولان الحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتدا وخبره الظرف الذي هو لله واصله النصب الذي هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من المصادر التي تنصبها العرب بافعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما اشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة افعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدول بها عن النصب الى الرفع على الابتدا للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على ان ابراهيم عليه السلام حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كانه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد **فان قلت** ما معنى التعريف فيه **قلت** هو نحو التعريف في ارسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن

الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله تعالى وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرا زيد بن علي رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كانه قيل نحمد الله رب العالمين العالم اسم لذوي العلم من الملايكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض **فان قلت** لم جمع **قلت** ليشمل كل جنس مما سمي به **فان قلت** فهو اسم غير صفة وانما يجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام **قلت** ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم **مالك يوم الدين** قرئ ملك يوم الدين ومالك يوم الدين وملك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة مالك بالنصب وقرا غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قراه مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص **ويوم الدين** يوم الجزا ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة

ولم يبق سوى العدوان دناهم كما دانوا

فان قلت ما هذه الاضافة **قلت** هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى المفعول به كقولهم

يا سارق الليلة اهل الدار

والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم **فان قلت** فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا يكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة **قلت** انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز ان يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي

اجريت على الله تعالى من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شي من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلايل والدقايق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب ويوم العقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وانه حقيق به في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن احد احق منه بالحمد والثنا عليه بما هو اهله **اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم** ايا ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في ارايتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب والشواب جمع الشابة فشي شاذ لا يعمل عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله قل افغير الله تامروني اعبد قل اغير الله ابغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرا اياك بتخفيف اليا واياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي

فهياك والامر الذي ان تراخيت ... موارده ضاقت عليك مصادره

والعبادة اقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله لانه مولى اعظم النعم فكان حقيقا باقصى غاية الخضوع **فان قلت** لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب **قلت** هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات

تطاول ليلك بالاثمد ... ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة ... كليلة ذي العاير الارمد

وذلك من نبا جاءني ... وخبرته عن ابي الاسود

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل عن اسلوب الى اسلوب كان ذلك احسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرايه على اسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوايد ومما اختص به هذا الموضع انه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشان حقيق بالثنا وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به **فان قلت** لم قرنت الاستعانة بالعبادة العبادة على الاستعانة **قلت** ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته **فان قلت** فلم قدمت العبادة على الاستعانة **قلت** لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة استوجبوا الاجابة اليها **فان قلت** لم اطلقت الاستعانة **قلت** ليتناول كل مستعان فيه والاحسن ان تراد الاستعانة به وبتوفيقه على اداء العبادة فيكون قوله اهدنا بيانا للمستعان المطلوب من المعونة كانه قيل كيف اعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان احسن لتلاوم الكلام واخذ بعضه بحجزة بعض وقرا ابن حبيش نستعين بكسر النون هدى اصله ان يتعدى باللام او بالى كقوله تعالى ان هذا القران يهدي للتي هي اقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وابي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرا عبد الله ارشدنا السراط الجادة من سرط الشي اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط

من قبل السين صادًا لاجل الطا كقولك مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت
الزاي وقرئ بهن جميعًا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام
ويجمع صرط نحو كتاب وكتب ويذكر ويونث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهي ملة
الاسلام صراط الذين انعمت عليهم بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير
العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين انعمت عليهم كما قال
للذين استضعفوا لمن آمن منهم فان قلت ما فايدة البدل وهلا قيل
اهدنا صراط الذين انعمت عليهم قلت فايدته التوكيد لما فيه من التثنية
والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين
ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على ابلغ وجه واكده كما تقول
هل ادلك على اكرم الناس وافضلهم فلان فيكون ذلك ابلغ في وصفه بالكرم والفضل
من قولك هل ادلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا اولا ومفصلا ثانيا
واوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل
فكانك قلت من اراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين
لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين انعمت عليهم هم المومنون واطلق
الانعام ليشمل كل انعام لان من انعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا اصابته
واشتملت عليه وعن ابن عباس هم اصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبيا
وقرا ابن مسعود صراط من انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
بدل من الذين انعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله
والضلال او صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين
السلامة من غضب الله والضلال فان قلت كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة
وهو لا يتعرف وان اضيف الى المعارف قلت الذين انعمت عليهم لا توقيت فيه
فهو كقوله ولقد امر على اللئيم يسبني ولان المغضوب عليهم والضالين
خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يابى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب
على الحال وهي قراءة رسول الله عليه السلام وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو ا
الحال الضمير في عليهم والعامل انعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله من لعنه
الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله قد ضلوا من قبل فان قلت
ما معنى غضب الله قلت هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم
وان يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله
رضاه ورحمته فان قلت اي فرق بين عليهم الاولى والثانية قلت
الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية فان قلت
لم دخلت لا في ولا الضالين قلت لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب
عليهم ولا الضالين وتقول انا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب
لانه بمنزلة قولك انا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما انهما قرا وغير الضالين
وقرا ايوب السختياني ولا الضالين بالهمزة كما قرا عمرو بن عبيد ولا جان وهذه لغة
من جد في الهرب عن التقاء الساكنين ومنها ما حكاه ابو زيد من قولهم شابة ودابة
آمين صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما ان رويد وحيهلا وهلم اصوات سميت
بها الافعال التي هي امهل واسرع واقبل وعن ابن عباس سالت رسول الله عن معنى آمين
فقال افعل وفيه لغتان مد الفه وقصرها قال ويرحم الله عبدا قال امينا
وقال آمين فزاد الله ما بيننا بعدا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقنني جبريل
آمين عند فراغي من فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القران بدليل
انه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه الداعي وعن ابي حنيفة مثله
والمشهور عنه وعن اصحابه انه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن المغفل وانس عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعند الشافعي يجهر بها وعن وايل بن حجر ان النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لابي بن كعب اذا قرا ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله
صلى الله عليه وسلم انه قال لابي بن كعب الا اخبرك بسورة لم تنزل في التورية والانجيل

والقران

والقران مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقران
العظيم الذي اوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي عليه الصلاة والسلام قال
ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرا صبي من صبيانهم في الكتاب
الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم العذاب اربعين سنة

سورة البقرة مدنية وهي مايتان وسبع وثمانون اية

بسم الله الرحمن الرحيم الم

اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها اسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم
فقولك ضاد اسم يسمى به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك الف با اسمان لقولك
ا به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها
وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتق الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان
يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى
الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها
في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم
تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام
ميم كما تقول واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب كقولك هذه
الف وكتبت الفا ونظرت الى الف وهكذا كل اسم عمدت الى تاديته ذا نمط قبل
ان يحدث فيه بدخول العوامل شيء فلك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك
اذا اردت ان تلقي على الحاسب اجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها
اغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو اعربت ركبت شططا
فان قلت لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت انها حروف كما وقع في
عبارات المتقدمين قلت قد استوضحت بالبرهان النير انها اسماء غير حروف فعلمت
ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء
التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في
معنى الكلمة وذلك ان قولك الف دلالته على اوسط الحروف قال وقام دلالة فرس على
الحيوان المخصوص لا فصل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين الا ترى ان الحرف
ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها
بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير
والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب
الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسال اصحابه كيف تقولون اذا اردتم
ان تلفظوا بالكاف التي في لك والبا التي في ضرب فقيل نقول باكاف فقال انما جيتم
بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال اقول كه به وذكر ابو علي في كتاب الحجة في يس
وامالة يا انهم قالوا يا زيد في النداء فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد اما لوا
ما لا يمال من الحروف من اجل اليا فلان يميلوا الاسم الذي هو يس اجدر الا ترى ان هذه
الحروف اسماء لما يلفظ بها فان قلت من اي قبيل هي من الاسماء امعربة ام مبنية
قلت بل هي اسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث
لا يمسها اعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على ان سكونها وقف وليس ببناء
انها لو بنيت لحذي بها حذو كيف واين وهولا ولم يقل صاد قاف نون مجموعا فيها
بين الساكنين فان قلت فلم لفظ المتهجي بما اخره الف منها مقصورا فلما اعرب
مد فقال هذه با وها وتا وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا
جعلتها اسما مددتها فقلت كتبت لاء قلت هذا التخييل يضمحل بما لخصته من
الدليل والسبب في ان قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب ان حال
التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه اكثر فان قلت قد تبين انها اسماء
لحروف المعجم وانها من قبيل المعربة وان سكون اعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما
وجه وقوعها على هذه الصورة فواتح السور قلت فيه اوجه احدها وعليه اطباق
الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد

ما لا ينصرف بباب اسماء السور وهي في ذلك على ضربين احدهما ما لا يتاتى فيه
الاعراب نحو كهيعص والمر • والثاني ما يتاتى فيه الاعراب وهو اما ان يكون اسما فردا
كصاد وقاف ونون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحاميم وطاسين وياسين
فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طاسين ميم يتاتى فيه ان يفتح نونها وتصير
ميم مضمومة الى طاسين فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا
واما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد
وهو شريح بن اوفى العبسي • يذكرني حاميم والرمح شاجر • فهلا تلا حاميم قبل التقدم •
فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما اعرب من اخواتها لاجتماع سببي منع
فيها وهما العلمية والتانيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته
الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرات سورة انزلناها وقال

وجدنا في كتاب بني تميم • احق الخيل بالركض المعار
وقال
سمعت الناس ينتجعون غيثا • فقلت لصيدح انتجعي بلالا
وقال
تنادوا بالرحيل غدا • وفي ترحالهم نفسي

وروي منصوبا ومجرورا وتقول اهل الحجاز في استعلام من يقول رايت زيدا وقال
سيبويه سمعت من العرب لا من اين يا فتى فان قلت فما وجه قراءة من قرا صاد
وقاف ونون مفتوحات قلت الوجه ان يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه
التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد اجاز سيبويه
مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي ان بعضهم قرا ياسين
ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرا من قرا ولا الضالين فان قلت
هلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن واي الله لافعلن
على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة • الا رب من قلبي له الله ناصح
وقال الاخر
اذا ما الخبز تاكله بلحم • فذاك امانة الله الثريد

قلت ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين
قسمين على مقسم واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله تعالى والليل اذا
يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى
ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى
بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى
فقال انما اقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان
يستعمل كلاما اخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان
تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال
وتقول وحياتي ثم وحياتك لافعلن فثم ها هنا بمنزلة الواو وهنا ولا سبيل فيما نحن
بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب فان قلت
فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا
ونظيره قولهم لاه ابوك غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو
للعطف حتى يستتب المصير الى نحو غير انها فتحت في موضع الجر لكونها غير ما اثرت اليه
قلت هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس انه قال اقسم الله بهذه
الحروف فان قلت فما وجه قراءة بعضهم صاد وقاف بالكسر قلت وجهها ما
ذكرت من التحريك لالتقاء الساكنين والذي يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر
بهذه الاسامي شاكلت لذلك ما اجتمع في اخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة
الان واخرى معاملة هؤلاء فان قلت هل تسوغ لي في المحكية مثل ما سوغت
لي في المعربة من ارادة معنى القسم قلت لا عليك في ذلك وان تقدر حرف القسم
مضمرا في نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كانه قيل اقسم بهذه السورة وبالكتاب
المبين انا جعلناه • واما قوله صلى الله عليه وسلم حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر
والنصب جميعا على حذف الجار واضماره فان قلت فما معنى تسمية السورة

بهذه

بهذه الالفاظ خاصة قلت كان المعنى في ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا
كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرآنا عربيا
فان قلت فما بالها مكتوبة في المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور
اساميها قلت لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت
العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع
في الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المالوفة في كتابة هذه الفواتح
وايضا فان شهرة امرها واقامة السن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجية
لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده امنت
وقوع اللبس فيها وقد اتفقت في خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التي بني
عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء
الخط وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه في
كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم في الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف
لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه
الوجه الثاني ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد
كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدي بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر
في ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن اخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون
منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه
ولم تظهر معجزتهم عن ان ياتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء
الحوار وهم الحراص على التساجل في اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان في
القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التي بزت بلاغة كل ناطق وشقت
غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين
البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة
والخلاقة بالقبول بمنزلة ولناصره على الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب
مصبوبا في اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم
احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة فالقول بانها اسماء السور حقيقة يخرج
الى ما ليس في لغة العرب ويؤدي ايضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا فان اعترضت
عليه بانه قول مقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده اجابك بان له محملا سوى
ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروي قفا نبك وعفت الديار ويقول الرجل
لصاحبه ما قرات فيقول الحمد لله وبراءة من الله ورسوله ويوصيكم الله في اولادكم والله
نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور وهذه الاي
وانما تعني رواية القصيدة التي ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الاية التي تلك فاتحتها
فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منه ما يستفاد من التسمية قالوا
ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة وللمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية
بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمري وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما
واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر اسماء العدد فلا استنكار
فيها لانها من باب التسمية بما حقه ان يحكى حكاية كما سموا تابط شرا وبرق نحره وشاب
قرناها وكما سمي بزيد منطلق او ببيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية
بالجملة والبيت من الشعر وبين التسمية بطائفة من اسماء حروف المعجم دلالة قاطعة
على صحة ذلك واما تسمية السور كلها بفواتحها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا
لانها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الا ترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا
منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث
كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا والوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون
اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان
النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم واهل الكتاب

بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن قرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامي التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيئا من اهله حكم الاقاصيص المذكورة في القرآن التي لم تكن قريش ومن دان بدينها في شيء من الاحاطة بها في ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته وبمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد واعلم انك اذا تاملت ما اورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهي الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت في هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها وهي الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رايت الحروف التي الغى الله تعالى ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت ان معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته وكأن الله عز وجل عدد على العرب الالفاظ التي منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا في تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر فان قلت فهلا عددت باجمعها في اول القرآن وما لها جاءت مفرقة على اوائل السور قلت لان اعادة التنبيه على ان المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده في غير موضع واحد اوصل الى الغرض واقر له في الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة ولذلك مذهب فهلا جاءت على وتيرة واحدة كل تكرير جاء في القرآن فمطلوب به تمكين المكرر في النفوس وتقريره فان قلت فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر وكهيعص وحم عسق على خمسة احرف قلت هذا على عادة افتنانهم في اساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح ذلك المسلك فان قلت فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها قلت اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادي كلها في تادية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل اية سلك وكذلك لا يقال لم سمي هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود فان قلت فما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض قلت هذا علم توقيفي لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور اما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهي ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست باية في سورها الخمس وطسم آية في سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست باية وحم آية في سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية فان قلت فكيف عد ما هو في حكم كلمة

واحدة

واحدة آية قلت كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف فان قلت ما حكمها في باب الوقف قلت توقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل اسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات وجعلت وحدها اخبار ابتداء محذوف كقوله عز وجل الم الله اي هذه الم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو فان قلت هل لهذه الفواتح محل من الاعراب قلت نعم لها محل فيمن جعلها اسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام فان قلت ما محلها قلت يحتمل الاوجه الثلاثة اما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور ان يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة والمفردات المعددة ذلك الكتاب لا ريب فيه فان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد قلت وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمنقضي في حكم المتباعد وهذا في كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا قال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد اعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به فان قلت لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة قلت لا اخلو من ان اجعل الكتاب خبره او صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما اجري عليه في التانيث في قولهم من كانت امك وان جعلته صفة فانما اشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان او ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني

نبئت نعمى على الهجران عاتبة ... سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

فان قلت اخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم قلت ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه ان يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدأ الاول ومعناه ان ذلك هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وانه الذي يستاهل ان يسمى كتابا كما تقول هو الرجل اي الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال هم القوم كل القوم يا ام خالد وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدأ محذوف اي هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدأ خبره الكتاب اي ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل والكتاب صفته والخبر ما بعده او قدر مبتدأ محذوف اي هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ما روى الحسن بن علي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمأنينة اي فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه عليه السلام مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء فان قلت كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه قلت ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة ام تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة فان قلت فهلا قدم الظرف على

الريب كما قدم على الغول في قوله لا فيها غول **قلت** لان القصد في ايلاء الريب
حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون
يدعونه ولو اولي الظرف لقصد ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا اخر فيه الريب لا فيه
كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول
كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرا ابو
الشعثاء لا ريب فيه والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه
والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف
من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في
لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه فيه **هدى للمتقين** الهدى مصدر على
فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في
مقابلته قال الله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى
او في ضلال مبين ويقال مهدي في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع
هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى اصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر
واشباه ذلك **فان قلت** فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون **قلت**
هو كقولك للعزيز المكرم اعزك الله واكرمك تريد طلب الزيادة الى ما هو ثابت فيه
واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه اخر وهو انه سماهم عند مشارفتهم
لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه
وعن ابن عباس اذا اراد احدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة
فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا
يلدوا الا فاجرا كفارا اي صائرا الى الفجور والكفر **فان قلت** فهلا قيل هدى
للضالين **قلت** لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم
المطبوع على قلوبهم وفريق علم ان مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقي
على الضلالة فبقي ان يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى
للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا
فقيل هدى للمتقين وايضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي اولى
الزهراوين وسنام القران واول المثاني بذكر اولياء الله والمرتضين من عباده والمتقي
في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق
وهذه الدابة تقي من وجاها اذا اصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي
حافره ان يصيبه ادنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به
العقوبة من فعل او ترك واختلف في الصغائر وقيل الصحيح انه لا يتناولها لانها
تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي
لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع
لانه خبر مبتدا محذوف او خبر مع لا ريب فيه لذلك او مبتدا اذا جعل الظرف المقدم
خبرا عنه ويجوز ان ينتصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو ارسخ
عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة براسها
او طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه
ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد اصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب
حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متاخية
اخذ بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة
والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على انه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب
المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من اعضاده ثم نفى
عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال اكمل
مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك
فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى
للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا ياتيه الباطل من بين

يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق
ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض
بالطف وجه وارشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في
تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع
الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا
على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه **الذين يؤمنون**
بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون **الذين يؤمنون**
بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة او مدح منصوب او مرفوع
بتقدير اعني او هم الذين يؤمنون واما مقتطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر
عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام
واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما **فان قلت** ما هذه الصفة اواردة بيانا
وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير ما افادته ام جاءت على سبيل المدح
والثناء كصفات الله تعالى الجارية عليه تمجيدا **قلت** يحتمل ان ترد على طريق البيان
والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات
اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر
الصلاة والصدقة لان هاتين اما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على
غيرهما الم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وسمى الزكاة
قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلما كانتا بهذه
المثابة كان من شانهما استجلاب سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر
الكلام اختصارا بان استغني عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي
اذا وجد لم يتوقف اخواته ان يقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضلها بين
العبادات واما الترك فكذلك الا ترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء
والمنكر ويحتمل ان لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة براسها دالة على فعل الطاعات
ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى
وتخصيصا للايمان واقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهارا لانافتها على سائر
ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات لشرفها والايمان افعال من الامن
يقال امنته وامنته غيري ثم يقال امنه اذا صدقه وحقيقته امنه التكذيب
والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى اقر واعترف واما ما حكاه ابو زيد
عن العرب ما امنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا امن به اي
ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به
او يثقون بانه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع
الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين
يخشون ربهم بالغيب ليعلم اني لم اخنه بالغيب ويعضده ما روي ان اصحاب عبد الله
ذكروا اصحاب رسول الله وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن راه
والذي لا اله غيره ما امن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرا هذه الاية **فان قلت**
فما المراد بالغيب ان جعلته صلة او جعلته حالا **قلت** ان جعلته صلة كان
بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد
بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض
غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة
التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف
كما قيل قيل واصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير
وانما نعلم نحن منه ما اعلمناه او نصب لنا دليل عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال
فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور
والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة و
الخفاء **فان قلت** ما الايمان الصحيح **قلت** ان يعتقد الحق ويعرب عنه

بلسانه ويصدقه بعمله فمن اخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن
اخل بالشهادة فهو كافر ومن اخل بالعمل فهو فاسق ⁂ ومعنى اقامة الصلاة
تعديل اركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرايضها وسننها وادابها من اقام
العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة كما قال عز وجل الذين هم على صلاتهم
دايمون والذين على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت واقامها قال
⁂ اقامت غزالة سوق الضراب • لاهل العراق حولا قميطا ⁂
لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشي النافق الذي يتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه
المحصلون واذا عطلت واضيعت كانت كالشي الكاسد الذي لا يرغب فيه او التجلد
والتشمر لادايها وان لا يكون في مودتها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر
وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط
او اداوها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه
بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح
فيها فلولا انه كان من المسبحين والصلوة فعلة من صلى كالزكاة من زكى وكتبتها
بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلى حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه
وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طاطا راسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه
ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها له في تخشعه •
بالراكع والساجد واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال الطلق
الذي يستاهل ان يضاف الى ويسمى منه صيانه لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي
عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه اهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق
به وجايز ان يراد به الزكوة المفروضة لاقترانه باخت الزكاة وشقيقتها وهي
الصلوة وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان
يتناول كل منفق وانفق الشي وانفده اخوان وعن يعقوب نفق الشي ونفد واحد
وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك
اذا تاملت والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم
يوقنون فان قلت والذين يؤمنون اهم غير الاولين ام الاولون وانما
وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله الى
الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة في المزدحم وقوله ⁂ • ⁂ • ⁂
⁂ يا لهف زيابة للحارث الصابح • فالغانم فالآيب ⁂ • ⁂
قلت يحتمل ان يراد بهولاء مؤمنوا اهل الكتاب كعبد الله بن سلام واضرابه
من الذين امنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي انزل من عند الله وايقنوا بالاخرة ايقانا
زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن
تمسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرى واعادة الارواح
في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب
والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه اخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه
الدار من اجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا
يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم
في الدوام والانقطاع فيكون غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط
العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه فان قلت
فاذا اريد بهولاء غير اولئك فهل يدخلون في جملة المتقين ام لا قلت
ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة المتقوى مشتملة على الزمرتين
من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى
للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك فان قلت قوله بما انزل
اليك ان عني به القران باسره والشريعة عن اخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت
ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ الماضي وان اريد به المقدار الذي سبق انزاله وقت
ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب

قلت

قلت المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا
للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغايب فيقال
انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر
النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله انا سمعنا كتابا انزل
من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل
ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشي الا وهو نادر
ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الاتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا
اتيه بماضيه وقرا يزيد بن قطيب بما انزل اليك وما انزل من قبلك على لفظ ما سمي
فاعله • وفي تقديم الاخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه
من اثبات امر الاخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين
ما عليه من امن بما انزل اليك وما انزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك
والشبهة عنه • والاخرة تانيث الاخر الذي هو نقيض الاول وهي من الصفات الغالبة
وكذلك الدنيا وعن نافع انه خففها بان حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة
الارض وقرا ابو حية النميري يؤقنون • بالهمز جعل الضمة في جار الواو كانها فيه فقلبها
قلب واو وجوه ووقتت ونحوه ⁂ لحب المؤقدان الى مؤسى ⁂ وجعدة اذا اضاءهما الوقود ⁂
اولئك على هدى من ربهم الجملة في محل الرفع ان كان الذين يؤمنون مبتدا والا
فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتدا بالذين يؤمنون بالغيب
فقد ذهبت به مذهب الاستيناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين فاختص المتقون •
بان الكتاب لهم هدى اتجه لسايل ان يسال فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع
قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السوال المقدر وجي بصفة المتقين
المنضومة تحتها خصايصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا
يفعل بمن ليسوا على صفتهم اي الذين هولاء عقايدهم واعمالهم احقاء بان يهديهم الله •
ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك احب رسول الله الانصار الذين قارعوا دونه
وكشفوا الكرب عن وجهه اولئك هم اهل المحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع
الاستيناف على اولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى
فاجيب بان اولئك الموصوفين غير مستبعد ان يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا
وبالفلاح اجلا واعلم ان هذا النوع من الاستيناف يجي تارة باعادة اسم من استونف
عنه الحديث كقولك قد احسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته •
كقولك احسنت الى زيد صديقك القديم اهل لذلك منك فيكون الاستيناف باعادة
الصفة احسن وابلغ لانطوايها على بيان الموجب وتلخيصه فان قلت هل يجوز
ان يجري الموصول الاول على المتقين وان يرفع الثاني على الابتدا واولئك خبره قلت
نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب والذين لم يؤمنوا بنبوة
رسول الله وهم ظانون انهم على الهدى وطامعون انهم ينالون الفلاح عند الله وفي اسم •
الاشارة الذي هو اولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله اهل لاكتسابه من •
اجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم • ولله صعلوك • ثم عدد له خصالا فاضلة
⁂ • ⁂ • ⁂ ثم عقب تعديدها بقوله ⁂ • ⁂ • ⁂
⁂ • فذلك ان يهلك فحسنى ثناوه • وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما ⁂
ومعنى الاستعلاء في قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم
به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشي وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا
بذلك في قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى
من ربهم اي منحوه من عنده واوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذي اعتضدوا
به على اعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ
كنهه ولا يقادر قدره كانه قيل على اي هدى كما تقول لو ابصرت فلانا لابصرت
⁂ • ⁂ • رجلا وقال الهذلي ⁂ • ⁂ • ⁂
⁂ • فلا وابي الطير المربة بالضحى ⁂ على خالد لقد وقعت على لحم ⁂ •

والنون من يرملون ادغمت بغنة وبغير غنة والكسائي وحمزة ويزيد وورش في رواية
والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد اغنها الباقون الا ابا عمرو فقد روي عنه روايتان
واولئك هم المفلحون في تكرير اولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الاثرة بالهدى
فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الاثرتين في تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التي
لو انفردت كفت مميزة على حيالها **فان قلت** لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله
اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون **قلت** قد اختلف الخبران ههنا فلذلك
دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم
بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما في الاولى فهي من العطف بمعزل وهم
فصل وفائدته الدلالة على ان الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب ان فائدة المسند ثابتة
للمسند اليه دون غيره او هو مبتدا والمفلحون خبره اولئك ومعنى التعريف في المفلحون
الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين بلغك انهم يفلحون في الآخرة كما اذا بلغك ان
انسانا قد تاب من اهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب اي هو الذي اخبرت بتوبته
او على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم
الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت
الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه
على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله احد على طرق شتى وهو ذكر اسم الاشارة وتكريره
وتعريف المفلحين وتوسيط الفصل بينه وبين اولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك في طلب
ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني
على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا في زمرة
من صدرت بذكرهم سورة البقرة . والمفلح الفائز بالبغية كانه الذي انفتحت له وجوه الظفر
ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلجي بامرك بالحاء والجيم
والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك اخواته في الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى
لما قدم ذكر اوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التي اهلتهم لاصابة الزلفى عنده وبين ان
الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر اضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار
الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدي عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه
وانذار الرسول وسكوته فقال **ان الذين كفروا سواء عليهم أانذرتهم ام لم**
تنذرهم لا يؤمنون **فان قلت** لم قطعت قصة الكفار عن قصة
المؤمنين ولم تعطف كنحو ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم وغيره من الآي
الكثيرة **قلت** ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة
لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت
فبين الجملتين تباين في الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف **فان قلت**
هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة
المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر في صفة اضدادهم كان مثل تلك الآي المتلوة **قلت**
قد مر لي ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وانه مبني على تقدير سؤال فذلك
ادراج له في حكم المتقين وتابع له في المعنى وان كان مبتدأ في اللفظ فهو في الحقيقة
كالجاري عليه . والتعريف في الذين كفروا يجوز ان يكون للعهد وان يراد بهم ناس باعيانهم
كابي لهب وابي جهل والوليد بن المغيرة واضرابهم وان يكون للجنس متناولا كل من صمم على
كفره تصميما لا يرعوي بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار
وتركه عليهم **وسواء** اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى
تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم في اربعة ايام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه
على انه خبر لان **وأانذرتهم ام لم تنذرهم** في موضع المرتفع به على الفاعلية كانه قيل
ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم اخوه وابن عمه او يكون
أانذرتهم ام لم تنذرهم في موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك
وعدمه والجملة خبرا لان **فان قلت** الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه
في هذا الكلام **قلت** هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد

وجدنا العرب يميلون في مواضع من كلامهم مع المعاني ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل
السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك اكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ
على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وام مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ
عنهما معنى الاستفهام راسا قال سيبويه جرى هذا على صورة الاستفهام ولا استفهام
كما ان ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء . ومعنى الاستواء استواؤهما في علم المستفهم
عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما
معلوم بعلم غير معين . وقرئ أانذرتهم بتحقيق الهمزتين والتخفيف اعرب واكثر
وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط الف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية
بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ
قد افلح **فان قلت** فما تقول فيمن يقلب الثانية الفا **قلت** هو لاحن
خارج من كلام العرب خروجين احدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده
ان يكون الاول حرف لين والثاني حرفا مدغما نحو قوله ولا الضالين وخويصة والثاني
اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج
بين بين فاما القلب الفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة راس
والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصي **فان قلت** ما موقع لا يؤمنون
قلت اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض **ختم الله**
على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم
الختم والكتم اخوان لان في الاستيثاق من الشيء بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا يتوصل
اليه ولا يطلع عليه والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما
يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة **فان قلت** ما معنى الختم على القلوب والاسماع
وتغشية الابصار **قلت** لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز
ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم
لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله
واعتقاده واسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق
منها بالختم وابصارهم لانها لا تجتلي كما تجتليها اعين المعتبرين المستبصرين كانما غطي
عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها
في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من اجلها باشياء ضرب حجاب بينها وبين
الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل المازني الحبسة في اللسان والعي
ختما عليه فقال ختم الاله على لسان عذافر ختما فليس على الكلام بقادر
واذا اراد النطق خلت لسانه لحما يحركه لصقر نافر
فان قلت فلم اسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول
الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه
وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما انا بظلام للعبيد وما ظلمناهم
ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يامر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل **قلت**
القصد الى صفة القلوب بانها كالمختوم عليها واما اسناد الختم الى الله عز وجل
فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي الا ترى
الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف
يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم وسماجة
حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله
على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا اطال
الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت
حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء ولذلك
مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها
نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم او بحال قلوب البهائم
انفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيئا ولا تفقه وليس له عز وجل

نعليه تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله لله فيكون للختم مسند الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة وتفسير هذا ان للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جرأته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار واهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب قال

اذا رد عافي القدر من يستعيرها • فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي اقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان اعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم يبق طريق الى ايمانهم الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لان لا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة **فان قلت** اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في الختم وفي حكم التغشية فعلى ايهما يعول **قلت** على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم **فان قلت** اي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم **قلت** لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان ادل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله • كلوا في بعض بطنكم تعفوا • يفعلون ذلك اذا امن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في اصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا اي وعلى حواس سمعهم وقرا ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم **فان قلت** هل منع ابا عمرو والكسائي من امالة ابصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد **قلت** لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرر فكان فيها كسرتين وذلك اعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكانهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ غشاوة بالكسر والنصب وغشاوة والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالضم والرفع وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا امسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش اي يكسره وفراتا لانه يرفته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل الم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اي عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان في الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته او خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامي عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم اجرنا من عذابك ولا تبتلنا بسخطك يا واسع المغفرة **ومن الناس من**

يقول

يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين افتتح سبحانه بذكر الذين اخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم السنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا والسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم وابطنوا خلاف ما اظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا اخبث الكفرة وابغضهم الى الله وامقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا وكذلك انزل فيهم ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا في آيتين وحال الذين نافقوا في ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة • واصل ناس اناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة في الالوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان واناسي وانس وسموا لظهورهم وانهم يؤنسون اي يبصرون كما سمي الجن جنا لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول الا ترى تقول في وزن قه افعل وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال واما نويس فمن الاصغر الا في على خلاف مكبره كانيسيان في رويجل • ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان تكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن ابي واصحابه ومن كان في حالهم من اهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم في قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام • ومن في من يقول موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال صدقوا ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي **فان قلت** كيف يجعلون بعض اولئك والمنافقون غير مختوم على قلوبهم **قلت** الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعي هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأتي بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية **فان قلت** لم اختص بالذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر **قلت** اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم في الخبث وتماديهم في الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم واروهم انهم مثلهم في الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وايضا فقد اوهموا في هذا المقال انهم اختاروا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام **فان قلت** كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول في ذكر شأن الفعل لا الفاعل والثاني في ذكر شأن الفاعل لا الفعل **قلت** القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك في ذلك طريق ادى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس في غيره وهو اخراج ذواتهم وانفسهم من ان يكونوا طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين في الايمان واذا شهد عليهم بانهم في انفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل القطع والبت ونحوه قوله تعالى يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها وهو ابلغ من قولك وما هم يخرجون منها **فان قلت** فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول **قلت** يحتمل ان لا يراد التقييد فيترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق انهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما **فان قلت** ما المراد باليوم الآخر **قلت** يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو

الابد الدايم الذي لا ينقطع لتاخره عن الاوقات المنقضيه وان يراد الوقت المحدود
من النشور الي ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه اخر الاوقات المحدودة الذي
لا حد للوقت بعده **يخادعون الله والذين امنوا وما يخدعون الا انفسهم**
الخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا
امر الحارس يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب اخر **فان قلت**
كيف ذلك ومخادعة الله والمومنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع
والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمومنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا
الا ترى الي قوله ٭ واستمطروا من قريش كل منخدع ٭ وقول ذي الرمة ٭
ان الحليم وذا الاسلام يختلب ٭ وقد جاء النعت بالانخداع ولم يات بالخدع ٭
قلت فيه وجوه احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان
وهم عند عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك
صورة صنع المومنين معهم حيث امتثلوا امر الله فيهم فاجروا احكامهم عليهم والثاني
ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاوه
الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا ان لذاته تعلقا بكل معلوم ولا
انه غني عن فعل القبايح فلم يبعد مثله تجويز ان يكون الله مخدوعا في زعمه ومصابا
بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم والثالث ان يذكر الله ويراد
الرسول لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك
كذا وانما القايل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه
قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم ومن يطع الرسول فقد اطاع
الله والرابع ان يكون من قولهم اعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين امنوا
بالله وفايدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المومنون من الله بمكان سلك بهم
ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يوذون الله ورسوله ٭
ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا الغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به
نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطية وتمهيد
لذكر فضله **فان قلت** هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح **قلت** وجهه
ان يقال عني به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت لان الزنة في اصلها للمبالغة والمباراة
والفعل متى غولب فيه فاعله جاء ابلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار
لزيادة قوة الداعي ويعضده قراءة من قرا يخدعون الله والذين امنوا وهو ابو حيوة ق
يخادعون بيان ليقول ويجوز ان يكون مستانفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين ٭
وما رفقهم في ذلك فقيل يخادعون **فان قلت** وهم كانوا يخادعون **قلت**
كانوا يخادعون عن اغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاوهم عن المحاربة وعما يطرقون
به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المومنين من اكرامهم والاحسان
اليهم واعطايهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوايد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم
بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الي منابذيهم **فان قلت** فلو اظهر ٭
عليهم حتى لا يصلوا الي هذه الاغراض بخداعهم عنها **قلت** لم يظهر عليهم لما احاط به
علما من المصالح التي لو اظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم
وما هم عليه من اغوايهم المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه
ما علمه الله تعالى من المصلحة **فان قلت** ما المراد بقوله وما يخدعون الا انفسهم
قلت يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا انفسهم
لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان ما يضار الا نفسه اي دايرة الضرار
راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اي وهم في ذلك يخدعون ٭
انفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم ق
تحدثهم بالاماني وان يراد وما يخدعون فجي به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقري ٭
وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح اليا بمعنى يختدعون ويخدعون
ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله والنفس ذات الشي وحقيقته يقال عندي كذا

نفسا

نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به الا ترى الي قولهم المرء باصغريه وكذلك بمعنى
الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى
وجعلنا من الماء كل شي حي وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين اصيبت نفسه كقولهم ٭
صدر الرجل وقولهم فلان يوامر نفسه اذا تردد في الامر واتجه له رايان وداعيان
لا يدري على ايهما يعرج كانهم ارادوا دواعي النفس وهواجسها فسموها نفسين
اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين شبهوهما بذاتين فسموهما
نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم
ولا يعدوهم الي غيرهم ولا بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بخادعتهم ذواتهم ان الخداع
يتخطاهم الي من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم واراوهم **وما يشعرون** ٭
الشعور علم الشي علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك
بهم كالمحسوس وهم لتمادي غفلتهم كالذي لا حس له **في قلوبهم مرض** استعمال المرض
في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول في جوفه
مرض والمجاز ان يستعار لبعض اعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الي المعاصي
والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وافة شبيهة
بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة في نقايض ذلك والمراد به ههنا ما في قلوبهم
من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضا لان صدورهم كانت تغلي على
رسول الله والمومنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضا التي وصفها الله في قوله
قد بدت البغضا من افواههم وما تخفي صدورهم اكبر ويحرقون عليهم حسدا ٭ ان
تمسسكم حسنة تسوهم وناهيك بما كان من ابن ابي وقول سعد بن عبادة لرسول الله
اعف عنه يا رسول الله واصفح فوالله لقد اعطاك الله الذي قد اعطاك ولقد اصطلح
اهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق اعطاك شرق بذلك
او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما
لقوة طمعهم فيما كانوا يحدثون به ان ريح الايمان تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق
اياما ثم يقر فضعفت حين ملكها الياس عندما انزل الله على رسوله النصر واظهار دين
الحق على الدين كله واما لجراتهم وجسارتهم في الحروب فضعفت جبنا وخورا حين
قذف الله في قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملايكة قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر **فزادهم الله مرضا** معنى
زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل الله على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا
كفرا الي كفرهم فكان الله هو الذي زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الي المسبب له كما
اسنده الي السورة في قوله فزادتهم رجسا الي رجسهم لكونها سببا او كلما زاد رسوله
نصرة وتبسطا في البلاد ونقصا من اطراف الارض ازدادوا حسدا وغلا وبغضا
وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل
ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرا ابو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون ٭
الراء **ولهم عذاب اليم** يقال الم فهو اليم كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به ٭
نحو قولهم ٭ تحية بينهم ضرب وجيع ٭ وهذا على طريقة قولهم جد جده والالم
في الحقيقة للمولم كما ان الجد للجاد **بما كانوا يكذبون** المراد بكذبهم قولهم امنا بالله ق
وباليوم الاخر وفيه رمز الي قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم
من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيياتهم اغرقوا والقوم كفرة وانما خصصت ٭
الخطييات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار بالشي على خلاف ما هو
وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابراهيم صلوات الله عليه انه كذب ثلاث كذبات فالمراد
التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه ويروى
مرفوعا اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقري يكذبون من كذبه الذي هو نقيض
صدقه او من كذب الذي هو مبالغة في كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما
بان الشي وبين وقلص الثوب او بمعنى الكثرة كقولك موتت البهايم وبركت الابل ومن

قولهم كذب الوحشي اذا جري شوطًا ثم وقف لينظر ما وراءه لان المنافق متوقف متردد
في امره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة العايرة بين
الغنمين تعير الي هذه مرة والي هذه مرة **واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض** معطوف
علي يكذبون ويجوز ان يعطف علي يقول امنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم
لا تفسدوا كان صحيحًا والاول اوجه والفساد خروج الشي عن حال استقامته وكونه
منتفعًا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول علي الحالة المستقيمة النافعة والفساد في
الارض هيج الحروب والفتن لان في ذلك الفساد ما في الارض وانتفاء الاستقامة عن
احوال الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالي واذا تولي سعي في
الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه
قيل لحرب كانت بين طي حرب الفساد وكان فساد المنافقين في الارض انهم كانوا يمايلون
الكفار ويمالئونهم علي المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم وذلك مما يودي
الي هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم موديًا الي الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما
تقول لرجل لا تقتل نفسك في النار اذا اقدم علي ما هذه عاقبته **قالوا انما نحن مصلحون**
انما لقصر الحكم علي شي كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشي علي حكم كقولك انما زيد كاتب
ومعني انما نحن مصلحون ان صفة المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح
فيها من وجه من وجوه الفساد • **الا** مركبة من همزة الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معني
التنبيه علي تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل علي النفي افاد تحقيقًا كقوله اليس ذلك
بقادر ولكونها في هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو
ما يتلقي به القسم واختها التي هي اما من مقدمات اليمين وطلايعها
اما والذي لا يعلم الغيب غيره • اما والذي ابكي واضحك
انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون رد الله ما ادعوه من الانتظام في جملة المصلحين
ابلغ رد وادله علي سخط عظيم والمبالغة فيه من جهة الاستيناف وما في كلتا الكلمتين
الا وان من التاكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل • وقوله لا يشعرون انوهم
في النصيحة من وجهين احدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الي الفساد
والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم في عدادهم
فكان من جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفي ذلك تسلية
للعالم مما يلقي من الجهلة **واذا قيل لهم امنوا كما امن الناس قالوا انؤمن كما امن السفهاء**
الا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون **فان قلت** كيف صح ان يسند
قيل الي لا تفسدوا وامنوا واسناد الفعل الي الفعل مما لا يصح **قلت** الذي لا يصح هو اسناد
الفعل الي معني الفعل وهذا اسناد الي لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام
فهو نحو قولك الف ضرب من ثلاثة احرف ومنه زعموا مطية الكذب وما في كما يجوز ان يكون
كافة مثلها في ربما ومصدرية مثلها في بما رحبت واللام في الناس للعهد اي كما امن رسول
الله ومن معه وهم ناس معهودون او عبد الله بن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابناء
جنسهم اي كما امن اصحابكم واخوانكم او للجنس اي كما امن الكاملون في الانسانية او جعل
المومنون كانهم الناس علي الحقيقة ومن عداهم كالبهايم في فقد التمييز بين الحق والباطل والاستفهام
في انؤمن في معني الانكار • واللام في السفهاء مشار بها الي الناس كما تقول لصاحبك ان زيدًا
قد سعي بك فيقول اوقد فعل السفيه ويجوز ان تكون للجنس فينطوي تحته الجاري ذكرهم علي
زعمهم واعتقادهم لانهم اعرق الناس في السفه **فان قلت** لم سفهوهم وهم العقلاء
المراجيح **قلت** لانهم لجهلهم ولاخلالهم بالنظر وانصاف انفسهم اعتقدوا ان ما هم فيه
هو الحق وان ما عداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيهًا ولانهم كانوا في رياسة وسطه
في قومهم ويسار وكان اكثر المومنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم
سفهاء تحقيرًا لشانهم واراد واعبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وما غاظهم
من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك علي سبيل التجلد توقيًا من الشماتة بهم مع علمهم
بانهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم **فان قلت** فلم فصلت هذه

الآية

الآية بلا يعلمون • والتي قبلها بلا يشعرون **قلت** لان امر الديانة والوقوف علي
ان المومنين علي الحق وهم علي الباطل يحتاج الي نظر واستدلال حتي يكتسب الناظر المعرفة
واما النفاق وما فيه من البغي المودي الي الفتنة والفساد في الارض فامر دنيوي مبني علي
العادات معلوم عند الناس خصوصًا عند العرب في جاهليتهم وما كان قايمًا بينهم
من التغاير والتفاخر والتحارب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل
فكان ذكر العلم معه احسن طباقًا له **واذا لقوا الذين امنوا قالوا امنا واذا خلوا الي**
شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن مساق هذه الاية بخلاف ما سيقت له
اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك في بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه
في بيان ما كانوا يعملون عليه مع المومنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه
المصادقين وايهامهم انهم معهم فاذا فارقوهم الي شطار دينهم صدقوهم ما في قلوبهم
وروي ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من اصحاب رسول الله صلي الله
عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف ارد هولاء السفهاء عنكم فاخذ بيد ابي بكر فقال مرحبا
بالصديق سيد بني تيم وشيخ الاسلام وثاني رسول الله في الغار الباذل نفسه وماله لرسول
الله ثم اخذ بيد عمر فقال مرحبًا بسيد بني عدي الفاروق القوي في دين الله الباذل نفسه
وماله لرسول الله ثم اخذ بيد علي فقال مرحبًا بابن عم رسول الله وختنه سيد بني هاشم ما خلا
رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رايتموني فعلت فاثنوا عليه خيرًا فنزلت ويقال
لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبًا منه وهو جاري ملاقي ومراوقي وقرا ابو حنيفة
واذا لاقوا • وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعني مضي
وخلاك ذم اي عداك ومضي عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه
وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا انهوا السخرية بالمومنين
الي شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول احمد اليك فلانًا واذمه اليك وشياطينهم الذين ماثلوا
الشياطين في تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان في موضع من كتابه اصلية وفي آخر
زايدة والدليل علي اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح
والخير ومن شاط بطل ان جعلت نونه زايدة ومن اسمايه الباطل • انا معكم انا مصاحبوكم
وموافقوكم علي دينكم **فان قلت** لم كانت مخاطبتهم المومنين بالجملة الفعلية وشياطينهم
بالاسمية محققة بان **قلت** ليس ما خاطبوا به المومنون جديرًا باقوي الكلامين
واوكدهما لانهم في ادعايهم حدوث الايمان منهم ونشيه من قبلهم لا في ادعاء انهم اوحديون
في الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك اما لان انفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس فيها عقايدهم
باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج
عنهم لو قالوه علي لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون في ادراجه وهم بين ظهراني
المهاجرين والانصار الذين مثلهم في التوراة والانجيل الا تري الي حكاية الله تعالي قول المومنين
ربنا اننا امنا واما مخاطبة اخوانهم فهم فيما اخبروا به عن انفسهم من الثبات علي اليهودية
والقرار علي اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه علي صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح
للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو رايج عنهم ومتقبل منهم وكان منهم مظنة للتحقيق ومنية
للتوكيد **فان قلت** اني يتعلق قوله انما نحن مستهزؤن بقوله انا معكم **قلت** هو
توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات علي اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد الاسلام
ودفع له منهم لان المستهزي بالشي المستخف منه منكر له ودافع لكونه معتدًا به ودفع نقيض
الشي تاكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر او استيناف كانهم اعترضوا عليهم
حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح انكم معنا توافقون اهل الاسلام فقالوا انما
نحن مستهزؤن والاستهزاء السخرية والاستخفاف واصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع
وهزا يهزا مات علي المكان مشيت فلغبت فظننت لا هزان علي مكاني وناقته تهزا به اي تسرع
وتخف **فان قلت** لا يجوز الاستهزاء علي الله تعالي لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب
العبث والجهل الا تري الي قوله قالوا اتتخذنا هزوا قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين فما
معني استهزايه بهم **قلت** معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزي غرضه الذي
يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزا به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا

شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله بالكفرة والمراد تحقير شانهم وازدراء
امرهم والدلالة على مذاهبهم حقيقة بان يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز
ان يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم احكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار
ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم
فاعتدوا عليه الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون فان قلت
كيف ابتدا قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله قلت هو استيناف في غاية
الجزالة والفخامة وفيه ان الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاوهم
اليه باستهزاء ولا يوبه في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه
ان الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمومنين ان يعارضوهم باستهزاء مثله
فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزءون قلت
لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله
فيهم وبلاياه النازلة بهم اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة او مرتين وما كانوا يخلون
في اكثر اوقاتهم من تهتك استار وتكشف اسرار ونزول في شانهم واستشعار حذر من ان ينزل
فيهم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا ان الله مخرج
ما تحذرون ويمدهم في طغيانهم من مد الجيش وامده اذا زاده والحق به ما يقويه
ويكثره وكذلك مد الدواة وامدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض
استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وامده اذا واصله بالوساوس حتى
يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه فان قلت لم زعمت انه من المدد دون المد في
العمر والاملاء والامهال قلت كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير
وابن محيصن ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى امهله انما هو
مد له مع اللام كاملى له فان قلت فكيف جاز ان يوليهم يعطيهم الله مددا في الطغيان
وهو فعل الشياطين الا ترى الى قوله واخوانهم يمدونهم في الغي قلت اما ان يحمل
على انهم لما منعهم الله الطافه التي يمنحها المومنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه
بقيت قلوبهم يتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المومنين
فسمي ذلك التزايد مددا واسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع
القسر والالجاء واما ان يسند فعل الشيطان الى الله تعالى لانه بتمكينه واقداره والتخلية
بينه وبين اغواء عباده فان قلت فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال
وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه قلت استجرهم الى ذلك خوف الاقدام
على ان يسندوا الى الله ما اسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد
بصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه
المعجز ان يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي
سليما من القادح فاذا لم يتعاهد اوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل
ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وان هولاء من اهل الطبع
والطغيان الغلو في الكفر ومجاوزة الحد في العتو وقرا زيد بن علي رضي الله عنه في طغيانهم
بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان فان قلت اي نكتة في
اضافته اليهم قلت فيها ان الطغيان والتمادي في الضلالة مما اقترفته انفسهم
واجترحته ايديهم وان الله بريء منهم ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما اشركنا
ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم ان الطغيان
فعله فلما اسند اليه المد على الطريق الذي ذكر اضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة وق
يقلعها ويدفع في صدر من يلحد في صفاته ومصداق ذلك انه حين اسند المد الى الشياطين
اطلق الغي ولم يقيده بالاضافة في قوله واخوانهم يمدونهم في الغي والعمه مثل العمى
عام في البصر والراي والعمه في الراي خاصة وهو التحير والتردد لا يدري اين يتوجه
ومنه قوله بالجاهلين العمه اي الذين لا راي لهم ولا دراية بالطرق وسلك ارضا
عمهاء لا منار بها اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم
وما كانوا مهتدين معنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على

سبيل

سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل واخذ اخر منه

اخذت بالجمة راسا ازعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا جيدرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بني اسرائيل تفقهون لغير الله وتعلمون لغير العمل
وتبتاعون الدنيا بعمل الاخرة فان قلت كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا
على هدى قلت جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كانه في ايديهم فاذا تركوه الى الضلالة
فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها وكل من ضل
فهو مستبدل خلاف الفطرة الضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل
منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب في الدين والربح الفضل
على راس المال ولذلك سمي الشف في قولك اشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا
على هذا شف والتجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح وناقة تاجرة
كانها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرا ابن ابي عبلة تجاراتهم فان قلت
كيف اسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها قلت هو من الاسناد المجازي وهو ان
يسند الفعل الى شيء يتلبس بالذي هو في الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين فان قلت
هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازي قلت نعم اذا دلت الحال
وكذلك الشرط في صحة رايت اسدا وانت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح فان
قلت هب ان شرى الضلالة بالهدى وقع مجازا في معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح
والتجارة كان ثم مبايعة على الحقيقة قلت هذا من الصنعة البديعة التي تبلغ
بالمجاز الذروة العليا وهو ان تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكالها واخوات
اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا منه وهو المجاز المرشح فـ
ذلك نحو قول العرب في البليد * كان اذني قلبه خطلا * وان جعلوه
كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا لقلبه اذنين وادعوا لها الخطل ليمثلوا
البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة ومعاينة ونحوه

ولما رايت النسر عز ابن داية * وعشش في وكريه جاش له صدري

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب اتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض
فتاكهم في امه يهجوها

فما ام الردين وان ادلت * بعالمة باخلاق الكرام
اذا الشيطان قصع في قفاها * تنفقناه بالحبل التؤام

اي اذا دخل الشيطان في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المتين المحكم يريد اذا حردت
واساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استعار التقصيع
اولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التؤام فكذلك لما ذكر سبحانه الشرى اتبعه ما يشاكله
ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته فان قلت
ما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين قلت معناه ان الذي يطلبه
التجار في متصرفاتهم شيئان سلامة راس المال والربح وهولاء قد اضاعوا الطلبتين
معا لان راس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في ايديهم
الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية
لان الضال خاسر دامر ولانه يقال لمن لم يسلم له راس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين
لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر مثلهم
كمثل الذي استوقد نارا فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في
ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم لا يرجعون لما جاء بحقيقة صفتهم
عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار
العلماء المثل والنظائر شان ليس بالخفي في ابراز خبيئات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق
حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد
وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما اكثر الله في كتابه المبين
وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الانبياء والحكماء

قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون • وفي سورة الانجيل سورة الامثال • والمثل في اصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل يقال كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه اهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير **فان قلت** ما معنى • مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه احد المثلين • بصاحبه **قلت** قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال او الصفة او القصة اذا كان لها شان وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشان كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجايب قصة الجنة العجيبة ثم اخذ في بيان عجايبها ولله المثل الاعلى اي الوصف الذي له شان من العظمة • والجلالة مثلهم في التوراة اي صفتهم وشانهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان **فان قلت** كيف مثلت الجماعة بالواحد **قلت** وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي يسوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القايم موضع القايمين ولا نحوه من الصفات امران احدهما ان الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في اسماء الفاعلين والمفعولين والثاني ان جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون انما ذلك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان ساير الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد او قصد جنس المستوقدين او اريد الجمع او الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات • المستوقد حتى يلزم منه تشبيه الجماعة بالواحد انما شبهت قصتهم بقصة المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل اسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت • ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن اخواته وقد في الجبل اذا صعد وعلا • والنار جوهر لطيف مضي حار محرق والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا • والنور مشتق منها والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل • الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الاية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتانيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد اماكن واشياء ويعضده قراءة ابن ابي عبلة ضاءت وفيه وجه اخر وهو ان تستتر في الفعل ضمير النار وتجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في • معنى الامكنة • وحوله نصب على الظرف وتاليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور **فان قلت** اين جواب لما **قلت** فيه وجهان احدهما ان جوابه ذهب الله بنورهم والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به واجمعوا وحذفه • لاستطالة الكلام مع امن الالباس للدلالة عليه وكان الحذف اولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو ابلغ من • اللفظ في اداء المعنى كانه قيل فلما اضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خايبين بعد الكدح في احياء النار **فان قلت** فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم **قلت** يكون كلاما مستانفا كانهم لما شبهت حالهم بحال هذا المستوقد الذي طفيت ناره اعترض سايل فقال ما بالهم قد اشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان **فان قلت** قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني **قلت** مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع واما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى اخرى **فان قلت** فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله ذهب الله بنورهم **قلت** اذا طفيت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفاها الله وذهب بنور المستوقد

ووجه اخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء الا ترى الى قوله كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله واما نارا حقيقية اوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العبث فاطفاها الله وخيب امانيهم **فان قلت** كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد **قلت** هو خارج على طريقة المجاز المرشح فاحسن تدبره **فان قلت** هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما اضاءت **قلت** ذكر النور ابلغ لان الضوء فيه دلالة على • الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لاوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى • نورا والغرض ازالة النور عنهم راسا وطمسه اصلا الا ترى كيف ذكر عقيبه وتركهم في ظلمات والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف اتبعها ما يدل على انها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله لا يبصرون •

فان قلت فلم وصفت بالاضاءة **قلت** هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل لنزوة كل طماح والفرق بين اذهبه وذهب به ان معنى اذهبه ازاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا • استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذن لذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله بنورهم • وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى افعال القلوب كقول عنترة •

فتركته جزر السباع ينشنه •

ومنه قوله وتركهم في ظلمات اصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزءين • والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا اي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرا الحسن ظلمات بسكون اللام وقرا اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط • في لا يبصرون من قبيل المطرح المتروك الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد اصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون **فان قلت** فيم شبهت حالهم بحال المستوقد **قلت** في انهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة **فان قلت** واين الاضاءة في حال المنافق • وهل هو ابدا الا حاير خابط في ظلمات الكفر **قلت** المراد ما استضاؤوا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على السنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على اسرارهم وما افتضحوا به بين المومنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد به الطبع لقوله • صم بكم عمي • وفي الاية تفسير اخر وهو انهم لما وصفوا بانهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي • باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها فطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به السنتهم وان ينظروا ويتبصروا باعينهم جعلوا كانما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به • واذا ذكرت بسوء عندهم اذنوا

اصم عما ساءه سميع • اصم عن الشي الذي لا اريده

واسمع خلق الله حين اريد

فاصممت عمرا واعميته • عن الجود والفخر يوم الفخار

فان قلت كيف طريقته عند علماء البيان **قلت** طريقة قولهم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا ان هذا في الصفات وذا في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رايت ليوثا ورايت ضحى عن الخير ودجا الاسلام واضاء الحق •

فان قلت هل يسمى ما في الاية استعارة قلت مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة انما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال او فحوى الكلام كقول زهير

لدى اسد شاكي السلاح مقذف ... له لبد اظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كانهم يتناسون التشبيه ويضربون عن توهمه صفحا قال ابو تمام

ويصعد حتى يظن الجهول ... بان له حاجة في السما

ولبعضهم

لا تحسبوا ان في سرباله رجلا ... ففيه غيث وليث مسبل مشبل

وليس لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدا فاتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج

اسد علي وفي الحروب نعامة ... فتخاء تنفر من صفير الصافر

ومعنى لا يرجعون انهم لا يعودون بعد ان باعوه او عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع او اراد انهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكاناتهم لا يبرحون ولا يدرون ايتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه ثم ثنى الله سبحانه وتعالى في شانهم بتمثيل اخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز ان يجمل ويوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل ويشبع انشد الجاحظ

يرمون بالخطب الطوال وتارة ... وحي الملاحظ خيفة الرقباء

ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحيا ولا الاموات الا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته

اذاك ام ممسى بالوشي اكرعه ... اذاك ام خاضب بالسي مرتعه

اوكصيب من السما فيه ظلمات ورعد وبرق يجعلون اصابعهم في اذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين

فان قلت قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فما ذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق قلت لقائل ان يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حيوة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة الاسلام بالصواعق والمعنى او كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم اخذتهم السما على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا فان قلت هذا تشبيه اشيا باشيا فاين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين امنوا وعملوا الصالحات ولا المسي وقول امرئ القيس

كان قلوب الطير رطبا ويابسا ... لدى وكرها العناب والحشف البالي

قلت كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح اجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركا متشاكسون ورجلا سلما لرجل والصحيح الذي عليه علما البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا يتكلف لواحد واحد شي يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ اشيا فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظايرها كما فعل امرؤ القيس وجا في القران وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشيا قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيا واحدا باخرى مثلها كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الاية الغرض تشبيه حال اليهود في جهلها بما معها من التورية واياتها الباهرة بحال الحمار في جهله بما يحمل من اسفار الحكمة وتساوي الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحيوة الدنيا كما انزلناه من السما المراد قلة بقا زهرة الدنيا كقلة بقا الخضر فاما ان يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها ببعض ومصيرة شيا واحدا فلا وكذلك لما وصف الله وقوع المنافقين في ضلالتهم وما

خبطوا

خبطوا فيه من الحيرة والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفيت ناره بعد ايقادها في ظلمة الليل وكذلك من اخذته السما في الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق فان قلت الذي كنت تقدره في المفرق من التشبيه من حذف المضاف وهو قولك او كمثل ذوي صيب هل تقدر مثله في المركب منه قلت لولا طلب الراجع في قوله يجعلون اصابعهم في اذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لاني اراعي الكيفية المنتزعة من مجموع الكلام فلا علي اولي حرف التشبيه مفردا يتاتى التشبيه به ام لم يله الا ترى الى قوله انما مثل الحيوة الدنيا الاية كيف ولي الما الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالما ولا بمفرد اخر يتمحل لتقديره ومما هو بين في هذا قول لبيد

وما الناس الا كالديار واهلها ... بها يوم حلوها وغدوا بلاقع

لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم في الدنيا وسرعة زوالهم وفنايهم بحلول اهل الديار فيها ووشك نهوضهم عنها وتركها خلاصا خاوية فان قلت اي التمثيلين ابلغ قلت الثاني لانه ادل على فرط الحيرة وشدة الامر وفظاعته ولذلك اخروهم يتدرجون في نحو هذا من الاهون الى الاغلظ فان قلت لم عطف احد التمثيلين على الاخر بحرف الشك قلت او في اصلها لتساوي شيئين فصاعدا في الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت للتساوي في غير الشك وذلك قولك جالس الحسن او ابن سيرين تريد انهما سيان في استصواب ان تجالس ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم اثما او كفورا اي الاثم والكفور متساويان في وجوب عصيانهما فكذلك قوله او كصيب معناه ان كيفية قصة المنافقين مشبهة بكيفيتي هاتين القصتين وان القصتين سوا في استقلال كل واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذي يصوب اي ينزل ويقع ويقال للسحاب ايضا صيب قال الشماخ

واسحم دان صادق الوعد صيب

وتنكير صيب لانه اريد نوع من المطر شديد هايل كما نكرت النار في التمثيل الاول وقرئ كصايب والصيب ابلغ والسما هذه المظلة وعن الحسن انها موج مكفوف فان قلت قوله من السما ما الفايدة في ذكره والصيب لا يكون الا من السما قلت الفايدة فيه انه جا بالسما معرفة فنفى ان يتصور سما اي من افق واحد من بين سائر الافاق لان كل افق من افاقها سما كما ان كل طبقة من الطباق سما في قوله تعالى واوحى في كل سما امرها والدليل عليه قوله

ومن بعد ارض بيننا وسما

والمعنى انه غمام مطبق اخذ بافاق السما وكما جا بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبنا والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السما ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السما من جبال فيها من برد فان قلت بم ارتفع ظلمات قلت بالظرف على الاتفاق لاعتماده على موصوف والرعد الصوت الذي يسمع من اجرام السحاب تضطرب وتنتقض اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد والبرق الذي يلمع من السحاب من برق الشي بريقا اذا لمع فان قلت قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو اما ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما ظلماته قلت اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانسجامه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامته مع ظلمة الليل فان قلت كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب قلت اذا كانا في اعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه الا تراك تقول فلان في البلد وما هو الا في حيز يشغله جرمه فان قلت هلا جمع الرعد والبرق اخذا بالابلغ كقول البحتري

يا عارضا متلفعا ببروده ... يختال بين بروقه ورعوده

وكما قيل ظلمات قلت فيه وجهان احدهما ان يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السما رعدا وبرقت برقا روعي حكم اصلهما بان ترك جمعهما وان اريد معنى الجمع والثاني ان يراد الحدثان كانه قيل وارعاد وابراق وانما جا هذه الاشيا منكرات لان المراد انواع منها كانه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف

وبرق خاطف وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى اصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال او هم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه الا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله

يسقون من ورد البريص عليهم بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستانفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكان قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل يجعلون اصابعهم في اذانهم ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف ابصارهم **فان قلت** رؤس الاصابع هي التي تجعل في الاذن فهلا قيل اناملهم **قلت** هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وايديكم وقال فاقطعوا ايديهما اراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وايضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل **فان قلت** فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص **قلت** لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها اولى باداب القران الا ترى انهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة **فان قلت** فهلا ذكر بعض هذه الكنايات **قلت** هي الفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما احدثوها بعد وقوله من الصواعق متعلق بيجعلون اي من اجل الصواعق يجعلون اصابعهم في اذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت اجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا اتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكى انها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا اهلكته فصعق اي مات اما لشدة الصوت او بالاحراق ومنه قوله وخر موسى صعقا وقرا الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البنائين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله الا تراك تقول صقعه على راسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما ان يكون صفة لقصفة الرعد او للرعد والتاء مبالغة كما في الرواية او مصدرا كالكاذبة والعافية وقرا ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله

واغفر عوراء الكريم ادخاره

والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحيوة واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى انهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها **يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه واذا اظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير** الخطف الاخذ بسرعة وقرا مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح افصح واعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء واصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء الخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن ابي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم كلما اضاء لهم استئناف ثالث كانه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وما هم فيه من غاية التحير والجهل بما ياتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن الحركة ولو شاء الله لزاد في قصيف الرعد فاصمهم او في ضوء البرق فاعماهم واضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا اخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم مشوا في مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابي عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعي واذا ازداد فهو عدو **فان قلت** كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا **قلت** لانهم حراص على وجود ما همهم معقود من امكان المشي وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس واظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا

منقولا

منقولا من ظلم الليل ويشهد له قراءة يزيد بن قطيب اظلم على ما لم يسم فاعله وجاء في شعر حبيب بن اوس

هما اظلما حالي ثمت اجليا ظلاميهما عن وجه امرد اشيب

وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره في اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه الا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى قاموا وقفوا وثبتوا في مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف في شاء واراد لا يكادون يبرزون المفعول الا في الشيء المستغرب كنحو قوله

ولو شئت ان ابكي دما لبكيته

وقوله لو اردنا ان نتخذ لهوا ولو اراد الله ان يتخذ ولدا واراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وابصارهم بوميض البرق وقرا ابن ابي عبلة لاذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه في ساقة الباب المترجم بباب مجاري اواخر الكلم من العربية وانما يخرج التانيث من التذكير الا ترى ان الشيء يقع على ما اخبر عنه من قبل ان يعلم اذكر هو ام انثى والشيء مذكر وهو اعم العام كما ان الله اخص الخاص يجري على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء اي معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال **فان قلت** كيف قيل على كل شيء قدير وفي الاشياء ما لا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر اخر **قلت** مشروط في حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى في نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكانه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس اي على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس واما الفعل بين قادرين فمختلف فيه **فان قلت** مم اشتقاق القدير **قلت** من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز **يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون** لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم واحوالهم ومصارف امورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها اقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما انك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لكما ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة في مجاري امورك وتستوي على جادة السداد في مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه افضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء واوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه ما لا يجده اذا استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الالتفات في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الاذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا ايها الناس فهو مكي ويا ايها الذين امنوا فهو مدني فقوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في اصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه واما نداء القريب فله اي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتاكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا **فان قلت** فما بال الداعي يقول في جؤاره يا رب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد واسمع به وابصر **قلت** هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله واي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف باسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم يفتقر الى

ما يوضحه ويزيل ابهامه فلا بد ان يردفه اسم جنس او ما يجري مجراه يتصف به
حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو اي والاسم التابع له
صفته كقولك يا زيد الظريف الا ان ايا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك
من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب من التاكيد والتشديد
وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفايدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته
بتاكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه اي من الاضافة فان قلت لم
كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره قلت لاستقلاله
باوجه من التاكيد واسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من اوامره ونواهيه
وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص اخبار الامم الدارجة عليهم وغير
ذلك مما انطق به كتابه امور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم ان يتيقظوا لها
ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال ان ينادوا
بالآكد الابلغ فان قلت لا يخلو الامر بالعبادة من ان يكون متوجها الى المومنين
والكافرين جميعا او الى كفار مكة خاصة لما روي عن علقمة والحسن فالمومنون عابدون
ربهم فكيف امروا بما هم متلبسون به وهل هو الا كقول القايل

فلواني فعلت كنت من * تساله وهو قايم ان يقوما

واما الكفار فلا يعرفون الله فكيف يعبدونه قلت المراد بعبادة المومنين
ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها واما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد
منه وهو الاقرار كما يشترط على المامور بالصلوة والزكاة شرايطهما من الوضوء و
النية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث
لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على ان مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون
به وكان من لوازمه ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله فان قلت فقد
جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها قلت
الازدياد من العبادة عبادة وليس شيئا آخر فان قلت ربكم ما المراد به
قلت كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم
فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة
التي كانوا يسمونها اربابا وكان قوله الذي خلقكم صفة موضحة مميزة وان كان
الخطاب للفريقين جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه
على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا ان الاول
اوضح واصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها و
سواها بالمقياس وقرا ابو عمرو خلقكم بالادغام وقرا ابن السميقع وخلق من قبلكم
وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها ان
يقال اقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تاكيدا كما اقحم جرير في قوله

يا تيم تيم عدي لا ابا لكم

تيما الثاني بين الاول وما اضيف اليه وكاقحامهم
لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا اباك ولعل للترجي او الاشفاق
تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر او يخشى لعل
الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل
الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا اطمع فعل ما يطمع فيه
لا محالة لجري اطماعه مجرى وعده المحتوم وفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كي ولعل
لا يكون بمعنى كي ولكن الحقيقة ما ألقيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وما عليه اوضاع
امورهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التي يوطنون انفسهم على انجازها
على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا خيالة او يظفر منهم بالرمزة
او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب
عندهم شك في النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملك ذي العز
والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله تعالى يا ايها
الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيئاتكم فان

قلت فلعل التي في الآية ما معناها وموقعها قلت ليست مما
ذكرناه في شيء لان قوله خلقكم لعلكم تتقون لا يجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم
لان الرجاء لا يجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين
للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة في الآية موقع المجاز لا الحقيقة
لان الله عز وجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات
وازاح العلة في اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع في ايديهم زمام
الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم في صورة المرجو منهم ان يتقوا لترجح
امرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل
وبين ان لا يفعل ومصداقه قوله عز وجل ليبلوكم ايكم احسن عملا وانما يبلو ويختبر
من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء امرهم على الاختيار فان
قلت كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم
لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم قلت لم يقصره عليهم ولكن غلب
المخاطبين على الغايبين في اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا فان قلت
فهلا قيل تعبدون لاجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم قلت
ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدي ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى
امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات
العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها في النفوس ونحوه ان
تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فما ملكتك يميني الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرايط
الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء
وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم
تعلمون قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء
قادرين اولا لانه سابقة اصول النعم ومقدمتها والسبب في التمكن من العبادة و
الشكر وغيرهما ثم خلق الارض التي هي مكانهم ومستقرهم الذي لا بد لهم منه وهي بمنزلة
عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التي هي كالقبة المضروبة والخيمة
المطنبة على هذا القرار ثم ما سواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة و
المظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان
من الوان الثمار رزقا لبني آدم ليكون معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد
والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون في خلق انفسهم
وخلق ما فوقهم وتحتهم وان شيئا من هذه المخلوقات كلها لا يقدر على ايجاد شيء منها
فيتيقنوا عند ذلك ان لا بد لها من خالق ليس كمثلها حتى لا يجعلوا المخلوقات له اندادا
وهم يعلمون انها لا تقدر على نحو ما هو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون
في محل النصب وصفا كالذي خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على
الابتداء وفيه ما في النصب من المدح وقرا يزيد الشامي بساطا وقرا طلحة مهادا ومعنى
جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون
كما يتقلب احدهم على بساطه وفراشه ومهاده فان قلت هل فيه دليل على ان
الارض مسطحة وليست بكرية قلت ليس فيه الا ان الناس يفترشونها كما يفعلون
بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح او شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع
لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد اطرافها واذا كان متسهلا في الجبل وهو وتد من
اوتاد الارض فهو في الارض ذات الطول والعرض اسهل والبناء مصدر سمي به المبني
بيتا كان او قبة او خباء او طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امراته لانهم كانوا
اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا فان قلت ما معنى اخراج الثمرات بالماء
وانما خرجت بقدرته ومشيئته قلت المعنى انه جعل الماء سببا في خروجها
ومادة لها كماء الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا اسباب
ولا مواد كما انشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في انشاء الاشياء مدرجا لها
من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها لملائكته والنظار

يعيون لاستبصار عباده عبراً وافكاراً صالحة وزيادة طمانينة وسكون الى عظيم
قدرته وغرايب حكمته ليس فيما انشاتها بغتة من غير تدريج وترتيب ومن في من الثمرات
للتبعيض بشهادة قوله فاخرجنا به من كل الثمرات وقوله فاخرجنا به ثمرات ولان المنكرين
اعني ما، ورزقاً يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية كانه قيل وانزلنا من السما
بعض الما، فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وعنا هو المطابق لصحة المعني لانه
لم ينزل من السما، الما كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمار ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز
ان تكون للبيان كقولك انفقت من الدراهم الفا **فان قلت** فبم انتصب رزقاً
قلت ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كان مبينة كان
مفعولا لاخرج **فان قلت** فالثمر المخرج من ما، السما، كثير جم فلم قيل الثمرات دون
الثمر والثمار **قلت** فيه وجهان احدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في
قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم
للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقايها
في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلثة قروء وبعضد الوجه الاول قراءة محمد بن
السميقع من الثمرة على التوحيد • ولكم صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل
اسما للمعنى فهو مفعول به كانه قيل رزقا اياكم **فان قلت** بم تعلق فلا تجعلوا
قلت فيه ثلاثة اوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم ولا تجعلوا له اندادا لان
اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك ولعل على ان ينتصب تجعلوا
انتصاب فاطلع في قوله لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات فاطلع الى اله موسى في
رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي
جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلايل
النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء • والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف
المناوي قال جرير
اتيما تجعلون الي ندا • وما تيم لذي حسب نديد
وناددت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا
ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه **فان قلت** كانوا يسمون اصنامهم باسمه
ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون انها تخالف الله وتناويه **قلت**
لما تقربوا اليها وعظموها وسموها الهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها الهة مثله
قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند
شنع عليهم واستفظع شانهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي
ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه
اربا واحدا ام الف رب • ادين اذا تقسمت الامور
وقرا محمد بن السميقع فلا تجعلوا لله ندا **فان قلت** ما معنى قوله وانتم تعلمون
قلت معناه وحالكم وصفتكم انكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة 1
بدقايق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزل
لا يدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنوا الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى
بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كانه
قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوبيخ فيه اكد اي انتم العرافون المميزون ثم ان
ما انتم عليه في امر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة
العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون انه لا يماثل او وانتم تعلمون ما بينه وبينها
من التفاوت او وانتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركايكم من يفعل
من ذلكم من شي **وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله و
ادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين** لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية
ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم
ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك
ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القران

معجزة

معجزة واراهم كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعي ام هو من عند نفسه كما يدعون
بارشادهم الى ان يحرزوا انفسهم ويذوقوا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته
فان قلت لم قيل مما نزلنا على لفظ التنزيل دون الانزال **قلت** لان المراد
النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من مجازه لمكان التحدي وذلك انهم كانوا
يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة
بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وكفاء الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه
اهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيئا فشيئا حسب
ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات النازلة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة
ولا يرمي الناثر بمجموع خطبه او رسايله ضربة فلو انزله الله لانزله خلاف هذه العادة
جملة واحدة فقيل ان ارتبتم في هذا الذي وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا
انتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما من نجومه سورة من اصغر السور او آيات
شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل وقرئ على عبادنا يريد رسول
الله وامته والسورة الطايفة من القران المترجمة التي اقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت
اصلا فاما ان تسمى بسورة المدينة وهي حايطها لانها طايفة من القران محدودة محوزة
على حيالها كالبلد المسور او لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوايد كاحتواء
سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمى بالسورة التي هي الرتبة قال النابغة
ولرهط حراب وقد سورة • في المجد ليس غرابها بمطار
لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقى فيها القاري وهي ايضا في انفسها
مرتبة طوال واوساط وقصار او لرفعة شانها وجلالة محلها في الدين وان جعلت واوها
منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطايفة من القران كالسورة التي هي البقية من الشي والفضلة
منه **فان قلت** ما فايدة تفصيل القران وتقطيعه سورا **قلت** ليست الفايدة في
ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل وساير ما اوحاه الى انبيايه على هذا المنهاج
مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون في كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم
ومن فوايده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم
من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القاري اذا ختم سورة او بابا من الكتاب كان انشط له
واهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر
اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهى الى راس بريد نفس ذلك منه ونشطه
للسير ومن ثم جزأ القراء القران اسباعا واجزاء وعشورا واخماسا ومنها ان الحافظ اذا
حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طايفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة
فيعظم عنده ما حفظه ويجل في نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله كان الرجل اذا
قرا البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثم كانت القراءة في الصلوة بسورة تامة افضل ومنها
ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظاير وملايمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ
المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوايد والمنافع من مثله متعلق بسورة
صفة لها اي بسورة كاينة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله
فاتوا والضمير للعبد **فان قلت** وما مثله حتى ياتوا بسورة من ذلك المثل
قلت معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته في البيان الغريب وعلو الطبقة
في حسن النظم او فاتوا ممن هو على حالته من كونه بشرا عربيا او اميا لم يقرا الكتب ولم ياخذ
من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له
لاحملنك على الادهم فقال مثل الامير حمل على الادهم والاشهب اراد من كان على صفة الامير
من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد احدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى
المنزل اوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان ياتوا بمثل
هذا القران لا ياتون بمثله ولان القران جدير بسلامة الترتيب والوقوع على اصح
الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل احسن ترتيبا وذلك ان الحديث في المنزل
لا في المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره
الا ترى ان المعنى وان ارتبتم في ان القران منزل من عند الله فهاتوا انتم نبذا مما يماثله

وبجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله ان يقال وان ارتبتم
في ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانه اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير
بان ياتوا بطائفة يسيرة من جنس ما اتى به واحد منهم كان ابلغ في التحدي من ان يقال
لهم ليات واحد اخر بنحو ما اتى به هذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله وادعوا
شهداءكم والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر او القائم بالشهادة ومعنى دون ادنى مكان
من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء
بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذلك اذا كان احط منه قليلا
ودونك هذا اصله خذ من دونك اي من ادنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت
في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو في الشرف والعلم ومنه من قال لعدوه وقد اثنى
بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما في نفسك واتسع فيه فاستعمل في كل تجاوز حد الى حد
وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء من دون المؤمنين اي
لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال امية ۞ ۞ ۞ ۞
۞ يا نفس ما لك دون الله من واق ۞ ۞ اي اذا تجاوزت وقاية
الله ولم تناليها لم يقك غيره ومن دون الله متعلق بادعوا او بشهداءكم فان علقته
بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله وزعمتم انهم يشهدون لكم يوم
القيامة انكم على الحق او ادعوا الذين يشهدون لكم بين يدي الله من قول الاعشى ۞ ۞
تريك القذى من دونها وهي دونه اي تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها
وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذي لا ينطق في معارضة القرآن المعجز بفصاحته
غاية التهكم بهم ۞ او ادعوا شهداءكم من دون الله اي من دون اوليائه ومن غير المؤمنين
يشهدوا لكم انكم اتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم
مدارة القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تابى عليهم الطباع
وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده ۞
واستقامة المحال الجلي في عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء في هذا الوجه جائز وان علقته
بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان
ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس
الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوي عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم
وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق متشبثا عن قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم
هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل
عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله في هذا المقام ريبة وادعوا من
دون الله شهداءكم يعني ان الله شاهدكم بانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم
وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن
والانس الا الله لانه القادر وحده على ان ياتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى
قوله قل لئن اجتمعت الجن والانس الاية فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي
وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون
امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله
قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم تتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق
عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على
اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله
١ فان قلت انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذي هو للوجوب دون
ان الذي للشك قلت فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم
وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم
واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من
نفسه بالغلبة على من يقاومه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه وتيقنه
١ تهكما به فان قلت لم عبر عن الاتيان بالفعل واي فائدة في تركه اليه قلت
لانه فعل من الافعال تقول اتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى

الكفاية

الكفاية تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول
ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به وتعد كيفيات وافعالا
فتقول له بئس ما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ
الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تاتوا بسورة من مثله فان قلت
ولن تفعلوا ما محلها قلت لا محل لها لانها جملة اعتراضية فان قلت
ما حقيقة لن في باب النفي قلت لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن تاكيدا
وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك قلت لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم
واني مقيم وهو عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا ان وعند الفراء لا ابدلت الفها
نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتاكيد نفي المستقبل فان
قلت من اين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة قلت
لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى
العادة محال لا سيما والطاعنون فيه اكثف عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار
بالغيب على ما هو به فكان معجزة فان قلت ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء ١
اتيانهم بسورة من مثله قلت انهم اذا لم ياتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة
صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد
ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد
فوضع فاتقوا النار موضعه لان اتقاء النار لزيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه
من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة
عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط
وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية
القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك
بتهويل صفة النار وتفظيع امرها ۞ والوقود ما ترفع به النار واما المصدر فمضموم
وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم
قال والوقود اكثر والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما تقول
فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حيي المصباح السليط اي ليست ١
حياته الا به فكان نفس السليط حياته فان قلت صلة الذي والتي يجب ان تكون ۞
قصة معلومة للمخاطب فكيف علم اولئك ان نار الاخرة توقد بالناس والحجارة قلت
لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من اهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم
او سمعوا قبل هذه الاية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة فان
قلت فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة
قلت تلك الاية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت
هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه اولا فان قلت ما معنى قوله وقودها ١
الناس والحجارة قلت معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد
الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان اريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت اولا بوقود
ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك اعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ۞
ما يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار
اشتعلت وارتفع لهبها فان قلت انار الجحيم كلها موقودة بالناس والحجارة
ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة قلت بل هي نيران شتى منها نار توقد
بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس ۞
فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة
الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب فان قلت لم ١
قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا قلت لانهم قرنوا بها انفسهم في
الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الاية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما
تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد

الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون
بهم ويستدفعون المضار عن انفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم فقرنهم بها محماة في نار جهنم
ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا فضتهم و
ذهبهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها
جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص بغير دليل وذهاب عما هو المعنى
الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل وبشر الذين امنوا وعملوا الصالحات ان
لهم جنات تجري من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذي رزقنا
من قبل واتوا به متشابها ولهم فيها ازواج مطهرة وهم فيها خالدون اعدت
لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرا عبد الله اعتدت من العتاد بمعنى العدة • من عادته
عز وعلا في كتابه ان يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط •
لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار واعمالهم واوعدهم بالعقاب
قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والاعمال الصالحة من فعل الطاعات و
ترك المعاصي وحموها عن الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب فان قلت من المامور
بقوله وبشر قلت يجوز ان يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل احد قال النبي
صلى الله عليه وسلم بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيمة لم يامر بذلك
واحدا بعينه وانما كل واحد مامور به وهذا الوجه احسن واجزل لانه يؤذن بان الامر لعظمه
وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به فان قلت علام عطف هذا
الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه قلت ليس الذي اعتمد بالعطف هو
الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف
ثواب المومنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب
بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله
فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني
اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على اعدت •
والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به الذي اظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان
بشرني اخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر
من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد
في غيظ المستهزا به وتالمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك
ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم • والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة
∴ كيف الهجاء وما تنفك صالحة • من ال لام بظهر الغيب تاتيني ∴
والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس فان
قلت اي فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع قلت
اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد
منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد بعضه لا الى الواحد لان
وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في
وحدانه فان قلت فما المراد بهذا المجموع مع اللام قلت الجملة من الاعمال الصحيحة
المستقيمة في الدين على حسب حال المومن في مواجب التكليف • والجنة البستان من النخل
والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير ∴ تسقي جنة سحقا ∴
اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكانها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة
التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كانها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار
الثواب جنة لما فيها من الجنان فان قلت الجنة مخلوقة ام لا قلت قد
اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة في ذلك والذي تقول يستدل بسكنى ادم وحوا
الجنة ومجيئها في القران على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول و
الكتاب ونحوها فان قلت ما معنى جمع الجنة وتنكيرها قلت الجنة اسم
لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين
لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان فان قلت اما يشترط في استحقاق الثواب

بالايمان

بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على
ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك قلت لما جعل الثواب مستحقا
بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة لمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان انما
يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه ما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى
مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه
واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال للمومنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض
ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر فان
قلت كيف صورة جري الانهار من تحتها قلت كما ترى الاشجار النابتة على شواطي
الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجري في غير اخدود وانزه البساتين واكرمها
منظرا ما كانت اشجاره مظللة والانهار في خلالها مطردة ولولا ان الماء الجاري من النعمة •
العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت انق شي واحسنه لا تروق النواظر
ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء والا كان الانس الاعظم
فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا ارواح فيها وصور لا حيوة لها لما
جاء الله تعالى بذكر الجنات الا مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران
واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها • والنهر المجرى
الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية
النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجري الى الانهار من الاسناد المجازي •
كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان فان قلت لم نكرت الجنات
وعرفت الانهار قلت اما تنكير الجنات فقد ذكر واما تعريف الانهار فان يراد الجنس
كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجاري والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس
التي في علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل
الراس شيبا او يشار باللام الى الانهار المذكورة في قوله فيها انهار من ماء غير اسن وانهار
من لبن لم يتغير طعمه الاية • وقوله • كلما رزقوا لا يخلو اما ان يكون صفة ثانية لجنات او
خبر مبتدا محذوف او جملة مستانفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع
فيه اثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس اخر لا تشابه هذه الاجناس •
فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا اي اجناسها وان تفاوتت الى غاية
لا يعلمها الا الله فان قلت ما موقع من ثمرة قلت هو كقولك كلما اكلت من
بستانك من الرمان شيئا حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما
رزقوا من الجنات من اي ثمرة كانت من تفاحها او رمانها او عنبها او غير ذلك رزقا قالوا
ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات و
الرزق من الجنات ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقني فلان فيقال لك من اين
فتقول من بستانه فيقال من اي ثمرة رزقك من بستانه فتقول من الرمان وتحريره ان رزقوا •
جعل مطلقا مبتدا من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدا به من
ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة او الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد
النوع من انواع الثمار ووجه اخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رايت منك
اسدا تريد انت اسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجناة الواحدة
فان قلت كيف قيل هذا الذي رزقنا من قبل وكيف تكون ذات الحاضر عندهم في الجنة
هي ذات الذي رزقوه في الدنيا قلت معناه هذا مثل الذي رزقناه من قبل وشبهه
بدليل قوله واتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف ابو حنيفة رحمهما الله تريد انه
لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته فان قلت الام يرجع الضمير في قوله واتوا به
قلت الى المرزوق في الدنيا والاخرة جميعا لان قوله هذا الذي رزقنا من قبل
انطوى تحته ذكر ما رزقوه في الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا او فقيرا فالله
اولى بهما اي بجنسي الغني والفقير لدلالة قوله غنيا او فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير
على المتكلم به لقيل اولى به على التوحيد فان قلت لاي غرض تشابه ثمر الدنيا
وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم تكن اجناسا اخر قلت لان الانسان بالمالوف انس •

والى المعهود اميل واذا راي ما لم يالفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر
بشي من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه الف وراي فيه مزية ظاهرة وفضيلة
بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال استعجابه
واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنسا لم يعهده
وان كان فايقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين
فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد
البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في
حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما راوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده
ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك ابين
للفضل واظهر للمزية واجلب للسرور وازيد في التعجب من ان يفاجيوا ذلك الرمان و
ذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم في هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة
يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان
ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل اوان عن مسروق
نخل الجنة نضيد من اصلها الى فرعها وثمرها امثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت
مكانها اخرى فانهارها تجري في غير اخدود والعنقود اثنتا عشرة ذراعا ويجوز ان
يرجع الضمير في اتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى ان ما يرزقونه
من ثمرات الجنة متجانسا في نفسه كما يحكى عن الحسن اي زرقا يوتى احدهم بالصحفة فياكل
منها ثم يوتى بالاخرى فيقول هذا الذي اتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد
والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من اهل الجنة ليتناول
الثمرة لياكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها
والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو **فان قلت** كيف موقع قوله
واتوا به متشابها من نظم الكلام **قلت** هو كقولك فلان احسن لفلان ونعم ما فعل
وراى من الراي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا اعزة اهلها اذلة وكذلك
يفعلون وما اشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير والمراد بتطهير
الازواج ان طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة وما لا يختص بهن من الاقذار
والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا ان يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق
الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن وما ياخذونه من اعراق السوء والمناصب
الردية والمناشي المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن **فان
قلت** فهلا جاءت الصفة مجموعة كالموصوف **قلت** هما لغتان فصيحتان
يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة

واذا العذارى بالدخان تقنعت ۞ واستعجلت نصب القدور فملت

والمعنى جماعة ازواج مطهرة وقرا زيد بن علي مطهرات وقرا عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة
في كلام بعض العرب ما احوجني الى بيت الله فاطهر به اطهرة **فان قلت** هلا
قيل طاهرة **قلت** في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا
طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد لعباده الصالحين ان يخولهم كل مزية فيما اعطاهم
والخلد الثبات الدايم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا
لبشر من قبلك الخلد افان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس

الا انعم صباحا ايها الطلل البالي ۞ وهل ينعمن من كان في العصر الخالي
وهل ينعمن الا سعيد مخلد ۞ قليل الهموم ما يبيت باوجال

**ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها فاما الذين
امنوا فيعلمون انه الحق من ربهم واما الذين كفروا فيقولون ماذا اراد
الله بهذا مثلا يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين**

سيقت هذه الاية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من
الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع
للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع

الحجاب

الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل
به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل
اذا الا امرا استدعته حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك
القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا ابلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل
لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الالهة التي جعلها الكفار اندادا
لله لا حال احقر منها واقل ولذلك جعل بيت العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت
اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم
يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله
للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتذيه ويستدعيه ولبيان ان المؤمنين
الذين عادتهم الانصاف والعمل على العادة والسوية والنظر في الامور بناظر العقل بمثل
هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطا حوله
وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغضبهم على بصايرهم فلا يتفطنون ولا
يلقون اذهانهم او عرفوا انه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان
ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك
سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم
كيف انكروا ذلك وما زال الناس يضربون الامثال بالبهايم والطيور واحناش الارض
والحشرات والهوام وهذه امثال العرب بين ايديهم مسيرة في حواضرهم وبوادبهم
قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة واجرا من الذباب واسمع من قراد
واصرد من جرادة واضعف من فراشة واكل من السوس وقالوا في البعوضة اضعف من
بعوضة واعز من مخ البعوض وكلفني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل
بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير
والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا يغبى استقامته وصحته على من به ادنى مسكة
ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا
اقناع ان يرمي لفرط الحيرة والعجز عن اعمال الحيلة بدفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل
على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله
الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب به للمشركين المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه
هذا كلام الله فانزل الله هذه الاية ۞ والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف
ما يعاب به ويذم واشتقاقه من الحيوة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس
اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة
منتقص الحيوة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورايت الهلاك في وجهه
من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا **فان قلت** كيف جاز وصف القديم
سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى
يضع فيهما خيرا **قلت** هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه
صفرا من عطايه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله ان
الله لا يستحيي ان لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي ان يتمثل بها لحقارتها
ويجوز ان تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب
والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع
وطراز عجيب منه قول ابي تمام

من مبلغ افناء يعرب كلها ۞ اني بنيت الجار قبل المنزل

وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله
بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة
ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در
امر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت

فيه علي قوم منهاجه واسد مدراجه وقد استعير الحيا فيما لا يصح فيه

اذا ما استحين الما يعرض نفسه • كرعن بسبت في اناء من الورد

دقرا ابن كثير في رواية شبل يستحي بيا واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي
بنفسه يقولون استحيت منه واستحييته وهما محملتان هاهنا • وضرب المثل اعتماده
وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وسلم
خاتما من ذهب • وما هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة ابهمته ابهاما وزادته
اشياعا وعموما كقولك اعطني كتابا ما تريد اي كتابا كان او صلة للتاكيد كالتي في قوله فبما
نقضهم ميثاقهم كانه قيل لا يستحيي ان يضرب مثلا حقا او البتة هذا اذا نصبت بعوضة
فان رفعتها فهي موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة لان
التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف في تماما علي الذي احسن ووجه اخر
حسن جميل وهو ان تكون التي فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات
قال ان الله لا يستحيي ان يضرب للانداد مما شيا من الاشيا المحقرة مثلا بله البعوضة
فما فوقها كما يقال فلان لا يبالي بما وهب ما دينار ودينارا ان والمعنى ان الله ان يتمثل
للانداد وحقارة شانها بما لا شي اصغر منه واقل كما لو تمثل بالجزء الذي لا يتجزا او بما
لا ندركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان
اقل من لا شي في العدد ولقد الم به قوله تعالي ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شي
وهذه القراة تعزي الي روبة من العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود
له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب في هذه القراة الا الي هذا الوجه
وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضه بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب
ومثلا حال عن النكرة متقدمة عليه او انتصبا مفعولين يجري ضرب مجري جعل
واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد

لنعم البيت بيت ابي دثار • اذا ما خاف بعض القوم بعضا

ومنه بعض الشي لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة علي فعول كالقطوع فغلبت
وكذلك الخموش • فما فوقها فيه معنيان احدهما فما تجاوزها وزاد عليها في المعنى
الذي ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان اسفل الناس واشحهم
هو فوق ذلك تريد هو ابلغ واعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثاني فما زاد
عليها في الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت
لانهما اكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح باذني شي فيقال فلان
يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالي ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما يبخل
به وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ويحتمل الاحتمالين ما سمعنا
في صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش علي عايشة وهي بمنا وهم
يضحكون فقالت ما يضحككم فقالوا فلان خر علي طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان
تذهب فقالت لا تضحكوا اني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك
شوكة فما فوقها الا كتبت بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة في
تجاوزها في القلة وهي نحو نخبة النملة في قوله عليه الصلاة والسلام ما اصاب
المومن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها ويحتمل ما هو اشد
من الشوكة واوجع كالخرور علي طنب الفسطاط **فان قلت** كيف يضرب المثل بما دون
البعوضة وهي النهاية في الصغر **قلت** ليس كذلك فان جناح البعوضة اقل منها واصغر
بدرجات وقد ضربه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفي خلق الله حيوان اصغر
منها ومن جناحها ربما رايت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر
الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت
مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك واعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها
ويبصر بصرها ويطلع علي ضميرها ولعل في خلقه ما هو اصغر منها واصغر سبحان الذي
خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وانشدت لبعضهم

يا من يري مد البعوض جناحها • في ظلمة الليل البهيم الاليل

ويري

ويري عروق نياطها في نحرها • والمخ في تلك العظام النحل

اغفر لعبد تاب من فرطاته • ما كان منه في الزمان الاول

واما حرف فيه معنى الشرط وكذلك يجاب بالفاء وفايدته في الكلام ان يعطيه فضل
توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذلك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد
الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك يجاب بالفاء وفايدته ولذلك
قال سيبويه في تفسيره مهما يكن من شي فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل بفايدتين
بيان كونه توكيدا وانه في معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم
يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المومنين و
اعتداد بعلمهم انه الحق ونعي علي الكافرين اغفالهم خطهم وعنادهم ورميهم
بالكلمة الحمقاء • والحق الثابت الذي لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب
وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج • وماذا فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا
بمعنى الذي فيكون كلمتين وان تكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون
كلمة واحدة فهو علي الوجه الاول مرفوع المحل علي الابتدا وخبره ذا مع صلته وعلي الثاني
منصوب المحل في حكم ما وحده لو قلت ما اراد الله والاصوب في جوابه ان يجي علي الاول
مرفوعا وعلي الثاني منصوبا ليطابق الجواب السوال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول في جواب
من قال ما رايت خيرا اي المري خير في جواب ما الذي رايت خيرا اي رايت خيرا وقري قوله
تعالي ويسالونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب علي التقديرين والارادة •
نقيض الكراهة وهي مصدر اردت الشي اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود
المتكلمين الارادة معنى يوجب للحي حالا لاجلها يقع منه الفعل علي وجه دون وجه
وقد اختلفوا في ارادة الله فبعضهم علي ان للباري مثل صفة المريد منا التي هي القصد
وهو امر زايد علي كونه عالما عن ساه وبعضهم علي ان معنى ارادته لا فعاله هو انه
امر بها والضمير في انه الحق للمثل او لان يضرب وفي قولهم ماذا اراد الله بهذا استرذال
واستحقار كما قالت عايشة في عبد الله بن عمرو بن العاص • يا عجبا لابن عمرو هذا •
ومثلا نصب علي التمييز كقولك لمن اجاب بجواب غث ماذا اردت بهذا جوابا ولمن
حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او علي الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية •
وقوله يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا جار مجري التفسير والبيان للجملتين المصدرتين
باما وان العلم وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزين به كلاهما
موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدي الذي ازداد به المومنون نورا
الي نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التي زادت الجهلة خبطا في ظلماتهم
فان قلت لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادي الشكور و
قليل ما هم الناس كابل ماية لا تجد فيها راحلة وجدت الناس اخبر تقله **قلت**
اهل الهدي كثير في انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الي اهل
الضلال وايضا فان القليل من المهديين كثير في الحقيقة وان قلوا في الصورة فسموا ذهابا
الي الحقيقة كثيرا

ان الكرام كثير في البلاد وان • قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

واسناد الاضلال الي الله تعالي اسناد الفعل الي السبب لانه لما ضرب به المثل فضل به
قوم واهتدي به قوم تسبب لضلالتهم وهديهم وعن مالك بن دينار انه دخل علي
محبوس قد اخذ بمال عليه وقيد فقال يا ابا يحيي اما تري ما نحن فيه من القيود فرفع
مالك راسه فراي سلة فقال لمن هذه السلة فقال لي امر بها تنزل فاذا دجاج واخبصة
فقال له مالك هذه وضعت القيود علي رجلك وقرا زيد بن علي يضل به كثير وكذلك وما
يضل به الا الفاسقون والفسق الخروج عن القصد قال روبه

فواسقا عن قصدها جوايرا • والفاسق في الشريعة الخارج عن امر الله
بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اي بين منزلة المومن والكافر وقالوا ان اول
من حد له هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطا وكونه بين بين ان حكمه حكم المومن في انه
يناكح ويوارث ويغسل ويصلي عليه ويدفن في مقابر المسلمين وهو كالكافر في الذم واللعن

والبراءة منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية
ان الصلاة لا تجزي خلفه ويقال للخلعاء المراد الكفارة الفسقة وقد جاء الاستعمالين في
كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون
الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل
ويفسدون في الارض اولئك هم الخاسرون النقض الفسخ وفك التركيب
فان قلت من اين ساغ استعمال النقض في ابطال العهد قلت من حيث
تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة بين المتعاهدين ومنه
قول ابن التيهان في بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها
فنخشى ان الله عز وجل اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان
يسكتوا عن ذكر الشيء المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شيء من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على
مكانه ونحو قولك شجاع يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس فاذا تزوجت امراة فاستوثقها
لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المراة بانها فراش والعهد
الموثق وعهد اليه في كذا اذا اوصاه ووثقه عليه واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق
منه والمراد بهولاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون او منافقوهم او الكفار
جميعا فان قلت ما المراد بعهد الله قلت ما ركز في قلوبهم من الحجة على
التوحيد كانه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى واخذ الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله
بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه من الكتب المنزلة عليهم كقوله
واوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله في الانجيل لعيسى صلوات الله عليه سانزل عليك
كتابا فيه نبا بني اسرائيل وما اريته اياهم من الايات وما انعمت عليهم وما نقضوا من
ميثاقهم الذي واثقوا به وما ضيعوا من عهدي اليهم وحسن صنعه الذين قاموا بميثاق
الله واوفوا بعهده ونصره اياهم وكيف انزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا
ميثاقه ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى ما فعلوا باسم محمد صلى الله عليه
وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو اخذ الله
العهد عليهم ان لا يسفكوا دماءهم ولا يبغي بعضهم على بعض ولا يقطعوا ارحامهم
وقيل عهد الله الى خلقه ثلاثة عهود العهد الاول الذي اخذه على جميع ذرية ادم الاقرار
بربوبيته وهو قوله واذ اخذ ربك وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا
الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو
قوله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه • والضمير
في ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه انفسهم ويجوز ان يكون
بمعنى توثقته كما ان الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة • ويجوز ان يرجع الضمير الى
الله اي من بعد توثقته عليهم او من بعد ما وثق به عهده من اياته وكتبه وانذار رسله
• ومعنى قطعهم ما امر الله به ان يوصل قطعهم الارحام وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم
ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق في ايمانهم ببعض وكفرهم ببعض
فان قلت ما الامر قلت طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه •
سمي الامر الذي هو واحد الامور لان الداعي الذي يدعو اليه من يتولاه شبه بامر يامره به
فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كانه مامور به كما قيل له شان والشان الطلب
يقال شانت شانه اي قصدت قصده • هم الخاسرون لانهم استبدلوا النقض بالوفاء
والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون معنى الهمزة التي في كيف مثله في
قولك اتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجيب •
ونظيره قولك اتطير بغير جناح فان قلت قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران
لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل على ما ذكر من الامانة والاحياء قلت
قد اخرج في صورة المستحيل لما قوي من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان فان
قلت قد تبين امر الهمزة انها لانكار الفعل والانذار باستحالته في نفسه

قلت

قلت حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت
الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان
يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك من حال وصفة عند و
جوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا على الطريق البرهاني والواو
في قوله وكنتم امواتا للحال فان قلت فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا
يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان تضمر قد قلت لم تدخل الواو
على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الى ترجعون كانه قيل كيف
تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم انكم كنتم امواتا نطفا في اصلاب ابائكم فجعلكم
احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم فان قلت
بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقع حالا
حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذي وقع حالا قلت
هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وانتم عالمون بهذه القصة باولها واخرها
فان قلت فقد ال المعنى الى قولك على اي حال تكفرون في حال علمكم بهذه القصة
فما وجه صحته قلت قد ذكرنا ان معنى الاستفهام في كيف الانكار وان انكار الحال
متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما اعجب كفركم مع علمكم بحالكم
هذه فان قلت ان اتصل علمهم بانهم كانوا امواتا فاحياهم ثم يميتهم فلم يتصل
بالاحياء الثاني والرجوع قلت قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه
فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا • والاموات جمع ميت
كالاقوال جمع قيل فان قلت كيف قيل لهم اموات في حال كونهم جمادا
وانما يقال ميت فيما تصح فيه الحياة من البنى قلت بل يقال ذلك لعادم الحياة
كقوله بلدة ميتا واية لهم الارض الميتة اموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة
لاجتماعهما في ان لا روح ولا احساس فان قلت فما المراد بالاحياء الثاني
قلت يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور
وبالرجوع المصير الى الجزاء فان قلت لم كان العطف الاول فقد تراخى عن الاحياء
والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان اريد به النشور تراخيا ظاهرا وان
اريد به احياء القبر فمنه تكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء ايضا متراخ عن
النشور فان قلت من اين انكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الا انها
مشتملة على ايات الله بينات تصرفهم عن الكفر على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر
قلت يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده ايات وهي مع كونها ايات من اعظم
النعم هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ثم استوى الى السماء فسواهن
سبع سموات وهو بكل شيء عليم لكم لاجلكم ولانتفاعكم به في دنياكم اما
الانتفاع الدنيوي فظاهر واما الانتفاع الديني فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع
الدالة على الصانع القادر الحكيم • وما فيه من التذكير بالاخرة وبثوابها وعقابها •
لاشتماله على اسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح
والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى اسباب الوحشة والمشقة من انواع المكاره كالنيران
والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخاوف وقد استدل بقوله خلق لكم
على ان الاشياء التي يصح ان ينتفع بها تجري مجرى المحظورات في العقل خلقت في الاصل
مباحة مطلقا لكل احد ان يتناولها ويستنفع بها فان قلت هل لقول من زعم
ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة قلت ان اراد بالارض الجهات السفلية
دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة
في الجهات السفلية • وجميعا نصب على الحال من الموصول الثاني والاستواء الاعتدال
والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل
اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوي على شيء ومنه استعير قوله • ثم استوى الى
السماء اي قصد اليها بارادته ومشيئته بعدما خلق ما في الارض من غير ان يريد فيما بين
ذلك خلق شيء اخر والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل استوى الى فوق • والضمير

في فسويهن ضمير مبهم وسبع سموات تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير
راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول
ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور واتمام
خلقهن وهو بكل شيء عليم فمن ثم خلقهن خلقا مستويا من غير تفاوت مع خلق ما في
الارض على حسب حاجات اهلها ومنافعهم ومصالحهم **فان قلت** ما فرق
به معنى الاستوا بيا قضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة **قلت** ثم ههنا
لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا التراخي في الوقت
كقوله ثم كان من الذين امنوا على انه لو كان بمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت
به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك اي في تضاعيف القصد
اليها خلقا اخر **فان قلت** اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها
قلت لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء واما دحوها فمتاخر وعن
الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها
ثم اصعد الدخان وخلق منه السموات وامسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض
فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق **واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض
خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون** اذ نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب
بقالوا والملائك جمع ملاك على الاصل كالشمائل جمع شمال والحاق التاء لتانيث الجمع
وجاعل من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قولك في الارض خليفة
فكانا مفعوليه ومعناه مصير في الارض خليفة والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة
منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها ادم وذريته **فان قلت**
فهلا قيل خلائف او خلفا **قلت** اريد بالخليفة ادم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه
كما يستغنى بذكر ابي القبيلة في قولك مضر وهاشم واريد من يخلفكم او خلقا يخلفكم
فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز ان يريد خليفة مني لان ادم كان خليفة
الله في الارض وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض **فان قلت**
لاي غرض اخبرهم بذلك **قلت** ليسالوا ذلك السؤال ويجابوا بما اجيبوا به فيعرفوا
حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة وقت استخلافهم وقيل
ليعلم عباده المشاورة في امورهم قبل ان يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم
وان كان هو بعلمه وحكمته غنيا عن المشاورة • اتجعل فيها تعجب من ان يستخلف مكان
اهل الطاعة اهل المعصية وهو الحكيم • الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير ولا يريد
الا الخير **فان قلت** من اين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب **قلت**
عرفوا باخبار من الله او من جهة اللوح او ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون
وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم او قاسوا احد الثقلين على الاخر حيث اسكنوا الارض
فافسدوا فيها قبل سكنى الملائكة • وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك من اسفك وسفك
والواو في ونحن للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد
الله من السوء وكذلك تقديسه من سبح في الماء والارض وقدس في الارض اذا ذهب فيها
وابعد • وبحمدك في موضع الحال اي نسبح حامدين لك وملتبسين بحمدك لانه لولا انعامك
علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك • اعلم ما لا تعلمون اي اعلم من المصالح
في ذلك ما هو خفي عليكم **فان قلت** هلا بين لهم تلك المصالح **قلت** كفى العباد
ان يعلموا ان افعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه
قد تبين لهم بعض ذلك فيما اتبعه ذلك من قوله **وعلم ادم الاسماء كلها** واشتقاقهم
ادم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من
الدرس وابليس من الابلاس وما ادم الا اسم اعجمي واقرب امره ان يكون على فاعل كازر
وعازر وعابر وشالخ وفالغ واشباه ذلك • الاسماء كلها اي اسماء المسميات فحذف المضاف
اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام
كقوله واشتعل الراس شيبا **فان قلت** هلا زعمت انه حذف المضاف واقيم

المضاف اليه مقامه وان الاصل وعلم ادم اسماء المسميات الاسماء •
فان قلت لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله
انبوني باسماء هؤلاء انبيهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم فكما علق الانباء
بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل انبوني بهؤلاء وانبيهم بهم وجب تعليق التعليم
بها **فان قلت** فما معنى تعليمه اسماء المسميات **قلت** ارادة الاجناس
التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه وعلمه احوالها
وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية **ثم عرضهم على الملائكة فقال
انبوني باسماء هؤلاء** اي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء
وانما استنباهم وقد علم عجزهم على سبيل التبكيت **ان كنتم صادقين** يعني
في زعمكم اني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن
يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي اصول الفوائد كلها ما يستاهلون لاجله ان
يستخلفوا فاراهم بذلك وبين لهم بعض ما اجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في
قوله اني اعلم ما لا تعلمون **قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم
الحكيم قال يا ادم انبيهم باسمائهم فلما انباهم باسمائهم قال الم اقل لكم اني اعلم
غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون** فقوله الم اقل لكم
اني اعلم غيب السموات والارض استحضار لقوله اني اعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على
وجه ابسط من ذلك واشرح وقرئ وعلم ادم على البناء للمفعول وقرا عبد الله عرضهن
وقرا ابي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء وقرئ
انبيهم بقلب الهمزة ياء وانبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما **واذ قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا** السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة
كما سجدت الملائكة لادم وابوا يوسف واخوته ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات
فيه وقرا ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية
بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله **الا ابليس** استثناء متصل لانه كان جنيا
واحدا بين اظهر الالوف من الملائكة مغمورا فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثني
منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا **ابى** امتنع مما امر به **واستكبر**
عنه **وكان من الكافرين** من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله
كان من الجن ففسق عن امر ربه **وقلنا يا ادم اسكن انت وزوجك الجنة** السكنى
من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار • وانت تاكيد للمستكن في اسكن ليصح
العطف عليه **وكلا منها رغدا** وصف للمصدر اي اكلا رغدا واسعا رافها • **وحيث**
للمكان المبهم اي اي مكان في الجنة **شئتما** اطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة
البالغة المزيحة للعلة حيث لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة
للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين اشجارها
الفائتة للحصر **ولا تقربا هذه الشجرة** وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة
او التينة وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين
والياء وعن ابي عمرو انه كرهها وقال يقرا بها برابر مكة وسودانها **فتكونا من
الظالمين** من الذين ظلموا انفسهم بمعصية الله • فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب
جواب النهي **فازلهما الشيطان عنها** الضمير في عنها للشجرة اي فحملهما الشيطان على
الزلة بسببها وتحقيقه فاصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله وما فعلته
عن امري وقوله ينهون عن اكل وعن شرب وقيل فازلهما عن الجنة بمعنى اذهبهما عنها
او ابعدهما كما تقول زل عني ذلك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا
وقرا فازالهما **فاخرجهما مما كانا فيه** من النعيم والكرامة او من الجنة ان كان الضمير
للشجرة في عنها وقرا عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على ان الضمير
للشجرة لان المعنى صدرت وسوسته عنها **فان قلت** كيف توصل الى
ازلالهما ووسوسته لهما بعدما قيل له اخرج منها فانك رجيم **قلت** يجوز ان
يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع ان يدخل على جهة

الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند
الباب فنادى وروي انه اراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى اذا
دخلت به وهم لا يشعرون **وقلنا اهبطوا** خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل
والحية والصحيح انه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا اصل الانس ومتشعبهم
جعلا كانهما الانس كلهم والدليل عليه قوله اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو
ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا
بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم ومعنى
بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض
والهبوط النزول الى الارض **مستقر ولكم في الارض مستقر** موضع استقرار او استقرار
ومتاع تمتع بالعيش **الى حين** يريد الى يوم القيمة وقيل الى الموت **فتلقى آدم من
ربه كلمات** معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ
بنصب آدم ورفع كلمات على انها استقبلته بان بلغته واتصلت به **فان قلت**
ما هن **قلت** قوله تعالى ربنا ظلمنا انفسنا الآية وعن ابن مسعود ان احب
الكلام الى الله ما قاله ابونا حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى
جدك لا اله الا انت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت وعن ابن عباس
قال يا رب الم تخلقني بيدك قال بلى قال يا رب الم تنفخ في الروح من روحك قال بلى قال
يا رب الم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال الم تسكني جنتك قال بلى قال يا رب ان تبت و
اصلحت اراجعي انت الى الجنة قال نعم واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا
له كما طوى ذكر النساء في اكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله ربنا ظلمنا انفسنا
فتاب عليه فرجع عليه بالرحمة والقبول **انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا**
فان قلت لم كرر قلنا اهبطوا **قلت** للتاكيد ولما نيط به من زيادة
قوله **فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون**
**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون فان
قلت** ما جواب الشرط الاول **قلت** الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان
جئتني فان قدرت احسنت اليك والمعنى فاما يأتينكم مني هدى برسول ابعثه اليكم وكتاب
انزله عليكم بدليل قوله والذين كفروا وكذبوا بآياتنا في مقابلة قوله فمن تبع هداي
فان قلت لم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه **قلت**
للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه لم
ينزل كتابا ولم يبعث رسولا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب
لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال **فان قلت** الخطيئة التي اهبط بها آدم
ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ما جرى بها
من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس الى النفي والعصيان
ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة **قلت** ما كانت الا صغيرة
مغمورة باعمال قلبية من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال واعظم الطاعات
وانما جرى ما جرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشانها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له
ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على انه اخرج من الجنة بخطيئة واحدة
فكيف يدخلها ذو خطايا جمة وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف عليهم
بالفتح **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم** اسرائيل هو يعقوب عليه السلام لقب به
ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو بزنة ابراهيم واسماعيل غير منصرف مثلهما
لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائيل واسرال وذكرهم النعمة ان لا يخلوا بشكرها
ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها واراد بها ما انعم به على آبائهم مما عدد
عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة
عليهم وغير ذلك وما انعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وسلم المبشر به في
التوراة والانجيل والعهد يضاف الى المعاهد والمعاهد جميعا يقال اوفيت
بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك اي

بما عاهدتك ومعنى **واوفوا بعهدي** وادوا بما عاهدتموني عليه من الايمان
بي والطاعة لي كقوله ومن اوفى بما عاهد عليه الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه **اوف بعهدكم** بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم **واياي فارهبون**
فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من
اياك نعبد وقرئ اوف بالتشديد اي ابالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة
فله خير منها ويجوز ان يريد بقوله واوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان
بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله **وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا
تكونوا اول كافر به** وآمنوا بما انزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به
اول من كفر به او اول فريق او فوج كافر به او لا تكونوا اول كافر به او ولا يكن كل واحد
منكم اول كافر به كقولك كسانا حلة اي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب ان
يكونوا اول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من اوحي اليه
والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه اول الناس كلهم فلما بعث كان
امرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم
البينة الى قوله وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم
ما عرفوا كفروا به ويجوز ان يراد ولا تكونوا مثل اول كافر به يعني من اشرك به من اهل
مكة اي ولا تكونوا وانتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لا يعرفه وهو مشرك
لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به **ولا
تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون** الاشتراء استعارة للاستبدال
كقوله اشتروا الضلالة بالهدى وقوله كما اشترى المسلم اذ تنصرا وقوله
فاني شريت الحلم بعدك بالجهل يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا والا فالثمن
هو المشترى به والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو
اصبحوا اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير
بآيات الله وبالحق الذي كل شيء اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل
كانت عامتهم يعطون احبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم
الرشى على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون
عليهم الاموال ليكتموا ويحرفوا **ولا تلبسوا الحق بالباطل** الباء التي في الباطل ان كانت
صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس
منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت
باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم
الذي تكتبونه **وتكتموا الحق** جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا او منصوب
باضمار ان والواو بمعنى الجمع ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك
وتشرب اللبن **فان قلت** لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا
عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق **قلت** بل هما متميزان
لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق ان يقولوا
لا نجد في التوراة صفة محمد وحكمه وكذا او يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه
وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين **وانتم تعلمون** حال علمكم انكم لابسون
كاتمون وهو اقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه **واقيموا الصلاة وآتوا
الزكوة** يعني صلاة المسلمين وزكاتهم **واركعوا مع الراكعين** منهم لان اليهود
لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز ان
يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وان يكون امرا بان تصلى مع المصلين
يعني في الجماعة كانه قيل واقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين
لا منفردين **اتامرون الناس بالبر** الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم
والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت
وبررت وكان الاحبار يامرون من نصحوه في السر من اقاربهم وغيرهم باتباع محمد
ولا يتبعونه وقيل كانوا يامرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا اتوا بصدقات

ليغرقوهما خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس
من اهل النار فقالوا لهم قد كنتم تامروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم
بها ونخالف الى غيرها **وتنسون انفسكم** وتتركونها من البر كالمنسيات **وانتم تتلون
الكتاب** تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعني تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم
وفيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل **افلا تعقلون** توبيخ
عظيم بمعنى افلا تفطنون لقبح ما اقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه
وكانكم في ذلك مسلوبو العقل لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون
من دون الله افلا تعقلون **واستعينوا** على حوائجكم الى الله **بالصبر والصلوة** اي بالجمع
بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص
القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الاداب والاحتراس من المكاره مع
الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدي جبار السموات ليسال فك
الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها او
واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلوة عند وقوعها
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا حزبه امر فزع الى الصلوة وعن ابن عباس انه
نعي اليه اخوه قثم وهو في سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق وصلى ركعتين اطال فيهما
الجلوس ثم قام يمشي الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر
الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد
بالصلاة الدعا وان يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعا والابتهال الى
الله في دفعه **وانها** الضمير للصلاة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي امر بها
بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتي الى واستعينوا **لكبيرة** لشاقة ثقيلة من قولك
كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه **الا على الخاشعين** **فان قلت**
ما لها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل **قلت** لانهم يتوقعون
ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم الا ترى الى قوله **الذين يظنون**
انهم ملاقوا ربهم اي يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفي
مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون انه لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب
ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت
عليه مشقة خالصة فثقلت كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض
الاعمال والصنائع اجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح
صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يتسخره بعض الظلمة
ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعلت قرة عيني في الصلوة وكان يقول
يا بلال روحنا والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة
واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته **وانهم اليه**
راجعون **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم** نصب
عطف على نعمتي اي اذكروا نعمتي وتفضيلي **على العالمين** على الجم الغفير من الناس
كقوله باركنا فيها للعالمين يقال رايت عالما من الناس يراد الكثرة **واتقوا يوما**
يريد يوم القيمة **لا تجزي نفس عن نفس** لا تقضي عنها **شيئا** من الحقوق ومنه الحديث
في جذعة ابن نيار تجزي عنك ولا تجزي عن احد بعدك وشيئا مفعول به ويجوز ان
يكون في موضع مصدر اي قليلا من الجزاء كقوله ولا تظلمون شيئا ومن قرا لا تجزئ من اجزا
عنه اذا اغنى عنه فلا يكون في قراءته الا بمعنى شيئا من الاجزاء وقرا ابو السرار الغنوي
لا تجزي نسمة عن نسمة شيئا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما **فان قلت**
فاين العائد منها الى الموصوف **قلت** هو محذوف تقديره لا تجزي فيه
ونحوه ما انشده ابو علي ∴ • ∴ تروحي اجدر ان تقيلي ∴ • ∴
اي مكانا اجدر بان تقيلي فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجري مجرى
المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف في قوله ام مال اصابوا
ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزي عن نفس منها شيئا من الاشياء وهو الاقناط

الكلي القطاع للمطامع وكذلك قوله **ولا يقبل منها شفاعة ولا يوخذ منها**
عدل اي فدية لانها معادلة للمفدي ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل
اي توبة ولا فدية وقرا قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل
وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان اباءهم الانبياء
يشفعون لهم فاويسوا **فان قلت** هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل
للعصاة **قلت** نعم لانه نفى ان تقضي نفس عن نفس حقا اخلت به من
فعل او ترك ثم نفى ان تقبل منها شفاعة شفيع فعلم انها لا تقبل للعصاة
فان قلت الضمير في ولا تقبل منها الى اي النفسين يرجع **قلت**
الى الثانية العاصية غير المجزي عنها وهي التي لا يوخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها
شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم تقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على
انها لو شفعت لها لم تقبل منها شفاعتها كما لا تجزي عنها شيئا ولو اعطت عدلا لم يوخذ
منها **ولا هم ينصرون** يعني ما دلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى
العباد والاناسي كما تقول ثلاثة انفس **واذ نجيناكم من آل فرعون** اصل آل اهل
ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاوه الفا وخص استعماله باولي الخطر والشان كالملوك
واشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام • وفرعون علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك
الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفي
ملح بعضهم ∴ قد جاءه الموسى الكلوم فزاد في • اقصى تفرعنه وفرط عرامه ∴
وقرئ انجيناكم ونجيتكم **يسومونكم** من سامه خسفا اذا اولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم
∴ اذا ما الملك سام الناس خسفا • ابينا ان يقر الخسف فينا ∴
واصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم سوء العذاب ويريدونكم عليه
والسوء مصدر السيء يقال اعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى
سوء العذاب والعذاب كله سيء اشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سايره ∴
يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف
كقوله يضاعف له العذاب بعد قوله يلق اثاما وقرئ الزهري يذبحون بالتخفيف كقولك
قطعت الثياب وقطعتها وقرئ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة انذروا
فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما انذروا نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما
في التحفظ وكان ما شاء الله **وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم** والبلاء المحنة ان اشير
بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان اشير به الى الانجاء **واذ فرقنا بكم البحر فانجيناكم**
واغرقنا آل فرعون فرقنا فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ
فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت
اثني عشر على عدد الاسباط **فان قلت** ما معنى بكم **قلت** فيه
اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق
بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون
في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله ∴ تدوس بنا الجماجم والتريبا ∴
اي تدوسها ونحن راكبوها وروي ان بني اسرائيل قالوا لموسى اين اصحابنا فانا لا نراهم
قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم اعني على
اخلاقهم السيئة فاوحي اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها
كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم **وانتم تنظرون** الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه
واذ واعدنا موسى اربعين ليلة لما دخلت بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون
ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسى ان ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا
ذا القعدة وعشر ذي الحجة وقيل اربعين ليلة لان الشهور غررها بالليالي وقرئ واعدنا
لان الله تعالى وعده الوحي ووعد هو المجيء للميقات الى الطور **ثم اتخذتم العجل من بعده**
من بعد مضيه الى الطور **وانتم ظالمون** باشراككم **ثم عفونا عنكم** حين تبتم من
بعد ذلك من بعد ارتكابكم للامر العظيم وهو اتخاذكم العجل **لعلكم تشكرون**
ارادة ان تشكروا النعمة في العفو عنكم **واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان**

يعني الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعني التوراة كقولك
رايت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا
موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرى يعني الكتاب الجامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرى
او التوراة والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الايات او
الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق
بينه وبين عدوه كقوله يوم الفرقان يريد يوم بدر لعلكم تهتدون واذ قال موسى
لقومه يا قوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى باريكم فاقتلوا
انفسكم ذلكم خير لكم عند باريكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم
حمل قوله فاقتلوا انفسكم على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر
من لم يعبد العجل ان يقتلوا العبدة وروي ان الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه
فلم يمكنهم المضي لان الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها
وامروا ان يحتبوا بافنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل
لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه او حل حبوته او اتقى بيد او رجل فيقولون آمين
فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يا رب هلكت بنو اسرايل البقية
البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من ايديهم وكانت القتلى
سبعين الفا فان قلت ما الفرق بين الفاآت قلت الاولى للتسبيب
لا غير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة
فاقتلوا انفسكم من قبل ان الله تعالى جعل توبتهم قتل انفسهم ويجوز ان يكون تمام
توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فاتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة
بمحذوف ولا يخلو اما ان ينتظم في قول موسى لهم فيتعلق بشرط محذوف كانه قال
فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله لهم على طريق الالتفات فيكون
التقدير ففعلتم ما امركم به موسى فتاب عليكم باريكم فان قلت من اين اختص
هذا الموضع بذكر البارئ قلت البارئ هو الذي خلق الخلق بريا من التفاوت
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور
المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف
حكمته على الاشكال المختلفة ابريا من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل
في الغباوة والبلادة في امثال العرب ابله من ثور حتى عرضوا انفسهم لسخط الله ونزول
امره بان يفك ما ركبه من خلقهم وينثر ما نظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا
النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لم يقدر على شيء منها واذ قلتم يا موسى لن
نؤمن لك حتى نرى الله قيل القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل قاله عشرة
آلاف جهرة عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين
جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع
من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس او على الحال بمعنى ذوي
جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام
دليل على ان موسى عليه السلام راددهم القول وعرفهم ان رؤية ما لا يجوز عليه ان
يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام او الاعراض
فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط
الله عليهم الصعقة كما سلط على اولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما
بعظم المحنة فاخذتكم الصاعقة والصاعقة ما صعقهم اي اماتهم قيل نار
وقعت من السماء فاحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل ارسل الله جنودا سمعوا
بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن
غشية بدليل قوله فلما افاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله وانتم تنظرون
وقرأ علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم
تشكرون نعمة البعث بعد الموت او نعمة الله بعدما كفرتموها اذا رايتم بأس الله
في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت وظللنا عليكم الغمام وانزلنا عليكم المن

والسلوى

والسلوى وجعلنا الغمام تظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم
تظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا
تبلى وينزل عليهم المن وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان
صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم السلوى وهو السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه
كلوا على ارادة القول من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا يعني فظلموا بان كفروا
هذه النعم وما ظلمونا فاختصر الكلام بحذفه لدلالة وما ظلمونا عليه ولكن كانوا
انفسهم يظلمون واذ قلنا ادخلوا هذه القرية القرية بيت المقدس وقيل
اريحاء من قرى الشام امروا بدخولها بعد التيه فكلوا منها حيث شئتم رغدا
وادخلوا الباب سجدا الباب باب القرية وقيل هو باب القبة التي كانوا يصلون
اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى امروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب
شكرا لله وتواضعا وقيل السجود ان ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع
واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤوسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين
على اوراكهم وقولوا حطة فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهي خبر مبتدا محذوف
اي مسألتنا حطة او امرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما
رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله ❊ صبر جميل فكلانا مبتلى ❊ والاصل صبرا
على اصبر صبرا وقرأ ابن ابي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اي ان نحط
في هذه القرية ونستقر فيها فان قلت هل يجوز ان تنصب حطة في قراءة من نصبها
بقولوا على معنى قولوا هذه الكلمة قلت لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار
فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا نغفر لكم خطاياكم وقرئ يغفر لكم بالبناء للمفعول
بالياء والتاء وسنزيد المحسنين اي من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا في زيادة
ثوابه ومن كان مسيئا منكم كانت له توبة ومغفرة فبدل الذين ظلموا قولا غير
الذي قيل لهم اي وضعوا مكان حطة قولا غيرها يعني انهم امروا بقول معناه التوبة
والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما امروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس
الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤوا بلفظ آخر لانهم لو جاؤوا بلفظ آخر
مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك
او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية
حطا سمقاثا اي حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب
ما يشتهون من اعراض الدنيا فانزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون
في تكرير الذين ظلموا زيادة في تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد
جاء في سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار والرجز العذاب وقرئ بضم الراء
وروي انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا
واذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر عطشوا في التيه فدعا
لهم موسى بالسقيا فقيل له اضرب بعصاك الحجر واللام اما للعهد والاشارة الى حجر
معلوم فقد روي انه حجر طوري حمله معه وكان حجرا مربعا له اربعة اوجه كانت
تنبع من كل وجه ثلاث اعين لكل سبط عين تسيل في جدول الى السبط الذي امر ان
يسقيهم وكانوا ستمائة الف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من
الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذي
وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول الله تعالى
ارفع هذا الحجر فان فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله في مخلاته واما للجنس اي اضرب
الشيء الذي يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا اظهر في
الحجة وابين في القدرة وروي انهم قالوا كيف بنا لو افضينا الى ارض ليست فيها حجارة
فحمل في مخلاته حجرا فحيثما نزلوا القاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها
فييبس فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فاوحى اليه لا تقرع الحجارة وكلمها
تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا في ذراع وقيل مثل راس
الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان

يتعدان في الظلمة وكان يحمل على حمار فانفجرت الفا متعلقة بمحذوف اي
فضرب فانفجرت اي فان ضربت فقد انفجرت كما ذكرنا في قوله فتاب عليكم وهي على
هذا فا فصيحة لا تقع الا في كلام بليغ منه اثنتا عشرة وقري عشرة بكسر الشين
وبفتحها وهما لغتان عينا قد علم كل اناس كل سبط مشربهم عينهم التي يشربون
منها كلوا واشربوا على ارادة القول من رزق الله مما رزقكم من الطعام وهو المن
والسلوى من ما العيون وقيل الما ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يوكل منه
ويشرب ولا تعثوا في الارض مفسدين العثي اشد الفساد فقيل لهم لا تتمادوا
في الفساد في حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم
فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطلبت انفسهم الشقا واذ قلتم يا موسى لن نصبر
على طعام واحد ارادوا ما رزقوا في التيه من المن والسلوى فان قلت
هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد قلت ارادوا بالواحد ما لا يختلف
ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل يوم لا يبدلها قيل
لا ياكل فلان الا طعاما واحدا يريد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان
يريدوا انها ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة
اهل زراعات فما نريد الا ما الفناه وضرينا به من الاشيا المتفاوتة كالبقول والحبوب
ونحو ذلك ومعنى فادع لنا ربك يخرج لنا يظهر لنا ويوجد مما تنبت الارض من
بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها البقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد
به اطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها وقري
وقثائها بالضم والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا اي اخبزوا وقيل الثوم ويدل عليه
قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل اوفق قال اتستبدلون الذي
هو ادنى بالذي هو خير الذي هو ادنى الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو
والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد
عن عكس ذلك فيقال بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرى زهير
الفرقبي ادناه بالهمزة من الدناءة اهبطوا مصرا فان لكم ما سالتم وقري اهبطوا
بالضم اي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط اذا خرج
وبلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ
ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث
لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد
فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرا به
الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرايم فعرب
وضربت عليهم الذلة والمسكنة جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم
فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما
يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلا اهل مسكنة ومدقعة
اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية ؛
وباءوا بغضب من الله من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته
له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه ذلك اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة
والمسكنة والخلاقة بالغضب بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون النبيين
بغير الحق اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبيا وقد قتلت اليهود لعنوا شعيا وزكريا
ويحيى وغيرهم فان قلت قتل الانبيا لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره ؛
قلت معناه انهم قتلوهم بغير الحق فما فايدة عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا
في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا
من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرا علي رضي الله عنه ويقتلون
بالتشديد ذلك تكرار للاشارة بما عصوا وكانوا يعتدون بسبب ارتكابهم انواع
المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شي مع كفرهم بايات الله وقتلهم الانبيا فقيل
هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان

ذلك

ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا
على جحود الايات وقتل الانبيا وذلك الكفر والقتل مع ما عصوا ان الذين امنوا
بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون والذين هادوا والذين تهودوا
هاد وايهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود والنصارى
وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامراة نصرانة قال نصرانة لم تحنف ؛
والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح والصابئين
وهو من صبأ اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية
وعبدوا الملائكة من امن من هولاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام
دخولا اصيلا بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلهم اجرهم الذي يستوجبونه
بايمانهم وعملهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ؛ فان
قلت ما محل من امن قلت ؛ الرفع ان جعلته مبتدا خبره فلهم
اجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة
كما هي وفي الثاني فلهم اجرهم والفا لتضمن من معنى الشرط واذ اخذنا ميثاقكم بالعمل
على ما في التورية ورفعنا فوقكم الطور حتى قبلتم واعطيتم الميثاق وذلك ان
موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فراوا ما فيها من الاصار والتكاليف الشاقة
فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من اصله ورفعه وظلله فوقهم
وقال لهم موسى ان قبلتم والا القي عليكم حتى قبلوا خذوا على ارادة القول ما اتيناكم
من الكتاب بقوة بجد وعزيمة واذكروا ما فيه واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه
ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه لعلكم تتقون رجاء منكم ان تكونوا متقين او لو قلنا خذوا
واذكروا ارادة ان تتقوا ثم توليتم ثم اعرضتم عن الميثاق والوفاء به من بعد ذلك
فلولا فضل الله عليكم بتوفيقكم التوبة ورحمته لكنتم من الخاسرين اي الخسر ثم
وقري خذوا ما اتيناكم بقوة وتذكروا واذكروا ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم
في السبت السبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا
فيه اي جاوزوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك
ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا اخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت
كما قال تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تاتيهم كذلك نبلوهم
فحفروا حياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها
يوم الاحد وكذلك الحبس في الحياض هو اعتداؤهم فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين
خبران اي كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد فجعلناها
يعني المسخة نكالا عبرة تنكل من اعتبر بها اي تمنعه ومنه النكل القيد لما بين يديها
لما قبلها وما خلفها وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت في كتب الاولين
فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الاخرين واريد بما بين يديها ما بحضرتها
من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم
وما تاخر منها وموعظة للمتقين الذين نهوهم عن الاعتداء من صالحي قومهم او لكل
متق سمعها واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة كان في بني
اسرائيل شيخ موسر فقتله بنو اخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون
بدينه فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيى فيخبرهم بقاتله قالوا
اتتخذنا هزوا اتجعلنا مكان هزو واهل هزو بنا او الهزو نفسه لفرط الاستهزاء
قال اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين لان الهزو في مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرى
هزوا بضمتين وهزوا بسكون الزاي نحو كفؤا وكفوا وقرا حفص هزوا بالضمتين والواو
وكذلك كفوا وكفوا والعياذ واللياذ من واد واحد قالوا ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي في قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هي سؤال عن حالها وصفتها وذلك انهم تعجبوا
من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيى فسالوا عن صفة تلك البقرة العجيبة
الشان الخارجة عما عليه البقر قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر ؛
عوان بين ذلك الفارض المسنة وقد فرضت فروضا قال خفاف بن ندبة

لعمري لقد اعطيت ضيفك فارضًا • تساق اليه ما تقوم على رجل
وكانها سميت فارضا لانها فرضت سنها اي قطعتها وبلغت آخرها • والبكر الفتية
والعوان النصف وقال • نواعم بين ابكار وعون • وقد عونت فان قلت
بين تقتضي شيئين فصاعدا فمن جاز دخوله على ذلك قلت لانه في معنى
شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر فان قلت كيف جاز ان يشار به
الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر قلت جاز ذلك على تاويل ما ذكر
وما تقدم للاختصار في الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل
نعم ما فعلت وقد ذكر لك افعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما احسن ذلك وقد
يجري الضمير مجرى اسم الاشارة في هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة في قوله
فيها خطوط من سواد وبلق • كانه في الجلد توليع البهق
ان اردت الخطوط فقل كانها وان اردت السواد والبلق فقل كانهما فقال اردت كان ذلك
ويلك والذي حسن منه ان اسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتانيثها ليست على الحقيقة وكذلك
الموصولات ولذلك جاء الذي بمعنى الجمع فافعلوا ما تؤمرون اي تؤمرونه بمعنى تؤمرون
به من قولك امرتك الخير او امركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها
تسر الناظرين الفقوع اشد ما يكون من الصفرة وانصعه يقال في التوكيد اصفر فاقع
ووارس كما يقال اسود حالك وحانك وابيض يقق ولهق واحمر قاني وذريحي واخضر ناضر
ومدهام واورق خطباني وارمك رداني فان قلت فاقع هنا وقع خبرا عن اللون
فلم يقع توكيدا لصفراء قلت لم يقع خبرا عن اللون وانما وقع توكيدا لصفراء الا انه
ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك
صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها فان قلت فهلا قيل صفراء فاقعة واي فايدة
في ذكر اللون قلت الفايدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهي الصفرة
فكانه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب
اذا نظرت اليها خيل اليك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها • والسرور لذة في القلب عند
حصول نفع او توقعه وعن علي رضي الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله تعالى تسر
الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار
من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر وقال
الاعشى • تلك خيلي منه وتلك ركابي • هن صفر اولادها كالزبيب
قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها واستكشاف
زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا ادنى بقرة
لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شوم وعن بعض الخلفاء انه كتب
الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع اشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما
ابدا فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتني باي نوع منها ابدا وعن عمر بن عبد العزيز
اذا امرتك ان تعطي فلانا شاة سألتني اضان ام ماعز فاذا بينت لك قلت اذكر ام
انثى فان اخبرتك قلت اسود ام ابيض فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث
اعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسألته ان البقر تشابه علينا
اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا ايها نذبح وقرئ تشابه
بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة وقرأ محمد ذو الشامة
ان الباقر تشابه بالياء والتشديد وانا ان شاء الله لمهتدون جاء في الحديث لو لم
يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد اي لو لم يقولوا ان شاء الله والمعنى انا لمهتدون الى البقرة
المراد ذبحها او الى ما خفي علينا من امر القاتل قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير
الارض ولا تسقي الحرث لا ذلول صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب
واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحرث • ولا الاولى للنفي و
الثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان
لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ ابو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى

لا ذلول

لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك
مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى
مسلمة سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله يصف بعيرا
او معبر الظهر ينبي عن وليته • ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا
اي مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان لا شية
فيها لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها
وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشي
القوائم قالوا الآن جئت بالحق اي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في امرها
فذبحوها اي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها وقوله
وما كادوا يفعلون استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة
استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كان ينقطع خيط
اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل ما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل الفضيحة في ظهور
القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم
اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من احسن البقر واسمنه
فساوموها اليتيم وامه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة
دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة اربعين سنة فان قلت كانت البقرة
التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات
فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول قلت رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة
المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة
الموصوفة كما يتناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا
له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص واذ قتلتم نفسا خوطبت الجماعة لوجود القتل
فيهم فادارأتم فيها فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا
اي يدفعه ويزحمه او تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح
عليه الطارح او لان الطرح في نفسه دفع او دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه والله
مخرج ما كنتم تكتمون مظهر لا محالة ما كتمتم من امر القتل لا يتركه مكتوما فان قلت
كيف اعمل مخرج وهو في معنى المضي قلت قد حكى ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ
كما حكى الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة اعتراض بين المعطوف والمعطوف
وهما ادارأتم فقلنا والضمير في اضربوه اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص
والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون ببعضها ببعض البقرة
واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل
العظم الذي يلي الغضروف وهو اصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين و
المعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى • روي انهم لما ضربوه
قام باذن الله واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا
فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك كذلك يحيي الله الموتى اما ان يكون خطابا
للذين حضروا حيوة القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيمة ويريكم
اياته ودلايله على انه قادر على كل شيء لعلكم تعقلون تعملون على قضية عقولكم وان
من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى
لا تنكروا البعث واما ان يكون خطابا للمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان قلت هلا احياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها قلت
في الاسباب والشروط حكم وفوايد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب واداء التكاليف
واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم
من اللطف لهم ولآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال اوامر الله وارتسامها على
الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر
بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقته
من كلام الحكماء وبيان ان من حق المتقرب الى ربه ان يتنوق في اختيار ما يتقرب به

وان يختار فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب نونق من ينظر اليه
وان يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلثماية دينار وان
الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه
لادائه الى البدا وليعلم بما امر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه ان المؤثر هو
المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان يتولد منهما حيوة
فان قلت فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب
ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا
بقرة واضربوه ببعضها قلت كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما
وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الايات العظام وهاتان
قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى
لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل
النفس المحرمة وما يتبعه من الاية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر
القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد
روعيت نكتة بعدما استونفت الثانية استيناف قصة برأسها ان وصلت بالاولى
على الاتحاد بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها فتبين انهما قصتان
فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستيناف مع تاخيرها وانها قصة
واحدة بالضمير الراجع الى البقرة ثم قست قلوبكم بالقسوة والغلظ مثل نبوها عن
الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها من بعد ذلك اشارة الى احياء القتيل والى جميع
ما تقدم من الايات المعدودة فهي كالحجارة فهي في قسوتها مثل الحجارة او اشد قسوة
منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها
اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا
او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة فان قلت لم قيل اشد قسوة مما يخرج
منه افعل التفضيل وفعل التعجب قلت لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه اخر
وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت
قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس
كقولك زيد كريم وعمرو اكرم وقوله وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار بيان لفضل
قلوبهم على الحجارة في شدة القسوة وتقرير لقوله او اشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف
وهي ان المخففة من الثقيلة التي تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله وان كل لما جميع والتفجر
التفتح بالسعة والكثرة وقرأ مالك بن دينار ينفجر وان منها لما يشقق يتشقق وبه قرأ
الاعمش فيخرج منه الماء والمعنى ان من الحجارة ما فيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير
الغزير ومنها ما ينشق انشقاقا بالطول او بالعرض فينبع منها الماء ايضا وان منها
لما يهبط يتردى من اعلى الجبل وقرئ بضم الباء من خشية الله والخشية مجاز عن انقيادها
لامر الله وانها لا تمتنع على ما يريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به
وما الله بغافل عما تعملون قرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد افتطمعون الخطاب
لرسول الله والمؤمنين ان يؤمنوا لكم ان يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم
كقوله فامن له لوط يعني اليهود وقد كان فريق منهم طايفة فيمن سلف منهم يسمعون
كلام الله وهو ما يتلونه من التوراة ثم يحرفونه كما حرفوا صفة رسول الله واية الرجم
وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما امر
به ونهى ثم قالوا سمعنا الله في اخره يقول ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشيا فافعلوا
وان شئتم فلا تفعلوا فلا باس وقرئ كلم الله من بعد ما عقلوه من بعد ما فهموه
وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة في صحته وهم يعلمون انهم كاذبون
مفترون والمعنى ان كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة في ذلك واذا لقوا يعني اليهود
الذين امنوا قالوا اي منافقوهم امنا بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به
واذا خلا بعضهم الى بعض الذين لم ينافقوا الى الذين نافقوا قالوا عاتبين عليهم

اتحدثونهم

اتحدثونهم بما فتح الله عليكم بما بين لكم في التورية من صفة محمد او قال المنافقون
لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم اتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم
شيئا كانهم فيما فتنون المؤمنين وبما فتنون اليهود ليحاجوكم به عند ربكم ليحتجوا
عليكم بما انزل ربكم في كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو في كتابكم هكذا محاجة عند
الله الا تراك تقول هو في كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد اولا
يعلمون ان الله يعلم جميع ما يسرون وما يعلنون ومن ذلك اسرارهم الكفر
واعلانهم الايمان ومنهم اميون لا يحسنون الكتاب فيطالعوا التوراة ويتحققوا
ما فيها لا يعلمون الكتاب التوراة الا اماني الا ما هم عليه من امانيهم وان الله
يعفو عنهم ويرحمهم ولا يواخذهم بخطاياهم وان اباءهم الانبياء يشفعون لهم
وما تمنيهم احبارهم من ان النار لا تمسهم الا اياما معدودة وقيل الا اكاذيب مختلقة
سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال اعرابي لابن داب في شي حدث به اهذا
شي رويته ام تمنيته اي اختلقته وقيل الا ما تقرؤن من قوله تمنى كتاب الله اول ليلة
والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر ما يتمناه وكذلك
المختلق والقاري يقدر ان كلمة كذا بعد كذا والا اماني من الاستثناء المنقطع وقرئ
اماني بالتخفيف وان هم الا يظنون ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم ثم
الاستيفاء ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على انهم في الضلال سواء لان العالم عليه ان
يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم فويل للذين
يكتبون الكتاب المحرف بايديهم تاكيد وهو من مجاز التوكيد كما تقول لمن ينكر معرفة
ما كتبه يا هذا كتبته بيمينك هذه ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا
قليلا فويل لهم مما كتبت ايديهم وويل لهم مما يكسبون من الرشى وقالوا لن
تمسنا النار الا اياما معدودة اربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد
كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة الاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما
قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده ام تقولون على الله ما لا تعلمون
فلن يخلف متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده وام اما
ان تكون معادلة بمعنى اي الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون احدهما
ويجوز ان تكون منقطعة بلى اثبات لما بعد حرف النفي وهو قوله لن تمسنا النار اي بلى
تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون من كسب سيئة من السيئات يعني كبيرة من الكباير
واحاطت به خطيئته تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم ينفص عنها بالتوبة
فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل في
الاحاطة كان ذنبه اغلب من طاعته وسئل رجل الحسن فقال سبحان الله الا اراك ذا لحية
وما تدري ما الخطيئة انظر في المصحف فكل اية نهى الله عنها واخبرك انه من عمل بها
ادخله النار فهي الخطيئة المحيطة واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله
لا تعبدون اخبار في معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو
ابلغ من صريح الامر والنهي لانه كان سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة
عبد الله وابي لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول ويدل عليه ايضا قوله وقولوا للناس حسنا
وقوله وبالوالدين احسانا اما ان يقدر وتحسنون بالوالدين او واحسنوا وقيل
هو جواب قوله اخذنا ميثاق بني اسرائيل اجراء له مجرى القسم كانه قيل واذ اقسمنا
عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت ان رفع كقوله
الا ايهذا الزاجري احضر الوغى ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل
ان لا تعبدوا ان تكون ان فيه مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كانه
قيل اخذنا ميثاق بني اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا وبالياء
لانهم غيب وبذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا
قولا هو حسن في نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى واقيموا
الصلوة واتوا الزكوة ثم توليتم على طريقة الالتفات اي توليتم عن الميثاق ورفضتموه
الا قليلا منكم قيل هم الذين اسلموا منهم وانتم معرضون وانتم قوم عادتكم الاعراض

عن المواثيق والتولية **واذ اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون**
انفسكم من دياركم لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به
اصلا او دينا وقيل اذا قتل غيره فكانما قتل نفسه لانه يقتص منه **ثم اقررتم**
بالميثاق واعترفتم على انفسكم بلزومه **وانتم تشهدون** عليها كقولك فلان مقر
على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار
اسلافكم بهذا الميثاق **ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وتخرجون فريقا منكم
من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان ياتوكم اسارى تفدوهم**
ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق
منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم
قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول
رجعت بغير الوجه الذي خرجت به • وقوله تقتلون بيان لقوله ثم انتم هؤلاء وقيل
هؤلاء موصول بمعنى الذين وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون
باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اي تتعاونون عليهم • وقرئ تفدوهم
وتفادوهم واسرى واسارى **وهو محرم عليكم اخراجهم** هو ضمير الشان ويجوز
ان يكون مبهما تفسيره اخراجهم **افتؤمنون ببعض الكتاب** اي بالفداء **وتكفرون
ببعض** اي بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير حلفاء
الخزرج وكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا خربوا ديارهم واخرجوهم فاذا
اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب فقالت كيف تقاتلونهم
ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا
**فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحيوة الدنيا ويوم القيمة يردون الى
اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون** والخزي قتل بني قريظة واسرهم
واجلاء بني النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل ذلك منهم الى اشد العذاب لان
عصيانه اشد وقرئ تردون • ويعملون بالياء والتاء **اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا
بالاخرة فلا يخفف عنهم العذاب** فلا يخفف عنهم عذاب الدنيا بنقصان الجزية
ولا هم ينصرون ولا ينصرهم احد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الاخرة **ولقد اتينا موسى
الكتاب** التوراة اتاه اياه جملة واحدة **وقفينا من بعده بالرسل** يقال قفاه اذا
اتبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اذا اتبعه اياه يعني وارسلنا على اثره
الكثير من الرسل كقوله ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود
وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع ويونس وزكريا ويحيى
وغيرهم **واتينا عيسى بن مريم** وقيل عيسى بالسريانية ايشوع ومريم بمعنى الخادم وقيل
قيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول روبة ❊
قلت لزير لم تصله مريمه ❊ ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء
لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب **البينات** المعجزات الواضحات
والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات **وايدناه** ❊
وقرئ ايدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف واوجدني
بعد فقر **بروح القدس** بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق
ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل
لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في
القران روحا من امرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره **افكلما جاءكم
رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون** المعنى
ولقد اتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما اتيناهم فكلما جاءكم رسول منهم بالحق استكبرتم عن
الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز ان
يريد ولقد اتيناهم ما اتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء
لعطفه على المقدر **فان قلت** هلا قيل وفريقا قتلتم **قلت**
هو على وجهين ان تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس

وتصويره

وتصويره في القلوب وان يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم تحومون حول قتل
محمد لولا اني اعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال عليه السلام عند
موته ما زالت اكلة خيبر تعاودني فهذا اوان قطعت ابهري **وقالوا قلوبنا غلف**
جمع اغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد ولا
تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه ثم رد
الله ان تكون قلوبهم مخلوقة كذلك **بل لعنهم الله بكفرهم** لانها خلقت على الفطرة
والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم
بما احدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع
ايمانهم وللمؤمنين **فقليلا ما يؤمنون** فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة و
هو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف
غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا عن غيره وروي
عن ابي عمرو قلوبنا غلف بضمتين **ولما جاءهم كتاب من عند الله** هو القران **مصدق
لما معهم** من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال **فان قلت** كيف
جاز نصبها عن النكرة **قلت** اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه
وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا
بمجيئه وما اشبه ذلك **وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا** يستنصرون
على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي
نجد نعته وصفته في التورية ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي
يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون
عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم وقد قرب اوانه والسين للمبالغة اي
يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسأل بعضهم بعضا
ان يفتح عليهم **فلما جاءهم ما عرفوا من الحق كفروا به** بغيا وحسدا وحرصا على الرياسة
فلعنة الله على الكافرين اي عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان
اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا اوليا
بئسما ما نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيئا **اشتروا به انفسهم**
والمخصوص بالذم **ان يكفروا بما انزل الله** واشتروا بمعنى باعوا **بغيا** حسدا
وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا **ان ينزل** لان ينزل او على ان ينزل اي حسدوه
على ان ينزل **الله من فضله** الذي هو الوحي **على من يشاء من عباده** وتقتضي
حكمته ارساله **فباءوا بغضب على غضب** فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم
كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير
ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من انواع كفرهم **وللكافرين عذاب
مهين واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله** مطلق فيما انزل الله من كتاب **قالوا
نؤمن بما انزل علينا** مقيد بالتورية **ويكفرون بما وراءه** اي قالوا ذلك والحال
انهم يكفرون بما وراء التورية **وهو الحق مصدقا لما معهم** منها غير مخالف له
وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التورية فقد كفروا بها ثم اعترض
عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتورية والتورية لا تسوغ قتل الانبياء
**قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى
بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون** يجوز ان يكون حالا اي
عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم
قوم عادتكم الظلم • وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاولى مع ما فيه
من التوكيد فقال **واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم
بقوة واسمعوا** ما امرتم به في التورية **قالوا سمعنا** قولك **وعصينا** امرك **فان
قلت** كيف طابق قوله جوابهم **قلت** طابقه من حيث انه قال لهم
اسمعوا وليكن سمعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة **واشربوا
في قلوبهم العجل** اي تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ

وقوله في قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما ياكلون في بطونهم نارًا بكفرهم
بسبب كفرهم قل بيسما يامركم به ايمانكم بالتوراة لانه ليس في التوراة عبادة
العجاجيل واضافة الامر الي ايمانهم كما قال قوم شعيب اصلوتك تامرك وكذلك
اضافة الايمان اليهم • وقوله ان كنتم مومنين تشكيك في ايمانهم وقدح في
صحة دعواهم له قل ان كانت لكم الدار الاخرة عند الله خالصة اي خالصة
لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعني ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان
هودا • والناس للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون فتمنوا الموت ان كنتم صادقين
لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمني سرعة الوصول الي النعيم والتخلص من
الدار ذات الشوائب كما روي عن المبشرين بالجنة ما روي كان علي بن ابي طالب يطوف
بين الصفين في غلالة فقال له ابنه الحسن ما هذا بزي المحاربين فقال يا بني لا يبالي
ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة انه كان يتمني الموت فلما
احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا افلح من ندم يعني عن التمني وقال عمار بصفين الان
الاقي الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن
النبي صلي الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما
بقي على وجه الارض يهودي ولن يتمنوه ابدا بما قدمت ايديهم بما اسلفوا من موجبات
النار من الكفر بمحمد وما جاء به وتحريف كتاب الله وساير انواع الكفر والعصيان وقوله
ولن يتمنوه ابدا من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما اخبر كقوله ولن تفعلوا •
فان قلت ما ادراك انهم لم يتمنوا قلت لانهم لو تمنوا لنقل ذلك كما نقل
ساير الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولي المطاعن في الاسلام اكثر من
الذر وليس منهم احد نقل ذلك فان قلت التمني من اعمال القلوب وهو سر لا يطلع
عليه احد فمن اين علمت انهم لم يتمنوا قلت ليس التمني من اعمال القلوب انما هو قول
الانسان بلسانه ليت لي كذا اذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمني ومحال ان يقع
التحدي بما في الضماير والقلوب ولو كان التمني بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا
الموت في قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك فان قلت لم يقولوه لانهم علموا انهم
لا يصدقون قلت كم حكي عنهم من اشياء قاولوا بها المسلمين من الافتراء على
الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه مما لا محمل له الا
الكذب البحت ولم يبالوا فكيف يمتنعون من ان يقولوا ان التمني من افعال القلوب
وقد فعلناه مع احتمال ان يكونوا صادقين في قولهم واخبارهم عن ضمايرهم وكان الرجل
يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خارق لا سبيل الي
الاطلاع عليه والله عليم بالظالمين تهديد لهم ولتجدنهم احرص الناس على
حيوة هو من وجد بمعني علم المتعدي الي مفعولين في قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ
ومفعولاهم واحرص فان قلت لم قال على حيوة بالتنكير قلت لانه
اراد حيوة مخصوصة وهي الحيوة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها اوقع من
قراءة ابي على الحيوة ومن الذين اشركوا محمول على المعنى لان معنى احرص الناس
احرص من الناس فان قلت الم يدخل الذين اشركوا تحت الناس قلت
بلي ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز ان يكون واحرص من الذين
اشركوا فحذف لدلالة احرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا •
لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحيوة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد •
لانها جنتهم فاذا زاد عليهم في الحرص وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ
فان قلت لم زاد حرصهم على حرص المشركين قلت لانهم علموا لعلمهم بحالهم
انهم صائرون الي النار لا محالة والمشركون لا يعلمون ذلك وقيل اراد بالذين اشركوا
المجوس لانهم يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس هو قول
الاعاجم زي هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدا اي ومنهم ناس يود احدهم
علي

علي حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على
هذا مشار به الي اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله يود احدهم لو يعمر الف سنة
وما هو بمزحزحه من العذاب ان يعمر والله بصير بما يعملون الضمير في
وما هو لاحدهم وان يعمر فاعل بمزحزحه اي وما احدهم بمزحزحه من النار تعميره
وقيل الضمير لما دل هو عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون
هو مبهما وان يعمر موضحه • والزحزحة التبعيد والانحاء فان قلت
يود احدهم ما موقعه قلت هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستيناف
فان قلت كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم قلت هي حكاية لودادتهم
ولو في معني التمني وكان القياس لو اعمر الا انه جري على لفظ الغيبة لقوله يود •
احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك
باذن الله مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمومنين روي ان عبد الله
بن صوريا كان من احبار فدك حاج رسول الله وسأله عمن يهبط عليه الوحي فقال
جبريل قال ذاك عدونا ولو كان غيره لامنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه نزل
على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بخت نصر فبعثنا من يقتله فلقاه ببابل غلاما
مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان
لم يكن اياه فعلى اي حق تقتلونه وقيل امره الله ان يجعل النبوة فينا فجعلها في غيرنا
وروي انه كان لعمر رضي الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود
فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله •
لا اجيئكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك في ديني وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة في امر
محمد وارى اثاره في كتابكم ثم سالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على
اسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم
وما منزلتهما من الله قالوا اقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل
عدو لجبريل فقال عمر ان كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولانتم اكفر من الحمير
ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للاخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع
عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبي صلي الله عليه وسلم لقد وافقك ربك •
يا عمر لقد رايتني في دين الله بعد ذلك اصلب من الحجر وقرئ جبريل بوزن قفشليل
وجبريل بوزن جبراعيل وجبرائيل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل
معناه عبد الله الضمير في نزله للقران ونحو هذا الاضمار اعني اضمار ما لم يسبق ذكره
فيه فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفي عن اسمه
الصريح بذكر شيء من صفاته ∴ على قلبك اي حفظه اياك وفهمكه ∴ باذن الله •
بتيسيره وتسهيله فان قلت كان حق الكلام ان يقال على قلبي قلت جاءت
على حكاية كلام الله كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولي من كان عدوا لجبريل فانه
نزله على قلبك فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط ∴
قلت فيه وجهان احدهما ان عادى جبرائيل احد من اهل الكتاب فلا وجه لمعاداته
حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه
في انزاله ما ينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثاني ان عاداه احد فالسبب في
عداوته انه نزل عليك القران مصدقا لكتابهم وموافقا لهم له وهم كارهون للقران
ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان •
عاداك فلان فقد اذيته واسات اليه من كان عدوا لله وملايكته وكتبه •
ورسله وجبريل وميكال افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس اخر وهو مما
ذكر ان التغاير في الوصف ينزل منزلة التغاير في الذات وقرئ ميكال بوزن
قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئيل كميكعيل وميكيل كميكعيل
قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمي خلطت فيه فان الله عدو للكافرين اراد
عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملايكة كفر
واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملايكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله

وعاقبة اشد العقاب ولقد انزلنا اليك ايات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون
الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق في نوع من المعاصي وقع على اعظم
ذلك النوع وعن ابن عباس قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا
بشيء نعرفه وما انزل عليك من اية فنتبعك بها فنزلت • واللام في الفاسقون للجنس
والاحسن ان تكون اشارة الى هذا الكتاب اوكلما الواو للعطف على محذوف معناه اكفروا
بالايات البينات وكلما عاهدوا عهدا وقرا ابو السمال بسكون الواو على ان الفاسقون
بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا او نقضوا عهد الله •
مرارا كثيرة وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود •
وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن ابائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله فلم يفوا الذين
عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة نبذه النبذ الرمي بالذمام ورفضه وقرا
عبد الله نقضه فريق منهم وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض بل اكثرهم لا
يؤمنون بالتورية وليسوا من الدين في شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا
ولا يبالون به ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق
منهم من الذين اوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كتاب الله يعني التوراة •
لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله
القران فنبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول كانهم لا يعلمون انه كتاب الله لا يداخلهم
فيه شك يعني ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم
مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل ما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات
اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرونه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه
في الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه واتبعوا اي نبذوا
كتاب الله واتبعوا ما تتلوا الشياطين يعني فاتبعوا كتب السحر والشعوذة التي
كانت تقراوها على ملك سليمان اي على عهد ملكه وفي زمانه وذلك ان الشياطين
كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ما سمعوا اكاذيب يلفقونها الى الكهنة وقد دونوه
في كتب يقراونها ويعلمونها الناس ففشا ذلك في زمن سليمان حتى قالوا ان الجن تعلم
الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وما تم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر
الانس والجن والريح التي تجري بامره وما كفر سليمان تكذيب للشياطين ودفع لما
بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا ولكن الشياطين هم الذين
كفروا باستعمال السحر وتدوينه يعلمون الناس السحر يقصدون به اغواءهم واضلالهم
وما انزل على الملكين ببابل عطف على السحر اي ويعلمونهم ما انزل على الملكين وقيل هو
عطف على ما تتلوا اي واتبعوا ما انزل • وهاروت وماروت عطف بيان للملكين
علمان لهما والذي انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من تعلمه منهم وعمل به كان
كافرا ومن تجنبه او تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت
الشر لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلي قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس مني •
ومن لم يطعمه فانه مني وقرا الحسن على الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم
السحر كانا ملكين ببابل وما يعلمان من احد وما يعلم الملكان احدا حتى ينبهاه
وينصحاه ويقولا له انما نحن فتنة اي ابتلاء واختبار من الله فلا تكفر فلا تتعلم
معتقدا انه حق فتكفر فيتعلمون منهما الضمير لما دل عليه من احد فيتعلم الناس من الملكين
ما يفرقون به بين المرء وزوجه اي علم السحر الذي يكون سببا في التفريق بين الزوجين
من حيلة وتمويه كالنفث في العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز
والخلاف ابتلاء منه الا ان السحر له اثر في نفسه بدليل قوله وما هم بضارين به
من احد الا باذن الله لانه ربما احدث الله عنده فعلا من افعاله وربما لم يحدث
ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم لانهم يقصدون به الشر وفيه ان اجتنابه اصلح
كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية ولقد علموا لمن اشتراه ولقد علم
هؤلاء اليهود ان من اشتراه اي استبدل ما تتلوا الشياطين على كتاب الله ما له في
الاخرة من خلاق من نصيب ولبئس ما شروا به انفسهم اي باعوها وقرا الحسن

الشياطون

الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر وجهه فيما
بعد وقرا الزهري هاروت وماروت بالرفع وهما اسمان اعجميان بدليل •
منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرا
طلحة وما يعلمان من اعلم وقرئ من المرء بضم الميم وكسرها مع الهمزة والمر بالتشديد
على تقدير التخفيف والوقف كقولهم فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرا الاعمش
وما هم بضاري بطرح النون والاضافة الى احد والفصل بينهما بالظرف فان
قلت كيف يضاف الى احد وهو مجرور بمن قلت جعل الجار جزءا من المجرور
فان قلت كيف اثبت لهم العلم اولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمي
ثم نفاه عنهم في قوله لو كانوا يعلمون قلت معناه لو كانوا يعملون
بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كانهم منسلخون عنه ولو انهم امنوا برسول الله
والقران واتقوا الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين لمثوبة
من عند الله خير وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة لو كانوا يعلمون ان ثواب الله
خير مما هم فيه وقد علموا لكنه جهلهم لترك العمل بالعلم فان قلت كيف اوثرت الجملة
الاسمية على الفعلية في جواب لو قلت لما في ذلك من الدلالة على ثبات المثوبة و
استقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع في قوله سلام عليكم لذلك فان قلت
فهلا قيل لمثوبة الله خير قلت لان المعنى لشيء من الثواب خير لهم ويجوز ان يكون
قوله ولو انهم امنوا تمنيا لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له
كانه قيل وليتهم امنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله خير يا ايها الذين امنوا لا تقولوا
راعنا وقولوا انظرنا كان المسلمون يقولون لرسول الله اذا القى عليهم شيئا من العلم
راعنا يا رسول الله اي راقبنا وانتظرنا وتان بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود
كلمة يتسابون بها عبرانية او سريانية وهي راعنا فلما سمعوا بقول المؤمنين راعنا
افترصوه وخاطبوا به الرسول وهم يعنون به تلك المسبة فنهي المؤمنون عنها
وامروا بما هو في معناها وهو انظرنا من نظره اذا انتظره وقرا ابي انظرنا من النظرة
اي امهلنا حتى نحفظ وقرا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه راعونا على انهم كانوا
يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرا الحسن راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج اي
لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن لانه لما اشبه
قولهم راعينا وكان سببا في السب اتصف بالرعن واسمعوا واحسنوا سماع
ما يكلمكم به رسول الله ويلقي عليكم من المسائل باذان واعية واذهان حاضرة حتى
لا تحتاجوا الى الاستعادة وطلب المراعاة او واسمعوا سماع قبول وطاعة ولا
يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا وعصينا او واسمعوا ما امرتم •
به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تاكيدا عليهم ترك الكلمة وروي ان سعد
بن معاذ سمعها منهم فقال يا اعداء الله عليكم لعنة الله والذي نفسي بيده لئن سمعتها
من رجل منكم يقولها لرسول الله لاضربن عنقه فقالوا اولستم تقولونها فنزلت
وللكافرين وللذين تهاونوا برسول الله وسبوه عذاب اليم ما يود
الذين كفروا من اهل الكتاب ولا المشركين ان ينزل عليكم من خير من ربكم من
الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان اهل الكتاب والمشركون كقوله •
لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير و
الثالثة لابتداء الغاية • والخير الوحي وكذلك الرحمة كقوله اهم يقسمون رحمة ربك
والمعنى انهم يرون انفسهم احق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون ان ينزل
عليكم شيء من الوحي والله يختص برحمته بالنبوة من يشاء • ولا يشاء الا ما يقتضيه الحكمة
والله ذو الفضل العظيم اشعار بان ايتاء النبوة من الفضل كقوله ان فضله •
كان عليك كبيرا ما ننسخ من اية روي انهم طعنوا في النسخ فقالوا الا ترون الى محمد
يامر اصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويامرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت
وقرئ ما ننسخ من اية وما ننسخ بضم النون من انسخ او ننساها وقرئ ننسها
وننسها بالتشديد وننسها وتنسها على خطاب الرسول وقرا عبد الله ما ننسك من اية

اوننسخها وقرا حذيفة ما ننسخ من آية اوننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال
اخري مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل بان يجعلها منسوخة بالاعلام
بنسخها ونسؤها تاخيرها واذهابها لا الي بدل وانساوها ان يذهب بحفظها عن
القلوب والمعني ان كل اية تذهب بها علي ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها
معًا او من ازالة احدهما الي بدل او غير بدل نات بخير نات باية خير منها للعباد
اي باية العمل بها اكثر للثواب او مثلها في ذلك الم تعلم ان الله علي كل شي قدير
فهو يقدر علي الخير وما هو خير منه وعلي مثله في الخير اولم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض وما لكم من دونه من ولي ولا نصير فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها
علي حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ ام تريدون ان
تسالوا رسولكم كما سيل موسي من قبل لما بين لهم انه مالك امورهم ومدبرها علي
حسب مصالحهم من نسخ الايات وغيره وقررهم علي ذلك بقوله الم تعلم اراد ان يوصيهم
بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزله عليهم وان لا يقترحوا علي رسولهم
ما اقترحته اباء اليهود علي موسي من الاشيا التي كانت عاقبتها وبالاً عليهم كقولهم
اجعل لنا الهة ارنا الله جهرة وغير ذلك ومن يتبدل الكفر بالايمان ومن ترك
الثقة بالايات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها فقد ضل سواء السبيل
روي ان فنحاص بن عازورا وزيد بن قيس ونفرًا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان
وعمار بن ياسر بعد وقعة احد الم تروا ما اصابكم ولو كنتم علي الحق ما هزمتم
فارجعوا الي ديننا فهو خير لكم وافضل ونحن اهدي منكم سبيلاً فقال عمار كيف نقض
العهد فيكم قالوا شديد قال فاني قد عاهدت ان لا اكفر بمحمد ما عشت فقالت
اليهود اما هذا فقد صبا وقال حذيفة واما انا فقد رضيت بالله ربا وبالاسلام
دينا وبمحمد نبيا وبالقران اماما وبالكعبة قبلة وبالمومنين اخوانا ثم اتيا رسول الله
واخبراه فقال اصبتما خيرا وافلحتما فنزلت ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم
من بعد ايمانكم كفارا حسدًا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فان
قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم قلت فيه وجهان احدهما
ان يتعلق بود علي معني انهم تمنوا ان ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم
ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين
لهم انكم علي الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدًا اي حسدًا
متبالغا منبعثا من اصل نفوسهم فاعفوا واصفحوا فاسلكوا معهم سبيل العفو و
الصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة حتي ياتي الله بامره الذي قتل بني قريظة
واجلا بني النضير واذلالهم بضرب الجزية ان الله علي كل شي قدير فهو يقدر
علي الانتقام منهم واقيموا الصلاة واتوا الزكاة وما تقدموا لانفسكم
من خير من حسنة من صلوة او صدقة او غيرهما تجدوه عند الله تجدوا ثوابه عند
الله ان الله بما تعملون بصير عالم لا يضيع عنده عمل عامل وقالوا لن يدخل الجنة
الا من كان هودا او نصاري الضمير في وقالوا لاهل الكتاب من اليهود والنصاري
والمعني وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودًا والنصاري لن يدخل الجنة
الا من كان نصاري فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الي كل فريق قوله
وامنا من الالباس لما علم من التعادي بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه
ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصاري والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل
فان قلت كيف قيل كان هودًا علي توحيد الاسم وجمع الخبر قلت حمل
الاسم علي لفظ من والخبر علي معناه كقراءة الحسن الا من هو صال الجحيم وقوله فان له جهنم
خالدين وقرا ابي بن كعب الا من كان هوديا او نصرانيا فان قلت لم قيل
تلك امانيهم وقوله لن يدخل الجنة امنية واحدة قلت اشير بها الي الاماني
المذكورة وهي امنيتهم ان لا ينزل علي المومنين خير من ربهم وامنيتهم ان يردوهم
كفارًا وامنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اي تلك الاماني الباطلة امانيهم وقوله
قل هاتوا برهانكم متصل بقوله لن يدخل الجنة الا من كان هودًا او نصاري

وتلك

وتلك امانيهم اعتراض او اريد امثال تلك الامنية امانيهم علي حذف المضاف
واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعًا في البطلان مثل
امنيتهم هذه والامنية افعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة هاتوا
برهانكم هلموا حجتكم علي اختصاصكم بدخول الجنة ان كنتم صادقين في
دعواكم وهذا اهدم شي لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل
غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء في معني احضر بلي اثبات لما نفوه
من دخول غيرهم الجنة من اسلم وجهه لله من اخلص وجهه لله من اخلص نفسه
له لا يشرك به غيره وهو محسن في عمله فله اجره الذي يستوجبه عند ربه
ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان قلت من اسلم وجهه كيف
موقعه قلت يجوز ان يكون بلي ردا لقولهم ثم يقع من اسلم
كلاما مبتدا ويكون من متضمنا لمعني الشرط وجوابه فله اجره وان يكون
من اسلم فاعلا لفعل محذوف اي بلي يدخلها من اسلم ويكون قوله فله اجره
كلامًا معطوفا علي يدخلها من اسلم وقالت اليهود ليست النصاري علي شي
وقالت النصاري ليست اليهود علي شي اي علي شي يصح ويعتد به وهذه
مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشي فاذا نفي
اطلاق اسم الشي عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الي ما ليس بعده وهذا
كقولهم اقل من لا شي وهم يتلون الكتاب الواو للحال والكتاب للجنس اي قالوا
ذلك وحالهم انهم من اهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل
او غيرهما من كتب الله وامن به ان لا يكفر بالباقي لان كل واحد من الكتابين مصدق
للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعًا متواردة في تصديق بعضها
بعضًا كذلك اي مثل ذلك الذي سمعت به علي ذلك المنهاج قال الذين لا يعلمون
مثل قولهم من الجهلة الذين لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة
ونحوهم قالوا لكل اهل دين ليسوا علي شي وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا انفسهم
مع علمهم في سلك من لا يعلم لكل اهل دين ليسوا علي شي وهذا توبيخ عظيم
لهم حيث نظموا انفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروي ان وفد نجران
لما قدموا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم اتاهم احبار اليهود فتناظروا
حتي ارتفعت اصواتهم فقالت اليهود ما انتم علي شي من الدين كفروا بعيسي
والانجيل وقالت النصاري لهم نحوه وكفروا بموسي والتورية فالله يحكم
بينهم بين اليهود والنصاري يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون بما يقسم
لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم ان يكذبهم و
يدخلهم النار ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه ان يذكر ثاني
مفعولي منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا ان نرسل وما منع الناس ان
يومنوا ويجوز ان يحذف حرف الجر مع ان ولك ان تنصبه مفعولا له بمعني منعها كراهة
ان يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وان مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب
فيه ان النصاري كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذي ويمنعون الناس ان يصلوا
فيه وان الروم غزوا اهله فخربوه واحرقوا التورية وقتلوا وسبوا وقيل منع المشركين
رسول الله ان يدخل المسجد الحرام عام الحديبية فان قلت كيف قيل مساجد الله
وانما وقع المنع والتخريب في مسجد واحد وهو بيت المقدس والمسجد الحرام قلت
لا باس ان يجي الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن اذي صالحا واحدا ومن اظلم
ممن اذي الصالحين وكما قال الله عز وجل ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن
شريق وسعي في خرابها بانقطاع الذكر او بتخريب البنيان وينبغي ان يراد بمن منع
العموم كما اريد بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من اولئك النصاري او المشركين
اولئك المانعون ما كان لهم ان يدخلوها اي ما كان ينبغي لهم ان يدخلوا مساجد الله
الا خائفين علي حال التهيب وارتعاد الفرائص من المومنين ان يبطشوا بهم فضلاً
ان يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المومنين منها والمعني ما كان الحق والواجب الا ذلك

لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم في حكم الله يعني ان الله قد حكم وكتب في
اللوح ان ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين روي انه لا يدخل
بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصراني
في بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه في العقوبة وقيل نادى رسول الله الا لا يحجن بعد
هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد
اختلف العلماء في دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة رحمه الله ولم يجوزه مالك وفرق
الشافعي رحمهما الله بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهي عن تمكينهم من الدخول والتخلية
بينهم وبينه كقوله وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله **لهم في الدنيا خزي** قتل
وسبي او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مداينهم قسطنطينية ورومية وعمورية **وهم
في الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب** ولله المشرق والمغرب اي بلاد المشرق
والمغرب والارض كلها لله وهو مالكها ومتوليها **فاينما تولوا** ففي اي مكان فعلتم التولية
يعني تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث
ما كنتم فولوا وجوهكم شطره **فثم وجه الله** اي جهته التي امر بها ورضيها والمعنى انكم اذا
منعتم ان تصلوا في المسجد الحرام او في بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا في
اي بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية فيها ممكنة في كل مكان
ان الله واسع الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم **عليم** بمصالحهم وعن عمر نزلت
في صلوة المسافر على الراحلة اينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى انحاء
مختلفة فلما اصبحوا تبينوا خطاهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم
يرد الصلاة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولي يريد فاينما توجهوا القبلة
وقالوا وقرئ بغير واو **اتخذ الله ولدا** يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله
والملائكة بنات الله **سبحانه** تنزيه له عن ذلك وتبعيد **بل له ما في السموات والارض**
هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح **كل له قانتون** منقادون
لا يمتنع شيء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق
الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين في كل عوض من المضاف اليه اي كل ما في السموات و
الارض ويجوز ان يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون
بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم **فان قلت** كيف جاء بما الذي لغير اولي العلم
مع قوله قانتون **قلت** هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من
تحقيرا لهم وتصغيرا لشانهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا **بديع السموات
والارض** يقال بدع الشيء فهو بديع كقولك برع الشيء فهو بريع وبديع السموات من
اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها اي بديع سمواته وارضه وقيل البديع بمعنى
المبدع كما ان السميع في قول عمرو ٭ امن ريحانة الداعي السميع ٭ بمعنى المسمع وفيه نظر
واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون كن فيكون من كان التامة اي احدث فيحدث
وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول في قوله ٭ اذ قالت الانساع للبطن الحق ٭
وانما المعنى ان ما قضاه من الامور واراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود
من غير امتناع ولا توقف كما ان المامور المطيع الذي يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا
يكون منه الاباء اكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت
حالته مباينة لاحوال الاجسام في توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير
في له وقرأ المنصور بالنصب على المدح **وقال الذين لا يعلمون** وقال الجهلة من المشركين
وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به **لولا يكلمنا الله** هلا يكلمنا
كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا **او تاتينا آية** جحودا لان يكون
ما آتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها **كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم
تشابهت قلوبهم** اي قلوب هؤلاء ومن قبلهم في العمى كقوله اتواصوا به **قد بينا الآيات
لقوم يوقنون** ينصفون فيوقنون انها آيات يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفا
بها والاذعان لها والاكتفاء عن غيرها **انا ارسلناك بالحق بشيرا ونذيرا** انا ارسلناك
لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان وهذه تسلية لرسول الله وتسرية عنه لانه كان يغتم

ويضيق

ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم على الكفر **ولا تسئل عن اصحاب الجحيم** ما لهم
لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا
الحساب وقرئ ولا تسئل على النهي روي انه قال ليت شعري ما فعل ابواي فنهي عن
السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه
الكفار من العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسئل
عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع ان يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله
ولا تكلفه ما يضجره او انت يا مستخبر لا تقدر على استماع خبره لايحاشه السامع واضجاره
فلا تسئل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسأل وقراءة ابي وما تسأل **ولن ترضى
عنك اليهود حتى تتبع ملتهم** كانهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى
تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم
ولذلك قال **قل ان هدى الله هو الهدى** على طريقة اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله
هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو الهدى كله ليس وراءه هدى
وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى الا ترى الى قوله **ولئن اتبعت اهواءهم**
اي اقوالهم التي هي اهواء وبدع **بعد الذي جاءك من العلم** اي من الدين المعلوم صحته
بالبراهين الصحيحة **ما لك من الله من ولي ولا نصير الذين آتيناهم الكتاب** هم مؤمنو
اهل الكتاب **يتلونه حق تلاوته** لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه من نعت رسول الله **اولئك
يؤمنون به** بكتابهم دون المحرفين **ومن يكفر به** من المحرفين **فاولئك هم الخاسرون**
حيث اشتروا الضلالة بالهدى **يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم
على العالمين واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم ينصرون** ٭ **واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات** اختبره باوامر ونواه واختبار
الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار احد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كانه
يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ ابو حنيفة رضي الله عنه وهي
قراءة ابن عباس ابراهيم ربه رفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من
الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن ام لا **فان قلت** الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل
في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر **قلت** الاضمار قبل الذكر ان يقال ابتلى
ربه ابراهيم فاما ابتلى ابراهيم ربه او ابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل
الذكر اما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابراهيم
فيه مقدم في المعنى وليس كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى
فلا سبيل الى صحته والمستكن في فاتمهن في احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق
القيام واداهن احسن التادية من غير تفريط وتوان ونحوه وابراهيم الذي وفى وفي
الاخرى لله تعالى بمعنى فاعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا امنا واجعلنا
مسلمين لك وابعث فيهم رسولا ربنا تقبل منا **فان قلت** ما العامل في اذ **قلت**
اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى او واذ ابتليه كان كيت وكيت واما **قال اني جاعلك**
فان قلت فما موقع قال **قلت** هو على الاول استئناف كانه قيل فماذا
قال له ربه حين اتم الكلمات فقيل اني جاعلك للناس **اماما** وعلى الثاني جملة معطوفة
على ما قبلها ويجوز ان يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره
من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه
اسلم وقيل في الكلمات هي خمس في الراس الفرق وقص الشارب والسواك والمضمضة
والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظفار ونتف
الابط وقيل ابتلاه من شرائع الاسلام بثلثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون
وعشر في الاحزاب ان المسلمين والمسلمات وعشر في المؤمنين وسأل سائل الى قوله والذين هم
على صلاتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج كالطواف والسعي والرمي والاحرام
والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكواكب والقمر والشمس والختان وذبح ابنه والنار
والهجرة والامام اسم من يؤتم به على زنة الالة كالازار لما يؤتزر به اي يأتمون بك

في ذريتهم قال ومن ذريتي عطف على الكاف كانه قال وجاعل بعض ذريتي كما
يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا قال لا ينال عهدي الظالمين وقري الظالمون
اي من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافي وعهدي اليه بالامامة وانما ينال من
كان عادلا بريا من الظلم وقالوا في هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح وكيف يصلح لها
من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلوة وكان
ابو حنيفة رضي الله عنه يفتي سرا بوجوب نصرة زيد بن علي رضوان الله عليهم
وحمل المال اليه والخروج معه الى اللص المتغلب المتسمي بالامام والخليفة كالدوانقي
واشباهه وقالت له امراة اشرت على ابني بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابني عبد الله بن الحسن
حتى قتل فقال ليتني مكان ابنك وكان يقول في المنصور واشياعه لو ارادوا بنا
مسجد وارادوني على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط
وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما
في نفسه فقد جا المثل السائر من استرعى الذيب ظلم واذ جعلنا البيت البيت اسم
غالب للكعبة كالنجم للثريا مثابة للناس مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون
عنه ثم يثوبون اليه اي يثوب اليه اعيان الذين يزورونه او امثالهم وامنا موضع امن
كقوله حرما امنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجاني ياوي اليه فلا يتعرض له حتى
يخرج وقري مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد سوا العاكف فيه
والبادي واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى على ارادة القول اي وقلنا اتخذوا
منه موضع صلوة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه
مصلى يريد افلا نوثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطي قدم ابراهيم
فقال لم اومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر بن عبد الله ان رسول الله استلم
الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشى اربعة حتى اذا فرغ عمد الى مقام ابراهيم فصلى خلفه
ركعتين وقرا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل مصلى مدعى ومقام ابراهيم الحجر الذي
فيه اثر قدميه والموضع الذي كان فيه الحجر حين وضع عليه قدمه وهو الموضع الذي
يسمى مقام ابراهيم وعن عمر رضي الله عنه انه سال المطلب بن ابي وداعة هل تدري
اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطا مقام ابراهيم عرفة
والمزدلفة والجمار لانه قام في هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعي الحرم كله مقام
ابراهيم وقري واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا اي واتخذ الناس من مكان ابراهيم
الذي وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها وعهدنا الى
ابراهيم واسماعيل امرناهما ان طهرا بيتي للطايفين بان طهرا اي وطهرا والمعنى طهراه
من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحايض والخبايث كلها او اخلصاه
لهولا لا يغشيه غيرهم والعاكفين المجاورين الذين عكفوا عنده اي اقاموا لا يبرحون
او المعتكفين ويجوز ان يريد بالعاكفين الواقفين يعني القايمين في الصلاة
كما قال للطايفين والقايمين والركع السجود واذ قال والمعنى للطايفين والمصلين
لان القيام والركوع والسجود هيات المصلي واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا
اي اجعل هذا البلد او هذا المكان بلدا امنا ذا امن كقوله عيشة راضية او امنا من فيه
كقولك ليل نايم وارزق اهله من الثمرات من امن منهم بالله واليوم الاخر ومن
امن منهم بدل من اهله يعني وارزق المومنين من اهله خاصة قال ومن كفر عطف
على من امن كما عطف ومن ذريتي على الكاف في جاعلك فان قلت لم خص ابراهيم
صلوات الله عليه المومنين حتى رد عليه قلت قاس الرزق على الامامة فعرف
الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعا يختص بمن ينصح للمرعي وابعد الناس عن النصيحة
الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى
وارزق من كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبيس المصير ويجوز ان
يكون ومن كفر مبتدا متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط اي ومن كفر فانا
امتعه وقري فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار المضطر الذي لا يملك الامتناع

مما

مما اضطر اليه وقرا ابي فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرا يحيى بن وثاب فاضطره بكسر
الهمزة وقرا ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعا من ابراهيم
دعا ربه بذلك فان قلت فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة قلت
في قال ضمير ابراهيم اي قال ابراهيم بعد مسئلته اختصاص المومنين بالرزق ومن
كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرا ابن محيصن فاطره بادغام الضاد في الطا كما
قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها
ولا تدغم هي فيما يجاورها وهي حروف ضم شفر واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت
واسماعيل يرفع حكاية حال ماضية والقواعد جمع قاعدة وهي الاساس والاصل
لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اي اسال الله ان
يقعدك اي يثبتك ورفع الاساس البنا عليها لانها اذا بني عليها نقلت عن هيئة
الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات
البنا لان كل ساف قاعدة للذي يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد
رفعها بالبنا لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون
المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت اي استوطا يعني جعل هيئته القاعدة
المستوطئة مرتفعة عالية بالبنا روي انه كان موسسا قبل ابراهيم فبنى على
الاساس وروي ان الله تعالى انزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من
زمرد شرقي وغربي وقال لادم اهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشي
فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم
لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة
على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السما الرابعة فهو البيت
المعمور ثم ان الله امر ابراهيم ببنايه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة
اظلته ونودي ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة اجبل طور
سينا وطور زيتا ولبنان والجودي واسسه من حرا وجاءه جبريل بالحجر الاسود
من السما وقيل تمخض ابو قبيس فانشق عنه وقد خبي فيه ايام الطوفان وكان
ياقوتة بيضا من الجنة فلما مسته الحيض في الجاهلية اسود وقيل كان ابراهيم
يبني واسماعيل يناوله الحجارة ربنا اي يقولان ربنا تقبل منا هذا الفعل في محل
النصب على الحال وقد اظهره الله في قراته ومعناه يرفعانه قايلين ربنا انك انت
السميع لدعائنا العليم بضمايرنا ونياتنا فان قلت هلا قيل قواعد
البيت واي فرق بين العبارتين قلت في ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام
ما ليس في اضافتها لما في الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين ربنا
واجعلنا مسلمين لك مخلصين لك اوجهنا من قوله اسلم وجهه لله او مستسلمين
يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا او اذعانا
لك وقري مسلمين على الجمع كانهما ارادا انفسهما وهاجر واجريا التثنية على حكم
الجمع لانها منه ومن ذريتنا واجعل من ذريتنا امة مسلمة لك ومن للتبعيض
او للتبيين كقوله وعد الله الذين منكم فان قلت لم خصا ذريتهما
بالدعا قلت لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا
ولان اولاد الانبيا اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المقدمين
من العلما والكبرا اذا كانوا على السداد يتسببون السداد من وراءهم وقيل اراد بالامة
امة محمد صلى الله عليه وسلم وارنا مناسكنا منقول من راى بمعنى ابصر وعرف
لذلك لم يتجاوز مفعولين اي وبصرنا متعبداتنا في الحج او عرفناها وقيل مذابحنا
وقري وارنا بسكون الرا قياسا على فخذ في فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة
من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرا ابو عمرو باشمام الكسرة وقرا
عبد الله وارهم مناسكهم وتب علينا ما فرط منا من الصغاير واستتابا لذريتهما
انك انت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم في الامة المسلمة رسولا منهم
من انفسهم روي انه قيل له قد استجيب لك وهو في اخر الزمان فبعث الله فيهم

محمدا فقال عليه السلام انا دعوة ابي ابراهيم وبشرى عيسى ورؤيا امي يتلوا عليهم
اياتك يقرا عليهم ويبلغهم ما توحي اليه من دلائل وحدانيتك وصدق انبيائك ويعلمهم
الكتاب القران والحكمة الشريعة وبيان الاحكام ويزكيهم ويطهرهم من الشرك وسائر
الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث انك انت العزيز الحكيم ومن
يرغب عن ملة ابراهيم انكار واستبعاد لان يكون في العقلاء من يرغب عن الحق الواضح
الذي هو ملة ابراهيم الا من سفه نفسه من سفه في محل الرفع على البدل من الضمير في
يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك احد الا زيد سفه نفسه امتهنها
واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز
نحو غبن رايه والم راسه ويجوز ان يكون في شذوذ تعريف المميز نحو قوله
ولا بفزارة الشعر الرقابا • اجب الظهر ليس له سنام
وقيل معناه سفه في نفسه بحذف الجار كقولهم • زيد ظني مقيم
اي في ظني والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء في الحديث الكبر ان تسفه الحق
وتغمص الناس انه اذا رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه و
تعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الاخرة
لمن الصالحين بيان لخطا راي من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في
الدارين بان كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في
الاخرة لم يكن احد اولى بالرغبة في طريقته منه اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب
العالمين اذ قال ظرف لاصطفيناه اي اخترناه في ذلك الوقت او انتصب باضمار اذكر
استشهادا على ما ذكر من حاله كانه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم انه المصطفى الصالح
الذي لا يرغب عن ملة مثله ومعنى قوله اسلم اخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية
الى المعرفة والاسلام فقال اسلمت اي فنظر وعرف وقيل اسلم اي اذعن واطع روي
ان عبد الله بن سلام دعا ابني اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما
ان الله تعالى قال في التوراة اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه احمد فمن امن به فقد
اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم
فنزلت ووصى بها ابراهيم بنيه قرئ واوصى وهي في مصاحف اهل الحجاز والشام
والضمير في بها لقوله اسلمت لرب العالمين على تاويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع
الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله انني براء مما تعبدون الا الذي فطرني وقوله
كلمة باقية دليل على ان التانيث على تاويل الكلمة ويعقوب عطف على ابراهيم
داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه ايضا وقرئ ويعقوب بالنصب على
بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب يا بني ان الله يا بني على
اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول
ونحوه قول القائل
رجلان من ضبة اخبرانا • انا راينا رجلا عريانا
بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة ابي
وابن مسعود ان يا بني ان الله اصطفى لكم الدين اعطاكم الدين الذي هو صفوة الاديان
وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به فلا تموتن الا وانتم مسلمون معناه
فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم
على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لا تصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن
الصلوة ولكن عن ترك الخشوع في صلوته فان قلت فاي نكتة في ادخال حرف
النهي على الصلاة التي لا خشوع فيها كلا صلوة فكانه قال انهاك عنها اذا لم تصلها على
هذه الحالة الا ترى الى قوله عليه السلام لا صلوة لجار المسجد الا في المسجد فكانه
كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الاية اظهار
ان موتهم لا على الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وان
من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر ايضا مت وانت شهيد وليس مرادك
الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما امرته بالموت اعتدادا

منك

منك بميتة واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها ام كنتم
شهداء اذ حضر يعقوب الموت ام المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء
جمع شهيد بمعنى الحاضر اي ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت
اي حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ما شاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم
به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون ما مات نبي الا على
اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ما قاله لبنيه وما قالوه لظهر لهم حرصه على ملة
الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالاية منافية لقولهم فكيف يقال لهم ام كنتم شهداء
ولكن الوجه ان تكون ام متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء
اليهودية ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعني ان اوائلكم من بني اسرائيل كانوا
مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم
تدعون على الانبياء ما هم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهي لغة اذ قال لبنيه
ما تعبدون اي شيء تعبدون من بعدي وما عام في كل شيء فاذا علم فرق بما ومن وكفاك
دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الا اولي العلم وحدهم ويجوز
ان يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد افقيه ام طبيب ام
غير ذلك من الصفات قالوا نعبد الهك واله ابائك ابراهيم واسماعيل واسحق عطف
بيان لابائك وجعل اسماعيل وهو عمه من جملة ابائه لان العم اب والخالة ام لانخراطهما
في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه
اي لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوي النخلة وقال العباس هذا بقية ابائي وقال
ردوا علي ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرا
ابي واله ابراهيم بطرح ابائك وقرئ ابيك وفيه وجهان ان يكون واحدا وابراهيم
وحده عطف بيان له وان يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا بالابينا الها واحدا
بدل من اله ابائك كقوله بالناصية ناصية كاذبة او على الاختصاص اي نريد باله ابائك
الها واحدا ونحن له مسلمون حال من فاعل نعبد او من مفعوله لرجوع الهاء اليه في له
ويجوز ان تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة اي ومن حالنا
انا له مسلمون مخلصون التوحيد او مذعنون تلك امة قد خلت لها ما كسبت
ولكم ما كسبتم تلك اشارة الى الامة المذكورة التي هي ابراهيم ويعقوب وبنوهما الموحدون
والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان اولئك لا ينفعهم
الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا بابائهم ونحوه
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بني هاشم لا ياتيني الناس باعمالهم وتاتوني بانسابكم
ولا تسالون عما كانوا يعملون ولا تؤاخذون بسيئاتهم كما لا تنفعكم حسناتهم وقالوا
كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم بل نكون ملة ابراهيم اي اهل
ملته كقول عدي بن حاتم اني من دين فقلت اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ
ملة ابراهيم بالرفع اي ملته ملتنا او امرنا ملته بمعنى اهل ملته حنيفا حال من المضاف
اليه كقولك رايت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق
والحنف الميل في القدمين وتحنف اذا مال وانشد
ولكنا خلقنا اذ خلقنا • حنيفا ديننا عن كل دين
وما كان من المشركين تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعي اتباع ابراهيم
وهو على الشرك قولوا امنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسماعيل
واسحق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم
قولوا خطاب للمؤمنين ويجوز ان يكون خطابا للكافرين اي قولوا لتكونوا على الحق والا
فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون على اتبعوا انتم ملة ابراهيم او كونوا
اهل ملته والسبط الحافد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم والاسباط
حفدة يعقوب ذراري ابنائه الاثني عشر لا نفرق بين احد منهم لا نؤمن ببعض ونكفر
ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد في معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه
ونحن له مسلمون فان امنوا بمثل ما امنتم به من باب التبكيت لان دين الحق واحد

لا مثل له وهو دين الاسلام في كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اي فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له في الصحة والسداد **فقد اهتدوا** وفيه ان دينهم الذي هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذي تشير عليه هذا هو الرأي الصواب فان كان عندك رأي اصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا رأي اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على ان ما رأيت لا رأي وراءه ويجوز ان لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اي فان دخلوا في الايمان بشهادة مثل شهادتكم التي آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ ابي بالذي آمنتم به **وان تولوا** عما يقولون لهم ولم ينصفوا **فانما هم في شقاق** فما هم الا في شقاق اي مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق في شيء او فان تولوا عن الشهادة والدخول في الايمان بها **فسيكفيكهم الله** ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد انجز وعده بقتل بني قريظة وسبيهم واجلاء بني النضير ومعنى السين ان ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين **وهو السميع العليم** وعيد لهم اي يسمع ما ينطقون به ويعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله بمعنى يسمع ما تدعو به ويعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى مرادك **صبغة الله** مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم فاذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا او يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرام **ومن احسن من الله صبغة** يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته وقوله **ونحن له عابدون** عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام **قل اتحاجوننا في الله** وقرأ زيد بن ثابت اتحاجونا بادغام النون والمعنى اتجادلوننا في شأن الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو نزل الله على احد لنزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا **وهو ربنا وربكم** نشترك جميعا في اننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فرضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة **ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم** يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة كما ان لكم اعمالا يعتبرها في اعطاء الكرامة ومنعها فنحن كذلك ثم قال **ونحن له مخلصون** فجاء بسبب الكرامة اي نحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل الخلاصة لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق ان تكون النبوة فينا لانا اهل الكتاب والعرب عبدة الاوثان **ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا او نصارى** يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في اتحاجوننا بمعنى اي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله ام ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل تقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة **قل ءانتم اعلم ام الله** يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما **ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله** اي كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن احد اظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة

الاشجار اغرس كما يغرس صح

من الله

من الله ورسوله **وما الله بغافل عما تعملون تلك امة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون**

سيقول السفهاء

الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم **فان قلت** اي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه **قلت** فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه اقطع للخصم واردّ لشغبه وقبل الرمي يراش السهم **من الناس ما ولاهم** ما صرفهم **عن قبلتهم التي كانوا عليها** وهي بيت المقدس **قل لله المشرق والمغرب** اي بلاد المشرق والمغرب والارض كلها **يهدي من يشاء** من اهلها **الى صراط مستقيم** وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس واخرى الى الكعبة **وكذلك جعلناكم** ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم **امة وسطا** خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام انطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء ووصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا انه الحق التاء مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت ... بها الحوادث حتى اصبحت طرفا

وقد اكتريت بمكة جمل اعرابي للحج فقال اعطني من سطاتهنه اراد من خيار الدنانير او عدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها اقرب من بعض **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** روي ان الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على انهم قد بلغوا وهو اعلم فيؤتى بامة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون فتقول الامم من اين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل عن حال امته فيزكيهم ويشهد بعدالتهم وذلك قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا **فان قلت** هلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم **قلت** لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت انت الرقيب عليهم وانت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار ويكون الرسول عليكم شهيدا يزكيكم ويعلمكم بعدالتكم **فان قلت** لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا **قلت** لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها** ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة **الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه** لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم امر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي يجب ان تستقبلها الجهة التي كنت عليها اولا بمعنى وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء لنعلم الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص على عقبيه لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية ويجوز ان يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان امرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس فننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه وينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه وبينه **فان قلت** كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك **قلت** معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما اسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه واهل الزلفى عنده وقيل معناه ليميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز **وان كانت لكبيرة**

ان
هي المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا
القبلة التي كنت عليها من الرداة او التحويلة او الجعلة ويجوز ان تكون للقبلة • لكبيرة
لثقيلة شاقة **الا علي الذين هدي الله** الا علي الثابتين الصادقين في اتباع الرسول
الذين لطف الله بهم وكان اهلا للطفه **وما كان الله ليضيع ايمانكم** اي ثباتكم علي
الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم ويجوز ان يراد وما
كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلي الي
بيت المقدس قبل التحويل فصلوته غير ضايعة عن ابن عباس لما وجه رسول الله صلي الله عليه
وسلم الي الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت **ان الله بالناس لرؤف
رحيم** لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم ويحكي عن الحجاج انه قال للحسن ما رايك
في ابي تراب فقرا قوله الا علي الذين هدي الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله
وختنه علي بنته واقرب الناس اليه واحبهم وقري الا ليعلم علي البناء للمفعول ومعني
العلم المعرفة ويجوز ان يكون من متضمنة لمعني الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت
ازيد في الدار ام عمرو وقرا ابن ابي اسحق علي عقبيه بسكون القاف وقري اليزيدي
لكبيرة بالرفع ووجهها ان كان من يزيد كما في قوله ⁂ وجيران لنا كانوا كرام ⁂
الاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقري ليضيع بالتشديد
قد نري ربما نري ومعناه كثرة الرؤية كقوله ⁂ قد اترك القرن مصفرا اناملة ⁂
تقلب وجهك في السما تردد وجهك وتصرف نظرك في جهة السما وكان رسول الله
صلي الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الي الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وادعي للعرب
الي الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل
والوحي بالتحويل **فلنولينك** فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته
واليا له او فلنجعلنك تلي سمتها دون سمت بيت المقدس **قبلة ترضاها** تحبها وتميل اليها
لاغراضك الصحيحة التي اضمرتها ووافقت مشية الله وحكمته **فول وجهك شطر المسجد
الحرام** نحوه قال ⁂ • ⁂ واطعن بالقوم شطر الملوك ⁂ حتي اذا خفق المجدح ⁂
وقرا ابي تلقا المسجد الحرام عن البرا ابن عازب قدم رسول الله صلي الله عليه وسلم المدينة
فصلي نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الي الكعبة وقيل كان ذلك في رجب بعد
زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلي الله عليه وسلم في مسجد بني سلمة وقد صلي
باصحابه ركعتين من صلوة الظهر فتحول في الصلوة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان
النسا والنسا مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين • وشطر المسجد نصب علي الظرف
اي اجعل تولية الوجه تلقا المسجد اي في جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج
عظيم علي البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل علي ان الواجب مراعاة الجهة دون
العين **وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين اوتوا الكتاب ليعلمون
انه الحق** اي التحويل الي الكعبة هو الحق لانه كان في بشارة انبيائهم برسول الله انه يصلي الي
القبلتين **من ربهم وما الله بغافل عما تعملون** قري بالياء والتاء **ولئن اتيت الذين
اوتوا الكتاب بكل اية ما تبعوا قبلتك** ما تبعوا جواب القسم المحذوف سد مسد جواب
الشرط • بكل اية بكل برهان قاطع ان التوجه الي الكعبة هو الحق ما تبعوا قبلتك لان
تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما في
كتبهم من نعتك انك علي الحق **وما انت بتابع قبلتهم** حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا
في ذلك وقالوا لو ثبت علي قبلتنا لكنا نرجوا ان تكون صاحبنا الذي ننتظره وطمعوا
في رجوعه الي قبلتهم وقري بتابع قبلتهم علي الاضافة **وما بعضهم بتابع قبلة
بعض** يعني انهم مع اتفاقهم علي مخالفتك مختلفون في شان القبلة لا يرجي اتفاقهم
كما لا يرجي موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصاري مطلع
الشمس اخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن
مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته في عناده • وقوله
ولئن اتبعت اهواهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين
بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده في قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد

علي سبيل الفرض والتقدير بمعني ولئن اتبعتهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة
بحقيقة الامر انك اذا لمن المرتكبين الظلم الفاحش وفي ذلك لطف للسامعين وزيادة
تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوي وتهييج والهاب من
الثبات علي الحق **فان قلت** كيف قال ما انت بتابع قبلتهم ولهم قبلتان •
لليهود قبلة وللنصاري قبلة **قلت** كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق
فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة **الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه**
يعرفون رسول الله صلي الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين
المشخص **كما يعرفون ابناءهم** لا يشتبه عليهم ابناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضي الله عنه
انه سيل عبد الله بن سلام عن رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال انا اعلم به مني بابني
قال ولم قال لاني لست اشك في محمد انه نبي فاما ولدي فلعل والدته خانت فقبل
عمر راسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا تلبيس علي السامع •
ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوم بغير اعلام وقيل
الضمير للعلم او للقران او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره •
الحديث عن عبد الله بن سلام **فان قلت** لم اختص الابناء **قلت** لان الذكور
اشهر واعرف وهم لصحبة الاباء الزم وبقلوبهم الصق • وقال **وان فريقا منهم** استثنا
لمن امن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب **ليكتمون
الحق وهم يعلمون الحق من ربك** يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اي هو الحق او
مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان ان تكون اللام للعهد والاشارة الي الحق الذي عليه
رسول الله صلي الله عليه وسلم او الي الحق الذي في قوله ليكتمون الحق اي هذا الذي يكتمونه هو
الحق من ربك وان تكون للجنس علي معني الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه
من الله كالذي انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذي عليه اهل الكتاب فهو الباطل **فان
قلت** اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك **قلت**
يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا علي رضي الله عنه الحق من ربك علي الابدال اي
يكتمون الحق الحق من ربك **فلا تكونن من الممترين** الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او في
انه من ربك **ولكل** من اهل الاديان المختلفة **وجهة** قبلة وفي قراة ابي ولكل قبلة **هو
موليها** هو موليها وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو الله تعالي اي الله موليها
اياه وقري لكل وجهة علي الاضافة والمعني وكل وجهة الله موليها اياه فزيدت
اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرا ابن عامر هو مولاها اي
تلك الجهة قد وليها والمعني لكل امة قبلة يتوجه اليها منكم ومن غيركم **فاستبقوا**
انتم **الخيرات** واستبقوا اليها غيركم من امر القبلة وغيره • ومعني اخر وهو ان يراد ولكل
منكم يا امة محمد وجهة اي جهة يصلي اليها جنوبية او شمالية او شرقية او غربية •
فاستبقوا الخيرات **اينما تكونوا يات بكم الله جميعا** للجزاء من موافق ومخالف **والله علي كل
شي قدير** لا يعجزونه ويجوز ان يكون المعني فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات
المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة • يات بكم الله جميعا
يجمعكم ويجعل صلاتكم كانها الي جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام •
ومن حيث خرجت ومن اي بلد خرجت للسفر **فول وجهك شطر المسجد الحرام** اذا صليت
وانه اي هذا المامور به **للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون** وقرا يعملون •
بالياء والتاء • وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة
والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الي الفصل بينه وبين البدا فكرر عليهم ليثبتوا
ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالاخر فاختلفت فوايدها
**ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم
شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم** استثنا من الناس ومعناه
لئلا تكون حجة لاحد من اليهود الا المعاندين منهم القايلين ما ترك قبلتنا الي الكعبة
الا ميلا الي دين قومه وحبا لبلده ولو كان علي الحق لزم قبلة الانبيا **فان قلت**
اي حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتي احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة

المعاندين قلت كانوا يقولون لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم صلوات الله عليه
كما هو مذكور في نعته في التوراة فان قلت كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين
قلت لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز ان يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم
حجة واعتراض في ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسماعيل ابي العرب
الا الذين ظلموا منهم وهم اهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة ابائه ويوشك
ان يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن علي الا الذين ظلموا منهم على ان الا للتنبيه ووقف على
حجة ثم استأنف منها فلا تخشوهم فلا تخافوا مطاعنهم في قبلتكم فانهم لا يضرونكم
واخشوني فلا تخالفوا امري وما رايته مصلحة لكم ولاتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون
ومتعلق اللام محذوف ومعناه ولاتمامي النعمة عليكم وارادتي اهتداءكم امرتكم بذلك
او يعطف على علة مقدرة كانه قيل واخشوني لاوفقكم ولاتم نعمتي عليكم وقيل هو
معطوف على لئلا يكون وفي الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن علي رضي الله عنه تمام
النعمة الموت على الاسلام كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلوا عليكم اياتنا ويزكيكم ويعلمكم
الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون كما ارسلنا اما متعلق بما قبله اي ولاتم
نعمتي عليكم في الاخرة بالثواب كما اتممتها عليكم في الدنيا بارسال الرسول او بما بعده
اي كما ذكرتكم بارسال الرسول فاذكروني بالطاعة اذكركم بالثواب واشكروا لي ما انعمت
به عليكم ولا تكفرون ولا تجحدوا نعمائي يا ايها الذين امنوا استعينوا بالصبر والصلاة
ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات بل احياء
اموات بل احياء بل هم احياء ولكن لا تشعرون كيف حالهم في حياتهم وعن الحسن
ان الشهداء احياء عند الله تعرض ارزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح
كما تعرض النار على ارواح ال فرعون غدوة وعشية فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد
يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد
جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت في حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر
وكانوا اربعة عشر ولنبلونكم ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل
تصبرون وتثبتون على ما انتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا
بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات بشيء بقليل من كل واحد
من هذه البلايا وطرف منها وبشر الصابرين المسترجعين عند البلايا لان الاسترجاع
تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته
واحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروي انه طفي سراج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل امصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذي المومن
فهو له مصيبة وانما قلل في قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل
الله وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك
قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء
من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله او لكل من يتاتى له البشارة وعن الشافعي
رضي الله عنه الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال
الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدي
فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدي
فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله ابنوا لعبدي بيتا في الجنة وسموه بيت الحمد
الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون اولئك عليهم صلوات
من ربهم والصلوة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرافة وجمع بينها وبين الرحمة
كقوله رافة ورحمة ورؤوف رحيم والمعنى عليهم رافة بعد رافة ورحمة اي رحمة
واولئك هم المهتدون لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا لامر الله ان الصفا
والمروة من شعائر الله الصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم والشعائر جمع شعيرة
وهي العلامة اي من اعلام مناسكه ومتعبداته فمن حج البيت او اعتمر فلا جناح عليه
ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم الحج القصد والاعتمار الزيارة

فعلما

فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما في المعاني كالنجم
والبيت في الاعيان واصل يطوف يتطوف فادغم وقرئ ان يطوف من طاف
فان قلت كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما
قلت كان على الصفا اساف وعلى المروة نايلة وهما صنمان يروى انهما كانا
رجلا وامراة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة
عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت
الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح
في ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف في السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح
وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك
ولقوله ومن تطوع خيرا كقوله وهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير
وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابي حنيفة رضي الله عنه
انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي
هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم السعي وقرئ من يطوع بمعنى ومن
يتطوع فادغم وفي قراءة عبد الله ومن يتطوع بخير ان الذين يكتمون من احبار اليهود
ما انزلنا في التورية من البينات من الايات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم
والهدى والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به من بعد ما بيناه ولخصناه للناس
في الكتاب في التورية لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى
ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس اولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون
الذين يتاتى منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمومنون من الثقلين الا الذين تابوا واصلحوا
ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما فرط منهم وبينوا ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا
للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا سمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به
ويقتدي بهم غيرهم المفسدين فاولئك اتوب عليهم وانا التواب الرحيم ان الذين
كفروا يعني الذين كفروا اماتوا من هولاء الكاتمين ولم يتوبوا وماتوا وهم كفار اولئك
عليهم لعنة الله والملائكة والناس اجمعين ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا وقرأ الحسن والملائكة
والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت
من ضرب زيد وعمرو تريد من ضرب زيد وعمرو كانه قيل اولئك عليهم ان لعنهم الله
والملائكة فان قلت ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر قلت
اراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المومنون وقيل يوم القيمة يلعن بعضهم بعضا خالدين
فيها في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا لا يخفف عنهم العذاب
ولا هم ينظرون من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون ولا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر
اليهم نظر رحمة والهكم اله واحد فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى
غيره الها لا اله الا هو تقرير للوحدانية بنفي غيره واثباته الرحمن الرحيم المولى
لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما
منعم عليه وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه
الاية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فات باية نعرف بها صدقك فنزلت ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب
الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس
واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الاخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة وما انزل
الله من السماء من ماء فاحيا به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة بما ينفع الناس
بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس فان قلت قوله وبث فيها عطف
على انزل ام احيا قلت الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله
فاحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل
وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا
بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا وتصريف
الرياح في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة

ولينة وعمقا ولواقح وقيل تارة لرحمة وتارة لعذاب والسحاب المسخر بين السماء
والارض سخر للرياح تقلبه في الجو بمشية الله يمطر حيث شاء لايات لقوم يعقلون
ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لا نها دلايل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرا هذه الاية فمج بها اى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها
وقرى والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد ومن الناس من يتخذ من دون الله
اندادا امثالا من الاصنام وقيل من الروسا الذين يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على
اوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرا الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ومعنى يحبونهم
يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب كحب الله كتعظيم الله والخضوع له اى كما
يحب الله على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغني عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس
وقيل يحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبته لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون
اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين والذين امنوا اشد حبا لله لانهم
لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدايد
فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسايط بينهم وبينه فيقولون هولاء شفعاونا
عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او ياكلونه كما اكلت باهله الهها
من حيس عام المجاعة ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان
الله شديد العذاب الذين ظلموا اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هولاء الذين
ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شي من العقاب والثواب دون
اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذ عاينوا العذاب يوم القيمة لكان منهم
ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف
الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم ولو رايت فلانا والسياط تاخذه وقرى
ولو ترى على خطاب الرسول اي كل مخاطب اي ولو ترى ذلك لرايت امرا عظيما وقرى
اذ يرون على البنا للمفعول واذ في المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة اذ تبرا الذين
اتبعوا من الذين اتبعوا اذ تبرا بدل من اذ يرون العذاب اي تبرا المتبوعون وهم الروسا
من الاتباع وقرا مجاهد الاول على البنا للفاعل والثاني على البنا للمفعول اي تبرا الاتباع
من الروسا وراوا العذاب الواو للحال اي تبروا في حال رويتهم العذاب وتقطعت بهم
الاسباب عطف على تبرا والاسباب الوصل التي كانت بينهم من الاتفاق على دين
احد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم وقال الذين
اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرا منهم كما تبروا منا لو في معنى التمني ولذلك اجيب بالفاء
والذي يجاب به التمني كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرا منهم كذلك مثل ذلك الاراء الفظيع
يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم اي ندامات وحسرات ثالث مفاعيل راى ومعناه ان
اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم وما هم بخارجين
من النار هم بمنزلته في قوله ∴ هم يفرشون اللبد كل طمرة ∴ في دلالته
على قوة امرهم فيما اسند اليهم لا على الاختصاص يا ايها الناس كلوا مما في الارض حلالا
مفعول كلوا او حال مما في الارض طيبا طاهرا من كل شبهة ولا تتبعوا خطوات الشيطان
فتدخلوا في حرام او شبهة او تحريم حلال او تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما في الارض
ليس بماكول وقرى خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطوات بضمتين وهمزة
جعلت الضمة على الطاء كانها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة فسكون و
الخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمي الخاطي وهما كالغرفة والغرفة والقبضة
يقال اتبع خطواته ووطى على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته انه لكم عدو مبين
ظاهر العداوة لا خفا به انما يامركم جواب لا انتها عن اتباعه وظهور عداوته اي لا يامركم
بخير قط انما يامركم بالسوء بالقبح والفحشاء وما يتجاوز الحد في القبح من العظايم
وقيل السوء ما لا حد فيه والفحشاء ما يجب فيه الحد وان تقولوا على الله ما لا تعلمون
وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله مما لا يجوز فان
قلت كيف كان الشيطان امرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان قلت
شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الامر كما تقول امرتني نفسي بكذا وتحته رمز الى انكم منه

بمنزلة

بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه وكذلك قال ولامرنهم فليبتكن اذان
الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله وقال تعالى ان النفس لامارة بالسوء لما كان الانسان
بطبعها فيطيعها ما اشتهت واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الضمير للناس وعدل بالخطاب
عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كانه يقول للعقلاء
انظروا الى هولاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طايفة من اليهود دعاهم
رسول الله الى الاسلام فقالوا بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا فانهم كانوا خيرا منا واعلم
والفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه اباءنا اولو كان اباوهم
الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه ايتبعونهم ولو كان اباوهم لا يعقلون
شيا من الدين ولا يهتدون للصواب لابد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي
الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء او ومثل الذين كفروا كبهايم
الذي ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان في انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة
ودوي الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهايم التي لا تسمع الا دعاء
الناعق ونداءه الذي هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيا اخر ولا تعي كما يفهم العقلاء
ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته
بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم
اباءهم وتقليدهم في اتباعهم اباءهم كمثل البهايم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم
ما تحته فكذلك هولاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفهمون اهم على حق ام باطل وقيل
معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد
عليه لان الاصنام لا تسمع شيا والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضان
قال الاخطل ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴ ∴
∴ فانعق بضانك يا جرير فانما ∴ منتك نفسك في الخلاء ضلالا ∴
واما نعق الغراب فبالغين المعجمة صم بكم عمي فهم لا يعقلون صم هم صم وهو رفع على الذم
يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون
الا حلالا واشكروا لله الذي رزقكموها ان كنتم اياه تعبدون ان صح انكم تختصونه
بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى اني والجن و
الانس في نبا عظيم اخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري انما حرم عليكم الميتة
والدم ولحم الخنزير قرى حرم على البنا للفاعل وحرم على البنا للمفعول وحرم بوزن
كرم وما اهل به لغير الله اى رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم
اللات والعزى غير باغ على مضطر اخر بالاستيثار عليه ولا عاد سد الجوعة فلا
اثم عليه ان الله غفور رحيم فان قلت في الميتات ما يحل وهو
السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان قلت
قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القايل اذا قال اكل فلان
ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال اكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال و
لاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث وان اكل لحما
في الحقيقة قال الله تعالى لتاكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب
كافرا لم يحنث وان سماه الله دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فان
قلت فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه قلت لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه
تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون انه شحيم ان الذين يكتمون ما انزل
الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا اولئك ما ياكلون في بطونهم ملء بطونهم
تقول اكل فلان في بطنه واكل في بعض بطنه الا النار لانه اذا اكل ما يتلبس بالنار
لكونها عقوبة عليه فكانه اكل النار ومنه قولهم اكل فلان الدم اذا اكل الدية التي هي
بدل منه قال ∴ ∴ ∴ ∴ ∴
∴ اكلت الدم ان لم ارعك بضرة ∴ وقال ∴ ياكلن كل ليلة اكافا ∴
اراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه به لكونه ثمنا له ولا يكلمهم الله تعريض بحرمانهم
حال اهل الجنة يوم القيمة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم في تكرمة الله اياهم بكلامه

من اضطر

وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه
فيصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا
تكلمون اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما اصبرهم على النار
تعجيب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض
لما يوجب غضب السلطان ما اصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا هو شديد
الصبر على العذاب وقيل فما اصبرهم فاي شيء صبرهم يقال اصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا
اصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي انه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم
الي رجلان من العرب فحلف احدهما على حق صاحبه فقال له ما اصبرك على الله فمعناه
ما اصبرك على عذاب ذلك بان الله نزل الكتاب اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل
من الكتب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب في كتب الله فقالوا في
بعضها حق وفي بعضها باطل وهم اهل الكتاب لفي شقاق لفي خلاف بعيد عن الحق
والكتاب للجنس او كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القران بالحق كما يعلمون وان الذين
اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم اساطير لفي شقاق
بعيد يعني ان اولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا ليس البر
البر اسم للخير ولكل فعل مرضي ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب الخطاب لاهل
الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك
انهم اكثروا الخوض في امر القبلة حين حول رسول الله الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين
ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج
من البر بنسخه وقيل كثر خوض المسلمين واهل الكتاب في امر القبلة فقيل ليس البر العظيم
الذي يجب ان تذهلوا بشانه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذي يجب الاهتمام
به وصرف الهمة اليه بر من امن وقام بهذه الاعمال وقرئ ليس البر بالنصب على انه خبر مقدم
وقرا عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتاكيد كقولك ليس المنطلق بزيد ولكن البر
من امن بالله واليوم الاخر والملائكة والكتاب والنبيين واتى المال من امن بالله على
تاويل حذف المضاف اي بر من امن او بتاول البر بمعنى ذي البر او كما قالت فانما
هي اقبال وادبار وعن المبرد لو كنت ممن يقرا القران لقرات ولكن البر بفتح الباء
وقرئ ولكن البار وقرئ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف والكتاب جنس كتب
الله او القران على حبه مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح
شحيح تامل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا
ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه
وقدم ذوي القربى لانهم احق قال عليه السلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذي
رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال افضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح وا
طلق ذوي القربى واليتامى والمساكين والمراد الفقراء منهم لعدم الالتباس والمسكين
الدائم السكون الى الناس لانه لا شيء له كالمسكير للدائم السكر وابن السبيل المسافر المنقطع
وجعل ابنا للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان
السبيل يرعف به والسائلين المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان
جاء على ظهر فرسه وفي الرقاب وفي معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل في ابتياع
الرقاب واعتاقها وقيل في فك الاسارى فان قلت قد ذكر ايتاء المال في هذه
الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكوة فهل دل ذلك على ان في المال حقا سوى الزكاة قلت
يحتمل ذلك وعن الشعبي ان في المال حقا سوى الزكوة وتلا هذه الاية ويحتمل ان يكون
ذلك بيان مصارف الزكوة او يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث
نسخت الزكوة كل صدقة يعني وجوبها وروي ليس في المال حق سوى الزكاة واقام الصلوة
واتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والموفون عطف على من امن والصابرين
في الباساء والضراء وحين الباس واخرج الصابرين منصوبا على الاختصاص والمدح
اظهارا لفضل الصبر في الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون
وقرئ والموفين والصابرين والباساء الفقر والشدة والضراء المرض والزمانة اولئك

الذين صدقوا كانوا صادقين جادين في الدين واولئك هم المتقون يا ايها
الذين امنوا كتب عليكم القصاص في القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد
والانثى بالانثى عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصري وعطاء وعكرمة وهو
مذهب مالك والشافعي رحمهما الله تعالى ان الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل
بالانثى اخذا بهذه الاية ويقولون هي مفسرة لما ابهم في قوله النفس بالنفس
ولان تلك واردة لحكاية ما كتب في التورية على اهلها وهذه خوطب به المسلمون
وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثوري
وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله انها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص
ثابت بين الحر والعبد والذكر والانثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون
تتكافا دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر في الانفس بدليل ان جماعة لو قتلوا واحدا
قتلوا به وروي انه كان بين حيين من احياء العرب دماء في الجاهلية وكان لاحدهما
طول على الاخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد والذكر بالانثى والاثنين بالواحد
فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وامرهم ان يتباوؤا
فمن عفي له من اخيه شيء فمعناه فمن عفي له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير
بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفى
لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة واخوه هو ولي المقتول وقيل اخوه لانه لابسه
من قبل انه ولي الدم ومطالبه به كما تقول للرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه وبينه
ادنى ملابسة او ذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ما هو ثابت
بينهما من الجنسية فان قلت ان عفى يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفي له
قلت يتعدى بعن الى الجاني والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه
قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفى الله عنها فاذا تعدى الى الذنب قيل عفوت
لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما في الاية كانه
قيل فمن عفي له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية فان قلت هلا فسرت عفي
بترك حتى يكون شيء في معنى المفعول به قلت لان عفى الشيء بمعنى تركه ليس بثبت
ولكن اعفاه ومنه قوله عليه السلام واعفوا اللحى فان قلت فقد ثبت قولهم
عفا اثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محي له من اخيه قلت عبارة
قلقة في مكانها والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة في الكتاب
والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى اخرى قلقة نابية عن مكانها وترى
كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا اعضل عليه تخريج وجه للمشكل من كلام الله
على اختراع لغة وادعاء على العرب ما لا تعرفه وهذه جراة يستعاذ بالله منها فان
قلت لم قيل شيء من العفو قلت للاشعار بانه اذا عفي له طرف من العفو
وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم او عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط
القصاص ولم تجب الا الدية فاتباع بالمعروف فليكن اتباع او فالامر اتباع وهذه
توصية للمعفو والعافي جميعا يعني فليتبع الولي القاتل بالمعروف بان لا يعنف به
ولا يطالبه الا مطالبة جميلة واداء اليه باحسان وليؤد اليه القاتل بدل الدم
اداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه ذلك الحكم المذكور من العفو والدية تخفيف
من ربكم ورحمة لان اهل التورية كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو واخذ الدية
وعلى اهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث
الدية والقصاص والعفو توسعة عليهم وتيسيرا فمن اعتدى بعد ذلك التخفيف
فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل او القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولي في الجاهلية
يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله فله عذاب اليم نوع من العذاب
شديد الالم في الاخرة وعن قتادة العذاب الاليم ان يقتل لا محالة ولا يقبل منه دية
لقوله عليه السلام لا اعافي احدا قتل بعد اخذ الدية ولكم في القصاص حيوة
كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو ان القصاص قتل وتفويت للحيوة وقد جعل مكانا
وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحيوة لان المعنى

وبكم في هذا الجنس من الحكم الذي هو القصاص حيوة عظيمة وذلك انهم كانوا يقتلون
بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتي كاد يفني بكر بن وايل وكان يقتل
بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناجر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص
كانت فيه حيوة اي حيوة او نوع من الحيوة وهي الحيوة الحاصلة بالارتداع عن القتل
لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم انه يقتص منه فارتدع
سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حيوة نفسين وقرا
ابو الجوزاء ولكم في القصص اي فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص
القران اي لكم في القران حيوة للقلوب كقوله روحا من امرنا ويحيي من حي عن بينة
يا اولي الالباب تتقون اي اريتكم ما في القصاص من استبقاء الارواح وحفظ
النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل اهل التقوي في المحافظة علي القصاص والحكم
به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت
اذا دنا منه وظهرت اماراته ان ترك خيرا مالا كثيرا الوصية للوالدين والاقربين
عن عايشة ان رجلا اراد الوصية وله عيال واربعماية دينار فقالت ما اري فيه
فضلا واراد اخر ان يوصي فسالته كم مالك فقال ثلاثة الاف درهم قالت كم عيالك
قال اربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشي يسير فاتركه لعيالك وعن
علي رضي الله عنه ان مولي له اراد ان يوصي وله سبعماية فمنعه وقال قال الله تعالي
ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال • والوصية فاعل كتب وذكر فعلها
للفاصل ولانها بمعني ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه •
والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت باية المواريث وبقوله عليه
السلام ان الله اعطي كل ذي حق حقه الا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول
حتي لحق بالمتواتر وان كان من الاحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا بالثبت الذي صحت •
روايته وقيل لم ينسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الايتين وقيل
ما هي بمخالفة لاية المواريث ومعناها كتب عليكم ما اوصي به الله من توريث الوالدين
والاقربين من قوله تعالي يوصيكم الله في اولادكم او كتب علي المحتضر ان يوصي للوالدين •
والاقربين بتوفير ما اوصي به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبابهم بالمعروف •
بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث • حقا مصدر مؤكد
اي حق ذلك حقا علي المتقين فمن بدله فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا
للشرع من الاوصياء والشهود بعد ما سمعه وتحققه فانما اثمه علي الذين يبدلونه
فما اثم الايصاء المغير والتبديل الا علي مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصي له لانهما
بريان من الحيف ان الله سميع عليم وعيد للمبدل فمن خاف فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم
شايع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجري العلم من
موص جنفا ميلا عن الحق بالخطا في الوصية او اثما او تعمدا للحيف فاصلح بينهم بين الموصي
لهم وهم الوالدان والاقربون باجرايهم علي طريق الشرع فلا اثم عليه حينئذ لان تبديله
تبديل باطل الي حق ذكر من تبدل بالباطل ثم من تبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يوثم
ان الله غفور رحيم يا ايها الذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب علي الذين من قبلكم
كما كتب علي الذين من قبلكم علي الانبياء والامم من لدن ادم الي عهدكم قال علي رضي الله عنه
اولهم ادم يعني ان الصوم عبادة اصلية قديمة ما اخلي الله امة من افتراضها عليهم
لم يفرضها عليكم وحدكم لعلكم تتقون بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها
او لعلكم تتقون المعاصي لان الصوم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه
السلام فعليه بالصوم فان الصوم وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم
شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب علي اهل الانجيل
فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه
في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين
الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته اياما معدودات قبل
الايام المعدودات عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر كتب علي رسول الله صياما حين

هاجر

هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر
بعد ان تصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام
الاية • ومعني معدودات موقتات بعدد معلوم وقلايل كقوله دراهم معدودة
واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثي حثيا
وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة فمن كان منكم مريضا
او علي سفر او راكب سفر فعدة فعليه عدة وقري بالنصب بمعني فليصم عدة وهذا
علي سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة من ايام اخر واختلف في
المرض للافطار فمن قايل كل مرض لان الله لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون
سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان
وهو ياكل فاعتل بوجع اصبعه وسيل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع
المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار • وقايل هو المرض الذي
يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالي يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي رحمه الله لا
حتي يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء علي التخيير وعن ابي
عبيدة الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضايه
ان شيت فواتر وان شيت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم رضي الله عنهم انه يقضي
كما فات متتابعا وفي قراءة ابي فعدة من ايام اخر متتابعات فان قلت كيف
قيل فعدة علي التنكير ولم يقل فعدتها اي فعدة الايام المعدودات قلت
لما قيل فعدة والعدة بمعني المعدود فامر بان يصوموا اياما معدودة مكانها علم انه
لا يوتر عدد علي عدها فاغني ذلك عن التعريف بالاضافة وعلي الذين يطيقونه
وعلي المطيقين للصيام الذين لا عذر لهم به ان افطروا فدية طعام مسكين
نصف صاع من بر او صاع من غيره عند اهل العراق وعند اهل الحجاز مد وكان ذلك
في بدء الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار
والفدية وقرا ابن عباس رضي الله عنه يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعني الطاقة
او القلادة اي يكلفونه او يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه رضي الله عنه يتطوقونه •
بمعني يتكلفونه او يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء في الطاء ويطيقونه
ويطيقونه بمعني يتطيقونه واصلهما يطيوقونه ويتطيوقونه علي انهما فيعل وتفيعل
من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء كقولهم تديرا المكان وما بها ديار • وفيه
وجهان احدهما نحو معني يطيقونه والثاني يكلفونه او يتكلفونه علي جهد منهم و
عسر وهم الشيوخ والعجايز وحكم هولاء الافطار والفدية وهو علي هذا الوجه ثابت
غير منسوخ ويجوز ان يكون هذا معني يطيقونه اي يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ
وسعهم فمن تطوع خيرا فزاد علي مقدار الفدية فهو خير له فالتطوع اخير له او الخير وقري
فمن يطوع بمعني يتطوع وان تصوموا ايها المطيقون او المطوقون وحملتم علي انفسكم
وجهدتم طاقتكم خير لكم من الفدية وتطوع الخير ويجوز ان ينتظم في الخطاب المريض
والمسافر ايضا وفي قراءة ابي والصيام خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الرمضا
مصدر رمض اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف
والالف والنون كما قيل ابن داية للغراب باضافة الابن الي داية البعير لكثرة وقوعه
عليها اذا دبرت فان قلت لم سمي شهر رمضان قلت الصوم فيه عبادة
قديمة فكانهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا
لانه كان ينتقهم اي يزعجهم اضجارا لشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن
اللغة القديمة سموها بالازمنة التي وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر •
فان قلت فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف والمضاف اليه جميعا فما وجه
ما جاء في الحديث من نحو قوله عليه السلام من صام رمضان ايمانا واحتسابا ومن ادرك
رمضان فلم يغفر له قلت هو من باب الحذف لامن الالباس كما قال ∴ ∴ ∴
كما اعي النطاسي حذيما ∴ اراد ابن حذيم وارتفاعه علي انه مبتدا خبره الذي انزل
فيه القران او علي انه بدل من الصيام في قوله كتب عليكم الصيام او علي انه خبر مبتدا

نبطر

صح

محذوف وقرئ بالنصب على شهر رمضان او على الابدال من اياما معدودات او على انه
مفعول وان تصوموا ومعنى بالنصب على شهر رمضان انزل فيه القران ابتدئ فيه انزاله
وكان ذلك في ليلة القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل
انزل في شانه القران وهو قوله كتب عليكم الصيام كما تقول انزل في عمر كذا وفي علي كذا
وعن النبي صلى الله عليه وسلم نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من رمضان وانزلت التورية
لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقران لاربع وعشرين هدى للناس وبينات
نصب على الحال اي انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو ايات واضحات مكشوفات مما يهدي
الى الحق ويفرق بين الحق والباطل فان قلت ما معنى قوله وبينات من الهدى
والفرقان بعد قوله هدى للناس قلت ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات
من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه وكتبه السماوية الهادية
الفارقة بين الهدى والضلال فمن شهد منكم الشهر فليصمه فمن كان شاهدا اي
حاضرا مقيما غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك
الهاء في فليصمه ولا يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر
كلاهما شاهدان للشهر ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر يريد الله
بكم اليسر ولا يريد بكم العسر يريد الله ان ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج
في الدين وامركم بالحنيفية السمحة التي لا اصر فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه
من اباحة الفطر في السفر والمرض ومن الناس من فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم
ان من صام منهما فعليه الاعادة وقرئ العسر واليسر بضمتين الفعل المعلل محذوف
مدلول عليه بما سبق تقديره ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون
شرع ذلك يعني جملة ما ذكر من امر الشاهد بصوم الشهر وامر المرخص له بمراعاة عدة ما افطر
فيه ومن الترخيص في اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم
من كيفية القضا والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا
نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان
وانما عدي فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله
حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا وقرئ ولتكملوا
بالتشديد فان قلت هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة
كانه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة او على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر
ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا قلت لا يبعد ذلك والاول اوجه فان
قلت ما المراد بالتكبير قلت تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو يوم الفطر وقيل
هو التكبير عند الاهلال واذا سالك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا
دعان فاني قريب تمثيل لحاله في سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله
بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وقوله
عليه السلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروي ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم اقريب ربنا فنناجيه ام بعيد فنناديه فنزلت فليستجيبوا لي اذا دعوتهم
الى الايمان والطاعة كما اني اجيبهم اذا دعوني لحوائجهم وليؤمنوا بي لعلهم
يرشدون وقرئ يرشدون بفتح الشين وكسرها احل لكم ليلة الصيام الرفث
الى نسائكم هن لباس لكم وانتم لباس لهن كان الرجل اذا امسى حل له الاكل والشرب
والجماع الى ان يصلي العشاء الاخرة او يرقد فاذا صلاها او رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام
والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضي الله عنه واقع اهله بعد صلاة العشاء
الاخرة فلما اغتسل اخذ يبكي ويلوم نفسه فاتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول
الله اني اعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة فاخبره بما فعل فقال عليه السلام
ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت
وقرئ احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم اي احل الله وقرا عبد الله الرفوث وهو
الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد رفث الرجل وعن ابن عباس انه انشد وهو محرم
وهن يمشين بنا هميسا ان تصدق الطير ننك لميسا

نقيل

نقيل له ارفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى ولا رفث
ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك فان قلت
لم كنى عنه هاهنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبح بخلاف قوله وقد افضى بعضكم
الى بعض فلما تغشاها باشروهن او لامستم النساء دخلتم بهن فاتوا حرثكم من قبل
ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن قلت استهجانا لما وجد منهم
منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم فان قلت لم عدي الرفث بالى
قلت لتضمنه معنى الافضاء لما كان الرجل والمراة يعتنقان ويشتمل كل واحد
منهما على صاحبه في عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدي

اذا ما الضجيع ثنى عطفها ❊ تثنت وكانت عليه لباسا

فان قلت ما موقع قوله هن لباس لكم قلت هو استيناف كالبيان لسبب
الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم
عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم في مباشرتهن علم الله انكم كنتم تختانون
انفسكم تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب
من الكسب فيه زيادة وشدة فتاب عليكم وعفا عنكم حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور
فالان باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم واطلبوا ما قسم الله لكم واثبت في اللوح
من الولد بالمباشرة اي لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع
الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه في الحراير وقيل وابتغوا المحل
الذي كتب الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا
ما كتب الله من الاباحة بعد الحظر وقرا ابن عباس واتبعوا وقرا الاعمش واتوا
وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها
وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض
من الخيط الاسود من الفجر الخيط الابيض هو اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق
كالخيط الممدود والخيط الاسود ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض
واسود قال ابو داود

فلما اضاءت لنا سدفة ❊ ولاح من الصبح خيط انارا

وقوله من الفجر بيان للخيط الابيض واكتفي به عن بيان الخيط الاسود لان بيان
احدهما بيان للثاني ويجوز ان يكون من للتبعيض لانه بعض الفجر واوله فان
قلت اهذا من باب الاستعارة ام من باب التشبيه قلت قوله من الفجر اخرجه
من باب الاستعارة كما ان قولك رايت اسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها
فان قلت فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة
التي هي ابلغ من التشبيه وادخل في الفصاحة قلت لان من شرط المستعار
ان تدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران
فزيد الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج عن ان يكون استعارة فان قلت كيف
التبس على عدي بن حاتم مع هذا البيان حتى عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما
تحت وسادتي فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لي الابيض من الاسود فلما
اصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان
وسادك لعريضا وروي انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل
قلت غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله عليه السلام قفاه لانه مما يستدل
به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وانشدتني بعض البدويات بالبدوية

عريض القفا ميزانه في شماله ❊ قد انحص من حسب القراريط شاربه

فان قلت فما تقول فيما روي عن سهل بن سعد الساعدي انها نزلت ولم ينزل من
الفجر فكان رجال اذا ارادوا الصوم ربط احدهم في رجله الخيط الابيض والخيط الاسود
فلا يزال ياكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعني بذلك
الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حتى لا يفهم منه المراد
اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا تشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا
الحقيقة وهي غير مرادة قلت اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء

والمتكلمين وهو مذهب ابي علي وابي هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من
يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم
علي فعله واستوضح المراد به **ثم اتموا الصيام الي الليل** قالوا فيه دليل علي جواز
النية بالنهار في صوم رمضان وعلي جواز تاخير الغسل الي الفجر وعلي نفي صوم الوصال
ولا تباشروهن وانتم عاكفون في المساجد معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس
نفسه في المسجد يتعبد فيه والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة
الرفث الي نسايكم فالان باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن لشهوة لجماع
يفسد الاعتكاف وكذلك اذا المس وقبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف
خرج فباشر امراته ثم رجع الي المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل علي ان الاعتكاف
لا يكون الا في المسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا في مسجد نبي
وهو احد المساجد الثلاثة وقيل في مسجد جامع والعامة علي انه في مسجد جماعة
وقرا مجاهد في المسجد **تلك** الاحكام التي ذكرت **حدود الله فلا تقربوها** فلا تغشوها
كذلك يبين الله اياته للناس لعلهم يتقون **فان قلت** كيف قيل
فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله **قلت** من كان في
طاعة الله والعمل بشرايعه فهو متصرف في حيز الحق فنهي ان يتعداه لان من تعداه
وقع في حيز الباطل ثم بولغ في ذلك فنهي ان يقرب الحد الذي هو الحاجز بين حيزي
الحق والباطل لئلا يداني الباطل وان يكون في الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا
ان يتخطاه كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ان لكل ملك حمي وحمي الله محارمه
فمن رتع حول الحمي يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمي وقربانه تخيره واحد ويجوز
ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهي حدود لا تقرب
ولا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل ولا ياكل بعضكم مال البعض بالباطل بالوجه الذي
لم يبحه الله ولم يشرعه **ولا تدلوا بها** ولا تلقوا امرها والحكومة فيها **الي الحكام**
لتاكلوا بالتحاكم **فريقا** طايفة **من اموال الناس بالاثم** بشهادة الزور او باليمين
الكاذبة او بالصلح **وانتم تعلمون** مع العلم بان المقضي له ظالم وعن النبي صلي الله
عليه وسلم انه قال للخصمين انما انا بشر وانتم تختصمون الي ولعل بعضكم الحن بحجته
من بعض فاقضي له علي نحو ما اسمع منه فمن قضيت له بشي من حق اخيه فلا ياخذن
منه شيا فانما اقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي
فقال اذهبا وتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا
بعضها الي حكام السو علي وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي او منصوب
باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وانتم تعلمون انكم علي الباطل وارتكاب المعصية
مع العلم بقبحها اقبح وصاحبه احق بالتوبيخ **يسالونك عن الاهلة** روي ان معاذ
بن جبل وثعلبة بن غنم الانصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا
مثل الخيط ثم يزيد حتي يمتلي ويستوي ثم لا يزال ينقص حتي يعود كما بدا لا يكون علي
حالة واحدة فنزلت **قل هي مواقيت للناس** مواقيت معالم يوقت بها الناس
مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسايهم وايام حيضهن
ومدد حملهن وغير ذلك **والحج** ومعالم للحج تعرف بها وقته **وليس البر بان تاتوا البيوت
من ظهورها** كان ناس من الانصار اذا احرموا لم يدخل احد منهم حايطا ولا دارا ولا فسطاطا
من باب فان كان من اهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج او يتخذ سلما يصعد فيه
وان كان من اهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم ليس البر بتحرجكم من دخول الباب **ولكن
البر من اتقي** ما حرم الله **فان قلت** ما وجه اتصاله بما قبله **قلت** كانه قيل
لهم عند سوالهم عن الاهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم ان كل ما يفعله
الله عز وعلا لا يكون الا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السوال عنه وانظروا
في واحدة تفعلونها انتم مما ليس من البر في شي وانتم تحسبونها برا ويجوز ان يجري ذلك
علي طريق الاستطراد لما ذكر انها مواقيت للحج لانه كان من افعالهم في الحج ويحتمل ان
يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سوالهم وان مثلهم فيه كمثل من ترك باب البيت ودخله

بيتحان

من ظهره والمعني ليس البر وما ينبغي ان تكونوا عليه بان تعكسوا في مسايلكم ولكن البر بر من
اتقي ذلك وتجنبه ولم يجسر علي مثله ثم قال **واتوا البيوت من ابوابها** اي و
باشروا الامور علي وجوهها التي يجب ان يباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب
توطين النفوس وربط القلوب علي ان جميع افعال الله حكمة وصواب من غير
اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتي لا يسال عنه لما في السوال من الاتهام
بمقارفة الشك لا يسال عما يفعل وهم يسالون **واتقوا الله لعلكم تفلحون**
وقاتلوا في سبيل الله المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لاعلاء كلمة الله واعزاز الدين
الذين يقاتلونكم الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلي هذا يكون منسوخا
بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع بن انس هي اول اية نزلت في القتال
بالمدينة فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقاتل من قاتل ويكف عمن كف او الذين
يناصبونكم القتال دون من ليس من اهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء
والكفرة كلهم لانهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم
المقاتلة قاتلوا او لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله عام الحديبية وصالحوه
علي ان يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة ايام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون ان
لا تفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت
واطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح
في ذلك **ولا تعتدوا** بابتداء القتال او بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ
والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد او بالمثلة او المفاجاة من غير دعوة **ان الله لا
يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم** حيث وجدتموهم في حل او حرم والثقف
وجود علي وجه الاخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الاخذ لاقرانه قال

فاما تثقفوني فاقتلوني ٭ فمن اثقف فليس الي خلود

واخرجوهم من حيث اخرجوكم اي من مكة وقد فعل رسول الله بمن لم يسلم منهم يوم
الفتح **والفتنة اشد من القتل** اي المحنة والبلاء الذي ينزل بالانسان يتعذب به
اشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما اشد من الموت قال الذي يتمني فيه الموت
جعل الاخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمني عندها الموت ومنه قول القايل

لقتل بحد السيف اهون موقعا ٭ علي النفس من قتل بحد فراق

وقيل الفتنة عذاب الاخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك اعظم من القتل في الحرم
وذلك انهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك
الذي هو عليهم اشد واعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد فتنتهم اياكم بصدكم عن
المسجد الحرام اشد من قتلكم اياهم في الحرم او من فتنتهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا
بقتالهم **ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتي يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم
كذلك جزاء الكافرين** قري ولا تقتلوهم حتي يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل
في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان قال فان تقتلونا نقتلكم **فان انتهوا**
عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف **حتي لا تكون فتنة** اي شرك
ويكون الدين لله خالصا ليس للشيطان فيه نصيب **فان انتهوا** عن الشرك **فلا عدوان
الا علي الظالمين** فلا تعتدوا علي المنتهين عدوان وظلم قوله الا علي الظالمين
موضع علي المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين
ظلما للمشاكلة كقوله فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل او اريد انكم ان تعرضتم
لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدوا عليكم قاتلهم المشركون عام
الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء
وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة **الشهر الحرام بالشهر الحرام** اي هذا الشهر
بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم
والحرمات قصاص اي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة اي حرمة كانت
اقتص منه بان يهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا
تبالوا واكد ذلك بقوله **فمن اعتدي عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدي عليكم**

وانقوا الله في حال كونكم منتصرين ممن اعتدي عليكم واعلموا ان الله مع المتقين فلا
تعدوا الي ما لا يحل لكم وانفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الي التهلكة الباء في ايديكم
مزيدة مثلها في اعطي بيده للمنقاد والمعني ولا تقبضوا التهلكة ايديكم اي لا تجعلوها
اخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا انفسكم بايديكم
كما يقال اهلك فلان نفسه بيده وقيل اذا تسبب هلاكها واحسنوا ان الله يحب المحسنين
والمعني النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة
حتي يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقبال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو
الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل علي صف العدو فصاح به
الناس القي بيده الي التهلكة فقال ابو ايوب الانصاري نحن اعلم بهذه الاية وانما انزلت
فينا صحبنا رسول الله صلي الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه
علي اهالينا واموالنا واولادنا فلما فشا الاسلام وكثر اهله ووضعت الحرب اوزارها
رجعنا الي اهالينا واموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال
وترك الجهاد وحكي ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلاك واحد
قال فدل هذا من قول ابي عبيدة علي ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم
التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال اصلها التهلكة
كالتجربة والتبصرة ونحوهما علي انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار
في الجوار واتموا الحج والعمرة لله ايتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله
من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال

تمام الحج ان تقف المطايا ⁂ علي خرقاء واضعة اللثام

جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من
دويرة اهلك وروي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان
تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية افضل وقيل ان تكون النفقة حلالا
وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية فان
قلت هل فيه دليل علي وجوب العمرة قلت ما هو الا امر باتمامهما ولا دليل
في ذلك علي كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا
الا ان تقول الامر باتمامهما امر باداىهما بدليل قراءة من قرا واقيموا الحج والعمرة والامر
للوجوب في اصله الا ان يدل دليل علي خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا
ونحو ذلك فيقال لك فقد دل الدليل علي نفي الوجوب وهو ما روي انه قيل يا رسول الله
العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع
فان قلت فقد روي عن ابن عباس انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله
عنه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين علي اهللت بهما جميعا قال
هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج
قلت كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وانهما يقترنان في الذكر فيقال
حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل علي ذلك في كونها قرينة
له في الوجوب واما حديث عمر فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما
واذا اهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلوات والدليل الذي ذكرنا
اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر
رمضان وستة من شوال في انك تامره بفرض وتطوع وقرا علي وابن مسعود والشعبي
والعمرة لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب فان احصرتم
يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالي الذين احصروا
في سبيل الله وقال ابن ميادة

وما هجر ليلي ان تكون تباعدت ⁂ عليك ولا ان احصرتك شغول

وحصر اذا حبسه العدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه
محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعني المنع في كل شيء مثل صده واصده
ولذلك قال الفراء وابو عمرو الشيباني وعليه قول ابي حنيفة رحمه الله تعالي

كل

كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار
وعند مالك والشافعي رضي الله عنهما منع العدو وحده وعن النبي عليه الصلاة
والسلام من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل فما استيسر من الهدي فما تيسر منه
يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في
جدية السرج جدي وقرئ من الهدي بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني
فان منعتم من المضي الي البيت وانتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا اردتم التحلل
ما تيسر من الهدي من بعير او بقرة او شاة فان قلت اين ومتي ينحر هدي
المحصر قلت ان كان حاجا فبالحرم متي شاء عند ابي حنيفة يبعث به ويجعل
للمبعوث علي يده يوم امار وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل
وقت عندهم جميعا ما استيسر رفع بالابتداء اي فعليه ما استيسر او نصب علي فاهدوا
ما استيسر ولا تحلقوا رؤسكم الخطاب للمحصرين حتي يبلغ الهدي محله اي لا تحلوا
حتي تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الي الحرم بلغ محله اي مكانه الذي يجب نحره
فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر علي مذهب ابي حنيفة فان
قلت فان النبي صلي الله عليه وسلم نحر هديه حيث احصر قلت كان محصره طرف
الحديبية الذي الي اسفل مكة وهو من الحرم عن الزهري ان رسول الله صلي الله عليه وسلم
نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم علي تسعة اميال من مكة فمن كان
منكم مريضا فمن كان به مرض يحوجه الي الحلق او به اذي من راسه وهو القمل والجراحة
ففدية فعليه اذا احتلق فدية من صيام ثلاثة ايام او صدقة علي ستة مساكين
لكل مسكين نصف صاع من بر او نسك وهو شاة وعن كعب بن عجرة ان رسول الله
قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يا رسول الله قال احلق راسك وصم ثلاثة ايام
او اطعم ستة مساكين او انسك شاة كان كعب يقول فيّ نزلت هذه الاية وروي
انه مر به وقد قرح راسه فقال كفي بهذا اذي وامره ان يحلق ويطعم او يصوم والنسك
مصدر وقيل جمع نسيكة وقرا الحسن او نسك بالتخفيف فاذا امنتم الاحصار يعني
فاذا لم تحصروا وكنتم في حال امن وسعة فمن تمتع اي استمتع بالعمرة الي الحج واستمتاعه
بالعمرة الي وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الي الله تعالي قبل الانتفاع بتقربه بالحج
وقيل اذا احل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الي ان يحرم بالحج فما استيسر من
الهدي هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة ويأكل منه وعند الشافعي يجري مجري
الجنايات ولا ياكل منه ويذبحه عندنا يوم النحر وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته
فمن لم يجد الهدي فصيام ثلاثة ايام فعليه صيام ثلاثة ايام في الحج اي في
وقته يوم النحر وهو اشهره ما بين الاحرامين احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب
ابي حنيفة والاولي فضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضي هذا
الوقت لا يجزيه الا الدم وعند الشافعي لا يصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر
قوله في الحج وسبعة اذا رجعتم بمعني اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة
وعند الشافعي هو الرجوع الي اهاليهم وقرا ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا
علي محل ثلاثة ايام كانه قيل فصيام ثلاثة ايام كقوله اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما
تلك عشرة فان قلت فما فائدة الفذلكة قلت الواو قد تجي
للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا تري انه لو جالسهما جميعا او واحدا
منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وايضا ففائدة الفذلكة في كل حساب
ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتاكد العلم وفي امثال
العرب علمان خير من علم وكذلك كاملة تاكيد اخر وفيه زيادة توصية بصيامها
وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر
تامره به وكان منك بمنزلة الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي
وفي قراءة ابي فصيام ثلاثة ايام متتابعات ذلك اشارة الي التمتع عند ابي حنيفة
واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه
دم وهو دم جناية لا ياكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الافاق فدمهما دم

نسك يا كلا من منه وعند الشافعي اشارة الي الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام
ولم يوجب عليهم شيئا لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام وحاضروا المسجد الحرام
اهل المواقيت فمن دونها الي مكة عند ابي حنيفة وعند الشافعي اهل الحرم ومن كان من
الحرم علي مسافة تقصر فيها الصلوة واتقوا الله في المحافظة علي حدوده وما امركم
به وما نهاكم عنه في الحج وغيره واعلموا ان الله شديد العقاب لمن خالف ليكون
علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوي الحج اي وقت الحج اشهر معلومات كقولك
البرد شهران والاشهر المعلومات شوال وذي القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة
رحمه الله تعالي وعند الشافعي رحمه الله تعالي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك
ذو الحجة كله فان قلت ما فايدة توقيت الحج بهذه الاشهر قلت فايدته ان
شيا من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها
وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه فان قلت فكيف كان الشهران وبعض
الثالث اشهرا قلت اسم الجمع يشترك فيه ما ورا الواحد بدليل قوله تعالي فقد
صغت قلوبكما فلا سوال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسوال لو قيل ثلاثة اشهر
معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كما يقال رايتك سنة كذا او علي عهد فلان
ولعل العهد عشرون سنة او اكثر وانما راه في ساعة منها فان قلت ما وجه
مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير قلت قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة
فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر انه كان يخفق
الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن ابن عمر انه قال لرجل ان اطعتني
انتظرت حتي اذا اهللت المحرم خرجت الي ذات عرق واهللت منها بعمرة وقالوا لعل
من مذهب عروة جواز تاخير طواف الزيارة الي اخر الشهر معلومات معروفات عند
الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يات علي خلاف ما عرفوه وانما جا مقررا له
فمن فرض فيهن الحج فمن الزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة
وعند الشافعي بالنية فلا رفث فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام ولا فسوق
ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب ولا جدال في
الحج ولا مرا مع الرفقا والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب
في كل حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلوة والتطريب في قراة القران والمراد
بالنفي وجوب انتفايها وانها حقيقة بان لا تكون وقري المنفيات الثلاثة بالرفع
والنصب وقرا ابو عمرو وابن كثير الاولين والاخير بالنصب لانهما حملا الاولين علي
معني النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث علي معني الاخبار بانتفا
الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف ساير
العرب فتقف بالمشعر الحرام وساير العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة
ويوخرونه سنة وهو النسي فرد الي وقت واحد ورد الوقوف الي عرفة فاخبر الله
انه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل علي ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون
الجدال بقوله عليه السلام من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته امه وانه
لم يذكر الجدال وما تفعلوا من خير يعلمه الله حث علي الخير عقيب النهي عن الشر وان يستعملوا
مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوي ومكان الجدال الوفاق
والاخلاق الجميلة وجعل فعل الخير عبارة عن ضبط انفسهم حتي لا يوجد منهم ما نهوا عنه
وينصره قوله وتزودوا فان خير الزاد التقوي اي اجعلوا زادكم في الاخرة اتقاء
القبايح فان خير الزاد اتقاوها وقيل كان اهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون
ونحن نحج بيت الله افلا يطعمنا فيكونون كلا علي الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا
واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوي واتقون
وخافوا عقابي يا اولي الالباب يعني ان قضية اللب تقوي الله ومن لم يتقه
من الالباء فكانه لا لب له ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم عطاء
منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتاثمون ان يتجروا
ايام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشرا فلم يقم لهم سوق ويسمون من يخرج

بالتجارة

بالتجارة الداج ويقولون هولاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة و
ذو المجاز اسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكان معايشهم منها
فلما جا الاسلام تاثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وابيح لهم وانما يباح ما لم تشغل
عن العبادة وعن ابن عمر ان رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون
ان لا حج لنا فقال سال رجل رسول الله صلي الله عليه وسلم عما سالت فلم يرد عليه حتي
نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال انتم حجاج وعن عمر انه قيل له هل كنتم تكرهون
التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرا ابن عباس فضلا من
ربكم في مواسم الحج ان تبتغوا في ان تبتغوا فاذا افضتم من عرفات دفعتم بكثرة وهو
من افاضة الما وهو صبه بكثرة واصله افضتم انفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك
في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث ابي بكر رضي الله عنه صب في دقران وهو
نحر منش نعيره بمحجنه ويقال افاضوا في الحديث وهضبوا فيه وعرفات علم للموقف
سمي بجمع كاذرعات فان قلت هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف
والتانيث قلت لا يخلو التانيث اما ان يكون بالتا التي في لفظها واما بتا
مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتانيث وانما هي مع الالف التي قبلها
علامة جمع المونث ولا يصح تقدير التا فيها لان هذه التا لاختصاصها بجمع المونث
مانعة من تقديرها كما لا تقدر تا التانيث في بنت لان التا التي هي بدل من الواو لا
بالمونث كتا التانيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم
عليه السلام فلما ابصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به في المشاعر اراه اياها
فقال قد عرفت وقيل التقي فيها ادم وحوا فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها
والله اعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسما المرتجلة لان العرفة لا تعرف في اسما الاجناس الا ان
يكون جمع عارف وقيل فيه دليل علي وجوب الوقوف بعرفة لان الافاضة لا تكون الا بعده
وعن النبي صلي الله عليه وسلم الحج عرفة فمن ادرك عرفة فقد ادرك الحج فاذكروا الله بالتلبية
والتهليل والتكبير والثنا والدعوات وقيل بصلوة المغرب والعشا عند المشعر الحرام
المشعر الحرام قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام
ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الي وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر
من المشعر الحرام والصحيح انه الجبل لما روي جابر ان النبي عليه السلام لما صلي الفجر يعني
بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتي اتي المشعر الحرام فدعي وكبر وهلل ولم يزل واقفا
حتي اسفر وقوله عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل
كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر وجعلت اعقابا
المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة
ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس انه نظر الي الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس
هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان ادم اجتمع فيها ادم مع حوا
وازدلف اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلوتين ويجوز ان يقال وصفت
بفعل اهلها لانهم يزدلفون الي الله يتقربون بالوقوف فيها واذكروه كما هداكم ما
مصدرية او كافة والمعني اذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما
علمكم كيف تذكرونه ولا تعدلوا عنه وان كنتم من قبله من قبل الهدي لمن الضالين
الجاهلين لا يعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام
هي الفارقة ثم افيضوا ثم لتكن افاضتكم من حيث افاض الناس ولا تكن من المزدلفة
وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع علي الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم
في الموقف وقولهم نحن اهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وساير الناس
بعرفات فان قلت كيف موقع ثم قلت نحو موقعها في قولك احسن الي الناس ثم
لا تحسن الي غير كريم تاتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الي الكريم والاحسان الي غيره
وبعد ما بينهما وكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم افيضوا من
حيث افاض الناس لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطا
وقيل ثم افيضوا من حيث افاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الي منا بعد الافاضة

اختصاصها

من عرفات وقرئ من حيث افاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله لقد
عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه
واستغفروا الله من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم ان الله غفور رحيم
فاذا قضيتم مناسككم فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم فاذكروا الله
كذكركم آباءكم فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلوا في ذكر آبائكم ومفاخرهم
وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعدون فضائل
آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم او اشد ذكرا في موضع جر عطف على ما اضيف اليه الذكر
في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم او قوم اشد منهم ذكرا او في موضع نصب
على آبائكم بمعنى او اشد ذكرا من آبائكم على ان ذكر من فعل المذكور فمن الناس من يقول
معناه اكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اغراض الدنيا
ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من المكثرين ربنا آتنا في الدنيا اجعل ايتاءنا
اي اعطاءنا في الدنيا خاصة وما له في الآخرة من خلاق اي من طلب خلاق وهو
النصيب او ما لهذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا ومنهم من يقول
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار الحسنتان ما هو
طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من
الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب
النار المرأة السوء اولئك الداعون بالحسنتين لهم نصيب مما كسبوا اي نصيب من جنس
ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة او من اجل ما كسبوا من الاعمال
كقوله مما خطيئاتهم اغرقوا او لهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب
مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة
بالكسب بما كسبت ايديكم ويجوز ان يكون اولئك للفريقين جميعا وان لكل فريق نصيبا
من جنس ما كسبوا والله سريع الحساب يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا
اكثار الذكر وطلب الآخرة او وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة
اعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روي انه يحاسب الخلائق في قدر حلب
شاة وروي في مقدار فواق ناقة وروي في مقدار لمحة واذكروا الله في ايام معدودات
الايام المعدودات ايام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند
الجمار وعن عمر رضي الله عنه انه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر
الناس في الطريق وفي الطواف فمن تعجل فمن عجل النفر او استعجل النفر وتعجل واستعجل
يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل
الذهاب واستعجله والمطاوعة اوفق لقوله ومن تاخر كما هي كذلك في قوله ؞
؞ قد يدرك المتأني بعض حاجته ؞ وقد يكون من المستعجل الزلل ؞
لاجل المتأني في يومين بعد يوم النحر يوم القر وهو الذي تسميه اهل مكة يوم
الرؤوس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم فلا اثم عليه
وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند ابي حنيفة واصحابه ينفر قبل طلوع
الفجر ومن تاخر حتى رمى في اليوم الثالث فلا اثم عليه والرمي في اليوم الثالث
يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز فان قلت
كيف قال فلا اثم عليه عند التعجل والتاخر جميعا قلت دلالة على ان التعجل
والتاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا او تاخروا فان قلت أليس التاخر بافضل
قلت بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين
الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين
منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتاخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم
عنهما جميعا لمن اتقى اي ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج
المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثاما في الاقدام
لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله
ثم قال واتقوا الله ليعبأ بكم واعلموا انكم اليه تحشرون ويجوز ان يراد ذلك

الذي

الذي مر ذكره من احكام الحج وغيره لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك
خير للذين يريدون وجه الله ومن الناس من يعجبك قوله يروقك ويعظم في
قلبك ومنه الشيء العجيب الذي يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو
المنطق اذا لقي رسول الله الان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله اني
صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولي السنتهم وقلوبهم امر من الصبر فان
قلت بم يتعلق قوله في الحيوة الدنيا قلت بالقول اي يعجبك
ما يقوله في معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب منه حظا من حظوظ الدنيا
ولا يريد به الآخرة كما يراد بالايمان الحقيقي والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن في الدنيا
لا في الآخرة ويجوز ان يتعلق بيعجبك اي قوله حلو فصيح في الدنيا فهو يعجبك ولا
يعجبك في الآخرة لما يرهقه في الموقف من الحبسة واللكنة او لانه لا يؤذن له في الكلام فلا
يتكلم حتى يعجبك كلامه ويشهد الله على ما في قلبه اي يحلف ويقول الله شهيد على ما في
قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ ويشهد الله وفي مصحف ابي ويستشهد الله وهو الد
الخصام وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه وبين ثقيف خصومة
فبيتهم ليلا واهلك مواشيهم واحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد
بمعنى في قولهم ثبت الغدر او جعل الخصام الد على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم
كصعب وصعاب بمعنى وهو اشد الخصوم خصومة واذا تولى واذا تولى عنك وذهب
بعد الانة القول واحلاء المنطق سعى في الارض ليفسد فيها كما فعل بثقيف و
قيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الارض باهلاك
الحرث والنسل لقوله تعالى ويهلك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم
ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل على ان الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرئ
الحسن بفتح اللام وهو لغة نحو ابى يابى وروي عنه ويهلك على البناء للمفعول والله لا يحب
الفساد واذا قيل له اتق الله اخذته العزة بالاثم من قولك اخذته بكذا اي حملته
عليه والزمته اياه اي حملته العزة التي فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذي ينهى عنه
والزمته ارتكابه وان لا يخلي عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ فحسبه
جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشري نفسه يبيعها اي يبذلها في الجهاد
ابتغاء مرضات الله وقيل يامر بالمعروف وينهى عن المنكر حتى يقتل وقيل نزلت
في صهيب بن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال
لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلوني وما انا عليه
وخذوا مالي فقبلوا منه ماله واتى المدينة والله رءوف بالعباد حيث كلفهم الجهاد
فعرضهم لثواب الشهداء يا ايها الذين آمنوا ادخلوا في السلم السلم بكسر السين
وهو الاستسلام والطاعة اي استسلموا لله واطيعوه كافة لا يخرج احد منكم يده
عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين
لانهم آمنوا بالسنتهم ويجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال
؞ السلم تأخذ منها ما رضيت به ؞ والحرب تكفيك من انفاسها جرع ؞
على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا في الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة
او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلوا بشيء منها وعن عبد الله بن سلام انه
استاذن رسول الله ان يقيم على السبت وان يقرأ من التوراة في صلاته من الليل فنزلت وكافة
من الكف كانهم كفوا ان يخرج عنهم احد باجتماعهم ولا تتبعوا خطوات الشيطان
انه لكم عدو مبين فان زللتم عن الدخول في السلم من بعد ما جاءتكم البينات
اي الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق فاعلموا ان الله عزيز غالب
لا يعجزه الانتقام منكم حكيم لا ينتقم الا بحق وروي ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه
اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن فقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر
الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ ابو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ظللت
وضللت هل ينظرون الا ان ياتيهم الله اتيان الله اتيان امره وباسه كقوله او ياتي
امر ربك فجاءهم باسنا ويجوز ان يكون المأتي به محذوفا بمعنى ان ياتيهم الله بباسه

او بنقمته للدلالة عليه فجاءهم باسنا فان الله عزيز حكيم **في ظلل من الغمام والملائكة**
في ظلل جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال او جمع ظل
وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الملائكة وبالجر عطفا على ظلل
او على الغمام **فان قلت** لم ياتيهم العذاب في الغمام **قلت** لان الغمام مظنة
الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر افظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب
كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير
ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ذلك
اشتد على المتفكرين في كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون **وقضي
الامر** واتم امر اهلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرا معاذ بن جبل رضي الله عنه وقضاء
الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة **والى الله ترجع الامور** وقرئ ترجع
وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما **سل بني اسرائيل** امر
للرسول او لكل احد وهذا السؤال سؤال تقريع كما يسئل الكفرة يوم القيمة **كم اتيناهم
من اية بينة** على ايدي انبيائهم وهي معجزاتهم او من اية في الكتب شاهدة على صحة دين
الاسلام **ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب** نعمة
الله اياته وهي اجل نعمة لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها
ان الله اظهرها ليكون اسباب هداهم فجعلوها اسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا
الى رجسهم او حرفوا ايات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم **فان قلت**
كم استفهامية او خبرية **قلت** يحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها التقرير **فان
قلت** ما معنى من بعد ما جاءته **قلت** معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها
كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها او لم يعرفها فكانها
غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف **زين للذين كفروا الحيوة الدنيا** المزين هو
الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها
ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم وحببها بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها او جعل
امهال المزين تزيينا ويدل عليه قراءة من قرا زين للذين كفروا الحيوة الدنيا على البناء
للفاعل **ويسخرون من الذين امنوا** كان الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم
من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم اي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ
لهم فيها او ممن يطلب غيرها **والذين اتقوا فوقهم يوم القيمة** لانهم في عليين من السماء
وهم في سجين من الارض او حالهم عالية لحالهم لانهم في كرامة وهم في هوان او هم عالون
عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم في الدنيا ويرون الفضل
لهم عليهم فاليوم الذين امنوا من الكفار يضحكون **والله يرزق من يشاء بغير حساب**
بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون
وغيره وهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو
كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون احق بها منكم **فان قلت** لم قال من الذين امنوا
والذين اتقوا **قلت** ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين
على التقوى اذا سمعوا ذلك **كان الناس امة واحدة** متفقين على دين الاسلام
فبعث الله النبيين يريد فاختلفوا فبعث الله **مبشرين ومنذرين** وانما حذف
لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس
امة واحدة فاختلفوا فبعث النبيين والدليل عليه قوله عز وجل وما كان الناس الا امة
واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس امة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا
عليهم والاول اوجه **فان قلت** متى كان الناس امة واحدة متفقين على
الحق **قلت** عن ابن عباس انه كان بين ادم وبين نوح عشرة قرون على
شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة **وانزل معهم
الكتاب بالحق** يريد الجنس او مع كل واحد منهم كتابه **ليحكم** الله او الكتاب او النبي
المنزل عليه **بين الناس فيما اختلفوا فيه** فيما اختلفوا في الحق ودين الاسلام الذي
اختلفوا فيه بعد الاتفاق **وما اختلف فيه** في الحق **الا الذين اوتوه** الا الذين اوتوا

الكتاب

الكتاب المنزل لازالة الاختلاف **من بعد ما جاءتهم البينات** ازدادوا في الاختلاف
لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا في شدة الاختلاف واستحكامه
بغيا بينهم حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم **فهدى الله
الذين امنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم**
من الحق بيان لما اختلفوا فيه اي فهدى الله الذين امنوا للحق الذي اختلف فيه من
اختلف **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة** ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التقرير وانكار
الحسبان واستبعاده لما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء
البينات تشجيعا لرسول الله والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه
من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لاياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات
التي هي ابلغ ام حسبتم **ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم** ولما فيها معنى التوقع وهي
النفي نظيرة قد في الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر مثل الذين خلوا حالهم
التي هي مثل في الشدة **مستهم** بيان للمثل وهو استيناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل
فقال مستهم **الباساء والضراء وزلزلوا** وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة
بما اصابهم من الاهوال والافزاع **حتى يقول الرسول والذين معه** الى الغاية التي
قال الرسول ومن معه فيها **متى نصر الله** اي بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا
ذلك ومعناه طلب النصر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفي هذه الغاية دليل على
تناهي الامر في الشدة وتماديه في العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم
وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية في الشدة التي
لا مطمح وراءها **الا ان نصر الله قريب** على ارادة القول يعني فقيل لهم ذلك اجابة
لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال
لان ان علم له وبالرفع على انه في معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر
بطنه الا انها حال ماضية محكية **يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين
والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم**
فان قلت كيف طابق الجواب السؤال في قوله قل ما انفقتم وهم قد سالوا
عما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على بيان ما ينفقون فاجيبوا ببيان المصرف **قلت**
قد تضمن قوله ما انفقتم من خير بيان ما ينفقونه وهو كل خير وبني الكلام على ما هو اهم
وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها
ان الصنيعة لا تكون صنيعة • حتى يصاب بها طريق المصنع
وعن ابن عباس انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم وقال ماذا
ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكوة وعن
الحسن هي في التطوع **كتب عليكم القتال وهو كره لكم** من الكراهة بدليل قوله **وعسى
ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم** ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع
الوصف مبالغة كقولها فانما هي اقبال وادبار كانه في نفسه كراهة لفرط كراهتهم
له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز اي وهو مكروه لكم وقرئ
السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون
بمعنى الاكراه على طريق المجاز كانهم اكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته
عليهم ومنه قوله تعالى حملته امه كرها ووضعته كرها وعلى قوله وعسى ان تكرهوا
شيئا جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه **وعسى ان
تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم** ما يصلحكم وما هو خير لكم **وانتم لا تعلمون**
ذلك **يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل قتال فيه كبير** بعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية في جمادى الاخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد
عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا
العير وفيها من تجارة الطايف وكان ذلك اول يوم من رجب وهم يظنونه من
جمادى الاخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يامن فيه الخائف
ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فحبس رسول الله العير وعظم ذلك على اصحاب السرية

وقالوا لا نبرح حتى تنزل توبتنا ورد رسول الله العير والاسارى وعن ابن عباس لما
نزلت اخذ رسول الله الغنيمة والمعنى يسالك الكفار والمسلمون عن القتال في الشهر
الحرام • وقتال فيه بدل اشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل
كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرا عكرمة قتل فيه قل قتال كبير اي اثم كبير •
وعن عطا انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم
ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة
بقوله اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم **وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام**
واخراج اهله منه اكبر عند الله وصد عن سبيل الله مبتدا واكبر خبره يعني وكبائر
قريش من صدهم عن سبيل الله والمسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج اهل المسجد الحرام
وهم رسول الله والمومنون اكبر عند الله مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام
على سبيل الخطا والبنا على الظن **والفتنة اكبر من القتل** والفتنة الاخراج او الشرك
والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به اذ يشترط اعادة
الخافض **ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم ان استطاعوا** اخبار عن دوام
عداوة الكفار للمسلمين وانهم لا ينفكون عنها حتى يردوهم عن دينهم وحتى معناها
التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم وان استطاعوا
استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بانه
لا يظفر به **ومن يرتدد منكم عن دينه** ومن يرجع منكم الى دينهم ويطاوعهم على رده
اليه **فيمت** على الردة **وهو كافر فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة** لما
يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت
عليها من ثواب الاخرة **واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون** وبها احتج الشافعي
رضي الله عنه على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة رضي الله
عنه انها تحبطها وان رجع مسلما **ان الذين امنوا والذين هاجروا في سبيل الله اولئك**
يرجون رحمة الله والله غفور رحيم روي ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا
الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم اجر فنزلت اولئك يرجون رحمة
الله عن قتادة هولاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله اهل رجاء كما تسمعون وانه
من رجا طلب ومن خاف هرب **يسئلونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس**
نزلت في الخمر اربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه
سكرا وكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة
قالوا يا رسول الله افتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت فيهما
اثم كبير ومنافع للناس فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا
منهم فشربوا وسكروا فام بعضهم فقرا قل يا ايها الكافرون اعبد ما تعبدون
فنزلت لا تقربوا الصلوة وانتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك
قوما فيهم سعد بن ابي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى انشد سعد
شعرا فيه هجاء الانصار فضربه انصاري بلحي بعير فشجه موضحة فشكى الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر
والميسر الى قوله فهل انتم منتهون فقال عمر انتهينا يا رب وعن علي رضي الله عنه
لو وقعت قطرة في بير فبنيت مكانها منارة لم اذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف
ونبت فيه الكلا لم ارعه وعن ابن عمر لو ادخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان
حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد
من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع التمر والزبيب الذي لم يطبخ فان طبخ
حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه
دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند ابي حنيفة وعن بعض اصحابه
لان اقول مرارا هو حلال احب الي من ان اقول مرة هو حرام ولان اخر من السما فانقطع
قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذا
كل ما اسكر من كل شراب وسميت خمرا لتخميرها العقل والتمييز كما سميت سكرا

لانها تسكرها اي تحجزها وكانها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة
والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه
من اليسر لانه اخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه
سلب يساره وعن ابن عباس كان الرجل في الجاهلية يخاطر على اهله وماله قال ⁂
⁂ اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني ⁂ • ⁂ اي يفعلون بي ما يفعل
الياسرون بالميسور **فان قلت** كيف صفة الميسر **قلت** كانت لهم عشرة
اقدح وهي الازلام والاقلام والفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل
والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها
ويجزؤونها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا لثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد
ولبعضهم ⁂ لي في الدنيا سهام ليس فيهن ربيح ⁂ واساميهن وغد وسفيح ومنيح •
للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل
ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل
ثم يجلجلها فيدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات
الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم
ياخذ شيا وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا
ياكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم
الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين الكعبتين
الموسومتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن
سيرين كل شي فيه خطر فهو من الميسر • والمعنى يسئلونك عما في تعاطيهما بدليل قوله فيهما
اثم كبير واثمهما وعقاب الاثم في تعاطيهما **اكبر من نفعهما** وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار
والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشرتهم والنيل من مطاعمهم و
مشاربهم واعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء
وفي قراءة ابي واثمهما اقرب ومعنى الكثرة ان اصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الاثام
من وجوه كثيرة **ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم**
تتفكرون العفو نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال
⁂ خذي العفو مني تستديمي مودتي ⁂ • ⁂ ويقال للارض السهلة العفو
قرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا اتاه ببيضة من ذهب اصابها
في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتاه
من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم اتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها
مغضبا فاخذها فحذفه بها حذفا لو اصابه لشجه او عقره ثم قال يجي احدكم بماله كله
يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما الصدقة عن ظهر غنى **في الدنيا والاخرة** اما
ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون
بما هو اصلح لكم كما بينت لكم ان العفو اصلح من الجهد في النفقة او تتفكرون في الدارين
وتوثرون ابقاهما واكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما اكبر من نفعهما
لتتفكروا في عقاب الاثم في الاخرة والنفع في الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على
النجاة من العقاب الاليم العظيم واما ان يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الايات في
امر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون **ويسئلونك عن اليتامى** لما نزلت ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام باموالهم
والاهتمام بمصالحهم فشق عليهم ذلك وكاد يوقعهم في الحرج فقيل **قل اصلاح لهم**
خير اي مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم **وان تخالطوهم** وتعاشروهم
ولم تجانبوهم **فاخوانكم** فهم اخوانكم في الدين ومن حق الاخ ان يخالط اخاه وقد حملت
المخالطة على المصاهرة **والله يعلم المفسد من المصلح** اي لا يخفى على الله من داخلهم
بافساد او اصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح **ولو**
شاء الله لاعنتكم لحملكم على العنت وهو المشقة واحرجكم فلا يطلق لكم مداخلتهم وقرا
طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح اليهم وقرئ لاعنتكم بطرح الهمزة والقاء

حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه ان الله عزيز غالب يقدر على ان يعنت عباده
ويحرجهم ولكنه حكيم لا يكلف الا ما تتسع فيه طاقتهم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
وقرئ بضم التاء اي لا تتزوجوهن ولا تزوجوهن والمشركات الحربيات والآية ثابتة
وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعاً لان اهل الكتاب من اهل الشرك لقوله تعالى
وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله سبحانه وتعالى عما
يشركون وهي منسوخة بقوله والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة
كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابي مرثد الغنوي الى مكة ليخرج منها ناساً من المسلمين وكان
يهوى امراة في الجاهلية اسمها عناق فاتته فقالت الا نخلو قال ويحك ان الاسلام
قد حال بيننا فقالت فهل لك ان تتزوج بي قال نعم ولكن ارجع الى رسول الله فاستامره
فنزلت ولامة مؤمنة ولامراة مؤمنة حرة كانت او مملوكة خير من مشركة وكذلك
ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله وإماؤه ولو اعجبتكم ولو كان الحال ان المشركة
تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو
اعجبكم اولئك يدعون الى النار اشارة الى المشركات والمشركين اي يدعون الى الكفر
فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال
والله يدعوا الى الجنة يعني واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة والمغفرة
وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وان يؤثروا على غيرهم باذنه
بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذي تستحق به المغفرة والجنة وقرا الحسن والمغفرة باذنه
بالرفع اي والمغفرة حاصلة بتيسيره ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون و
يسئلونك عن المحيض المحيض مصدر يقال حاضت محيضاً كقولك جاء مجيئاً وبات مبيتاً
قل هو اذى اي الحيض شيء يستقذر ويؤذي من يقربه نفرة منه وكراهة له فاعتزلوا
النساء فاجتنبوهن في المحيض يعني فاجتنبوا مجامعتهن روي ان اهل الجاهلية كانوا
اذا حاضت المراة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها
في بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت اخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن
من بيوتهن فقال ناس من الاعراب يا رسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن
بالثياب هلك سائر اهل البيت وان استاثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه السلام انما
امرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يامركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم
وقيل ان النصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلوهن
في كل شيء فامر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف في الاعتزال فابو حنيفة
وابو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال
الفرج وروى محمد حديث عائشة ان عبد الله بن عمر سالها هل يباشر الرجل امراته
وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن
اسلم ان رجلا سال النبي صلى الله عليه وسلم ما يحل لي من امراتي وهي حائض قال تشد
عليها ازارها ثم شانك باعلاها ثم قال محمد وهذا قول ابي حنيفة رحمهما الله وقد
جاء ما هو ارخص من هذا عن عائشة انها قالت يجتنب شعار الدم وله ما سوى ذلك
ولا تقربوهن حتى يطهرن وقرئ يطهرن بالتشديد اي يتطهرن بدليل قوله فاذا
تطهرن وقرا عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع
دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها
في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل
او يمضي عليها وقت صلوة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتتطهر فيجمع
بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن فاتوهن من حيث امركم
الله من المأتى الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل ان الله يحب التوابين مما عسى
يندر منهم من ارتكاب ما نهوا عنه من ذلك ويحب المتطهرين المتنزهين عن الفواحش
وان الله يحب التوابين الذين يطهرون انفسهم بطهر التوبة من كل ذنب ويحب
المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيانهن في غير

بمباح

بمباح وغير ذلك نساؤكم حرث لكم مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبههن بالمحارث تشبيها
لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله فاتوا حرثكم انى شئتم
تمثيل اي فاتوهن كما تاتون اراضيكم التي تريدون ان تحرثوها اي من جهة شئتم لا يحظر
عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن في اي شق اردتم بعد ان يكون المأتي واحداً
وهو موضع الحرث وقوله هو اذى كثيراً فاعتزلوا النساء من حيث امركم الله فاتوا حرثكم
انى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه وامثالها في كلام
الله آداب حسنة على المؤمنين ان يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم
ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امراته وهي مجبية من دبرها في قبلها
كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كذبت اليهود ونزلت
وقدموا لانفسكم ما يجب تقديمه من الاعمال الصالحة وما هو خلاف ما نهيتكم عنه وقيل
هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء واتقوا الله ولا تجترئوا على المناهي واعلموا
انكم ملاقوه فتزودوا ما لا تفتضحون به وبشر المؤمنين المستوجبين للمدح و
التعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات فان قلت ما موقع قوله نساؤكم حرث
لكم مما قبله قلت موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فاتوهن من حيث امركم الله
يعني ان المأتي الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيراً وازالة للشبهة
ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تاتوهن
الا من المأتي الذي يتعلق به هذا الغرض فان قلت ما بال يسئلونك جاء بغير واو
ثلث مرات ثم مع الواو ثلاثاً قلت كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع
في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ
وسالوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كانه قيل يجمعون
لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا ولا تجعلوا الله
عرضة لايمانكم العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهو اسم ما تعرضه
دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزاً ومانعاً منه تقول
فلان عرضة دون الخير والعرضة ايضاً المعرض للامر قال • فلا تجعلوني عرضة للوائم •
ومعنى الآية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم او اصلاح
ذات بين او احسان الى احد او عبادة ثم يقول اخاف الله ان احنث في يميني فيترك
البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم اي حاجزاً لما حلفتم
عليه وسمي المحلوف عليه يميناً لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن
بن سمرة اذا حلفت على يمين فرايت غيرها خيراً منها فات الذي هو خير وكفر عن يمينك
اي على شيء مما يحلف عليه وقوله ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله
سميع عليم عطف بيان لايمانكم اي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى
والاصلاح بين الناس فان قلت بم تعلقت اللام في لايمانكم قلت بالفعل
اي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخاً وحاجزاً ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى
الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئاً يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام •
للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل او بالعرضة اي ولا تجعلوا الله لاجل ايمانكم به •
عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله معرضاً لايمانكم فتبتذلوه •
بكثرة الحلف به ولذلك ذم من انزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل
الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي اي ارادة ان تبروا وتتقوا وتصلحوا لان
الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون براً متقياً ولا يثق به الناس فلا
يدخلونه في وساطتهم واصلاح ذات بينهم لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم
اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من
اولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي
لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان ولكن يؤاخذكم بما
كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند ابي حنيفة واصحابه هو ان يحلف على الشيء
يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله

مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم
تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان احدهما
لا يؤاخذكم اي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه احدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما
كسبت قلوبكم اي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم
انه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم اي لا يلزمكم الكفارة بلغو
اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم اي بما نوت قلوبكم و
قصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده والله غفور حليم حيث لم يؤاخذكم
باللغو في ايمانكم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر قرا عبد الله آلوا من نسائهم
وقرا ابن عباس يقسمون من نسائهم فان قلت كيف عدي بمن وهو معدي بعلى
قلت قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكانه قيل يبعدون من نسائهم
مولين ومقسمين ويجوز ان يراد لهم من نسائهم تربص اربعة اشهر كقولك لي منك
كذا والايلاء من المراة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر
او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكى عن ابراهيم
النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطي ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء
وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت
بتطليقة عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعن الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من اربعة
اشهر يوقف المولي فاما ان يفي واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله
فان فاؤوا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤوا فيهن فان الله غفور رحيم
يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان
كان يجوز ان يكون على رضى منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل ولبعض الاسباب
لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة وان عزموا الطلاق فتربصوا الى مضي المدة فان
الله سميع عليم وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي معناه فان
فاؤوا وان عزموا بعد مضي المدة فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة
قبل انتهاء مدة التربص قلت موقع صحيح لان قوله فان فاؤوا وان عزموا تفصيل
لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر
فان احمدتكم اقمت عندكم الى اخره والا لم اقم الا ريثما اتحول فان قلت ما تقول في قوله
فان الله سميع عليم وعزمهم الطلاق مما لا يعلم ولا يسمع قلت الغالب ان العازم
للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له ان يحدث نفسه
ويناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان والمطلقات
يتربصن بانفسهن ثلاثة قروء اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء فان قلت
كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم قلت بل اللفظ مطلق في
تناول الجنس صالح لكله وبعضه فجاء في احد ما يصلح له كالاسم المشترك فان قلت
فما معنى الاخبار عنهن بالتربص قلت هو خبر في معنى الامر واصل الكلام و
ليتربص المطلقات واخراج الامر في صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان
يتلقى بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا
ونحوه قولهم في الدعاء رحمك الله اخرج في صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما
وجدت الرحمة فهو يخبر عنها وبناؤه على المبتدا مما زاده ايضا فضل تاكيد ولو قيل
ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة فان قلت هلا قيل يتربصن ثلاثة
قروء كما قيل تربص اربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس قلت في ذكر الانفس
تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن
وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن ويغلبنها على
الطموح ويجبرنها على التربص والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله
عليه السلام دعي الصلوة ايام اقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها
حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان
ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان

الغرض

الغرض الاصيل في العدة استبراء الرحم والحيض هو الذي تستبرا به الارحام دون
الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيض ويقال اقرات المراة اذا حاضت وامراة
مقرئ قال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقريها اي تمسكها عندها
حتى تحيض للاستبراء فان قلت فما تقول في قوله فطلقوهن لعدتهن والطلاق
الشرعي انما هو في الطهر قلت معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته
لثلاث بقين من الشهر يريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث فان
قلت فما تقول في قول الاعشى : لما ضاع فيها من قروء نسائكا :
قلت اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم في الاعتداد
بهن اي من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله
كل عام لاقتحامه في الحروب والغارات وانه يمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة
لا يضاجعهن فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقاري جاء في معنى
الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا فان قلت فعلام انتصب ثلاثة قروء قلت
على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اي يتربصن مضي ثلاثة قروء او على انه
ظرف اي يتربصن مدة ثلاثة قروء فان قلت لم جاء المميز على جمع الكثرة دون
القلة التي هي الاقراء قلت يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان
الاخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل
القروء كانت اكثر استعمالا في جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا للقليل الاستعمال
منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرا الزهري ثلاثة قرو بغير همز
ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله في ارحامهن من الولد او من دم الحيض وذلك اذا
ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق
على الولد فيترك تسريحها او كتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا
للطلاق ويجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما في بطونهن من الاجنة فلا يعترفن
به ويجحدنه لذلك فجعل كتمان ما في ارحامهن كناية عن اسقاطه ان كن يؤمن
بالله واليوم الاخر تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله وبعقابه لا يجترئ على مثله
من العظائم وبعولتهن البعول جمع بعل والتاء لاحقة لتانيث الجمع كما في الحزونة
والسهولة ويجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعني واهل
بعولتهن احق بردهن برجعتهن وفي قراءة ابي بردتهن في ذلك في مدة ذلك التربص
فان قلت كيف جعلوا احق بالرجعة كان للنساء حقا فيها قلت المعنى ان
الرجل ان اراد الرجعة وابتها المراة وجب ايثار قوله على قولها فكان هو احق منها
لا ان لها حقا في الرجعة ان ارادوا بالرجعة اصلاحا لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن
ولم يريدوا مضارتهن ولهن مثل الذي عليهن ويجب لهن من الحق على الرجال من مثل
الذي يجب لهم عليهن بالمعروف بالوجه الذي لا ينكر في الشرع وعادات الناس فلا
يكلفنهم ما ليس لهن ولا يكلفونهن ما ليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه
والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب الواجب في كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب
عليه اذا غسلت المراة ثيابه او خبزت له ان يفعل مثل ذلك ولكن يقابله بما
يليق بالرجال وللرجال عليهن درجة زيادة في الحق وفضيلة قيل بمعنى التطليق
كالسلام بمعنى التسليم اي التطليق مرتان اي التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة
على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير
كقوله تعالى ثم ارجع البصر كرتين اي كرة بعد كرة لا كرتين ونحو ذلك من التثاني
التي يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك وقوله
فامساك بمعروف او تسريح باحسان تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان
يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذي
علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعي مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف
اي برجعة او تسريح باحسان اي بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بان لا يراجعها
مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة في

الطهر الثالث وروي ان سايلا سال رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال
عليه السلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة واصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث
بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة في طهر لم يجامعها فيه لما روي في حديث
ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا
فتطلقها لكل قرء تطليقة واحدة وعند الشافعي لا باس بارسال الثلاث لحديث
العجلاني الذي لاعن امراته فطلقها ثلاثا بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم
ينكر عليه وروي ان جميلة بنت عبد الله بن ابي كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس
وكانت تبغضه وهو يحبها فاتت رسول الله فقالت يا رسول الله لا انا ولا ثابت
لا يجمع راسي وراسه شي والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر بعد
الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخبا فرايته اقبل في عدة فاذا هو اشدهم
سوادا واقصرهم قامة واقبحهم وجها فنزلت **ولا يحل لكم ان تاخذوا** وكان في
اصداقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان **فان قلت** لمن الخطاب
في قوله ولا يحل لكم ان تاخذوا ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم الا يقيما
حدود الله وان قلته للايمة والحكام فهولا ليسوا باخذين منهن ولا بموتيهن
قلت يجوز الامران جميعا ان يكون الخطاب للازواج واخره للايمة والحكام
ونحو ذلك غير عزيز في القران وغيره وان يكون الخطاب كله للايمة والحكام لانهم الذين
يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الاخذون والموتون **مما اتيتموهن
شيئا** مما اعطيتموهن من الصدقات **الا ان يخافا الا يقيما حدود الله** الا ان يخاف
الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمهما من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز
المراة وسوء خلقها **فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما** فلا جناح
علي الرجل فيما اخذ ولا عليها فيما اعطت **فيما افتدت به** فيما فدت به نفسها و
اختلعت به من بذل ما اوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جايز
في الحكم وروي ان امراة نشزت على زوجها فرفعت الي عمر رضي الله عنه فاباتها
في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت ما بت منذ كنت
عنده اقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة ولو بمالها كله هذا
اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيا وقري الا ان يخافا على البنا
للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه
اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا وتعضده قراة الله الا ان تخافوا
وفي قراة ابي الا ان يظنا ويجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون
الخوف كذا وافرق ان يكون كذا ويريدون اظن **تلك حدود الله فلا تعتدوها
ومن يتعد حدود الله فاوليك هم الظالمون فان طلقها** الطلاق المذكور الموصوف
بالتكرار في قوله الطلاق مرتان واستوفي نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين
فلا تحل له من بعد من بعد ذلك التطليق **حتى تنكح زوجا غيره** حتى تتزوج غيره
والنكاح يسند الي المراة كما يسند الي الرجل كالتزوج ويقال فلانة ناكح في بني فلان
وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي
عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روي عروة عن عايشة رضي الله عنها ان امراة
رفاعة جاءت الي النبي فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن
بن الزبير تزوجني وان ما معه مثل هدبة الثوب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
اتريدين ان ترجعي الي رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروي
انها لبثت ما شاء الله ثم رجعت فقالت انه قد كان مسني فقال لها كذبت في
قولك الاول فلن اصدقك في الاخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاتت ابا بكر رضي الله عنه فقالت ارجع الي زوجي الاول فقال قد عهدت رسول
الله حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر قالت مثله لعمر فقال ان
اتيتني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها **فان قلت** فما تقول في النكاح
المعقود بشرط التحليل **قلت** ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك

وغيرهم



وغيرهم الي انه غير جايز وهو جايز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان اضمرا
التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل
له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتي بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه
لا الا نكاح رغبة غير مدالسة **فان طلقها** الزوج الثاني **فلا جناح عليهما ان
يتراجعا** ان يرجع كل واحد منهما الي صاحبه بالزواج **ان ظنا ان يقيما حدود الله
وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** ان ظنا ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق
الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله ومن
فسر الظن هنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم
زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا **واذا طلقتم
النسا فبلغن اجلهن** اي اخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها
وعلى اخرها يقال لعمر الانسان اجل وللموت الذي ينتهي به اجل وكذلك الغاية والامد
يقول النحويون من لابتدا الغاية والي لانتها الغاية وقال ⁂ اذا انتهي امده ⁂
ويتسع في البلوغ ايضا يقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه ويقال قد وصل ولم يصل
وانما شارف ولانه قد علم ان الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد
تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها **فامسكوهن بمعروف**
فاما ان يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة **او سرحوهن بمعروف** واما ان يخليها
حتى تنقضي عدتها وتبين منه من غير ضرار **ولا تمسكوهن ضرارا** كان الرجل يطلق المراة
ويتركها حتى يقرب انقضا عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن لتطول العدة عليها
فهو الامساك ضرارا **لتعتدوا** لتظلموهن وقيل لتلجيوهن الي الافتدا **ومن يفعل
ذلك فقد ظلم نفسه** بتعريضها لعقاب الله **ولا تتخذوا ايات الله هزوا** اي
جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا
ولعبا ويقال لمن لم يجد في الامر انما انت لاعب وهازي ويقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة
وقيل كان الرجل يطلق ويعتق ويتزوج ويقول كنت لاعبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة **واذكروا نعمة الله عليكم**
بالاسلام وبنبوة محمد عليه السلام **وما انزل عليكم من الكتاب والحكمة** من القران والسنة
وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها **يعظكم به** بما انزل عليكم **واتقوا الله واعلموا
ان الله بكل شي عليم واذا طلقتم النسا فبلغن اجلهن فلا تعضلوهن** اما ان يخاطب
به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضا العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية
لا يتركونهن يتزوجن من شاوا من الازواج **ان ينكحن ازواجهن** والمعني ان ينكحن
ازواجهن الذين يرغبن فيهم ويصلحون لهن واما ان يخاطب به الاوليا في عضلهن
ان يرجعن الي ازواجهن روي انها نزلت في معقل بن يسار حين عضل اخته ان ترجع الي
الزوج الاول وقيل في جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه ان يكون
خطابا للناس اي لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا
في حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها
فلم يخرج وانشد لابن هرمة ⁂

⁂ وان قصايدي لك فاصطنعني ⁂ عقايل قد عضلن عن النكاح ⁂

وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشعبي رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين
اذا تراضوا الخطاب والنسا **بينهم بالمعروف** بما يحسن في الدين والمروة من الشرايط
وقيل بمهر المثل ومن مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه انها ان زوجت نفسها باقل من
مهر مثلها فللاوليا ان يعترضوا **ذلك يوعظ به من كان منكم يومن بالله واليوم
الاخر فان قلت** لمن الخطاب في قوله ذلك يوعظ به **قلت**
يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل واحد ونحوه خيركم واطهر **ذلكم
ازكي لكم واطهر** من ادناس الاثام وقيل ازكي واطهر افضل واطيب **والله يعلم**
ما في ذلك من الزكا والطهر **وانتم لا تعلمون** والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام
والشرايع وانتم تجهلون **والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين**

يرضعن مثل يتربصن في انه خبر في معني الامر المؤكد كاملين توكيد كقوله
تلك عشرة كاملة لانها مما يتسامح فيه فتقول اقمت عند فلان حولين ولم
تستكملهما لمن اراد ان يتم الرضاعة وقرا ابن عباس ان تكمل الرضاعة وقري
الرضاعة بكسر الرا والرضعة • وان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان
بما لتاخيهما في التاويل فان قلت كيف اتصل قوله لمن اراد بما قبله قلت
هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالي هيت لك لك بيان للمهيت به اي هذا الحكم
لمن اراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم انزل الله اليسر والتخفيف
وقال لمن اراد ان يتم الرضاعة اراد انه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت
لا ينقص منه بعد ان لا يكون في الغطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما
تقول ارضعت فلانة لفلان ولده اي يرضعن حولين لمن اراد ان يتم الرضاعة
من الاباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا
تطوعت الام بارضاعه وهي مندوبة الي ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استيجار الام
عند ابي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة او معتدة من نكاح وعند الشافعي يجوز
فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق فان قلت فما بال الوالدات مامورات
بان يرضعن اولادهن قلت اما ان يكون امرا علي وجه الندب واما علي وجه
الوجوب اذا لم يقبل الصبي الا ثدي امه او لم يوجد له ظئر او كان الاب عاجزا
عن الاستيجار وقيل اراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل
الرضاع وعلي المولود له وعلي الذي يولد له وهو الوالد وله في محل الرفع علي الفاعلية
نحو عليهم في المغضوب عليهم فان قلت لم قيل المولود له دون الوالد
قلت ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للاباء ولذلك ينسبون اليهم
لا الي الامهات وانشد للمامون ابن الرشيد
فانما امهات الناس اوعية • مستودعات وللابناء اباء
ورزقهن وكسوتهن فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا ارضعن ولدهم كالاظار
الا تري انه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعني وهو قوله واخشوا يوما لا يجزي
والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها
لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده بالمعروف تفسيره ما يعقبه وهو ان
لا يتكلف واحد منهما ما ليس في وسعه ولا يتضار وقري لا تكلف بفتح التا ولا
نكلف بالنون وقري لا تضار برفع التا والرا علي الاخبار وهو يحتمل البنا للفاعل
والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الرا وتضارر بفتحها وقرا لا تضار بالفتح
اكثر القرا وقرا الحسن بالكسر علي النهي وهو يحتمل البنائين ايضا ويبين ذلك انه قري لا تضارر
ولا تضارر بالجزم وفتح الرا الاولي وكسرها وقرا ابو جعفر لا تضار بالسكون مع
التشديد علي نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره
يضيره ونوي الوقف كما نواه ابو جعفر واختلس الضمة فظنه الراوي سكونا وعن كاتب
عمر بن الخطاب لا تضرر والمعني لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان
تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط
في شان الولد وان تقول بعد ما الفها الصبي اطلب له ظئرا وما اشبه ذلك ولا
يضار مولود له امراته بسبب ولده بان يمنعها شيئا مما وجب عليه من رزقها وكسوتها
ولا ياخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها علي الارضاع وكذلك اذا كان
مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار
بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعني تضر وان يكون البا
من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسي غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي
له ولا تدفعه الي الاب بعد ما الفها ولا يضر الوالد به بان ينتزعه من يدها او يقصر
في حقها فتقصر هي في حق الولد فان قلت كيف قيل بولدها وبولده قلت
لما نهيت المراة عن المضارة اضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس باجنبي
منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذا الوالد وعلي الوارث مثل ذلك عطف علي قوله

وعلي

فتعديه

وعلي المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف
والمعطوف عليه وكان المعني علي وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة
اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها ويكسوها بالشريطة التي
ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه و
اختلفوا فعند ابن ابي ليلي كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي
لا نفقة فيما عدا الولادة وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم •
وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت
عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال اجبرت الام علي رضاعه
وقيل علي الوارث علي الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا فان ارادا
فصالا صادرا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما في ذلك زادا علي الحولين
او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما
اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق
بالتربية وهي اعلم بحال الصبي وقري فان اراد وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم
استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المراة الصبي واسترضعتها الصبي الي مفعولين
كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعني ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف
احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك
حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول فلا جناح عليكم اذا سلمتم الي المراضع
ما اتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير ما اتيتم ما اردتم
ايتاءه كقوله تعالي اذا قمتم الي الصلوة وقري ما اتيتم من اتي اليه احسانا اذا فعله
ومنه قوله تعالي انه كان وعده ماتيا اي مفعولا وروي شيبان عن عاصم ما اوتيتم
اي ما اتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه
وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الي الاولي ويجوز ان يكون بعثا
علي ان يكون الشي الذي تعطاه المرضع من اهنا ما يكون لتكون طيبة النفس راضية
فيعود اصلاحا لشان الصبي واحتياطا في امره فامر بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قال
اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن • بالمعروف متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا
عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع
بما امكن حتي يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن والذين يتوفون منكم ويذرون
ازواجا علي تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل
معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقري يتوفون بفتح اليا اي يستوفون
اجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكي ان ابا الاسود الدولي كان يمشي خلف
جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفا فقال الله وكان احد الاسباب الباعثة
لعلي رضي الله عنه علي ان امره بان يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة
ايام وقيل عشرا ذهابا الي الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون
التذكير فيه ذاهبين الي الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن
البين فيه قوله تعالي ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما فاذا بلغن اجلهن
فاذا انقضت عدتهن فلا جناح عليكم ايها الائمة وجماعة المسلمين فيما فعلن
في انفسهن من التعرض للخطاب بالمعروف بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعني
انهن لو فعلن ما هو منكر كان علي الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح
والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء هو ان
يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسي الله ان ييسر لي
امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتي تحبس نفسها عليه
ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك
روي ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل علي ابو جعفر محمد بن
علي وانا في عدتي فقال علمت قرابتي من رسول الله صلي الله عليه وسلم وحق جدي

وحوجدي علي رضي الله عنه وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك اتخطبني
في عدتي وانت يوخذ عنك فقال او قد فعلت انما اخبرتك بقرابتي من رسول الله
صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله على ام سلمة وكانت عند ابن عمها
ابي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى اثر
الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة **فان قلت**
اي فرق بين الكناية والتعريض **قلت** الكناية ان يذكر الشي بغير لفظه الموضوع
والتعريض ان تذكر شيئا تدل به على شي لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه
جئتك لاسلم عليك ولانظر الى وجهك ولذلك قالوا ۞ وحسبك بالتسليم مني تقاضيا ۞
وكانه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما تريد
او اكننتم في انفسكم او سترتم واضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بالسنتكم لا معرضين
ولا مصرحين **علم الله انكم ستذكرونهن** لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن
ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم **فان**
قلت اين المستدرك بقوله **ولكن لا تواعدوهن سرا** **قلت** هو محذوف
لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا
تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى
ولا تقربن جارة ان سرها ۞ عليك حرام فانكحن او تأبدا ۞
ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح **الا ان**
تقولوا قولا معروفا وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا **فان قلت** بم يتعلق حرف
الاستثنا **قلت** بلا تواعدوهن اي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة
غير منكرة او لا تواعدوهن الا بان تقولوا اي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان
يكون استثنا منقطعا من سرا لادائه الى قوله لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه
لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت
اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا
تواعدوهن سرا اي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عما يستهجن لان مسارتهن
في الغالب مما يستحيى من المجاهرة به وعن ابن عباس الا ان تقولوا قولا معروفا وهو ان
تتواثقا على ان لا تتزوج غيره **ولا تعزموا عقدة النكاح** من عزم الامر وعزم عليه
وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقدة النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه
فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقدة النكاح وقيل معناه
ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم
يعزم الصيام من الليل وروي لم يبيت الصيام **حتى يبلغ الكتاب اجله** يعني ما كتب
وفرض من العدة **واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم** من العزم على ما لا يجوز **فاحذروه**
ولا تعزموا عليه **واعلموا ان الله غفور حليم** لا يعاجلكم بالعقوبة **لا جناح**
عليكم لا تبعة عليكم من ايجاب مهر **ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن** ما لم تجامعوهن
او تفرضوا لهن فريضة الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة
تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها
نصف المسمى وان لم يسم لها مهر فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل
على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله
فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمه **ومتعوهن** والمتعة درع وملحفة وخمار
على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها اقل من ذلك فلها الاقل
من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم
فلا ينقص من خمسة دراهم لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها **على الموسع**
قدره وعلى المقتر قدره الموسع الذي له سعة والمقتر الضيق الحال وقدره مقداره
الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر
لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امراة ولم
يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شي قال متعها

بقلنسوتك

بقلنسوتك وعند اصحابنا رحمهم الله لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر
المطلقات ولا تجب **متاعا** تاكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا **بالمعروف** بالوجه الذي
يحسن في الشرع والمروة **حقا** صفة لمتاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا **على المحسنين**
على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال عليه
السلام من قتل قتيلا فله سلبه **وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم**
لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون الا ان يعفون يريد المطلقات
فان قلت اي فرق بين قولك الرجال يعفون والنسا يعفون **قلت**
الواو في الاول ضميرهم والنون علامة الرفع والواو في الثاني لام الفعل و
النون ضميرهن والفعل مبني لا اثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب **او يعفو**
عطف على محله **والذي بيده عقدة النكاح** الولي يعني الا ان يعفو المطلقات
عن ازواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المراة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع
بي فكيف اخذ منه شيئا او يعفو الولي الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي رحمه
الله عنه وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب ابي حنيفة رضي
الله عنه والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال
كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها
بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفى عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة
وان تعفوا اقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير
وعن جبير بن مطعم انه تزوج امراة وطلقها قبل ان يدخل بها فاكمل لها الصداق وقال
انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها
فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها قال عرضها علي
فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فاين الفضل والفضل التفضل اي ولا
تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض وتمروا ولا تستقصوا وقرا الحسن او يعفو الذي
بسكون الواو واسكان الواو والياء في موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما اختاها
وقرا ابو نهيك وان يعفوا بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بينكم بكسر الواو **حافظوا**
على الصلوات والصلاة الوسطى اي الوسطى بين الصلوات اي الفضلى من قولهم
للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلوات لانفرادها وهي صلاة
العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يوم الاحزاب شغلونا عن صلوة الوسطى صلاة
العصر ملا الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التي شغل عنها سليمان
بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة انها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت
هذه الاية فلا تكتبها حتى امليها عليك كما سمعت رسول الله يقراها فاملت عليه و
الصلاة الوسطى صلوة العصر وروي عن عايشة وابن عباس والصلوة الوسطى وصلوة
العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين احديهما الصلوة الوسطى
اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر
وقيل فضلها لما في وقتها من اشتغال الصلوة بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر هي
صلوة الظهر لانها في وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة
ولم يكن على اصحابه اشد منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلاتي النهار وصلاتي
الليل وعن قبيصة ابن ذويب هي المغرب لانها وتر النهار ولا ينقص في السفر من
ثلاث وقرا عبد الله وعلى الصلوة الوسطى وقراءة عايشة والصلوة الوسطى بالنصب
على المدح والاختصاص وقرا نافع الوصطى **وقوموا لله** في الصلاة **قانتين** ذاكرين
الله في قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون في الصلوة
فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدي والبصر وروي انهم كانوا اذا قام
احدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصى او يحدث نفسه
بشي من امور الدنيا **فان خفتم** فان كان بكم خوف من عدو او غيره **فرجالا او ركبانا**
فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام او رجل يقال رجل رجل اي راجل وقرئ
فرجالا بضم الراء ورجالا بتشديد الجيم ورجلا وعند ابي حنيفة لا يصلون في حال

المشي والمسابقة ما لم يمكن الوقوف وعند الشافعي يصلون في كل حال والراكب
يومي ويسقط عنه التوجه الى القبلة **فاذا امنتم** فاذا زال خوفكم **فاذكروا الله**
كما علمكم ما لم تكونوا تعلمون من صلاة الامن فاذا امنتم فاشكروا الله على الامن
واذكروه **والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم** بالعبادة
كما احسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون في حال الخوف وفي حال الامن الا من
تقديره فيمن قرا وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون وصية لازواجهم او والذين
يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرا بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية
كقولك انما انت سير البريد باضمار تسير والزم الذين يتوفون وصية ويدل عليه قراءة
عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله والذين يتوفون منكم
ويذرون ازواجا وصية لازواجهم **متاعا الى الحول غير اخراج** وقرا ابي متاع لازواجهم
متاعا وروي عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه
ينصب بالفعل وعلى قراءة ابي متاعا نصب بمتاع لانه في معنى التمتيع كقولك الحمد لله
حمد الشاكرين واعجبني ضرب زيد الضرب الشديد وغير اخراج مصدر موكد
كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اي غير مخرجات
والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان يمتع ازواجهم
بعدهم حولا كاملا اي ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك في اول
الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا
المقدار ونسخت النفقة بالارث الذي هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابي
حنيفة رحمه الله لا سكنى لهن **فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن**
من التزين والتعرض للخطاب **من معروف** مما ليس بمنكر شرعا **والله عزيز حكيم**
فان قلت كيف نسخت الاية المتقدمة المتاخرة **قلت** قد تكون
الاية متقدمة في التلاوة وهي متاخرة في التنزيل كقوله سيقول السفهاء مع قوله قد نرى
تقلب وجهك في السماء **وللمطلقات متاع بالمعروف** عم المطلقات بايجاب المتعة
لهن بعدما اوجبها لواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال **حقا على المتقين**
كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة
لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع المحسنين وغير الواجب والمستحب جميعا لكل مطلقة
وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة **كذلك يبين الله لكم اياته لعلكم تعقلون الم تر الى**
الذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم
الم تر تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شانهم ويجوز
ان يخاطب به من لم ير ولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجب روي
ان اهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم
الله ثم احياهم ليعتبروا ويعلموا انه لا مفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم
حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه
تعجبا مما راى فاوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما
يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا انت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم
ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فاماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم وهم
الوف فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل
سبعون ومن بدع التفاسير الوف متالفون جمع الف كقاعد وقعود **فان قلت**
ما معنى قوله فقال لهم الله موتوا **قلت** معناه فاماتهم الله وانما جيء به
على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بامر الله ومشيئته وتلك
ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف
كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد
والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فاولى ان يكون
في سبيل الله **ان الله لذو فضل على الناس** حيث يبصرهم ما يعتبرون فيفوزوا
ولو شاء لتركهم به ويستبصرون كما بصر اولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم اولذوا

فصل

فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم
البعث **ولكن اكثر الناس لا يشكرون** والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا
على الجهاد ما اتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله بقوله **وقاتلوا في سبيل الله واعلموا**
ان الله سميع يسمع ما يقوله المتخلفون والسابقون **عليم** بما يضمرونه وهو من وراء
الجزاء **من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا** اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب
به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله **فيضاعفه**
له اضعافا كثيرة قيل الواحد بسبع مائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله
والله يقبض ويبسط يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم
الضيقة بالسعة **واليه ترجعون** فيجازيكم على ما قدمتم **الم تر الى الملا من بني اسرائيل**
من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم هو يوشع او شمعون او شمويل **ابعث لنا ملكا**
انهض للقتال معنا اميرا نصدر في تدبير الحرب عن رايه وننتهي الى امره طلبوا من
نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان
يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا
احدهم اميرا عليهم **نقاتل في سبيل الله** نقاتل بالنون والجزم على الجواب وبالنون و
الرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف كانه قال لهم ما تصنعون
بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا
قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا خبر عسيتم ان لا تقاتلوا والشرط فاصل
بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما اتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان
يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فادخل هل
مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان
المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل اتى على الانسان معناه التقرير
وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة **قالوا وما لنا الا نقاتل في سبيل الله** واي
داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه **وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا** وذلك
ان قوم جالوت كانوا يسكنون في ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء
ملوكهم اربعمائة واربعين **فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم** قيل كان
القليل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر **والله عليم بالظالمين** وعيد لهم
على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد **وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم**
طالوت ملكا طالوت اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته
وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه انه كان من الطول
فعلوت اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم
عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة وبشمالاها رحمانا رحيما
بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة
لكونه عبرانيا **قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن احق بالملك منه ولم يؤت سعة**
من المال انى كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له **فان قلت**
ما الفرق بين الواوين في ونحن احق ولم يؤت **قلت** الاولى للحال والثانية
لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا في حكم واو الحال والمعنى كيف
يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد
للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت في سبط
لاوي بن يعقوب والملك في سبط يهوذا ولم يكن طالوت من احد السبطين ولانه
كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله حين طلبوا منه ملكا
فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت **قال ان الله اصطفاه**
عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم يريد ان الله هو الذي اختاره عليكم وهو
اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من
النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة
بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل

قد اوحي اليه وبني وذلك ان الملك لابد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدري
غير منتفع به وان يكون جسيما يملاء العين جهارة لانه اعظم في النفوس
واهيب في القلوب • والبسطة السعة والامتداد • وروي ان الرجل القايم
كان يمد يده فينال راسه والله يوتي ملكه من يشاء اي الملك له غير منازع فيه
فهو يوتيه من يشاء من يستصلحه للملك والله واسع الفضل والعطا يوسع علي
من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر عليم بمن يصطفيه للملك وقال لهم
نبيهم ان اية ملكه ان ياتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم التابوت صندوق
التورية وكان موسي عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بني اسرايل
ولا يفرون • والسكينة السكون والطمانينة وقيل هي صورة كانت فيه من زبرجد
او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتان فيزف التابوت
نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن علي
رضي الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة وبقية مما ترك ال
موسي وال هرون تحمله الملايكة ان في ذلك لاية لكم ان كنتم مومنين البقية
هي رضاض الالواح وعصا موسي وثيابه وشي من التورية وكان رفعه الله بعد
موسي فنزلت به الملايكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك اية لاصطفاء الله
طالوت وقيل كان مع موسي ومع انبياء بني اسرايل بعده يستفتحون به فلما
غيرت بنوا اسرايل غلبهم عليه الكفار فكان في ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك
طالوت اصابهم ببلاء حتي هلكت خمس مداين فقالوا هذا بسبب التابوت بين
اظهرنا فوضعوه علي ثورين فساقتهما الملايكة الي طالوت وقيل كان من خشب
الشمشاد مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع في ذراعين وقرا زيد بن ثابت
وابي التابوه بالهاء وهي لغة الانصار فان قلت ما وزن التابوت قلت
لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا لقلة نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف
فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذن فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف
توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه
فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرا بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه
بدلا من التاء لاجتماعهما في الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث
وقرا ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقري يحمله بالياء
فان قلت من ال موسي وال هرون قلت الانبياء من بني اسرايل بعدهما لان عمران هو ابن قاهث ابن لاوي بن يعقوب فكان اولاد يعقوب الهما
ويجوز ان يراد مما تركه موسي وهرون والال مقحم لتفخيم شانهما فلما فصل طالوت بالجنود
فصل عن موضع كذا اذا انفصل وقيل فصل وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر
محذوف المفعول حتي صار في حكم غير المتعدي كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا
ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعني انفصل عن
بلده بالجنود روي انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بني بناء لم يفرغ منه ولا تاجر
مشتغل بالتجارة ولا متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ
فاجتمع اليه ممن اختار ثمانون الفا وكان الوقت قيظا وسلكوا مفازة فسالوا ان
يجري الله لهم نهرا قال ان الله مبتليكم بنهر فقال ان الله مبتليكم بما اقترحتموه
من النهر فمن شرب منه فمن ابتدا شربه من النهر بان كرع فيه فليس مني فليس بمتصل
بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كانه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز ان
يراد فليس من جملتي واشياعي ومن لم يطعمه فانه مني ومن لم يذقه من طعم الشي
اذا ذاقه ومنه طعم الشي لمذاقه قال • وان شيت لم اطعم نقاخا ولا بردا •
الا تري كيف عطف عليه البرد وهو النوم يقال ما ذقت غماضا ونحوه من الابتلاء
ما ابتلي به اهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو اشد منه •
واصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروي عن
بعضهم فبالوحي وقرا بنهر بالسكون الا من اغترف غرفة بيده فان قلت

مم استثني قوله الا من اغترف قلت من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة
الثانية في حكم المتاخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان
الذين امنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد
دون الكروع والدليل عليه قوله فشربوا منه اي فكرعوا منه الا قليلا منهم
وقري غرفة بالفتح بمعني المصدر وبالضم بمعني المغروف وقرا ابي والاعمش الا
قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعني والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل
من علم العربية فلما كان فشربوا منه في معني فلم يطيعوه حمل عليه كانه قيل فلم يطيعوه
الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق
وعض زمان يا ابن مروان لم يدع • من المال الا مسحت او مجلف
كانه قال لم يبق من المال الا مسحت او مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة
وثلاثة عشر رجلا فلما جاوزه هو والذين امنوا معه القليل قالوا لا طاقة لنا
اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فية قليلة
غلبت فية كثيرة باذن الله والله مع الصابرين قال الذين يظنون يعني الخلص منهم
الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وايقنوه او الذين تيقنوا انهم يستشهدون عما قريب
ويلقون الله فالمومنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة وقيل الضمير في
قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كانهم تقاولوا
بذلك والنهر بينهما يظهر اولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هولاء ما يعتذرون به وروي
ان الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وداوبه والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم
العطش ولما برزوا لجالوت وجنوده جالوت جبار من العمالقة من اولاد عمليق بن عاد
وكانت بيضته فيها ثلاث ماية رطل قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت اقدامنا
وانصرنا علي القوم الكافرين وثبت اقدامنا وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب
من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب فهزموهم
باذن الله وقتل داود جالوت كان ايشا ابو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه
وكان داود سابعهم وهو صغير يرعي الغنم فاوحي الي شمويل ان داود النبي هو الذي
يقتل جالوت فطلبه من ابيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة احجار دعاه كل واحد
منها ان يحمله وقالت له انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمي بها جالوت فقتله
وزوجه طالوت بنته وروي انه حسده واراد قتله ثم تاب واتاه الله الملك
في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنوا اسرايل علي ملك قط قبل
داود والحكمة النبوة وعلمه مما يشاء من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير
ذلك ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض و
يكف بهم فسادهم لفسدت الارض لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها
وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وساير ما يعمر في الارض وقيل لولا ان الله ينصر
المسلمين علي الكفار لفسدت الارض بعبث الكفار فيها وقتل المسلمين او لو لم يدفعهم
بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستوصل اهل الارض ولكن الله ذو فضل علي العالمين
تلك ايات الله نتلوها عليك يعني القصص التي اقتصها من حديث الالوف و
اماتتهم واحيايهم وتمليك طالوت واظهاره بالاية التي هي نزول التابوت من السماء
وغلبة الجبابرة علي يد صبي بالحق باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه
في كتبهم كذلك وانك لمن المرسلين حيث تخبر بها من غير ان تعرف بقراءة كتاب
ولا سماع اخبار تلك الرسل اشارة الي جماعة الرسل التي ذكرت
قصصها في السورة او التي ثبت علمها عند رسول الله فضلنا بعضهم علي بعض لما
اوجب ذلك من تفاضلهم في الحسنات منهم من كلم الله منهم من فضله الله بان كلمه
من غير سفير وهو موسي عليه السلام وقري كلم الله بالنصب وقرا اليماني كالم الله
من المكالمة ويدل عليه قولهم كليم الله بمعني مكالمه • ورفع بعضهم درجات •
واتينا عيسي ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس اي ومنهم من رفعه علي
ساير الانبياء فكان بعد تفاوتهم في الفضل افضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر

انه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث اوتي ما لم يوته احد
من الايات المتكاثرة المرتقية الى ثلاثة الاف اية واكثر ولو لم يوت الا القران وحده
لكفى به فضلا منيفا على سائر ما اوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه
الدهر دون سائر المعجزات وفي هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا
يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذي لا يشتبه والمتميز الذي لا يلتبس ويقال
للرجل من فعل هذا فيقول احدكم او بعضكم يريد به الذي تعورف واشتهر بنحوه
من الافعال فيكون افخم من التصريح وانوه بصاحبه وسيل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر
زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث اراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت
نفسي لم يفخم امره ويجوز ان يريد محمدا وابراهيم وغيرهما من اولي العزم من الرسل وعن ابن
عباس كنا في المسجد فتذاكرنا فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته
وموسى بتكليم الله اياه وعيسى برفعه الى السماء وقلنا رسول الله افضل منهم بعث
الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وهو خاتم الانبياء فدخل
فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيى بن زكريا فذكر انه لم يعمل
سيئة قط ولم يهم بها **فان قلت** لم خص موسى وعيسى من بين الانبياء بالذكر
قلت لما اوتيا من الايات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه
التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو اية من الايات فلما كان هذان النبيان
قد اوتيا ما اوتيا من عظام الايات خصا بالذكر في باب التفضيل بين ان من زيد
تفضيلا بالايات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذي
اوتي منها ما لم يوت احد في كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات
الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين **ولو شاء الله** مشيئة الجاء
قسر **ما اقتتل الذين من بعدهم** من بعد الرسل لاختلافهم في الدين وتشعب مذاهبهم
وتكفير بعضهم بعضا **من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من امن** لالتزامه
دين الانبياء **ومنهم من كفر** لاعراضه عنه **ولو شاء الله ما اقتتلوا** كرره للتاكيد **ولكن الله
يفعل ما يريد** من الخذلان والعصمة **يا ايها الذين امنوا انفقوا مما رزقناكم**
اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به **من قبل ان ياتي يوم** لا تقدرون فيه
على تدارك ما فاتكم من الانفاق لانه **لا بيع فيه** حتى تبتاعوا ما تنفقونه **ولا خلة
ولا شفاعة** حتى يسامحكم اخلاؤكم به وان اردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب
لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثم في زيادة الفضل لا غير
والكافرون هم الظالمون اراد والتاركون الزكوة هم الظالمون فقال والكافرون
للتغليظ كما قال في اخر اية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكوة من
صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يوتون الزكوة وقرئ لا بيع فيه
ولا خلة ولا شفاعة بالرفع **الله لا اله الا هو الحي القيوم** الحي الباقي الذي لا سبيل
عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر والقيوم الدائم القيام
بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم **لا تاخذه سنة ولا نوم** والسنة ما يتقدم
النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي

اقصده النعاس فرنقت ۞ في عينه سنة وليس بنائم

اي لا ياخذه نعاس ولا نوم وهو تاكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون
قيوما ومنه حديث موسى انه سال الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الروية
اينام ربنا فاوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين
مملوتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا ثم اوحى
الله قل لهولاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو اخذني نوم او نعاس لزالتا
له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده بيان لملكوته وكبريائه
وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيمة الا اذا اذن له في الكلام كقوله لا يتكلمون الا من
اذن له الرحمن **يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم** ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير
لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء او لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء **ولا**

يحيطون

يحيطون بشيء من علمه من معلوماته **الا بما شاء** الا بما علم **وسع كرسيه السموات
والارض** الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله وسع كرسيه اربعة
اوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو الا
تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثم ولا قعود ولا قاعد كقوله وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيمة والسموات مطويات بيمينه من غير
تصور قبضة وطي يمين وانما هو تخييل لعظم شانه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله
وما قدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه
الذي كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع
ما روي انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش
كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش **ولا يوده** ولا يثقله ولا يشق عليه **حفظهما**
حفظ السموات والارض **وهو العلي** الشان **العظيم** الملك والقدرة **فان قلت**
كيف ترتيب الجمل في اية الكرسي من غير حرف عطف **قلت** ما منها جملة الا وهي
واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف
لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه
مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شانه
والرابعة لاحاطته باحوال الخلق وعلمه بالمرتضى منهم المستوجب للشفاعة وغير
المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره
فان قلت لم فضلت هذه الاية حتى ورد في فضلها ما ورد منه قوله صلى الله عليه
وسلم ما قريت هذه الاية في دار الا اهجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها
ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت اية اعظم
منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر وهو يقول من قرا اية الكرسي
في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق
او عابد ومن قراها اذا اخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات
حوله وتذاكر الصحابة افضل ما في القران فقال لهم علي اين انتم عن اية الكرسي ثم قال
قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر ادم وسيد العرب محمد ولا فخر
وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور
وسيد الايام يوم الجمعه وسيد الكلام القران وسيد القران البقرة وسيد البقرة
اية الكرسي **قلت** لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه
وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور اعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل
من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل التوحيد
والعدل ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه ۞ فان العرانين تلقاها محسدة ۞
لا اكراه في الدين اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين
والاختيار ونحوه قوله تعالى ولو شاء ربك لامن من في الارض كلهم جميعا افانت
تكره الناس حتى يكونوا مومنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى
الامر على الاختيار **قد تبين الرشد من الغي** قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة
فمن يكفر بالطاغوت ويومن بالله فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام و
الايمان بالله **فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم**
الوثقى من الحبل الوثيق المحكم المامون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم
بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه
فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين
ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل
هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم باداء الجزية وروي انه كان لانصاري
من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم
قدما المدينة فلزمهما ابوهما وقال والله لا ادعكما حتى تسلما فابيا فاختصموا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصاري يا رسول الله ايدخل بعضي النار وانا انظر

فنزلت فخلاهما الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي ارادوا
ان يومنوا يلطف بهم حتى يخرجهم بلطفه وتاييده من الكفر الى الايمان والذين
كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات والذين كفروا اي
صمموا على الكفر امرهم على عكس ذلك او الله ولي الذين امنوا يخرجهم من الشبه في الدين
ان وقعت لهم بما يهديهم ويوفقهم له من حلها حتى يخرجوا منها الى نور اليقين
الذين كفروا اولياؤهم الشياطين يخرجونهم من نور البينات التي تظهر لهم الى ظلمات
الشك والشبهة اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون الم تر الى الذي حاج
ابراهيم في ربه الم تر تعجيب من محاجة نمروذ في الله وكفره به ان اتاه الله الملك
متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان اتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك
ابطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة في ربه موضع ما وجب
عليه من الشكر على ان اتاه الملك وكان المحاجة كانت لذلك كما تقول عاداني فلان لاني
احسنت اليه تريد انه عكس ما يجب عليه من الموالاة لاجل الاحسان ونحوه قوله
تعالى وتجعلون رزقكم اي شكر رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان اتاه
الله الملك فان قلت كيف جاز ان يوتي الله الملك الكافر قلت
اتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع واما التغليب والتسليط فقيل
ملكه امتحانا لعباده اذ قال ابراهيم ربي الذي يحيي ويميت اذ قال نصب
بحاج او بدل من اتاه اذا جعل بمعنى الوقت قال انا احيي واميت يريد اعفو عن
القتل واقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم لما سمع جواب الاحمق لم يحاجه
فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شي وهذا دليل
على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة حيث قال قال ابراهيم فان الله ياتي بالشمس من
المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين وقرى
فبهت الذي كفر اي فغلب ابراهيم الكافر وقرا ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل
كانت المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمروذ ثم اخرجه من السجن ليحرقه فقال من ربك
الذي تدعو اليه فقال ربي الذي يحيي ويميت او كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها
قال انى يحيي هذه الله بعد موتها او كالذي معناه او رايت مثل الذي فحذف لدلالة
الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل
ارايت كالذي حاج ابراهيم او كالذي مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو
الظاهر لانتظامه مع نمروذ في سلك ولكلمة الاستبعاد التي هي انى يحيي وقيل عزير
او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وقوله
انى يحيي اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي والقرية
بيت المقدس حين خربه بخت نصر وقيل هي التي خرج منها الالوف وهي خاوية على عروشها
تفسيره فيما بعد فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما
او بعض يوم بناء على الظن روي انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة
الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فراى بقية من الشمس فقال او بعض
يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك وروي ان طعامه كان
تينا وعنبا وشرابه عصيرا او لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله
لم يتسنه لم يتغير والهاء اصلية او هاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان
لامها هاء او واو وذلك ان الشي يتغير بمرور الزمان وقيل اصله يتسنن من الحمأ
المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازي ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه
لم تمر عليه السنون التي مرت عليه يعني هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة
سنة وفي قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرا ابي لم يسنه
بادغام التاء في السين وانظر الى حمارك كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له
حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما في مكانه كما ربطته وذلك من اعظم
الايات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير
ولنجعلك آية للناس فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل

قومه

قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فاخذ يهذها هذا
عن ظهر قلبه وهم ينظرون في الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرا التوراة
ظاهرا احد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو
شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة وانظر الى العظام هي عظام
الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم كيف ننشزها كيف نحييها وقرا الحسن ننشرها
من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرى بالزاي بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض
للتركيب ثم نكسوها لحما فلما تبين له وفاعل تبين مضمر تقديره فلما تبين له ان الله
على كل شي قدير قال اعلم ان الله على كل شي قدير فحذف الاول لدلالة الثاني عليه
كما في قولهم ضربني وضربت زيدا ونحوه فلما تبين له ما اشكل عليه يعني امر احياء الموتى
وقرا ابن عباس فلما تبين له على البناء للمفعول وقرى قال اعلم على لفظ الامر وقرا
عبد الله قيل اعلم فان قلت ان كان المار كافرا فكيف يسوغ ان يكلمه الله قلت
كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا واذ قال ابراهيم رب ارني
كيف تحيي الموتى قال اولم تومن قال بلى فان قلت كيف قال
له اولم تومن وقد علم انه اثبت الناس ايمانا قلت ليجيب بما اجاب به لما فيه
من الفائدة الجليلة للسامعين وبلى ايجاب لما بعد النفي معناه بلى امنت ولكن ليطمين
قلبي ليزيد سكونا وطمانينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال فتظاهر الادلة اسكن
للقلوب وازيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم
الضروري فاراد بطمانينة القلب العلم الذي لا مجال فيه للتشكيك فان قلت بم تعلقت
اللام في ليطمين قلت بمحذوف تقديره ولكن سالت ذلك ارادة طمانينة القلب
قال فخذ اربعة من الطير قيل طاووسا وديكا وغرابا وحمامة فصرهن اليك بضم
الصاد وكسرها بمعنى فاملهن واضممهن اليك قال الفرزدق ::
ولكن اطراف الرماح تصورها :: وقال الفرزدق وفرع يصير الجيد وحف كانه
على الليت قنوان الكرام الدوالح :: وقرا ابن عباس فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد
الراء من صره يصره ويصره اذا جمعه نحو ضره يضره ويضره وعنه فصرهن من التصرية وهي
الجمع ايضا ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا يريد ثم جزئهن وفرق اجزاءهن على الجبال والمعنى
على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفي ارضك قيل كانت اربعة اجبل وعن السدي سبعة
ثم ادعهن وقل لهن تعالين باذن الله ياتينك سعيا ساعيات مسرعات في طيرانهن
او مشيهن على ارجلهن واعلم ان الله عزيز حكيم فان قلت ما معنى امره
بضمها الى نفسه بعد ان ياخذها قلت ليتاملها ويعرف اشكالها وهيئاتها
وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم انها غير تلك ولذلك قال ياتينك سعيا
وروي انه امر ان يذبحها وينتف ريشها ويقطعها ويفرق اجزاءها ويخلط ريشها ودماءها
ولحومها وان يمسك رؤوسها ثم امر ان يجعل اجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر
ثم يصيح بها تعالين رؤوسها ثم امر ان يجعل باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الاخر حتى
صارت جثثا ثم اقبلن فانضممن الى رؤوسهن كل جثة الى راسها وقرى جزوا بضمتين
وجزا بالتشديد ووجهه انه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد في الوقف اجراء
للوصل مجرى الوقف مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت
سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة لا بد من حذف مضاف اي مثل نفقتهم كمثل
حبة او مثلهم كمثل باذر حبة والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا اسند
اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان
تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف
كانها ماثلة بين عيني الناظر فان قلت كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود
قلت بل هو موجود في الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة في
الاراضي القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل
الفرض والتقدير فان قلت هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة
كما قال وسبع سنبلات خضر قلت هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع

امثلة الجمع متعاورة مواقعها والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم اي يضاعف
تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين او يضاعف سبع
المائة ويزيد عليها اضعافا لمن يستوجب ذلك الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله
ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
المن ان يعتد على من احسن اليه ويريه انه اصطنعه واوجب عليه حقا وكانوا يقولون
اذا صنعتم صنيعة فانسوها ❁ ولبعضهم
وان امري اسدى الي صنيعة ❁ وذكرنيها مرة لبخيل ❁
وفي نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومنّ ❁ ومن منع سائله وضنّ ❁ وفيها طعم
الآلاء احلى من المنّ ❁ وهي امرّ من الآلاء مع المنّ ❁ والاذى ان يتطاول عليه بسبب
ما ازل اليه ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وان تركهما خير
من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم
استقاموا فان قلت اي فرق بين قوله لهم اجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم
قلت الموصول ها هنا لم يضمن معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة
المعنى ان الفاء دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة
قول معروف رد جميل ومغفرة وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤول او
ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره
خير من صدقة يتبعها اذى وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة والله
غني لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذي حليم عن معاجلته بالعقوبة وهذا سخط منه
ووعيد له ثم بالغ في ذلك بما اتبعه في قوله يا ايها الذين امنوا لا تبطلوا صدقاتكم
بالمن والاذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس اي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى
كابطال المنافق الذي ينفق ماله رياء الناس لا يريد بانفاقه رضى الله ولا ثواب
الاخرة ولا يؤمن بالله واليوم الاخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب مثله ونفقته التي لا
ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرا سعيد بن المسيب صفوان بوزن
كروان فاصابه وابل مطر عظيم القطر فتركه صلدا اجرد نقيا من التراب الذي عليه
ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق لا يقدرون على شيء مما كسبوا كقوله فجعلناه
هباء منثورا ويجوز ان يكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين
الذي ينفق فان قلت كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق قلت
اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق ولان من والذي يتعاقبان فكانه قيل كمن ينفق
والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون اموالهم ابتغاء مرضات
الله وتثبيتا من انفسهم وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله
اشق شيء على النفس على ساير العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت
بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في
اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين و
يجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم
ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص
قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه و
على الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى
وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه ويعضده قراءة مجاهد
وتبيينا من انفسهم فان قلت فما معنى التبعيض قلت معناه ان من بذل
ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها
كلها وتجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في
زكائها عند الله كمثل جنة وهي البستان بربوة بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها
ازكى واحسن ثمرا اصابها وابل مطر عظيم القطر فاتت اكلها ثمرتها ضعفين
مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل فان لم يصبها وابل فطل مطر صغير القطر يكفيها
لكرم منبتها او مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة

بالوابل

بالوابل والطل وكما ان كل واحد من المطرين يضعف اكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة
كانت او قليلة بعد ان يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله
زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده ❁ وقرئ كمثل حبة بربوة بالحركات الثلاث واكلها
بضمتين والله بما تعملون بصير ايود احدكم ان تكون له جنة من نخيل واعناب تجري
من تحتها الانهار له من كل الثمرات واصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فاصابها اعصار
فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تتفكرون الهمزة في ايود للانكار
وقرئ ضعاف ❁ وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع
نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم
القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من ابهى الجنان واجمعها
للثمار فبلغ الكبر وله اولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة
وعن عمر انه سال عنها الصحابة فقالوا الله اعلم فغضب وقال قولوا نعلم او لا نعلم
فقال ابن عباس في نفسي منها شيء يا امير المؤمنين فقال قل يا ابن اخي ولا تحقر نفسك
فقال ضرب مثلا لعمل فقال لاي عمل فقال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له
الشيطان فعمل بالمعاصي حتى اغرق اعماله كلها وعن الحسن هذا مثل قل والله من يعقله
من الناس شيخ كبير ضعيف جسمه وكثر صبيانه افقر ما كان الى جنته وان احدكم والله
افقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا فان قلت كيف قال جنة من نخيل واعناب
ثم قال له فيها من كل الثمرات قلت النخيل والاعناب لما كانا اكرم الشجر واكثرها منافع
خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على ساير الاشجار تغليبا لهما على غيرهما
ثم اردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز ان يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها
كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من اعناب وحففناهما بنخل فان قلت
علام عطف قوله واصابه الكبر قلت الواو للحال لا للعطف والمعنى ان يكون له جنة
وقد اصابه الكبر وقيل يقال وددت ان يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على
المعنى كانه قيل ايود احدكم لو كانت له جنة واصابه الكبر يا ايها الذين امنوا انفقوا
من طيبات ما كسبتم من جياد مكسوباتكم ومما اخرجنا لكم من الارض من الحب والتمر
والمعادن وغيرها فان قلت هلا قيل وما اخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى
يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض قلت معناه ومن طيبات ما اخرجنا
لكم الا انه حذف لذكر الطيبات ولا تيمموا الخبيث ولا تقصدوا المال الردي منه
تنفقون تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرا عبد الله ولا تاموا وقرا ابن عباس
ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتامه سواء في معنى قصده ولستم باخذيه
وحالكم انكم لا تاخذونه في حقوقكم الا ان تغمضوا فيه بان تتسامحوا في اخذه وتترخصوا
فيه من قولك اغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع اغمض اي
لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح ❁
لم يفتنا بالوتر قوم ❁ وللضيم رجال يرضون بالاغماض ❁
وقرا الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها
من غمض يغمض ويغمض وقرا قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا
فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن لو وجدتموه في السوق
يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس كانوا يتصدقون بحشف
التمر وشراره فنهوا عنه واعلموا ان الله غني حميد يعدكم الفقر اي يعدكم في الانفاق
الفقر ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين
والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا ويامركم
بالفحشاء ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الامر للمامور والفاحش عند العرب
البخيل والله يعدكم في الانفاق مغفرة منه لذنوبكم وكفارة لها وفضلا وان يخلف
عليكم افضل مما اعطيتم وانفقتم او ثوابا عليه في الاخرة والله واسع عليم يؤتي
الحكمة من يشاء يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل وقرئ
ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرا الاعمش فقد اوتي خيرا

كثيرا تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا اولوا الالباب
يريد الحكما العلما العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الاي في معنى الانفاق
وما انفقتم من نفقة في سبيل الله او في سبيل الشيطان او نذرتم من نذر في سبيل
طاعة الله او في معصيته فان الله يعلمه لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه وما
للظالمين الذين يمنعون الصدقات او ينفقون اموالهم في المعاصي ولا يفون بالنذر
ويبذرون في المعاصي من انصار ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه ان تبدوا
الصدقات فنعما هي ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى فنعما هي
فنعم شيئا ابداوها وقرئ بكسر النون وفتحها وان تخفوها وتوتوها الفقرا
تصيبوا بها مصارفها مع الاخفا فهو خير لكم فالاخفا خير لكم والمراد الصدقات
المتطوع بها فان الافضل في الفرايض ان يجاهر بها وعن ابن عباس صدقات السر في
التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها افضل من سرها
بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرايض افضل لنفي التهمة حتى اذا كان
المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاوه افضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به
كان اظهاره افضل ويكفر عنكم من سياتكم والله بما تعملون خبير ونكفر قرئ
بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفا او على انه خبر مبتدا محذوف اي ونحن نكفر او
على انه جملة من فعل وفاعل مبتداة ومجزوما عطفا على محل الفا وما بعده لانه جواب
الشرط وقرئ ويكفر باليا مرفوعا والفعل لله او للاخفا وتكفر بالتا مرفوعا ومجزوما
والفعل للصدقات وقرا الحسن باليا والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا
لكم وان نكفر عنكم ليس عليك هداهم لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتها عما
نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي
فحسب ولكن الله يهدي من يشا بلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه
وما تنفقوا من خير من مال فلانفسكم فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به
على الناس ولا توذوهم بالتطاول عليهم وما تنفقون الا ابتغا وجه الله وليست
نفقتكم الا ابتغا وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي
لا يوجه مثله الى الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم ثوابه اضعافا مضاعفة وانتم
لا تظلمون فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها
وقيل حجت اسما بنت ابي بكر فاتتها امها تسالها وهي مشركة فابت ان تعطيها فنزلت
وعن سعيد بن جبير كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروي ان ناسا
من المسلمين كانت لهم اصهار في اليهود ورضاع وكانوا ينفقون عليهم نفقتك ق
اختلف في الواجب فجوز ابو حنيفة صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة واباه غيره
للفقرا الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقرا او اجعلوا ما تنفقون للفقرا كقوله
في تسع ايات ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف اي صدقاتكم للفقرا والذين احصروا
في سبيل الله هم الذين احصرهم الجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضربا في الارض
ضربا في الكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعماية رجل من مهاجري قريش
لم تكن لهم مساكن في المدينة ولا عشاير فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفة يتعلمون
القران ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله
على اصحاب الصفة فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس وقف
رسول الله يوما على اصحاب الصفة فراى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال
ابشروا يا اصحاب الصفة فمن بقي من امتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما
فيه فانه من رفقاي يحسبهم الجاهل بحالهم اغنيا من التعفف مستغنين من اجل
تعففهم عن المسالة تعرفهم بسيماهم من صفرة الوجه ورثاثة الحال لا يسالون الناس
الحافا والالحاف الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشي يعطاه من قولهم
لحفني من فضل لحافه اي اعطاني من فضل ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان
يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السايل الملحف ومعناه انهم ان سالوا
سالوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسوال والالحاح جميعا كقوله

على

∴ على لاحب لا يهتدى بمناره ∴

يريد نفي المنار والاهتدا به وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون
اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية يعمون الاحوال والاوقات بالصدقة
لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاها ولم يوخروه ولم
يتعللوا بوقت ولا حال فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون
وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق باربعين الف دينار عشرة
بالليل وعشرة في النهار وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله
عنه نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم
نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها في سبيل
الله وعن ابي هريرة كان اذا مر بفرس سمين قرا هذه الاية الذين ياكلون الربوا
الربوا كتب بالواو على لغة من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف
بعدها تشبيها بواو الجمع لا يقومون اذا بعثوا من قبورهم الا كما يقوم الذي يتخبطه
الشيطان من المس اي المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان
الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استوا كخبط العشوا فورد ما كانوا
يعتقدون والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم فان الجني يمسه فيختلط
عقله وكذلك جن الرجل معناه ضربته الجن ورايتهم لهم في الجن قصص واخبار وعجايب
وانكار ذلك عندهم كانكار المشاهدات فان قلت بم يتعلق قوله من المس
قلت بلا يقومون اي لا يقومون من المس الذي بهم الا كما يقوم المصروع ويجوز ان
يتعلق بيقوم اي كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى انهم يقومون يوم القيمة مخبلين
كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند اهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث
يوفضون الا اكلة الربوا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم اكلوا الربوا
فارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم فلا يقدرون على الايفاض وذلك العقاب بانهم
قالوا بسبب قولهم انما البيع مثل الربوا فان قلت هلا قيل انما الربا
مثل البيع لان الكلام في الربا لا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربا بالبيع
فاستحلوه وكانت شبهتهم انهم قالوا لو اشترى الرجل ما لا يساوي درهما بدرهمين
جاز فكذلك اذا ادى درهما بدرهمين قلت جي به على طريق المبالغة وهو انه
قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع
وقوله واحل الله البيع وحرم الربوا انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على ان القياس يهدمه
النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه فمن جاه موعظة
من ربه فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربوا فانتهى فتبع النهي وامتنع
فله ما سلف فلا يواخذ بما مضى منه لانه اخذ قبل نزول التحريم وامره الى الله يحكم
في شانه يوم القيمة وليس من امره اليكم شي فلا تطالبوه به ومن عاد الى الربوا فاولئك
اصحاب النار هم فيها خالدون وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة
لان تانيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرا الحسن وابي فمن جاته يمحق الله
الربوا يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود الربوا وان كثر الى
قل ويربي الصدقات ما يتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي
اخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت صدقة من مال قط والله
لا يحب كل كفار اثيم تغليظ في امر الربا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين
ان الذين امنوا وعملوا الصالحات واقاموا الصلوة واتوا الزكاة لهم اجرهم عند
ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وذروا ما بقي
من الربوا اخذوا ما شرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فامروا ان يتركوها ولا
يطالبوا بها روي انها نزلت في ثقيف فكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند
المحل بالمال والربوا وقرا الحسن ما بقي بقلب اليا الفا على لغة طي وعنه ما بقي بيا
ساكنة ومنه قول جرير ∴ ∴ ∴
∴ هو الخليفة فارضوا ما رضي لكم ∴ ماضي العزيمة ما في حكمه جنف ∴

ان كنتم مومنين ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما امرتم
به من ذلك فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب من الله ورسوله فاعلموا بها من اذن بالشي
اذا علم وقري فاذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق
العلم فايقنوا وهو دليل لقراءة العامة فان قلت هلا قيل بحرب الله ورسوله
قلت كان هذا ابلغ والمعني فاذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله
وروي انها لما نزلت قال ثقيف لا يدي لنا بحرب الله ورسوله وان تبتم من الارتبا
فلكم روس اموالكم لا تظلمون المديونين بطلب الزيادة عليها ولا تظلمون بالنقصا
منها فان قلت هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا قلت قالوا
يكون مالهم فيئا للمسلمين وروي المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة
وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اي ذو اعسار وقرا عثمان رضي الله عنه عسرة علي
وان كان الغريم ذا عسرة وقري ومن كان ذا عسرة فنظرة فالحكم او فالامر نظرة وهي
الانظار وقري فنظرة بسكون الظاء وقرا عطا فناظرة فصاحب الحق ناظرة اي منتظرة
او صاحب نظرته علي طريق النسب كقولهم مكان عاشب وباقل بمعني ذو عشب وذو بقل وعنه
فناظره وعلي الامر يعني فسامحه بالنظرة وباسره بها الي ميسرة الي يسار وقري بضم السين
كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقري بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة
كقوله ∴ ∴ واخلفوك عدا الامر الذي وعدوا ∴ ∴ وقوله تعالي واقام
الصلاة وان تصدقوا خير لكم ندب الي ان يتصدقوا برووس اموالهم علي من اعسر من غرمائهم
او ببعضها كقوله وان تعفوا اقرب للتقوي وقيل اريد بالتصدق الانظار كقوله
صلي الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيوخره الا كان له بكل يوم صدقة ان كنتم تعلمون
انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان كان عالما كانه لا يعلمه وقري تصدقوا بتخفيف
الصاد علي حذف التاء واتقوا يوما ترجعون فيه الي الله ثم توفي كل نفس ما كسبت وهم
لا يظلمون ترجعون قري علي البنا للفاعل والمفعول وقري يرجعون بالياء علي طريقة
الالتفات وقرا عبد الله تردون وقرا ابي تصيرون وعن ابن عباس انها اخر اية نزل بها
جبريل وقال ضعها في راس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله بعدها احدي
وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة ايام وقيل ثلاث ساعات يا ايها الذين
امنوا اذا تداينتم بدين الي اجل مسمي فاكتبوه اذا تداينتم اذا داين بعضكم بعضا
يقال داينت الرجل اذا عاملته بدين معطيا او اخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك
قال روبة ∴ داينت اروي والديون تقضي ∴ فمطلت بعضا وادت بعضا ∴
والمعني اذا تعاملتم بدين موجل فاكتبوه فان قلت هلا قيل اذا تداينتم
الي اجل مسمي واي حاجة الي ذكر الدين كما قال داينت اروي ولم يقل بدين قلت
ذكر ليرجع الضمير اليه في قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم
يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الي موجل وحال فان قلت
ما فايدة قوله مسمي قلت ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة
والاشهر والايام ولو قال الي الحصاد والدياس ورجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية
وانما امر بكتبة الدين لان ذلك اوثق وامن من النسيان وابعد من الجحود والامر للندب
وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربوا اباح السلم وعنه اشهد
ان الله اباح السلم المضمون الي اجل معلوم في كتابه وانزل فيه اطول اية وليكتب
بينكم كاتب بالعدل متعلق بكاتب صفة له اي كاتب مامون علي ما يكتب
يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد علي ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون
الكاتب فقيها عالما بالشروط حتي يجي مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين
بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا ولا ياب كاتب ولا يمتنع احد من الكتاب
وهو معني تنكير كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل
ولا يغير وقيل هو كقوله تعالي واحسن كما احسن الله اليك اي ينتفع الناس بكتابته
كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبي هو فرض كفاية • وكما علمه الله يجوز ان يتعلق
بان يكتب وبقوله فليكتب فان قلت اي فرق بين الوجهين قلت

ان

ان علقته بان يكتب فقد نهي عن الامتناع من الكتابة المقيدة ثم قيل له
فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بان يكتب فقد نهي عن
الامتناع من الكتابة علي سبيل الاطلاق ثم امر بها مقيدة وليملل الذي عليه الحق
ولا يكن المملي الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود علي ثباته في ذمته واقراره
والاملا والاملال لغتان قد نطق بهما القران فهي تملي عليه وليتق الله ربه ولا
يبخس منه من الحق شيا والبخس النقص وقري شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد
فان كان الذي عليه الحق سفيها محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف او ضعيفا
صبيا او شيخا مختلا او لا يستطيع ان يمل هو او غير مستطيع للاملا بنفسه لعي به
او خرس فليملل وليه بالعدل فليملل وليه الذي يلي امره من وصي ان كان سفيها
او صبيا او وكيل ان كان غير مستطيع او ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله ان يمل
هو فيه انه غير مستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي ترجم عنه واستشهدوا شهيدين
واطلبوا ان يشهد لكم شهيدان علي الدين من رجالكم من رجال المومنين والحرية
والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة
العبد في شي وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي انها جايزة ويجوز عند
ابي حنيفة شهادة الكفار بعضهم علي بعض علي اختلاف الملل فان لم يكونا فان لم
يكن الشهيدان رجلين فرجل وامراتان فليشهد رجل وامراتان وشهادة النسا
مع الرجال مقبولة عند ابي حنيفة ما عدا الحدود والقصاص ممن ترضون من الشهدا
ممن تعرفون عدالتهم ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخري ان لا تهتدي احداهما
للشهادة بان تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه علي انه مفعول له اي
ارادة ان تضل فان قلت كيف يكون ضلالها مراد الله قلت لما كان الضلال
سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة
الاخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار
فكانه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخري ان ضلت ونظيره قولهم اعددت الخشبة
ان يميل الحايط فادعمه واعددت السلاح ان يجي العدو فادفعه وقري فتذكر
بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذكرا وقرا حمزة ان تضل علي الشرط فتذكر
بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقري ان تضل احداهما علي البنا
للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخري ذكرا يعني
انهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر ولا ياب الشهدا اذا ما دعوا ليقيموا الشهادة
وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهدا قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكاين
وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحوا العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد
فنزلت ولا تساموا ان تكتبوه كني بالسام عن الكسل لان الكسل صفة المنافق
ومنه حديث لا يقول المومن كسلت ويجوز ان يراد من كثرة مداينته فاحتاج ان
يكتب لكل دين صغير او كبير كتابا فربما مل لكثرة الكتب والضمير في تكتبوه للدين او الحق
صغيرا او كبيرا علي اي حال كان الحق من صغر او كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب مختصرا
او مشبعا ولا تخلوا بكتابته الي اجله الي وقته الذي اتفق فيه الغريمان علي تسميته
ذلكم اقسط عند الله ذلكم اشارة الي ان تكتبوه لانه في معني المصدر اي ذلكم الكتب
اقسط اعدل من القسط واقوم للشهادة واعون علي اقامة الشهادة وادني ان لا
ترتابوا واقرب من انتفا الريب فان قلت مم بني افعل التفضيل اعني اقوم
واقسط قلت يجوز علي مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من اقسط واقام وان
يكون اقسط من قاسط علي طريقة النسب بمعني ذي قسط واقوم من قويم وقري ان
يساموا ان يكتبوه بالياء فيهما الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم
جناح ان لا تكتبوها فان قلت ما معني تجارة حاضرة وسوا كانت المبايعة
بدين او بعين فالتجارة حاضرة وما معني ادارتها بينهم قلت اريد بالتجارة ما يتجر
فيه من الابدال ومعني ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعني الا ان يتبايعوا
بيعا ناجزا يدا بيد فلا باس ان لا يكتبوا لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقري

تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة
والخبر تديرونها وبالنصب على ان لا يكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب
بني اسد هل تعلمون بلاءنا • اذا كان يوما ذا الكواكب اشنعا
اي اذا كان اليوم يوما واشهدوا اذا تبايعتم امر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا
او كالئا لانه احوط وابعد مما عسى ان يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد واشهدوا اذا
تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون
الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على
باقة بقل ولا يضار كاتب ولا شهيد لا يضار يحتمل البناء للفاعل والمفعول
والدليل عليه قراءة عمر ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس ولا يضارر بالاظهار
والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف
والزيادة والنقصان او النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن مهم ويلزا او لا يعطى
الكاتب حقه من الجعل او يحمل الشهيد مؤونة مجيئه من بلد وقرا الحسن ولا يضار بالكسر
وان تفعلوا وان تضاروا فانه فان الضرار فسوق بكم وقيل وان تفعلوا شيئا مما نهيتم
عنه واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر مسافرين
ولم تجدوا كاتبا وقرا ابن عباس وابي كتابا وقال ابن عباس ارايت ان وجدت الكاتب
ولم تجد الصحيفة والدواة وقرا ابو العالية كتبا وقرا الحسن كتابا جمع كاتب فرهن
مقبوضة فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن
كسقف وسقف وفرهان فان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر
دون حضر فقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه قلت ليس الغرض تجويز
الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد امر على
سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بان يقيم التوثيق بالارتهان مقام
التوثيق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر
اخذا بظاهر الاية واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب
والقبول بدون القبض فان امن بعضكم بعضا فان امن بعض الداينين بعض
المديونين لحسن ظنه به وقرا ابي فان اومن اي امنه الناس ووصفوا المديون بالامانة
والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله فليؤد الذي اؤتمن امانته وليتق الله
ربه حث للمديون على ان يكون عند ظن الداين به وامنه منه وائتمانه له وان يؤدي
اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو مضمون لائتمانه
له وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمى الدين امانة وهو
مضمون لائتمانه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او ياء
فتقول الذي تمن او الذيتمن وعن عاصم انه قرا الذتمن بادغام الياء في التاء قياسا
على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهو في حكم
الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه
آثم قلبه اثم خبر ان وقلبه رفع باثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع
قلبه بالابتداء واثم خبر مقدم والجملة خبر ان فان قلت هلا اقتصر على
قوله فانه اثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الاثمة لا القلب وحده قلت كتمان
الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان اثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد
الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ الا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما
ابصرته عيني ومما سمعته اذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء
والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل
فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة
من الاثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن
اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح
وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الا ترى ان اصل الحسنات والسيئات الايمان
والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من اثام القلوب فقد

شهد

شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنه اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله
فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالفتح كقوله سفه
وقرا ابن ابي عبلة اثم قلبه اي جعله اثما والله بما تعملون عليم لله ما في السموات وما
في الارض وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يعني من السوء يحاسبكم به الله فيغفر
لمن يشاء لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او اضمر ويعذب من يشاء ممن استوجب
العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في
وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر انه تلاها فقال لئن اخذنا الله بها
لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون
منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط
ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب فان قلت كيف يقرا الجازم قلت يظهر الراء
ويدغم الباء ويدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه
يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط
الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرا الاعمش يغفر
بغير واو مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله
متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا • تجد حطبا جزلا ونارا تاججا
ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض
من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا راسه واحب زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال
وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما انزل
اليه من ربه والمؤمنون ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا
الى الرسول والمؤمنون كلهم امن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف
عليه وان كان مبتدا كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن
وكان يجوز ان يجمع كقوله وكل اتوه داخرين وقرا ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه
الكتاب اكثر من الكتب فان قلت كيف يكون الواحد اكثر من الجمع قلت لانه اذا اريد
بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء فاما الجمع فلا يدخل تحته
الا ما فيه الجنسية من الجموع لا نفرق بين احد من رسله يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء
على ان الفعل لكل وقرا عبد الله لا يفرقون واحد في معنى الجمع كقوله فما منكم من احد عنه حاجزين
ولذلك دخل عليه بين وقالوا سمعنا واطعنا اجبنا غفرانك ربنا واليك المصير غفرانك
منصوب باضمار فعله يقال غفرانك لا كفرانك اي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله
بالسكون لا يكلف الله نفسا الا وسعها الوسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه
اي لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله
ورحمته كقوله يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس
ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرا ابن ابي عبلة وسعها بالفتح لها ما كسبت وعليها
ما اكتسبت ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب
غيرها بطاعتها فان قلت لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب قلت في الاكتساب
اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وامارة به كانت في تحصيله اعمل
واجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم يكن كذلك في باب الخير وصفته بما لا دلالة فيه
على الاعتمال ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا اي لا تؤاخذنا بالنسيان والخطا
ان فرط منا فان قلت النسيان والخطا متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة
بهما قلت ذكر النسيان والخطا والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال
الا ترى الى قوله وما انسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما
يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله
حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطا فكان وصفهم بالدعاء
بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطا مما يؤاخذ به
فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطا والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل
له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه ربنا ولا تحمل علينا اصرا

كما حملته على الذين من قبلنا الاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل
به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب
وغير ذلك وقرئ اصارا على الجمع في قراءة ابي ولا تحمل علينا بالتشديد فان قلت
اي فرق بين هذه التشديدة وبين التي في ولا تحملنا قلت هذه للمبالغة في حمل عليه وتلك
لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به من العقوبات
النازلة بمن قبلنا واعف عنا واغفر لنا وارحمنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة
التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل
المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا انت
مولانا سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا فانصرنا على القوم الكافرين
فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها
وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد
فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه صلى الله
عليه وسلم اوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه انزل الله
آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء
الآخرة اجزأتاه عن قيام الليل فان قلت هل يجوز ان يقال قراءة سورة البقرة او قراءة البقرة
قلت لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم
سورة البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله
بن مسعود رمى الجمرة ثم قال من هاهنا والذي لا اله غيره رمى الذي انزلت عليه سورة البقرة
ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة وسورة المجادلة فاذا قيل قرأت
البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسأل القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال
يقال قرأت السورة التي يذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي يذكر فيها
البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن يستطيعها البطلة قيل
وما البطلة قال السحرة

سورة آل عمران مدنية وهي مائتان آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الم الله لا اله الا هو الحي القيوم
ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وان يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة
عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين اسقطت للتخفيف فان قلت كيف جاز القاء
حركتها عليها وهي همزة الوصل لا تثبت في درج الكلام فلا تثبت حركتها لان ثبات حركتها كثباتها
قلت هذا ليس بدرج لان ميم في حكم الوقف والسكون والهمزة في حكم الثابت وانما حذفت
تخفيفا وابقيت حركتها على الساكن قبلها لتدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة
على الدال فان قلت هلا زعمت انها حركة لالتقاء الساكنين قلت لان التقاء الساكنين لا يبالى
به في باب الوقف وذلك قولهم هذا ابراهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين
في حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان في الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر
فان قلت انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين في ميم لانهم ارادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين
فاذا جاء بساكن ثالث لم يكن الا التحريك فحركوا قلت الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان
يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا اصيم ومديق فلما
حركوا الدال علم ان حركتها هي حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين فان قلت فما وجه قراءة عمرو
بن عبيد بالكسر قلت هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هي بمقبولة نزل عليك الكتاب بالحق
مصدقا لما بين يديه وانزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان والتوراة والانجيل
اسمان اعجميان وتكلف اشتقاقهما من الوري والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ
الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب فان قلت لم قيل
نزل الكتاب وانزل التوراة والانجيل قلت لان القرآن نزل منجما وانزل الكتابان جملة وقرأ الاعمش نزل عليك
الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب هدى للناس اي لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من
قبلنا فسره على العموم فان قلت فما المراد بالفرقان قلت جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان
يفرق بين الحق والباطل والكتب التي ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وانزل ما يفرق به بين الحق
والباطل من كتبه او من هذه الكتب او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر

اوكرر

او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما
لشانه واظهارا للفضلة ان الذين كفروا بآيات الله من كتبه المنزلة وغيرها لهم عذاب شديد و
الله عزيز ذو انتقام له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم ان الله لا يخفى عليه شيء في
الارض ولا في السماء لا يخفى عليه شيء في العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر
وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء كيف يشاء من
الصور المختلفة المتفاوتة وقرأ طاوس تصوركم اي صوركم لنفسه ولتعبده كقولك اثلث مالا
اذا جعلته اثلة اي اصلا وتأثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا حجاج على من زعم
ان عيسى كان ربا كانه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله لا اله الا
هو العزيز الحكيم هو الذي انزل عليك الكتاب منه آيات محكمات اي محكمات احكمت عبارتها بان حفظت
من الاحتمال والاشتباه هن ام الكتاب واخر متشابهات مشتبهات محتملات هن ام الكتاب
اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر
بالفحشاء امرنا مترفيها فان قلت فهلا كان القرآن كله محكما قلت لو كان كله محكما لتعلق
الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا
ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء
والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج
معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن
المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب
ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة
المتشابه المحكم ازداد طمأنينة او معتقده وقوة في ايقانه فاما الذين في قلوبهم زيغ
هم اهل البدع فيتبعون ما تشابه منه فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه
المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق ابتغاء الفتنة طلب ان يفتنوا
الناس عن دينهم ويضلوهم وابتغاء تأويله وطلب ان يأولوه التأويل الذي يشتهونه وما
يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم اي لا يهتدي الى تأويله الحق الذي يجب ان يحمل عليه
الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم اي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم
من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر
الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه والاول هو الوجه ويقولون
كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل يقولون آمنا به
اي بالمتشابه كل من عند ربنا اي كل واحد منه ومن المحكم من عنده او بالكتاب اي كل من متشابهه
ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه وما يذكر الا اولوا الالباب
مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين وقرأ عبد الله
ان تأويله الا عند الله وقرأ ابي ويقول الراسخون ربنا لا تزغ قلوبنا لا تبلنا ببلايا تزيغ
فيها قلوبنا بعد اذ هديتنا وارشدتنا لدينك او لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا
وهب لنا من لدنك رحمة من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالياء
والتاء ورفع القلوب انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه
اي تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله يوم يجمعكم ليوم الجمع وقرئ جامع الناس على الاصل
ان الله لا يخلف الميعاد معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله
والميعاد الموعد ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واولئك هم وقود
النار قرأ علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين
من في قوله من الله مثله في قوله ان الظن لا يغني من الحق شيئا والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله
او من طاعة الله شيئا اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اي
لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بذلك اي بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى
وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى وقرئ وقود بالضم بمعنى اهل وقودها
والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير
كدأب آل فرعون والذين من قبلهم الدأب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع
ما عليه الانسان من شانه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم

من الفرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اي لن تغني عنهم مثل ما لم تغن
عن اولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم كما تقول انك لتظلم الناس كداب ابيك يريد كظلم ابيك
ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كداب ابيه تريد كما حورف ابوه كذبوا بايات الله
بذنوبهم والله شديد العقاب تفسير كدابهم مما فعلوا او فعل بهم على مجرومانه جواب
سوال مقدر عن حالهم قل للذين كفروا هم مشركو امكة ستغلبون يعني يوم بدر • و
تحشرون الى جهنم وبئس المهاد وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم
يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا
حتى تنظر الى وقعة اخرى فلما كان يوم احد شكوا وقيل جمعهم رسول الله بعد وقعة بدر
في سوق قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش واسلموا قبل ان ينزل •
بكم ما نزل بهم فقد عرفتم اني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما اغمارا لا علم لهم بالحرب
فاصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون ويحشرون
بالياء كقوله قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك ستغلبون • فان
قلت اي فرق بين القراءتين من حيث المعنى قلت معنى القراءة بالتاء الامر بان
تخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى ستغلبون وتحشرون
وهو الكاين في نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر
بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كانه قال اد اليهم هذا القول الذي هو قولي
سيغلبون ويحشرون قد كان لكم اية الخطاب لمشركي قريش في فئتين التقتا يوم بدر
يوم بدر فئة تقاتل في سبيل الله واخرى كافرة يرونهم مثليهم راي العين يرى المشركون
المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من الفين او مثلي عدد المسلمين ستماية ونيفا وعشرين اراهم
الله اياهم مع قلتهم اضعافهم ليهابوهم ويجتنبوا عن قتالهم فكان ذلك مددا لهم من الله •
كما امدهم الله بالملايكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اي ترون يا مشركي قريش
المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي انفسهم فان قلت فهذا مناقض لقوله في سورة
الانفال ويقللكم في اعينهم قلت قللوا اولا في اعينهم حتى اجتروا عليهم فلما لاقوهم
كثروا في اعينهم حتى غلبوا فكان التقليل والتكثير في حالين مختلفين ونظيره من المحمول على
اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسال عن ذنبه انس ولا جان وقوله وقفوهم انهم
مسئولون وتقليلهم تارة وتكثيرهم اخرى في اعينهم ابلغ في القدرة واظهار الاية • وقيل
يرى المسلمون المشركين مثلي المسلمين على ما قرر عليه امرهم من مقاومة الواحد الاثنين في
قوله ان يكن منكم ماية صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا ان يقاوم الواحد العشرة في
قوله ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل
بالاضافة الى العشرة الاضعاف وكان المشركون ثلاثة وقراءة نافع لا تساعد عليه • وقرا ابن
مصرف ترونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء اي يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة
تقاتل واخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص وعلى الحال من الضمير
في التقتا • راي العين يعني روية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كساير المعاينات والله
يويد بنصره من يشاء كما ايد اهل بدر بتكثيرهم في عين العدو ان في ذلك لعبرة لاولي الابصار زين
للناس المزين هو الله سبحانه للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ويدل عليه
قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا ذم •
لها من خالقها حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة
والخيل المسومة والانعام والحرث جعل الاعيان التي ذكرها شهوات مبالغة في كونها مشتهاة محروصا
على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء
مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر
اولا في النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم تفسيره بهذه الاجناس فيكون اقوى لتخسيسها
وادل على ذم من يستعظمها ويتهالك عليها وترجح طلبها على طلب ما عند الله والقنطار المال الكثير
قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير ماية الف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء وبمكة ماية رجل
قد قنطروا والمقنطرة مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مولفة وبدرة مبدرة • و
المسومة المعلمة من السومة وهي العلامة او المطهمة او المرعية من اسام الدابة وسومها والانعام

الازواج الثمانية ذلك المذكور متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن الماب قل اونبيكم بخير
من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وازواج مطهرة
ورضوان من الله للذين اتقوا عند ربهم جنات كلام مستانف فيه دلالة على بيان ما هو خير
من ذلكم كما تقول هل ادلكم على رجل عالم عندي رجل من صفته كيت وكيت ويجوز ان يتعلق اللام
بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به • ويرتفع جنات على هو جنات وينصره قراءة
من قرا جنات بالجر على البدل من خير والله بصير بالعباد يثيب ويعاقب على الاستحقاق او بصير
بالذين اتقوا وباحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات الذين يقولون ربنا اننا امنا فاغفر لنا ذنوبنا
وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار
الذين يقولون نصب على المدح او رفع ويجوز الجر صفة للمتقين او للعباد والواو المتوسطة
بين الصفات للدلالة على كمالهم في كل واحدة منها وقدم الكلام في ذلك وخص الاسحار لانهم
كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
وعن الحسن كانوا يصلون في اول الليل حتى اذا كان السحر اخذوا في الدعاء والاستغفار هذا
نهارهم وهذا ليلهم شهد الله انه لا اله الا هو والملايكة واولوا العلم شبهت دلالته على
وحدانيته بافعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما اوحى من اياته الناطقة بالتوحيد
كسورة الاخلاص واية الكرسي وغيرها بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار
الملايكة واولوا العلم بذلك واحتجاجهم عليه قايما بالقسط مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق
والاجال ويثيب ويعاقب وبما يامر به عباده من انصاف بعضهم والعمل على السوية فيما بينهم
وانتصابه على انه حال موكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا فان قلت لم جاز افراده
بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاني زيد وعمرو راكبا لم يجز قلت انما جاز
هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن
يعقوب ولو قلت جاني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة او على المدح فان قلت
اليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معاشر الانبياء لا نورث
انا بني نهشل لا ندعي لاب قلت قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه
نكرة قول الهذلي ⁘ ⁘ ⁘ ⁘ ⁘ ⁘ ⁘ ⁘ ⁘ ⁘ ⁘ ⁘ ⁘ ⁘
⁘ ويأوي الى نسوة عطل وشعثا ⁘ مراضيع مثل السعالي ⁘
فان قلت هل يجوز ان يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قايما بالقسط الا هو قلت
لا يبعد فقد راينا هم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف فان قلت قد جعلته
حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو قلت نعم لانها حال موكدة
والحال الموكدة لا تستدعي ان تكون الجملة التي هي زيادة في فايدتها عاملا فيها كقولك انا عبد
الله شجاعا ولذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو اوجه من انتصابه عن فاعل شهد
ولذلك انتصابه على المدح فان قلت هل دخل قيامه بالقسط في حكم الله والملايكة واولي
العلم كما دخلت الوحدانية قلت نعم اذا جعلته حالا من هو ونصبا على المدح
منه او صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملايكة واولوا العلم انه لا اله الا هو وانه قايم
بالقسط وقرا عبد الله القايم بالقسط على انه بدل من هو او خبر مبتدا محذوف وقرا ابو حنيفة
قيما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم صفتان مقررتان لما وصف به نفسه من الوحدانية
والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله اخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في افعاله
فان قلت ما المراد باولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع •
الملايكة في الشهادة على وحدانيته وعدله قلت هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله
بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد وقرئ انه الفتح وان الدين
بالكسر على ان الفعل واقع على انه بمعنى شهد الله على انه او بانه وقوله ان الدين عند الله
الاسلام جملة مستانفة موكدة للجملة الاولى فان قلت ما فايدة هذا التوكيد قلت
فايدتها ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قايما بالقسط تعديل فاذا اردفه قوله
ان الدين عند الله الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده
في شيء من الدين وفيه ان من ذهب الى تشبيه او ما يودي اليه كاجازة الروية او ذهب
الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا

شهادة

مفتوحين على الثاني بدل من الأولى كأنه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل
هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول
بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا ايضا شاهد
على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القرات كلها متعاضدة على ذلك وقرأ
عبد الله ان لا اله الا هو وقرأ ابي ان الدين عند الله الاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى
وكسر الثانية وقرئ شهداء لله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم
شهداء لله فان قلت فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة واولوا العلم قلت
على الضمير في شهداء وجاز لوقوع الفاصل بينهما فان قلت لم كرر قوله لا اله الا
هو قلت ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك
الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة
على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به
قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل وما اختلف الذين اوتوا
الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم الذين اوتوا الكتاب اهل الكتاب اليهود والنصارى
واختلافهم انهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل من بعد ما جاءهم العلم انه الحق
الذي لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا احق بان يكون
النبوة فينا من قريش لانهم اميون ونحن اهل الكتاب وهذا تجويز لله بغيا بينهم
ومن يكفر بايات الله فان الله سريع الحساب اى ما كان الاختلاف وتظاهر هؤلاء
بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع
كل فريق ناسا يطؤون اعقابهم لا شبهة في الاسلام وقيل هو اختلافهم في نبوة محمد
حيث آمن به بعض وكفر بعض وقيل هو اختلافهم في الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى
ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسى عليه السلام حين احتضر استودع
التورية سبعين حبرا من بني اسرائيل وجعلهم امناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن
بعد قرن اختلف ابناء السبعين بعد ما جاءهم علم التورية بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ
الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم في امر عيسى بعد ما جاءهم العلم انه عبد الله
ورسوله • فان حاجوك فان جادلوك في الدين فقل اسلمت وجهي لله اي اخلصت نفسي و
جملتي له وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بان اعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين
التوحيد وهو الدين القويم الذي ثبت عندكم صحته كما ثبت عندي وما جئت بشيء بديع
ديني دين التوحيد حتى تجادلوني فيه ونحوه • قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا
وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين
هو حق اليقين الذي لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه ومن اتبعن عطف على التاء في اسلمت
وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه وقل للذين اوتوا الكتاب
من اليهود والنصارى والاميين والذين لا كتاب لهم من مشركي العرب ءاسلمتم يعني انه قد
اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم ام انتم بعد على
كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طريق البيان والكشف طريقا الا
سلكته فهل فهمتها لا ام لك ومنه قوله عز وجل فهل انتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف
عن الخمر والميسر وفي هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف
اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه
وبين الاذعان ولذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفي فهل انتم
منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهي عنه فان اسلموا فقد
اهتدوا فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور وان
تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد وان تولوا لم يضروك فانك رسول الله
منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة وتنبه على طريق الهدى ان الذين يكفرون بايات
الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يامرون بالقسط من الناس
فبشرهم بعذاب اليم وقرئ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة يقاتلون الذين
يامرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ ابي يقتلون النبيين والذين يامرون وهم

اهل

اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا
حول قتل رسول الله والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله
عنه قلت يا رسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيمة قال رجل قتل نبيا او رجلا
امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين
نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل
فامروا قتلتهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا في آخر النهار اولئك الذين
حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين في الدنيا والآخرة لان لهم
اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة فان قلت لم دخلت الفاء في خبر ان
قلت لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان
لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال
الفاء لتغير معنى الابتداء الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يريد احبار اليهود
وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس
الكتب المنزلة او من اللوح التورية وهي نصيب عظيم يدعون الى كتاب الله وهو التوراة
ليحكم بينهم وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم فقال له
نعيم بن عمرو والحرث بن زيد على اي دين انت فقال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم
كان يهوديا فقال ان بيننا وبينكم التورية فهلموا اليها فابيا وقيل نزلت في الرجم
وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا
فيه ثم يتولى فريق منهم استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب
وهم معرضون وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه
ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من اسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم
دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التورية ليحكم بين المحق والمبطل
منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا فا
واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا
اياما معدودات ذلك التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم
في الخروج من النار بعد ايام قلائل كما طمعت الحشوية والمجبرة وغرهم في دينهم ما كانوا
يفترون من ان اباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت اولئك شفاعة رسول الله في كبائرهم
فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت فكيف اذا جمعناهم
فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما
لا حيلة في دفعه والتخلص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع
بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفر راية اليهود فيفضحهم
الله على رؤس الاشهاد ثم يامر بهم الى النار وهم لا يظلمون يرجع الى كل نفس على المعنى
لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة انفس تريد ثلاثة اناسي قل اللهم الميم في اللهم
عوض من الياء ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم و
بدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك مالك الملك
اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون تؤتي الملك من تشاء تعطي من
تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك وتنزع الملك ممن تشاء النصيب
الذي قسمت لغيره منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل
وتعز من تشاء وتذل من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير انك على كل شيء قدير روي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد امته ملك فارس والروم فقال المنافقون
واليهود هيهات هيهات من اين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وامنع من ذلك وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب قطع لكل عشرة اربعين ذراعا
واخذوا يحفرونه فخرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا
سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فاخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها
وبرق منها برق اضاء ما بين لابتيها لكان المصباح في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون
وقال اضاءت لي منها قصور الحيرة كانها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت

لي منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لي قصور صنعاء
واخبرني جبريل ان امتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم
الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وانتم انما
تحفرون من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت فان قلت كيف قال بيدك
الخير فذكر الخير دون الشر قلت لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين
وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال
الله تعالى من نافع وضار صادر على الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه
تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي
وترزق من تشاء بغير حساب ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار في المعاقبة
بينهما وحال الحي والميت في اخراج احدهما من الاخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان
من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده
فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفي بعض الكتب انا الله
ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدي فان العباد اطاعوني جعلتهم عليهم رحمة
وان العباد عصوني جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الي اعطفهم
عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونون يولى عليكم لا يتخذ المؤمنون الكافرين اولياء
نهوا ان يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التي يتصادق
بها ويتعاشر وقد كرر ذلك في القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود و
النصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية • والمحبة في الله والبغض في الله باب عظيم
واصل من اصول الايمان من دون المؤمنين يعني ان لكم في موالاة المؤمنين مندوحة عن
موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ومن يوال
الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا
امر معقول فان موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوي ثم تزعم انني • صديقك ليس النوك عنك بعازب

الا ان تتقوا منهم تقاة الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه وقرئ تقية قيل
للمتقي تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه • رخص لهم في موالاتهم اذا خافوهم والمراد
بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال
المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا ويحذركم الله
نفسه فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه والى الله المصير وهذا وعيد شديد ويجوز ان
يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيتعدى بمن وينتصب تقية او تقية على المصدر كقوله
اتقوا الله حق تقاته قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى
الله يعلمه الله ويعلم ما في السموات وما في الارض يعلمه ولم يخف عليه وهو الذي يعلم ما في
السموات وما في الارض لا يخفى منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم والله على كل شيء قدير
فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهي ذاته المتميزة من سائر
الذوات متصفة بعلم ذاتي لا يختص بمعلوم دون معلوم فهي متعلقة بالمعلومات كلها
وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهي قادرة على المقدورات كلها فكان حقها
ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلا
حق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد
ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ في امره واتقى
كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذي يعلم السر واخفى مهيمن
وهو من التهم اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا
وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا يوم تجد منصوب بتود والضمير
في بينه لليوم اي يوم القيامة حين تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها وبين
ذلك اليوم وهوله امدا بعيدا ويجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر ويقع على ما عملت
وحده ويرتفع وما عملت على الابتداء وتود خبره اي والذي عملته من سوء تود هي لو تباعد
ما بينها وبينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود فان قلت فهل يصح ان تكون

شرطية

شرطية على قراءة عبد الله ودت قلت لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع
في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة ويجوز ان يعطف
وما عملت على ما عملت ويكون تود حالا اي يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها
وبين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤونه
ونحوه فينبئهم بما عملوا احصاه الله ونسوه • والامد المسافة كقوله يا ليت بيني وبينك بعد المشرقين
وكرر قوله ويحذركم الله نفسه ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه والله رؤوف بالعباد
يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم
اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن
الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه ويجوز ان يريد انه مع كونه محذورا لعلمه وقدرته
مرجو لسعة رحمته كقوله ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب اليم قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم محبة العباد لله مجاز
عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها ومحبة الله عباده ان يرضى
عنهم ويحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح
ما تدعونه من ارادة عبادته يرضى عنكم ويغفر لكم ذنوبكم وعن الحسن زعم اقوام على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن
ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه • واذا رأيت من يذكر محبة
الله ويصفق بيديه مع ذكرها ويطرب وينعر ويصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا
يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا انه تصور في نفسه
الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر و
صعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة
حواليه قد ملؤوا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرئ تحبون ويحببكم
من حبه يحبه قال

احب ابا ثروان من حب تمره • واعلم ان الرفق بالجار ارفق
ووالله لولا تمره ما حببته • ولا كان ادنى من عبيد ومشرق

قل اطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين فان تولوا يحتمل ان يكون
ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان يتولوا ويدخل في جملة ما يقول الرسول لهم ان الله اصطفى
آدم ونوحا وآل ابراهيم اسمعيل واسحق واولادهما وآل عمران موسى وهرون ابنا عمران
بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمانون سنة على
العالمين ذرية بعضها من بعض ذرية بدل من آل ابراهيم وآل عمران • بعضها من بعض يعني
ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران و
عمران من يصهر ويصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب ويعقوب من اسحق
وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى بن يهوذا بن يعقوب
بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض
في الدين كقوله المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفاء
او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم بقول امرأة عمران ونيتها • اذ قالت امرأة
عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا فتقبل مني انك انت السميع العليم اذ منصوب به
وقيل باضمار اذكر وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان ام مريم البتول جدة عيسى صلوات
الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرأة عمران على اثر قوله وآل عمران مما يرجح
ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى عليه السلام والقول الآخر يرجحه ان موسى يقرن بابراهيم
كثيرا بالذكر فان قلت كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران
بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي
اخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن اذن
وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت مريم فكان يحيى
وعيسى ابني خالة روي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر
يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا

ان اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران
وهي حامل • محررًا معتقا لخدمة بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله
بشي وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم كانوا ينذرون هذا النذر •
فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وبين ان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة وما
كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها
الضمير لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما بطنها كان انثى في علم الله او على تاويل الحبلة
او النفس او النسمة قالت رب اني وضعتها انثى فان قلت كيف جاز
انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى قلت الاصل
وضعته انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذو الحال كشي واحد كما انث الاسم في من •
كانت امك لتانيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة او
النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول قلت
قالته تحسرا على ما رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو
وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن
قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها •
منه ومعناه والله اعلم بالشي الذي وضعت وما علق به من عظايم الامور وان يجعله
وولده اية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيا ولذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس
والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم •
الله من عظم شانه وعلو قدره وقري وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا او حكمة ولعل هذه
الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى قوله وليس الذكر كالانثى
قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه
وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فان قلت
علام عطف قوله واني سميتها مريم قلت هو عطف على اني وضعتها انثى
وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت لم ذكرت
تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب
اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى
كيف اتبعه طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوايه واني اعيذها بك وذريتها
من الشيطان الرجيم وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان اياه الا •
مريم وابنها والله اعلم بصحته فان صح فان معناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوايه
الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين
الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه
ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومي

لما تؤذن الدنيا به من صروفها • يكون بكاء الطفل ساعة يولد

واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لا
متلات الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر
مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشي ::
كالسعود واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم
يقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة
روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار
ابناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة •
فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس
بني اسرايل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي اختها فقالوا لا حتى نقترع
عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا
فوق الماء ورسبت اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف
بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى
فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه وهو كثير في كلامهم من

استقبل

الامر اذا اخذ باوله وعفوانه قال القطامي

وخير الامر ما استقبلت منه • وليس بان تتبعه اتباعا

ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها من اول امرها حين ولدت بقبول حسن وانبتها
نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العايدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقري وكفلها
زكريا بوزن وعملها وكفلها زكريا بتشديد الفاء ونصب زكريا والفعل لله تعالى بمعنى وضمها
اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي واكفلها وفي قوله اكفلنيها وقرا مجاهد
فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثه ونصب ربها تدعو بذلك اي
فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بني لها زكريا عليه السلام محرابا في المسجد اي
غرفة تصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت في اشرف موضع
من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده
وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة
ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء
قال يا مريم انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه
والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك قالت هو من عند الله لا تستبعد قيل تكلمت وهي
صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه جاع في زمن قحط فاهدت
له فاطمه رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت
عن الطبق فاذا هو مملو خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال صلى الله عليه وسلم انى
لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي جعلك
شبيهة بسيدة نساء بني اسرايل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب والحسن والحسين
وجميع اهل بيته عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها ان الله يرزق من يشاء
من جملة كلام مريم عليها او من كلام رب العزة عز من قايل بغير حساب بغير تقدير لكثرته او تفضلا
بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق هنالك دعا زكريا ربه في ذلك المكان حيث هو •
قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما راى حال مريم
في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في ان يكون له من ايشاع ولد مثل ولدها مهاحنه في النجابة والكرامة
على الله وان كانت عجوزا عاقرا فقد كانت امها كذلك وقيل لما راى الفاكهة في غير وقتها انتبه
على جواز ولادة العاقر قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة ذرية ولدا والذرية يقع على
الواحد والجمع انك سميع الدعاء مجيبه فنادته الملايكة وهو قايم يصلي في المحراب قري فناداه
الملايكة وقيل ناداه جبريل وانما قيل الملايكة على قولهم فلان يركب الخيل ان الله يبشرك بيحيى
ان بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول او لان النداء نوع من القول وقري يبشرك ويبشرك من بشره
وابشره وبشرك بفتح الباء من بشره ويحيى ان كان اعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسى
وعيسى وان كان عربيا فللتعريف كيعمر ومصدقا بكلمة من الله مصدقا بعيسى مومنا به قيل هو اول
من امن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب اخر وقيل
مصدقا بكلمة من الله مومنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته وسيدا
الذي يسود قومه اي يفوقهم في الشرف وكان يحيى فايقا لقومه وفايقا للناس كلهم في انه لم يركب
سيئة قط ويا لها من سيادة وحصورا الحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه اي منعا لها
من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل

وشارب مربح بالكاس نادمني • لا بالحصور ولا فيها بسوار

فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب
فقال ما للعب خلقت ونبيا من الصالحين ناشيا من الصالحين لانه كان من اصلاب الانبياء
او كاينا من جملة الصالحين كقوله وانه في الاخرة لمن الصالحين قال رب انى يكون لي غلام
استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم وقد بلغني الكبر كقولهم ادركته السن العالية والمعنى
اثر في الكبر واضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامراته ثمان وتسعون سنة وامراتي
عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء اي يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك
الفعل وهو خلق الولد من الشيخ الفاني والعجوز العاقر وكذلك الله مبتدا وخبر اي على نحو هذه
الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اي يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات قال رب

كلما دخل عليها زكريا المحراب

اجعل لي آية علامة اعرف بها الحبل لا تلقي النعمة اذا جاءت بالشكر قال آيتك ان لا تكلم الناس
قال آيتك ان لا تقدر على تكليم ثلاثة ايام الا رمزا وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه
عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر ولذلك قال واذكر ربك كثيرا
وسبح بالعشي والابكار يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الايات الباهرة فان قلت
لم حبس لسانه عن تكليم الناس قلت ليخلص المدة لذكر الله لا يشتغل لسانه بغيره توفرا منه
على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل
الشكر قيل آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال
ومنتزعا منه • الا رمزا الا اشارة بيد او رأس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه
قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رُمُزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا
بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله ❁ ❁ ❁
❁ • ❁ متى ما تلقني فردين ترجف ❁ روانف اليتيك وتستطارا ❁ ❁ ❁
بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم • والعشي من حين تزول الشمس
الى ان تغيب والابكار من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار
تقول اتيته بكرا بفتحتين فان قلت الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثني منه
قلت لما ادى مؤدي الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء
منقطعا واذ قالت الملائكة يا مريم روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا عليه السلام
او ارهاصا لنبوة عيسى ان الله اصطفاك اولا حين تقبلك من امك ورباك واختصك بالكرامة
السنية وطهرك مما يستقذر من الافعال ومما قذفك به اليهود واصطفاك اخرا على نساء
العالمين بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء يا مريم اقنتي لربك
واسجدي امرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيئات الصلوة واركانها ثم قيل
لها واركعي مع الراكعين بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اي في الجماعة او وانظمي نفسك
في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها
من كان يقوم ويسجد في صلوته ولا يركع وفيه من يركع فامرت ان تركع مع الراكعين
ولا تكون مع من لا يركع ذلك اشارة الى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى من انباء
الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي فان
قلت لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء من
حفاظها وهو موهوم قلت كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة
وكانوا منكرين للوحي فلم تبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على
سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي
وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم اذ يلقون اقلامهم ازلامهم وهي قداحهم
التي طرحوها في النهر مقترعين ايهم يكفل مريم وقيل هي الاقلام التي كانوا يكتبون بها التورية
اختاروها للقرعة تبركا بها وما كنت لديهم اذ يختصمون في شانها تنافسا في التكفل بها
فان قلت ايهم يكفل بم يتعلق قلت بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها
ينظرون ايهم يكفل او ليعلموا او يقولون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه
المسيح عيسى بن مريم المسيح لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية
ومعناه المبارك كقوله وجعلني مباركا اينما كنت وكذلك عيسى معربة ايشوع ومشتقهما
من المسح والعيس كالراقم في الماء فان قلت اذ قالت بم يتعلق قلت هو بدل من واذ قالت
الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع
كما تقول لقيته سنة كذا فان قلت لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم قلت لان الابناء
ينسبون الى الاباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها انه يولد من غير اب فلا ينسب الا الى
امه وبذلك اصطفيت وفضلت على نساء العالمين فان قلت لم ذكر ضمير الكلمة ❁
قلت لان المسمى بها مذكر فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة
اشياء الاسم منها عيسى واما المسيح والابن فلقب وصفة قلت الاسم للمسمى علامة يعرف
بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذي يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة وجيها
في الدنيا والاخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين وجيها

حال

حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين اي يبشرك به موصوفا
بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة والوجاهة في الدنيا
النبوة والتقدم على الناس وفي الاخرة الشفاعة وعلو الدرجة في الجنة وكونه من
المقربين رفعه الى السماء وصحبته للملائكة • والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي
بالمصدر وفي المهد في محل النصب على الحال وكهلا عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا
وكهلا ومعناه ويكلم الناس في هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال
الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء • ويعلمه الكتاب
والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بني اسرائيل ومن بدع التفاسير ان قولها رب
نداء لجبريل بمعنى يا سيدي قالت رب انى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله
يخلق ما يشاء اذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون ونعلمه عطف على نبشرك او على وجيها
او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء فان قلت علام
تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدي
يأبى حمله عليها قلت هو من المضايق وفيه وجهان احدهما ان يضمر له وارسلت
على ارادة القول تقديره ويعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا باني قد
جئتكم ومصدقا لما بين يدي والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل
وناطقا باني قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدي وقرأ اليزيدي ورسول •
عطفا على كلمة اني قد جئتكم باية من ربكم اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار
وانتصب بالفعل واني اخلق نصب بدل من اني قد جئتكم او جر بدل من آية او رفع على
هي اني اخلق لكم وقرئ اني بالكسر على الاستئناف اي اقدر لكم شيئا من الطين كهيئة الطير
مثل صورة الطير فانفخ فيه الضمير للكاف اي في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير • فيكون
طيرا فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا باذن الله وقرأ عبد الله فانفخها قال •
كالهبرقي تنحى ينفخ الفحما ❁ • ❁ وقيل لم يخلق غير الخفاش وابرئ الاكمه والابرص
واحيي الموتى باذن الله وانبئكم بما تاكلون وما تدخرون في بيوتكم ان في ذلك
لاية لكم ان كنتم مؤمنين الاكمه الذي ولد اعمى وقيل هو الممسوح العين وقيل لم يكن في
هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروي انه ربما اجتمع
عليه خمسون الفا من المرضى من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته
الا بالدعاء وحده وكرر باذن الله دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية وروي انه احيا
سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا ان هذا سحر فارنا آية فقال يا فلان اكلت يا فلان خبئ
لك كذا وقرئ تذخرون بالذال والتخفيف ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولاحل
لكم بعض الذي حرم عليكم ولاحل رد على قوله باية من ربكم اي جئتكم باية من ربكم
ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه ايضا اي جئتكم باية وجئتكم مصدقا
ما حرم الله عليكم في شريعة موسى الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذي ظفر •
فاحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في
احلاله السبت وقرئ حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدي من التورية او الله
عز وجل او موسى عليه السلام لان ذكر التورية دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرئ
حرم بوزن كرم وجئتكم باية من ربكم شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله ان الله ربي
وربكم لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه فاتقوا الله واطيعون
ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم وقرئ بالفتح على البدل من آية
وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض فان قلت كيف جعل هذا القول اية من ربه
قلت لان الله تعالى جعل له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في
ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم باية من ربكم اي جئتكم باية
بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي
بغير اب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بايات من ربكم • فاتقوا
الله لما جئتكم به • واطيعوني فيما ادعوكم اليه • ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى من
فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى

وجئتكم بآيات من ربكم على أن الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض فلما احس عيسى فلما
علم منهم الكفر علما لا شبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس قال من انصاري الى الله والى
الله من صلة انصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون انفسهم الى الله
ينصرونني كما ينصرني او يتعلق بمحذوف حالا من الياء اي من انصاري ذاهبا الى الله
ملتجئا اليه قال الحواريون نحن انصار الله اي انصار دينه ورسوله وحواري الرجل صفوته
وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص الوانهن ونظافتهن قال
فقل للحواريات يبكين غيرنا ولا يبكنا الا الكلاب النوابح
وفي وزنه الحوالي وهو الكثير الحيلة آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وانما طلبوا شهادته
باسلامهم تاكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيمة لقومهم وعليهم ربنا آمنا
بما انزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم
او مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد لانهم شهداء على الناس ومكروا
ومكر الله ان الله رفع الواو لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من
يقتله غيلة ومكر الله ومكر الله ان الله رفع عيسى الى السماء والقى شبهه على من اراد اغتياله
حتى قتل والله خير الماكرين اقواهم مكرا وانفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث
لا يشعر المعاقب اذ قال الله ظرف لخير الماكرين او لمكر الله يا عيسى اني متوفيك اي
متوفي اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك
حتف انفك لا قتلا بايديهم ورافعك الى الى سمائي ومقر ملائكتي ومطهرك من الذين
كفروا من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالي على
فلان استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفي
نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وانت نائم حتى لا يلحقك خوف
وتستيقظ وانت في السماء آمن مقرب وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم
القيمة يعلونهم بالحجة في اكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل
الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى ثم الي مرجعكم
فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاحكم تفسير الحكم قوله فاما الذين كفروا فاعذبهم
عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات
فيوفيهم اجورهم والله لا يحب الظالمين وقرئ فنوفيهم بالنون ذلك اشارة الى ما سبق
من نبأ عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره نتلوه عليك ومن الآيات خبر بعد خبر او خبر مبتدأ
محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذين ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب
ذلك بمضمر يفسره نتلوه والذكر الحكيم القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة
لكثرة حكمه ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم ان شأن عيسى وحاله الغريبة كشأن آدم وقوله
خلقه من تراب جملة مفسرة لما له شبه عيسى بآدم اي خلق آدم من تراب ولم يكن ثم اب
ولا ام فكذلك حال عيسى فان قلت كيف شبه به عيسى وقد وجد هو بغير اب ووجد آدم
بغير اب وام قلت هو مثيله في احد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر
من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف لانه شبه به في انه وجد وجودا
خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير اب وام اغرب واخرق
للعادة من الوجود من غير اب فشبه الغريب بالاغرب ليكون اقطع للخصم واحسم لمادة
شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه اسر بالروم فقال لهم لم تعبدون
عيسى قالوا لانه لا اب له فقال آدم اولى لانه لا ابوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل
اولى لان عيسى احيا اربعة نفر وحزقيل ثمانية الاف فقال لو كان يبرئ الاكمه والابرص
قال فجرجيس اولى لانه طبخ واحرق ثم قام سالما خلقه من تراب قدره جسدا من طين
ثم قال له كن فيكون اي انشاه بشرا كقوله ثم انشاناه خلقا آخر فيكون حكاية حال ماضية
الحق من ربك خبر مبتدأ محذوف اي هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس فلا تكن من الممترين
نهيه عن الامترا وجل رسول الله ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمانينة
وان يكون لطفا لغيره فمن حاجك من النصارى فيه في عيسى من بعد ما جاءك من العلم
اي من البينات الموجبة للعلم فقل تعالوا هلموا والمراد المجيء بالراي والعزم كما تقول تعال نفكر

في هذه المسئلة ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم اي يدع
كل مني ومنكم ابناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين
ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم
اللعنة وبهله الله لعنه وابعده من رحمته من قولك ابهله اذا اهمله وناقة باهل لا صرار
عليها واصل الابتهال هذا ثم يستعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا وروي انه لما
دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد
المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يا معشر النصارى ان محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل
من امر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن
فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما انتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فاتوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي
خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فامنوا فقال اسقف نجران يا معشر النصارى اني لارى وجوها
لو سألوا الله ان يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض
نصراني الى يوم القيمة فقالوا يا ابا القسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا
قال فاذا ابيتم المباهلة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني اناجزكم فقالوا
ما لنا بحرب العرب طاقة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا ولكن نصالحك على
ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف حلة
في رجب وثلاثين درعا عارية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك
قد تدلى على اهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستاصل
الله نجران واهله حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن
عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرحل من شعر اسود فجاء
الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل
البيت فان قلت ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به
وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء قلت ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه
بصدقه حيث استجرأ على تعريض اعزته وافلاذ كبده واحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه
له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع احبته واعزته هلاك الاستئصال ان تمت المباهلة
وخص الابناء والنساء لانهم اعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم
حتى يقتل ومن ثم كانوا يسوقون مع انفسهم الظعائن في الحرب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة
عنها بارواحهم حماة الحقايق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب
منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء اقوى منه على فضل
اصحاب الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم
يرو احد من موافق ولا مخالف انهم اجابوا الى ذلك ان هذا الذي قص عليك من نبأ عيسى لهو
القصص الحق قرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف
كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان
فان قلت لم جاز دخول اللام على الفصل قلت اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على
الفصل اجوز لانه اقرب الى المبتدأ منه واصلها ان تدخل على المبتدأ ومن في قوله وما من اله
الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم بمنزلة البناء على الفتح في لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق
والمراد الرد على النصارى في تثليثهم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين وعيد لهم بالعذاب
المذكور في قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون قل يا اهل الكتاب قيل هم اهل
الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم مستوية
بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله الا نعبد الا الله ولا
نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا اربابا من دون الله يعني تعالوا اليها حتى لا نقول عزير
ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم
والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح
ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يا رسول الله
قال اليس كانوا يحلون ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا ابالي

اطعت مخلوقا في معصية الله الخالق او صليت لغير القبلة وقرئ كلمة بسكون اللام وقرا
الحسن سواء بالنصب بمعني استوت استواء فان تولوا عن التوحيد فقولوا اشهدوا بانا مسلمون
اي لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بانا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب
في جدال او صراع او غيرهما اعترف باني انا الغالب وسلم لي الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض
ومعناه اشهدوا واعترفوا بانكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره ٭ قل يا اهل الكتاب
لم تحاجون في ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده زعم كل فريق من اليهود والنصارى
ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد
نزول التورية والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى الف سنة وبينه وبين
عيسى الفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعده بازمنة متطاولة افلا تعقلون
حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال ها انتم هؤلاء ها للتنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبر ٭
وحاججتم جملة مستانفة مبينة للجملة الاولى يعني انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان
حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم فيما لكم به علم مما نطق به التورية والانجيل فلم تحاجون
فيما ليس لكم به علم ولا ذكر له في كتابكم من دين ابراهيم وعن الاخفش ها انتم هو ءانتم على
الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعني الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعني الذين
وحاججتم صلته والله يعلم علم ما حاججتم فيه وانتم لا تعلمون وانتم جاهلون به
ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما ثم اعلمهم بانه برئ من
دينكم وما كان الا حنيفا مسلما وما كان من المشركين كما لم يكن منكم او اراد بالمشركين اليهود
والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح ان اولى الناس بابراهيم ان اخصهم به واقربهم
منه من الولي وهو القرب للذين اتبعوه في زمانه وبعده وهذا النبي خصوصا والذين امنوا
من امته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء في اتبعوه اي اتبعوه واتبعوا هذا النبي
وبالجر عطفا على ابراهيم والله ولي المؤمنين ودت طايفة من اهل الكتاب لو يضلونكم
هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية وما يضلون الا انفسهم وما
يشعرون وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما
يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم يا اهل الكتاب لم تكفرون
بايات الله بالتورية والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول
الله وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها ايات الله او تكفرون بالقران ودلايل نبوة الرسول ٭
وانتم تشهدون نعته في الكتابين او تكفرون بايات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق يا اهل
الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وانتم تعلمون وقرئ تلبسون بالتشديد
وقرئ يحيى بن وثاب تلبسون بفتح الباء اي تكتسبون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور
وقوله ٭ اذا هو بالمجد ارتدى وتازرا ٭ وقالت طايفة من اهل الكتاب امنوا بالذي
انزل على الذين امنوا وجه النهار واكفروا اخره لعلهم يرجعون وجه النهار اوله
قال ٭ من كان مسرورا بمقتل مالك ٭ فليات نسوتنا بوجه نهار ٭
والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين في اول النهار واكفروا به اخره لعلهم يشكون في دينهم
ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطا
اثنا عشر رجلا وهم اهل كتاب من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا في دين محمد اول
النهار من غير اعتقاد واكفروا به اخر النهار وقولوا انا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا
فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك
اصحابه في دينهم وقيل هذا في شان القبلة لما صرفت الى الكعبة وقال كعب لاشرف لاصحابه
امنوا بما انزل عليهم من الصلوة الى الكعبة وصلوا اليها في اول النهار ثم اكفروا به في اخره
وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع
دينكم ولا تؤمنوا متعلق بقوله ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم وما بينهما اعتراض اي ولا
تظهروا ايمانكم بان يؤتى احد مثل ما اوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا اسروا تصديقكم
بان المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما اوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون
المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام قل ان الهدى هدى الله
ان يؤتى مثل ما اوتيتم او يحاجوكم عند ربكم عطف على ان يؤتى والضمير في يحاجوكم لاحد لانه

في

في معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجوكم يوم القيمة بالحق ويغالبوكم
عند الله بالحجة فان قلت فما معنى الاعتراض قلت معناه ان الهدى هدى الله
من شانه ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدهم
وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله قل ان الفضل بيد الله
يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم
يريد الهداية والتوفيق او يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا
الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا لمن كانوا تابعين لدينكم ممن ٭
اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ
وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم
ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير ان يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى
الا ان يؤتى احدكم فان قلت فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا قلت معناه دبرتم ما دبرتم
لان يؤتى احدكم مثل ما اوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان
يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل
ما اوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فتنقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم ٭ وقرئ
ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اي ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا
قولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما اوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعني ما يؤتون مثله ويجوز ان
ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كانه قيل قل ان الهدى
هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم ٭
انكار لان يؤتى احد مثل ما اوتوا ومن اهل الكتاب من ان تامنه بقنطار يؤده اليك
عن ابن عباس رضه ان تامنه بقنطار هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومايتي
اوقية ذهبا فاداه اليه ومنهم من ان تامنه بدينار لا يؤده اليك فنحاص بن عازوراء
استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المامونون على الكثير النصارى لغلبة
الامانة عليهم والخائنون في القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم الا ما دمت عليه قائما
الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف
او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها وبغير وصل
وبسكونها وقرئ يحيى بن وثاب يامنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام ٭ ذلك
اشارة الى ترك الاداء الذي دل عليه لا يؤده اي تركهم اداء الحقوق بانهم قالوا ليس
علينا في الاميين سبيل اي لا يتطرق علينا عتاب وذم في شان الاميين يعنون الذين
ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا
يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من
قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك
في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية
الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه ساله رجل
فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا ٭
قال نقول ليس علينا في ذلك باس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل
انهم اذا ادوا الجزية لم يحل اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم ويقولون على الله الكذب
بادعائهم ان ذلك في كتابهم وهم يعلمون انهم كاذبون بلى اثبات لما نفوه من السبيل
عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله من اوفى بعهده جملة مستانفة مقررة
للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من وفى بما عاهد
عليه واتقى فان الله يحب المتقين واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه فان
قلت فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لكسبوا محبة الله قلت
اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان
برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه
ويجوز ان يرجع الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان
وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء فان قلت فاين الضمير الراجع

من الجزا الى من قلت عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب • ان الذين يشترون يستبدلون بعهد الله بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم وايمانهم بما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه ثمنا قليلا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التورية وبدلوا صفة رسول الله و اخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال قد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كان بيني وبين رجل خصومة في بير فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا هو فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطى بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله • اولئك لا خلاق لهم في الاخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيمة ولا ينظر اليهم مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه ولا يزكيهم ولا يثني عليهم ولهم عذاب اليم فان قلت اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه قلت اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه واعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر وان منهم لفريقا هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم يلوون السنتهم بالكتاب يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرا اهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففاها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها فان قلت الى م ترجع الضمير في لتحسبوه قلت الى ما دل عليه يلوون السنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون السنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقري ليحسبوه بالياء يعني يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله تاكيد لقوله هو من الكتاب وقوله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون زيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التورية هكذا وقد انزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الاخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التورية وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة النبي صلى الله عليه وسلم ثم اخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان ابا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله اتريد ان نعبدك ونتخذك ربا فقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نامر بغير عبادة الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي ان يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله • والحكم والحكمة وهي السنة ولكن كونوا ربانيين ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد بن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون بسبب كونكم عالمين وبسبب كونكم دارسين للعلم اوجب ان يكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله من غرس شجرة حسناء تونقه

بمنظرها

بمنظرها ولا تنفعه بثمرها وقري تعلمون من التعليم وتعلمون من التعليم • تدرسون تقرؤن وقري تدرسون من التدريس وتدرسون على ان ادرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدرسون من التدريس ويجوز ان يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقراه على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته ولا يامركم قري ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان احدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله و ينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا له انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبيا والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وينصرها قراءة عبد الله ولن يامركم والضمير في لا يامركم وايامركم للبشر وقيل لله والهمزة في ايامركم بالكفر للانكار • بعد اذ انتم مسلمون دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا واذ اخذ الله ميثاق النبيين فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة ابي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لما اتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه اللام في لما اتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم • وما يحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقري لما اتيتكم وقري حمزة لما • اتيتكم بكسر اللام والمعنى لاجل ايتاي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجي رسول الله مصدق • لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني اتيناكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم ليؤمنن بالرسول ولينصرنه لاجل اني اتيتكم الحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان ما موصولة فان قلت كيف يجوز ذلك والعطف على اتيناكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان تدخل تحت حكم الصلة لانك لا تقول للذي جاءكم رسول مصدق لما معكم قلت بلى لان معكم في معنى ما اتيتكم فكانه قيل للذي اتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرا سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين اتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل اصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها في الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن اجل ما اتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة في المعنى قال ااقررتم واخذتم على ذلكم اصري اصري عهدي وقري اصري بالضم وسمي اصرا لانه مما يوصر اي يشد ويعقد ومنه الاصار الذي يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة في اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار قالوا اقررنا قال فاشهدوا فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار وانا معكم وانا على ذلكم من اقراركم وتشاهدكم من الشاهدين وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة فمن تولى بعد ذلك الميثاق والتوكيد فاولئك هم الفاسقون اي المتمردون من الكفار افغير دين الله يبغون وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فاولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان تعطف على محذوف تقديره ايتولون فغير دين الله يبغون وقدم

المفعول الذي هو غير دين الله علي فعله لأنه اهم من حيث ان الانكار الذي هو معني الهمزة
متوجه الي المعبود بالباطل وروي ان اهل الكتاب اختصموا الي رسول الله فيما اختلفوا فيه
من دين ابراهيم وكل واحد من الفريقين ادعي انه اولي به فقال صلي الله عليه وسلم كلا الفريقين
بري من دين ابراهيم فقالوا ما نرضي بقضايك ولا ناخذ بدينك فنزلت وقري يبغون بالياء
وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقريا بالتاء
معا والتاسعا طوعا بالنظر في الادلة والانصاف من نفسه وكرها بالسيف او بمعاينة ما يلجي الي
الاسلام والكتوق الجبل علي بني اسرايل وادراك الغرق فرعون والاشفا علي الموت فلما راوا باسنا
قالوا امنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها علي الحال بمعني طايعين ومكرهين قل امنا بالله وما
انزل علينا وما انزل علي ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وما اوتي موسي وعيسي
والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم امر رسول الله صلي الله عليه وسلم بان يخبر عن نفسه وعمن
معه بالايمان فلذلك وحد الضمير في قل وجمع في امنا ويجوز ان يامر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم
الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه فان قلت لم عدي انزل في هذه الاية بحرف الاستعلا وفيما
تقدم من مثلها بحرف الانتها قلت لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق
وينتهي الي الرسل فجا تارة باحد المعنيين واخري بالاخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا
لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمومنين لان الرسول ياتيه الوحي علي طريق الاستعلا وياتيهم
علي وجه الانتها فقد تعسف الا تري الي قوله بما انزل اليك وانزلنا اليك الكتاب والي قوله امنوا
بالذي انزل علي الذين امنوا ونحن له مسلمون موحدون ونخلص انفسنا له لا نجعل له شريكا
في عبادتها ثم قال ومن يبتغ غير الاسلام يعني التوحيد واسلام الوجه لله دينا فلن يقبل
منه وهو في الاخرة من الخاسرين من الذين وقعوا في الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقري
ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول
حق وجاهم البينات كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم علي كفرهم
ودل علي تصميمهم بانهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاتهم
الشواهد من القران وساير المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلي الله
عليه وسلم بعد ان كانوا مومنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل
نزلت في رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة بن ابيرق ووحوح
بن الاسلت والحرث بن سويد بن الصامت فان قلت علام عطف قوله وشهدوا قلت
فيه وجهان ان يعطف علي ما في ايمانهم من معني الفعل لان معناه بعد ان امنوا كقوله تعالي
فاصدق واكن وقول الشاعر ۞ ۞ ۞ ۞ ۞
۞ ليسوا مصلحين عشيرة ۞ ولا ناعب الا ببين غرابها ۞ ۞
ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعني كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق والله لا يهدي
القوم الظالمين والله لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم
اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم
العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك الكفر العظيم والارتداد واصلحوا
ما افسدوا ودخلوا في الصلاح فان الله غفور رحيم قيل نزلت في الحرث بن سويد حين ندم
علي ردته وارسل الي قومه ان سلوا هل لي من توبة فارسل اليه اخوه الجلاس بالاية فاقبل
الي المدينة فتاب وقبل رسول الله صلي الله عليه وسلم توبته ثم ازدادوا كفرا لن تقبل ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم
توبتهم واولئك هم الضالون هم اليهود كفروا بعيسي والانجيل بعد ايمانهم بموسي والتوراة
ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقران او كفروا برسول الله بعدما كانوا به مومنين قبل
مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم علي ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم
ميثاقه وفتنتهم للمومنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل اية تنزل وقيل
نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر ان قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد
ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة فان قلت قد علم ان المرتد
كيف ما ازداد الكفر فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معني لن تقبل توبتهم ان الذين
كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدي به اولئك
لهم عذاب اليم وما لهم من ناصرين قلت جعلت عبارة عن الموت علي الكفر لان
الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت علي الكفر كانه قيل ان اليهود او المرتدين

الذين

الذين فعلوا ما فعلوا ميتون علي الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم فان قلت فلم
قيل في احدي الايتين لن تقبل بغير فاء وفي الاخري فلن يقبل قلت قد اوذن بالفاء
ان الكلام بني علي الشرط والجزا وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت علي الكفر وبترك
الفاء ان الكلام مبتدا وخبر ولا دليل فيه علي التسبيب كما تقول الذي جاني له درهم لم تجعل
المجي سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم فان قلت فحين كان معني لن تقبل توبتهم
بمعني الموت علي الكفر فهلا جعل الموت علي الكفر مسببا عن ازدياد الكفر وما ازدادوا هم الكفر لما
في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الي الموت علي الكفر قلت لانه من مرتد مزداد
للكفر يرجع الي الاسلام ولا يموت علي الكفر فان قلت فاي فايدة في هذه الكناية اعني
ان كني عن الموت علي الكفر بامتناع قبول التوبة قلت الفايدة فيها جليلة وهي التغليظ
في شان اولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الايسين من الرحمة التي هي
اغلظ الاحوال واشدها الا تري ان الموت علي الكفر انما يخاف من اجل الياس من الرحمة ذهبا
نصب علي التمييز وقرا الاعمش ذهب بالرفع ردا علي ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال
فان قلت كيف موقع قوله ولو افتدي به قلت هو كلام محمول علي المعني كانه قيل
فلن يقبل من احدهم فدية ولو افتدي بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدي
بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف
كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضرب زيد وابو يوسف ابو حنيفة تريد
مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا ابا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل ابي حسن
كما انه يراد في مثل قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد انت وذلك ان المثلين يسد احدهما مسد الاخر
فكانا في حكم شي واحد وان يراد فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق
به ولو افتدي به ايضا لم يقبل منه وقري فلن يقبل من احدهم ملء الارض ذهبا علي البناء
للفاعل وهو الله عز وجل ونصب ملء ومل الارض بتخفيف الهمزتين لن تنالوا
البر لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه
حتي تنفقوا مما تحبون حتي تكون نفقتكم من اموالكم التي تحبونها وتوثرونها كقوله
انفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا احبوا شيا جعلوه لله وروي انها
لما نزلت جا ابو طلحة وقال يا رسول الله ان احب اموالي الي بيرحا فضعها يا رسول الله
حيث اراك الله فقال صلي الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح او مال رايح واني اري ان
تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة افعل يا رسول الله فقسمها في اقاربه وجا زيد بن
حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله اسامة بن زيد
فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله اما ان الله قد
قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الي ابي موسي الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولا
يوم فتحت مداين كسري فلما جات اعجبته فقال ان الله تعالي يقول لن تنالوا البر حتي
تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ايتني بخير ابلي فجا بناقة
مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان
يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرا عبد الله حتي تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل علي ان
من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال وما تنفقوا من شي من
ما تنفقوا اي من شي كان من طيب تحبونه او خبيث تكرهونه فان الله به عليم بكل شي تنفقونه
فيجازيكم بحسبه كل الطعام كان حلا لبني اسرايل الا ما حرم اسرايل علي نفسه من قبل ان تنزل
التورية كل المطعومات واكل انواع الطعام والحل مصدر يقال حل الشي حلا كقولك ذلت
الدابة ذلا وعز الرجل عزا ومنه حديث عايشة رضي الله عنها كنت اطيبه لحله وحرمه ولذلك استوي
في الوصف به المذكر والمونث والواحد والجمع قال الله تعالي لا هن حل لهم والذي حرم اسرايل وهو
يعقوب علي نفسه لحوم الابل والبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم
علي نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك احبه اليه فحرمه وقيل اشارت عليه الاطبا باجتنابه ففعل
ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتدا والمعني ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرايل من قبل
انزال التورية وتحريم ما حرم فيها عليهم لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شي قبل ذلك غير المطعوم
الواحد الذي حرمه ابوهم اسرايل علي نفسه فتبعوه علي تحريمه وهو رد علي اليهود وتكذيب لهم

لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعي عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا
عليهم طيبات احلت لهم الى قوله عذابا اليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر
ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم جحود ما غاظهم و
اشمازوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا
باول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابراهيم ومن بعدهما من بني
اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب
شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله واكل الربا واخذ اموال الناس بالباطل وما
عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم • **قل
فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين** امر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم بما هو ناطق
به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي
انهم لم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق
النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه **فمن افترى على الله الكذب** بزعمه ان ذلك
محرما على بني اسرائيل قبل انزال التوراة **من بعد ذلك** من بعد ما لزمهم من الحجة القاطعة **فاولئك
هم الظالمون** المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات **قل صدق
الله** تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون اي ثبت ان الله صادق فيما انزل
وانتم الكاذبون **فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين** وهي ملة الاسلام التي
عليها محمد ومن امن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث
اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية اغراضكم والزمتكم تحريم الطيبات التي احلها الله لابراهيم
ولمن تبعه **ان اول بيت وضع للناس** وضع صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة
من قرا وضع للناس بتسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم
فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول
مسجد وضع للناس فقال البيت الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال اربعون سنة وعن علي
رضي الله عنه ان رجلا قال له اهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه اول بيت وضع
للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم
ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان
وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السموات والارض خلقه قبل الارض بالفي عام و
كان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم في الارض وقيل
لما اهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان في
موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع في الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة
السموات **للذي ببكة** للبيت الذي ببكة وهو علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو
قولهم النبيط والنميط في اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى
محمطة ومحبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه
لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضا الرجال والنساء يصلي بعضهم
بين يدي بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال ❁ • ❁ •
❁ • ❁ اذا الشريب اخذته الاكه • فخله حتى يبك بكه ❁ • ❁ • ❁
وقيل تبك اعناق الجبابرة اي تدقها لم يقصدها جبار الا قصمه الله ❁ **مباركا** كثير
الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال
من المستكن في الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل
الاستقرار **وهدى للعالمين** لانه قبلتهم ومتعبدهم **فيه آيات بينات مقام ابراهيم**
عطف بيان لقوله آيات بينات **فان قلت** كيف صح بيان الجماعة بالواحد
قلت فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شانه وقوة
دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم عليه من تاثير قدمه في حجر صلد كقوله تعالى ان
ابراهيم كان امة والثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم في الصخرة الصماء آية وغوصه
فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخرة دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء
آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة اعدائه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف

سنة آية ويجوز ان يراد فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله لان الاثنين
نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز ان تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة
على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وامن من دخله وكثير سواهما
ونحوه في طي الذكر قول جرير ❁ • ❁ • ❁ • ❁ • ❁
❁ • ❁ كانت حنيفة اثلاثا فثلثهم • من العبيد وثلث من مواليها ❁ • ❁
ومنه قوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلاث الطيب والنساء • وقرة عيني في الصلوة
وقرا ابن عباس وابي ومجاهد وابو جعفر المدني في رواية آية بينة على التوحيد و
فيها دليل على ان مقام ابراهيم واقع وحده عطف بيان **فان قلت** كيف اجزت
ان يكون مقام ابراهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله **ومن دخله كان آمنا**
جملة مستانفة اما ابتدائية واما شرطية **قلت** اجزت ذلك من حيث المعنى لان
قوله ومن دخله كان آمنا دل على امن من دخله فكانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم
وامن داخله الا ترى انك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك
فيه آية بينة امن من دخله **فان قلت** كيف كان سبب هذا الاثر **قلت** فيه
قولان احدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا
الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امراة اسمعيل انزل
حتى يغسل راسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه
حتى غسلت شق راسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي اثر قدميه عليه ومعنى
ومن دخله كان آمنا معنى قوله اولم يروا انا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم
وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة
ثم لجا الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته
حتى يخرج منه وعند ابي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص او ردة او زنا فالتجا الى
الحرم لم يتعرض له الا انه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج
وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في احد الحرمين بعث يوم القيمة
آمنا من النار وعنه عليه السلام الحجون والبقيع يؤخذ باطرافهما وينثران في الجنة
وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود رضي الله عنه وقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن
هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب
يشفع كل واحد منهم في سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله
عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام **ولله
على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا** من استطاع بدل من الناس وروي
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس
وابن عمر وعليه اكثر العلماء • وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك ان الرجل
اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من
لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا راحلة له ولا زاد وعن الضحاك اذا قدر ان
يوجر نفسه فهو مستطيع يجب عليه الحج ❁ والضمير في اليه للبيت او للحج وكل ما اتى
الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام انواع من التاكيد والتشديد منها قوله ولله •
على الناس حج البيت يعني انه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن ادائه •
والخروج عن عهدته ومنها انه ذكر الناس ثم ابدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه
ضربان من التاكيد احدهما ان الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني ان الايضاح
بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله **ومن
كفر** مكان من لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة
متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه في قوله **فان الله غني عن العالمين**
وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله عن العالمين وان لم يقل
عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين

تناوله الاستغنا لا محاله ولانه يدل على الاستغنا فكان ادل على عظم السخط الذي وقع
عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فانهم قالوا الحج الى مكة غير واجب و
روي انه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم اهل الاديان
كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فامنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت
به خمس ملل قالوا لا نومن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم
حجوا قبل ان لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثه وروي حجوا قبل ان
لا تحجوا حجوا قبل ان يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية
شجرة لا تاكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا
ما نوظروا وقري حج البيت بالكسرة قل يا اهل الكتاب لم تكفرون بايات الله والله شهيد
على ما تعملون والله شهيد الواو للحال والمعنى لم تكفرون بايات الله التي دلتكم على صدق محمد
والحال ان الله شهيد مجازيكم عليها وهذه الحالة توجبان لا تجسروا على الكفر باياته قل يا اهل
الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من امن قرا الحسن تصدون من اصده عن سبيل الله عن
دين حق علم انه سبيل الله التي امر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المومنين ويحتالون
لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل اتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم
ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله تبغونها عوجا تطلبون
لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة فان قلت كيف يبغونها عوجا وهو محال
قلت فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة
موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم
تتعبون انفسكم في اخفا الحق وابتغا ما لا يتاتى لكم من وجود العوج فيما هو اقوم من كل مستقيم
وانتم شهدا انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وانتم شهدا بين اهل دينكم عدول
يثقون باقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار وما الله بغافل عما تعملون
وعيد ومحل يبغونها نصب على الحال يا ايها الذين امنوا ان تطيعوا فريقا من الذين اوتوا
الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين مر شاس بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر
شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم على نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس
لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تالفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة
وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم
بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج
وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا
السلاح السلاح فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين و
الانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع
به عنكم امر الجاهلية والف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم
فالقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم فما كان يوم اقبح اولا ولا احسن اخرا من ذلك اليوم وكيف تكفرون وانتم
تتلى عليكم ايات الله وفيكم رسوله معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب و
المعنى من اين يتطرق لكم الكفر والحال ان ايات الله وهي القران المعجز تتلى عليكم على
لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم
ومن يعتصم بالله ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجا اليه في
دفع شرور الكفار ومكايدهم فقد هدي الى صراط مستقيم فقد حصل له الهدى
لا محالة كما تقول اذا جيت فلانا فقد افلحت كان الهدى قد حصل فهو يخبر عنه
حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد
الكريم متوقع للفلاح عنده يا ايها الذين امنوا اتقوا الله حق تقاته
واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالمواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا
الله ما استطعتم يريد بالغوا في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيا وعن
عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا
وقيل هو ان لا تاخذ في الله لومة لايم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه وابيه

وقيل

عبد

وقيل لا يتقي الله حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتاد
ولا تموتن الا وانتم مسلمون معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا ادرككم
الموت كما تقول لمن يستعين به على لقاء العدو لا تاتني الا وانت على حصان فلا تنهاه
عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان
واعتصموا بحبل الله جميعا قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره
به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يامن انقطاعه وان
يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة بما يناسبه
والمعنى اجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك
بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القران
حبل الله المتين لا تنقضي عجايبه ولا يخلق من كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد
ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم
اعدا فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا ولا تفرقوا ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع
الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين ويزول معه الاجتماع
والالفة في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون
عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي انتم عليها مما يابى جامعكم والمولف
بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات
والحروب المتواصلة فالف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا
وصاروا اخوانا متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال
الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت
بينهم العداوة وتطاولت الحروب مايه وعشرين سنه الى ان اطفا الله ذلك بالاسلام
والف بينهم برسول الله وكنتم على شفا حفرة من النار وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار
جهنم لما كنتم عليه من الكفر فانقذكم الله منها بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا
وانما انث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال كما شرقت صدر القناة من الدم
وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة
وفي المونث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة فان قلت كيف جعلوا
على حرف حفرة من النار قلت لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم
التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها كذلك
مثل ذلك البيان البليغ يبين الله لكم اياته لعلكم تهتدون ارادة ان تزدادوا
هدى ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر
من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من
علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن
معروف وامر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن
غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده
انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين
واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا امة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة
اخرجت للناس تامرون واولئك هم المفلحون هم الاخصا بالفلاح دون غيرهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم انه سيل وهو على المنبر من خير الناس قال امرهم بالمعروف وانهاهم
عن المنكر واتقاهم لله واوصلهم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو
خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه
افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنى الفاسقين وغضب لله وغضب
الله له وعن حذيفة ياتي على الناس زمان يكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مومن
يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه
محمودا عند اخوانه فاعلم انه مداهن والامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا
فواجب وان كان ندبا فندب واما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه
واجب لاتصافه بالقبح فان قلت ما طريق الوجوب قلت قد اختلف

قبل النهي فعند ابي علي السمع والعقل وعند ابي هاشم السمع وحده فان قلت
ما شرائط النهي قلت ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن
ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهى عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي وانما يحسن
الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد في منكراته وان
لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث فان قلت فما شرط الوجوب قلت
ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد
الالة وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة فان قلت
كيف يباشر الانكار قلت يبتدئ بالسهل فان لم ينفع ترقى الى الصعب لان الغرض كف
المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا فان قلت فمن يباشر
قلت كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد اجمعوا ان من راى غيره تاركا للصلوة
وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذي بالقتال فالامام و
خلفائه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها فان قلت فمن يؤمر وينهى قلت
كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهى الصبيان
عن المحرمات حتى لا يعودوها كما يؤمرون بالصلوة ليتمرنوا عليها فان قلت هل
يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه قلت نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره
واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الاخر وعن السلف مروا بالخير
وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل
ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر فان قلت
كيف قيل يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف قلت الدعاء الى الخير عام في التكاليف
من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهي عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه
الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلوة الوسطى ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا
وهم اليهود والنصارى من بعد ما جاءتهم البينات الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة
وهي كلمة الحق وقيل هم مبتدعوا هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية واشباههم
واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه نصب بالظرف وهو لهم
او باضمار اذكروا وقرئ تبيض وتسود وجوه بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض
من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واشراقه واسفاره
وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل
وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل
جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله فاما الذين اسودت وجوههم
اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون اكفرتم فيقال لهم اكفرتم و
الهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول
الله بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطا تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه
بني قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة رضي الله
عنه هم الخوارج ولما راهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر
قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب أشيء تقوله
برايك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله غير مرة قال فما
شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرا هذه الاية ثم اخذ
بيده فقال ان بارضك منهم كثيرا فاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما
اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا فاما الذين ابيضت وجوههم
ففي رحمة الله هم فيها خالدون ففي رحمة الله ففي نعمته وهي الثواب المخلد فان قلت
كيف موقع قوله هم فيها خالدون بعد قوله ففي رحمة الله قلت موقع الاستيناف
كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون تلك
ايات الله الواردة في الوعد والوعيد نتلوها عليك ملتبسة بالحق والعدل من جزاء المحسن
والمسيء بما يستوجبانه وما الله يريد ظلما فياخذ احدا بغير جرم او يزيد في عقاب مجرم او
ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال للعالمين على معنى ما يريد شيئا من الظلم لاحد من

من خلقه

من خلقه فسبحان من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضى بها ولله ما في السموات وما
في الارض والى الله ترجع الامور كنتم خير امة كان عبارة عن وجود شيء في زمان ماض
على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان
الله غفورا رحيما ومنه قوله تعالى كنتم خير امة كانه قيل وجدتم خير امة وقيل
كنتم في علم الله خير امة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به اخرجت
للناس كلام مستانف بين به كونهم خير امة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم
ويقوم بما يصلحهم وتؤمنون بالله جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من امن
ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك
لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا
بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله ولو امن اهل الكتاب مع ايمانهم
بالله لكان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما اثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع
العوام ولو امنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما اثروا دين الباطل
لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين منهم المؤمنون كعبد الله
بن سلام واصحابه واكثرهم الفاسقون المتمردون في الكفر لن يضروكم الا اذى الا ضررا
مقتصرا على اذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك وان يقاتلوكم يولوكم الادبار
منهزمين ولا يضروكم بقتل واسر ثم لا ينصرون ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمتنعون منكم وفيه
تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم
بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم
والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل فان قلت هلا جزم المعطوف
في قوله لا ينصرون قلت عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قال ثم
اخبركم انهم لا ينصرون فان قلت فاي فرق بين رفعه وجزمه في المعنى قلت
لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا
مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وابشركم بها بعد التولية انهم مخذولون
منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم امر وكان كما اخبر من حال
بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر فان قلت فما الذي عطف عليه هذا الخبر قلت
جملة الشرط والجزاء كانه قيل اخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم اخبركم انهم لا ينصرون
فان قلت فما معنى التراخي في ثم قلت التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط
الخذلان عليهم اعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار فان قلت ما موقع الجملتين اعني
منهم المؤمنون ولن يضروكم قلت هما كلامان واردان على سبيل الاستطراد عند اجراء
ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاءا
من غير عاطف ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس بحبل من الله
في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او متلبسين بحبل من الله وهو استثناء
من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عام الاحوال الا في حال اعتصامهم
بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اي لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي
التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية وباءوا بغضب من الله استوجبوه وضربت عليهم
المسكنة كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود
لعنة الله وغضبه ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله ويقتلون الانبياء بغير حق
ذلك اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبوء بغضب الله اي ذلك كائن بسبب كفرهم
بايات الله وقتلهم الانبياء ثم قال ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي ذلك كائن بسبب
عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله يستحق
بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربوا وقد نهوا
عنه واكلهم اموال الناس بالباطل ليسوا سواء من اهل الكتاب امة قائمة يتلون
ايات الله اناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الاخر ويامرون بالمعروف
وينهون عن المنكر واولئك من الصالحين الضمير في ليسوا لاهل الكتاب اي ليس اهل الكتاب
مستوين وقوله من اهل الكتاب امة قائمة كلام مستانف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع

قوله تامرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة • امة قايمة مستقيمة عادلة من قولك
اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم وعبر عن تهجدهم بتلاوة القران
في ساعات الليل مع السجود لانه ابين لما يفعلون وادل على حسن صورة امرهم وقيل
عني صلوة العشا لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود اخر رسول الله صلى الله عليه وسلم
صلوة العشا ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلوة فقال اما انه ليس من اهل
الاديان احد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرا هذه الاية وقوله • يومنون ويتلون
في محل الرفع صفتان لامة اي امة قايمة تالون مومنون وصفهم بخصايص ما كانت في اليهود
من تلاوة ايات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به
عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الاخر لانهم يصفونه بخلاف
صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم
كانوا متباطين عنها غير راغبين فيها والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في
الخير بادر في توليه والقيام به واثر الفور على التراخي واوليك الموصوفون بما وصفوا به
من جملة الصالحين الذين صلحت احوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز
ان يريد بالصالحين المسلمين وما تفعلوا من خير فلن تكفروه لما جاء وصف الله عز وجل بالشكر
في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك فان قلت لم عدي الى
مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها قلت ضمن
معنى الحرمان فكانه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه وقرى تفعلوا وتكفروه بالتاء والياء
والله عليم بالمتقين بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل
التقوى ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا اولادهم من الله شيئا واوليك اصحاب
النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحيوة الدنيا كمثل ريح فيها صر اصابت
حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لا تعدلن اتاويين تضربهم • نكباء صر باصحاب المحلات

كما قالت ليلى الاخيلية ترثي توبة بن الحمير

ولم تغلب الخصم الالد وتملا • الجفان سديفا يوم نكباء صرصر

فان قلت فما معنى قوله كمثل ريح فيها صر قلت فيه اوجه احدها ان الصر في
صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني
ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجي به على اصله والثالث ان يكون من قوله تعالى
لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال

وفي الرحمن للضعفاء كاف

شبه ما كانوا ينفقون من اموالهم
في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي
حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كان يتقربون الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا
في عداوة رسول الله فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما انفقوه لاجله وشبه بحرث قوم
ظلموا انفسهم فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط اشد وابلغ فان
قلت الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه وضياعه بالحرث الذي ضربته الصر
والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثلا بالريح قلت هو من التشبيه
المركب الذي مر في تفسير قوله كمثل الذي استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ما ينفقون
كمثل اهلاك ريح او مثل ما ينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرى تنفقون بالتاء
وما ظلمهم الله الضمير للمنفقين على معنى وما ظلمهم الله بان لم تقبل نفقاتهم ولكن انفسهم
يظلمون ولكنهم ظلموا انفسهم حيث لم ياتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين
ظلموا انفسهم اي وما ظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا انفسهم بارتكاب ما استحقوا به
العقوبة وقرى ولكن بالتشديد بمعنى ولكن انفسهم يظلمونها ولا يجوز ان يراد ولكنه انفسهم
يظلمون على اسقاط ضمير الشان لانه انما يجوز في الشعر يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا بطانة
بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذي يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه
ببطانة الثوب كما يقال فلان شعاري وعن النبي صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس
دثار • من دونكم من دون ابناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وببطانة

على الوصف

على الوصف اي بطانة كاينة من دونكم مجاوزة لكم لا يالونكم خبالا يقال الا في الامر
يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين في قولهم لا آلوك نصحا ولا آلوك جهدا على
التضمين والمعنى لا امنعك نصحا ولا انقصكه والخبال الفساد ودوا ما عنتم وداوا عنتكم
على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة واصله انهياض العظم بعد جبره اي
تمنوا ان يضروكم في دينكم ودنياكم اشد الضرر وابلغه قد بدت البغضاء من افواههم
لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان تنفلت من السنتهم ما يعلم به بغضهم
للمسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليايهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم
بعضا على ذلك وفي قراءة عبد الله قد بدا البغضاء وما تخفي صدورهم اكبر قد بينا لكم
الايات الدالة على وجوب الاخلاص في الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة اعدايه ان
كنتم تعقلون ما بين لكم فعملتم به فان قلت كيف موقع هذه الجمل قلت
يجوز ان يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير ايكم
خبالا بادية بغضاؤهم واما قد بينا لكم فكلام مبتدا واحسن منه وابلغ ان تكون مستانفات
كلها على وجه التعليل للنهي عن اتخاذهم بطانة ها انتم اولاء ها للتنبيه وانتم مبتدا واولاء
خبره اي انتم اولاء الخاطيون في موالاة منافقي اهل الكتاب وقوله تحبونهم ولا يحبونكم
بيان لخطايهم في موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل اولاء موصول وتحبونهم
صلته والواو في وتومنون بالكتاب كله للحال وانتصابها من لا يحبونكم اي لا يحبونكم والحال
انكم تومنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما لكم تحبونهم وهم لا يومنون بشي
من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم في باطلهم اصلب منكم في حقكم ونحوه فانهم يالمون
كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون واذا لقوكم قالوا امنا واذا خلوا عضوا عليكم
الانامل من الغيظ ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال
الحرث بن ظالم المري

فاقتل اقواما لياما اذلة • يعضون من غيظ رووس الاباهم

قل موتوا بغيظكم دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ
زيادة ما يغيظهم من قوة الاسلام وعز اهله وما لهم في ذلك من الذل والخزي والتبار •
ان الله عليم بذات الصدور فهو يعلم ما في صدور المنافقين من الحنق والبغضاء
وما يكون منهم في حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل في جملة المقول او خارج منها
فان قلت فكيف معناه على الوجهين قلت اذا كان داخلا في جملة المقول
فمعناه اخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو اخفى
مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيئا من اسراركم يخفى عليه واذا كان
خارجا فمعناه قل لهم ذلك يا محمد ولا تتعجب من اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو
اخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم لم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول
وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امرا لرسول الله بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار
بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك ان
تمسسكم حسنة تسوهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة
ونحوها من المنافع والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم
على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فيما اصابهم من الشدة فان قلت كيف وصفت
الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة قلت المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا
الا ترى ان تصبك حسنة تسوهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك
من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا وان تصبروا على عداوتهم
وتتقوا ما نهيتم عنه من موالاتهم او ان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في
اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم شيئا وقرى لا يضركم من ضاره يضيره
يضركم على ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم
بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد
قالت الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك ان الله بما يعملون
من الصبر والتقوى وغيرهما محيط ففاعل بكم ما انتم اهله وقرى بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون

في عداوتكم فتعاقبهم عليه • واذ كرا اذ غدوت من اهلك بالمدينة وهو غدوه الي احد من
حجرة عايشة رضي الله عنها روي ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعا فاستشار رسول
الله صلي الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن ابي سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره
فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها
الي عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وانت فينا فدعهم فان
اقاموا اقاموا في شر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النسا والصبيان
بالحجارة وان رجعوا رجعوا خايبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الي هولا الاكلب لا يرون
انا قد جبنا عنهم وقال عليه السلام اني قد رايت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورايت
في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورايت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها
المدينة فان رايتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر
واكرمهم الله بالشهادة يوم احد اخرج بنا الي اعدائنا فلم يزالوا به حتي دخل فلبس لامته
فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بيس ما صنعنا نشير علي رسول الله والوحي ياتيه وقالوا
اصنع يا رسول الله ما رايت فقال لا ينبغي لنبي ان يلبس لامته فيضعها حتي يقاتل فخرج يوم
الجمعة بعد صلوة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشي علي
رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بها القدح ان راي صدرا خارجا قال تاخر وكان
نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الي احد وامر عبد الله بن جبير علي الرماة وقال
لهم انضحوا عنا بالنبل لا ياتونا من ورائنا تبوي المومنين تنزلهم وقرا عبد الله للمومنين
بمعني تسوي لهم وتهيي مقاعد للقتال مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتي اجريا
مجري صار واستعمل المقعد والمقام في معني المكان ومنه قوله تعالي في مقعد صدق قبل
ان تقوم من مقامك من مجلسك وموضع حكمك والله سميع لاقوالكم عليم بنياتكم وضمايركم
اذ همت بدل من اذ غدوت او عمل فيه معني سميع عليم طايفتان منكم ان تفشلا الطايفتان
حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول
الله صلي الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمايه وخمسين والمشركون في ثلاثة الاف ووعدهم الفتح
ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم
عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم بالله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا
لا تبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله وعن ابن عباس اضمروا
ان يرجعوا فعزم الله لهم علي الرشد فثبتوا والظاهر انها ما كانت الا همة وحديث نفس
وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الي الثبات والصبر ويوطنها
علي احتمال المكروه كما قال عمرو بن الاطنابة • • •
• اقول لها اذا جشات وجاشت • مكانك تحمدي او تستريحي •
حتي قال معوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت اضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني
الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالي يقول والله
وليهما ويجوز ان يراد والله ناصرهما ومتولي امرهما فما لهما يفشلان ولا يتوكلان علي الله فان
قلت ما معني ما روي من قول بعضهم عند نزول الاية والله ما يسرنا انا لم نهم بالذي
هممنا به وقد اخبرنا الله بانه ولينا قلت معني ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف
بثنا الله وانزاله فيهم اية ناطقة بصحة الولاية وان تلك الهمة غير الماخوذ بها لانها لم تكن
عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها • والفشل الجبن والخور وقرا عبد الله والله وليهم
كقوله وان طايفتان من المومنين اقتتلوا وعلي الله فليتوكل المومنون ولقد نصركم الله
ببدر وانتم اذلة امرهم ان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا امورهم الا اليه ثم ذكرهم ما يوجب
عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم في حال قلة وذلة • والاذلة جمع قلة والا
ذلال جمع كثرة وجا بجمع القلة ليدل علي انهم علي ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم
من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك انهم خرجوا علي النواضح يعتقب النفر
منهم علي البعير الواحد وقلتهم انهم كانوا ثلثمايه وبضعة عشر وكان عدوهم في حال كثرة زهاء
الف مقاتل ومعهم مايه فرس والشكة والشوكة • وبدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل
يسمي بدرا فسمي به فاتقوا الله في الثبات مع رسوله لعلكم تشكرون بتقواكم ما انعم به

عليكم

عليكم من نصرته اولعلكم ينعم الله عليكم نعمة اخري تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام
لانه سبب له اذ تقول للمومنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة الاف من الملايكة
منزلين اذ تقول ظرف لنصركم علي ان يقول لهم ذلك يوم بدر او بدل ثان من اذ غدوت علي
ان يقوله لهم يوم احد فان قلت كيف يصح ان يقول لهم يوم احد ولم تنزل فيه الملايكة
قلت قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوي عليهم فلم يصبروا عن الغنايم ولم يتقوا حيث
خالفوا امر رسول الله فلذلك لم تنزل الملايكة ولو تموا علي ما شرط عليهم لنزلت وانما قدم
لهم الوعد بنزول الملايكة لتقوي قلوبهم ويعزموا علي الثبات ويثقوا بنصر الله ومعني
الن يكفيكم انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة الاف من الملايكة والما جي بلن الذي هو لتاكيد
النفي للاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وقوة عدوهم وشوكته كالايسين من النصر
بلي ان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة الاف من الملايكة مسومين
بلي ايجاب لما بعد لن يعني بلي يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال ان تصبروا وتتقوا
يمددكم باكثر من العدد مسومين للقتال • وياتوكم يعني المشركين من فورهم هذا من
قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الي غزوة اخري وجا فلان ورجع من فوره ومنه قول
ابي حنيفة الامر علي الفور لا علي التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير
للسرعة ثم سميت به الحالة التي لاريث فيها ولا تعريج علي شي من صاحبها فقيل خرج من
فوره كما تقول من ساعته لم يلبث فالمعني انهم ان ياتوكم من ساعتهم هذه يمددكم ربكم بالملايكة
في حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يريد ان الله يعجل نصرتكم وييسر فتحكم ان صبرتم
واتقيتم وقري منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاي بمعني منزلين النصر ومسومين
بفتح الواو وكسرها بمعني معلمين ومعلمين انفسهم وخيلهم قال الكلبي معلمين بعمايم
صفر مرخاة علي اكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصي الدواب و
اذنابها وعن مجاهد مجزوزة اذناب خيلهم وعن قتادة كانوا علي خيل بلق وعن عروة
بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفرا فنزلت الملايكة كذلك وعن رسول الله
صلي الله عليه وسلم انه قال لاصحابه تسوموا فان الملايكة تسومت وما جعله الله
الا بشري لكم الهاء لان يمدكم وما جعل الله امدادكم بالملايكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون
ولتطمين به قلوبكم كما كانت السكينة لبني اسرايل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم •
وما النصر الا من عند الله لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملايكة والسكينة
ولكن ذلك مما يقوي به الله رجاء النصرة والطمع في الرحمة • ويربط به علي قلوب المجاهدين
العزيز الذي لا يغالب في حكمه الحكيم الذي يعطي النصر ويمنعه لما يري من المصلحة ليقطع
طرفا من الذين كفروا ليهلك طايفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين
واسر سبعين من روسا قريش وصناديدهم او يكبتهم او يخزيهم ويغيظهم بالهزيمة
فينقلبوا خايبين غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا
خيرا ويقال كبته بمعني كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب
• • لاكبت حاسدا واري عدوا • • هو من الكبد والريه واللام
متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله ليس لك من الامر شي
او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون او يتوب عليهم عطف علي ما قبله وليس لك
من الامر شي اعتراض والمعني ان الله مالك امرهم فاما ان يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم
ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا علي الكفر وليس لك من امرهم شي انما انت عبد مبعوث لانذارهم
ومجاهدتهم وقيل او يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف بأو علي
الامر او علي شي اي ليس لك من امرهم شي او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم
شي او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعني الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي علي
معني ليس لك من امرهم شي الا ان يتوب عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفي منهم وقيل
شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولي
ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم
وهو يدعوهم الي ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله لعلمه ان فيهم من
يومن ولله ما في السموات وما في الارض يغفر لمن يشا ويعذب من يشا والله غفور رحيم

عن الحسن يغفر لمن يشاء بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين ويعذب من يشاء ولا
يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطا يغفر لمن يتوب اليه ويعذب من لقيه
ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشا
وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهوا والبدع يتصامون ويتعامون
عن آيات الله فيخبطون خبط العشوا ويطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من
قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشا ويعذب من يشا على الذنب الصغير يا ايها الذين امنوا
لا تاكلوا الربوا اضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون نهي عن الربوا مع
توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق
بالشي الطفيف مال المديون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله و
الرسول لعلكم ترحمون كان ابو حنيفة يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله
المومنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه وقد امده لك بما اتبعه
من تعليق رجاء المومنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الآية
وامثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله وفي ذكره تعالى لعل وعسى
في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك
التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه وسارعوا الى مغفرة
من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين في مصاحف اهل المدينة
والشام سارعوا بغير واو وقرا الباقون بالواو وتبصره قراءة ابي وعبد الله وسابقوا
ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة والاقبال على ما يستحقان به عرضها السموات
والارض اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السما والارض والمراد
وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض
لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس كسبع
سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض الذين ينفقون في السراء والضراء في حال
الرخا واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه
من كثير او قليل كما يحكى عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عايشة رضي الله عنها
انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلوا من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم
حال فرح وسرور ولا حال محنة وبلا من المعروف وسوا عليهم كان الواحد منهم
في عرس او حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شي على النفس
وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة
العدو ومواساة فقرا المسلمين والكاظمين الغيظ كظم القربة اذا ملاها وشد
فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر
ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه ملا الله
قلبه امنا وايمانا وعن عايشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى
ما تركت لذي غيظ شفاء والعافين عن الناس اذا جنى عليهم احد لم يواخذوه
وروي ينادي مناد يوم القيمة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا
وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم
ان هولا في امتي قليل الا من عصمه الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت والله يحب المحسنين
يجوز ان يكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هولا المذكورون وان يكون للعهد
فتكون اشارة الى هولا والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم
مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين
والذين عطف على المتقين اي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله اولئك اشارة الى الفريقين
ويجوز ان يكون والذين مبتدا وخبره اولئك فاحشة فعلة متزايدة القبح او ظلموا
انفسهم او اذنبوا اي ذنب كان مما يواخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس ما دونه
من القبلة او اللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة ذكروا الله تذكروا
عقابه او وعيده او نهيه او حقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه فاستغفروا

لذنوبهم

لذنوبهم فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين ومن يغفر الذنوب الا الله وصف لذاته
بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين
الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل
باقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة
وبعث عليها وردع عن الياس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه اعظم
والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه
ولم يصروا ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر
ولو عاد في اليوم سبعين مرة وروي لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار وهم يعلمون
حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون
بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قا طع
ان الذين امنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم
دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه قال اجر العاملين بعد قوله جزاؤهم
لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر
مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروي ان الله عز وجل اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع في جنتي
بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب
وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن
يقول الله يوم القيمة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة
البصرية انها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها ۞ ان السفينة لا تجري على اليبس

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات قد خلت
من قبلكم سنن يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقايع كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله
في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل فسيروا في الارض
فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من
التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار
هلاكهم وهدى وموعظة للمتقين يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت
وموعظة للذين اتقوا من المومنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على
الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين
من امر المتقين والتائبين والمصرين ولا تهنوا ولا تحزنوا تسلية من الله لرسوله وللمومنين عما
اصابهم يوم احد وتقوية من قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم
ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح وانتم الاعلون وحالكم انكم اعلى
منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدر اكثر مما اصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون شانا لان
قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلاكم في الجنة وقتلاهم
في النار او هي بشارة لهم بالعلو والغلبة اي وانتم الاعلون في العاقبة وان جند الله هم
الغالبون ان كنتم مومنين متعلق بالنهي يعني ولا تهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان
توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدايه او بالاعلون اي ان كنتم
مصدقين بما يعدكم الله ويبشركم به من الغلبة ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله
قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح
وبالضم المها وقرا ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان
نالوا منكم يوم احد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن
معاودتكم بالقتال فانتم اولى ان لا تضعفوا ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا
يرجون وقيل كان يوم احد فقد نالوا منهم قبل ان يخالفوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فان
قلت فكيف قيل قرح مثله وما كان قرحهم يوم احد مثل قرح المشركين قلت
بل كان مثله ولقد قتل يومئذ من الكفار خلق الا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذ
تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون وتلك
الايام تلك مبتدا والايام صفة ونداولها خبر ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدا وخبرا كما تقول

مي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة **نداولها** نصرفها **بين الناس** نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من ابيات الكتاب

فيوما علينا ويوما لنا ... ويوما نساء ويوما نسر

وفي امثالهم الحرب سجال وعن ابي سفيان انه صعد الجبل يوم احد فمكث ساعة فقال اين ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله وهذا ابو بكر وها انا عمر قال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر لا سواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاودة قال

يرد المياه فلا يزال مداولا ... في الناس بين تمثل وسماع

يقال داولت بينهم الشي فتداولوه **وليعلم الله الذين امنوا** فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون علي الايمان من الذين علي حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعني فعلنا ذلك فعل من يريد ان يعلم من الثابت علي الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عز وجل لم يزل عالما بالاشيا قبل كونها وقيل معناه ولنعلمهم علما يتعلق به الجزا وهو ان نعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جري عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصايب ولا يشعر ان لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه **ويتخذ منكم شهدا** ويكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او ليتخذ منكم من يصلح للشهادة علي الامم يوم القيمة بما يبتلي به صبركم من الشدايد من قوله تعالي لتكونوا شهدا علي الناس **والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين امنوا** اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين علي الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية **ويمحق الكافرين** ويهلكهم يعني ان كانت الدولة علي المومنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت علي الكافرين فلمحقهم ومحو اثارهم **ام حسبتم ان تدخلوا الجنة** ام منقطعة ومعني الهمزة فيها للانكار **ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم** يعني ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفايه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتي يعلمه ولما معني لم الا ان فيه ضربا من التوقع فدل علي نفي الجهاد فيما مضي وعلي توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما يفعل كذا ولما يفعل تريد ولم يفعل وانا اتوقع فعله وقري ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل اراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها **ويعلم الصابرين** نصب باضمار ان والواو بمعني الجمع كقولك لا تاكل السمكة وتشرب اللبن وقرا الحسن بالجزم علي العطف وروي عبد الوارث عن ابي عمرو ويعلم بالرفع علي ان الواو للحال كانه قيل ولما تجاهدوا وانتم صابرون **ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه** خوطب الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون ان يحضروا مشهدا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهدا بدر وهم الذين الحوا علي رسول الله صلي الله عليه وسلم في الخروج الي المشركين وكان رايه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل ان تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته **فقد رايتموه وانتم تنظرون** اي رايتموه معاينين شاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم علي تمنيهم الموت وعلي ما تسببوا له من خروج رسول الله بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده **فان قلت** كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم **قلت** قصد متمني الشهادة الي نيل كرامة الشهدا لا غير ولا يذهب وهمه الي ذلك المتضمن كما ان من يشرب دوا الطبيب النصراني قاصد الي حصول المامول من الشفا ولا يخطر بباله ان فيه جر منفعة واحسان الي عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الي موته وقيل له ردكم الله

لكنني اسال الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا

او طعنة بيدي حران مجهزة ... بحربة تنفذ الاحشا والكبدا

حتي يقولوا اذا مروا علي جدثي ... ارشدك الله من غاز وقد رشدا

لما رمي عبد الله بن قمية الحارثي رسول الله صلي الله عليه وسلم بحجر وكسر رباعيته وشج وجهه فذب عنه مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم احد حتي قتله ابن قمية وهو يري انه رسول الله صلي الله عليه وسلم فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ الا ان محمدا قد قتل وقيل كان

الصارخ

الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا وجعل رسول الله يدعو الي عباد الله حتي انحازت اليه طايفة من اصحابه فلامهم علي هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك باباينا وامهاتنا اتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت **وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل** وروي انه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن ابي ياخذ لنا امانا من ابي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الي اخوانكم والي دينكم فقال انس بن النضر عم انس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحيوة بعد رسول الله صلي الله عليه وسلم فقاتلوا علي ما قاتل عليه وموتوا علي ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلا وابرا اليك مما جا به هؤلا ثم شد بسيفه وقاتل حتي قتل وعن بعض المهاجرين انه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت ان محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ فقاتلوا علي دينكم والمعني وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم ان تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسول تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه **افان مات او قتل انقلبتم علي اعقابكم** الفا معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها علي معني التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسول قبله سببا لانقلابهم علي اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقا دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد عليه السلام لا للانقلاب عنه **فان قلت** لم ذكر القتل وقد علم انه لا يقتل **قلت** لكونه مجوزا عند المخاطبين **فان قلت** اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس **قلت** هذا مما يختص بالعلما منهم وذوي البصيرة الا تري انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا علي انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واضلالهم والانقلاب علي الاعقاب الادبار عما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون علي وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف عن رسول الله واسلامه **ومن ينقلب علي عقبيه فلن يضر الله شيا** يعني فما ضر الا نفسه لان الله تعالي لا يجوز عليه المضار والمنافع **وسيجزي الله الشاكرين** الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر واضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا **وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله** المعني ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشية الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان ياذن الله له فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن الله وهو علي معنيين احدهما تحريضهم علي القتال وتشجيعهم علي لقا العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وان احدا لا يموت قبل بلوغ اجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاة وتاخير الاجل **كتابا** مصدر موكد لان المعني كتب الموت كتابا **مؤجلا** موقتا له اجل معلوم لا يتقدم ولا يتاخر **ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها** تعريض بالذين شغلتهم الغنايم يوم احد **ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها** اي من ثوابها **وسنجزي الشاكرين** وسنجزي الجزا المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شي عن الجهاد وقري يؤته وسيجزي بالياء فيهما **وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير** قري قاتل وقتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون او ضمير النبي ومعه ربيون حال عنه بمعني قتل كاينا معه ربيون والقراة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقري بالحركات الثلاث فالفتح علي القياس والضم والكسر من تغييرات النسب **فما وهنوا** وقري فما وهنوا بكسر الهاء والمعني فما وهنوا عند قتل النبي **لما اصابهم في سبيل الله وما ضعفوا** عن الجهاد بعده **وما استكانوا** للعدو وهذا تعريض بما اصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم له حين ارادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله ابن ابي في طلب الامان من ابي سفيان **والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في امرنا وثبت اقدامنا وانصرنا علي القوم الكافرين** وما كان قولهم الا هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الي انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعا بالاستغفار مقدما

علي طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة علي العدو ليكون طلبهم الي ربهم عن زكا
وطهارة وخضوع اقرب الي الاستجابة فآتاهم الله ثواب الدنيا من النصرة والغنيمة والعز
وطيب الذكر وحسن ثواب الاخرة والله يحب المحسنين وخص ثواب الاخرة بالحسن دلالة علي
فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الاخرة يا ايها الذين امنوا
ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم علي اعقابكم فتنقلبوا خاسرين ان تطيعوا الذين كفروا
قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمومنين عند الهزيمة ارجعوا الي اخوانكم وادخلوا
في دينهم وعن الحسن ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون
لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما اصابه واصحابه ما اصابهم وانما هو رجل
حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه
تستامنوهم يردوكم الي دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان علي المومنين ان يجانبوهم ولا
يطيعوهم في شي ولا ينزلوا علي حكمهم وعلي مشورتهم حتي لا يستجروهم الي موافقتهم بل الله مولاكم
اي ناصركم لا تحتاجون معه الي نصرة احد وولايته وقري بالنصب علي بل اطيعوا الله مولاكم
وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب سنلقي قري بالنون والياء والرعب
بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الي مكة من غير سبب
ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الي مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيئا قتلنا
منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستاصلوهم فلما عزموا علي ذلك القي الله الرعب في قلوبهم
فامسكوا بما اشركوا بالله بسبب اشراكهم اي كان السبب في القاء الرعب في قلوبهم اشراكهم به ما لم
ينزل به سلطانا الهة لم ينزل الله باشراكها حجة وماواهم النار وبئس مثوى الظالمين
فان قلت كان هناك حجة حتي ينزلها الله فيصح لهم الاشراك قلت لم يعن ان
هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان تقوم عليه حجة وانما المراد نفي الحجة ونزولها
جميعا كقوله ولا ترى الضب بها ينجحر ولقد صدقكم الله وعده وعدهم الله النصر
بشرط الصبر والتقوي في قوله وان تصبروا وتتقوا وياتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون
الوعد قوله سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا
الي المدينة قال ناس من المومنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت اذ تحسونهم
باذنه وذلك ان رسول الله صلي الله عليه وسلم جعل احدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة
عند الجبل وامرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين او عليهم فلما اقبل المشركون
جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيف حتي انهزموا والمسلمون علي اثارهم
تحسونهم اي تقتلونهم قتلا ذريعا حتي اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد
ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الاخرة تحسونهم اي تقتلونهم
قتلا ذريعا حتي اذا فشلوا والفشل الجبن وضعف الراي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون
فما موقفنا ها هنا وقال بعضهم لا نخالف امر رسول الله فممن ثبت مكانه عبد الله بن جبير امير الرماة
في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الاخرة ونفر اعقابهم ينهبون وهم
الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون علي الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير واقبلوا علي المسلمين وحالت
الريح دبورا وكانت صبا حتي هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله ثم صرفكم عنهم ليبتليكم
ليمتحن صبركم علي المصايب وثباتكم علي الايمان عندها ولقد عفا عنكم لما علم من ندمكم علي ما فرط
منكم من عصيان امر رسول الله والله ذو فضل علي المومنين يتفضل عليهم بالعفو او هو
متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء اديل لهم او اديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة
فان قلت اين متعلق حتي اذا قلت محذوف تقديره حتي اذا فشلتم منعكم نصره
ويجوز ان يكون المعني صدقكم الله وعده الي وقت فشلكم اذ تصعدون نصب بصرفكم
او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكروا الاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في
الجبل واصعد في الارض يقال اصعدنا من مكة الي المدينة وقرا الحسن تصعدون يعني في الجبل في
بعض الاحوال وفي قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرا ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد
العين من تصعد في السلم ولا تلوون علي احد وقرا الحسن تلوون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها
وقري يصعدون ويلوون بالياء والرسول يدعوكم كان يقول الي عباد الله الي عباد الله انا
رسول الله من يكر فله الجنة في اخراكم في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتاخرة يقال جئت

في

في آخر الناس واخرهم كما تقول في اولهم واوليهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولي فاثابكم
عطف علي صرفكم اي فجازيكم الله غما بغم حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب غم اذقتموه رسول
الله بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل
رسول الله والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا علي ما فاتكم
لتتمرنوا علي تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدايد فلا تحزنوا فيما بعد علي فايت من المنافع
ولا ما اصابكم ولا علي مصيب من المضار والله خبير بما تعملون ويجوز ان يكون الضمير في
فاثابكم للرسول اي فاساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه
ما نزل بكم فاثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم علي عصيانكم
ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا علي ما فاتكم من نصر الله ولا علي
ما اصابكم من غلبة العدو ثم انزل عليكم من بعد الغم امنة نعاسا انزل الله الامن علي
المومنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتي نعسوا وغلبهم النوم عن ابي طلحة غشينا النعاس
ونحن في مصافنا وكان السيف يسقط من يد احدنا فياخذه ثم يسقط فياخذه وما احد
الا ويميل تحت حجفته وعن ابن الزبير لقد رايتني مع رسول الله صلي الله عليه وسلم حين اشتد
علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن بشير والنعاس يغشاني
يقول لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ها هنا والامنة الامن وقري امنة بسكون الميم كانها
المرة من الامن ونعاسا بدل من امنة ويجوز ان يكون هو المفعول وامنة حالا منه مقدمة
عليه كقولك رايت راكبا رجلا ومفعولا له بمعني نعستم امنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين
بمعني ذوي امنة او علي انه جمع امن كبار وبررة يغشى قري بالياء والتاء ردا علي النعاس او علي
الامنة طايفة منكم هم اهل الصدق واليقين وطايفة هم المنافقون قد اهمتهم انفسهم
ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم رسول الله والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم في
الهموم والاشجان فهم في التشاكي والاثبات يظنون بالله غير الحق في حكم المصدر ومعناه
يظنون بالله غير الظن الحق الذي يجب ان يظن به وظن الجاهلية بدل منه ويجوز ان يكون المعني
يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تاكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول
لا قولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية و
يجوز ان يراد ظن اهل الجاهلية اي لا يظن مثل ذلك الظن الا اهل الشرك الجاهلون بالله يقولون
لرسول الله يسالونه هل لنا من الامر من شي معناه هل لنا معاشر المسلمين من امر الله نصيب قط يعنون
النصر والاظهار علي العدو قل ان الامر كله لله ولاوليايه المومنين وهو النصر والغلبة
كتب الله لاغلبن انا ورسلي وان جندنا لهم الغالبون يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك
معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شي سوال المومنين المسترشدين وهم
فيما يبطنون علي النفاق يقولون في انفسهم او بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله
لو كان لنا من الامر شي ما قتلنا ها هنا اي لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليايه
وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل في هذه المعركة قل لو كنتم في بيوتكم
يعني من علم الله منه انه يقتل ويصرع في هذه المصارع وكتب ذلك في اللوح لم يكن بد من وجوده
فلو قعدتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل لبرز من بينكم الذين علم الله انهم يقتلون
الي مضاجعهم وهي مصارعهم ليكون ما علم انه يكون والمعني ان الله كتب في اللوح قتل
من يقتل من المومنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة في الغلبة لهم وان دين الاسلام
يظهر علي الدين كله وان ما ينكبون به في بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب في الشهادة
وحرصهم علي الشهادة مما يحرضهم علي الجهاد فيحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير
شي لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير من شي يعنون لم نملك شيا من التدبير حيث خرجنا من المدينة
الي احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان راي عبد الله بن ابي وغيره ولو ملكنا من التدبير شيا
لما قتلنا في هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو اقمتم
بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقري كتب عليهم القتال وكتب عليهم
القتل علي البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء وليبتلي الله ما في صدوركم وليمحص ما في
قلوبكم والله عليم بذات الصدور وليمتحن ما في صدور المومنين من الاخلاص ويمحص ما في
قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك او فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص فان قلت

كيف مواقع الجمل التي بعد قوله وطايفة قلت قد اهمتهم صفة لطايفة ويظنون صفة
اخري او حال بمعني قد اهمتهم انفسهم ظانين او استيناف علي وجه البيان للجملة قبلها
ويقولون بدل من يظنون فان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسئلة عن الامر بدلا
من الاخبار بالظن قلت كانت مسئلتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه
ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذي الحال ويقولون بدل
من يخفون والاجود ان يكون استينافا ان الذين تولوا منكم يوم التقي الجمعان انما
استزلهم الشيطان استزلهم طلب منهم الزلل ودعاهم اليه ببعض ما كسبوا من ذنوبهم
ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب في توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا
ذنوبا فلذلك منعتهم التاييد وتقوية حتي تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولي
وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الي الذنب كما ان الطاعة تجر الي الطاعة
وتكون لطفا فيها وقال الحسن استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل بعض ما كسبوا هو
تركهم المركز الذي امرهم رسول الله بالثبات فيه فجرهم ذلك الي الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا
فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتي يصلحوا امرهم ويجاهدوا علي حال مرضيه فان
قلت لم قيل ببعض ما كسبوا قلت هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير ولقد عفا عنهم
لتوبتهم واعتذارهم ان الله غفور للذنوب حليم لا يعاجل بالعقوبة يا ايها الذين امنوا
لا تكونوا كالذين كفروا وقالوا لاخوانهم اي لاجل اخوانهم كقوله وقال الذين كفروا للذين
امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه ومعني الاخوة اتفاق الجنس والنسب اذا ضربوا في الارض
اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة او غيرها او كانوا غزي جمع غاز كعاف وعفي في قوله عفي
الحياض اجون وقري بتخفيف الزاي علي حذف التاء من غزاة فان قلت كيف قيل
اذا ضربوا مع قالوا قلت هو علي حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون في الارض لو كانوا
عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم فان قلت
ما متعلق ليجعل قلت قالوا اي قالوا ذلك واعتقدوه ليكون لهم عدوا وحزنا او لا تكونوا
بمعني لا تكونوا مثلهم في النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة في قلوبهم ويصون
منه قلوبكم فان قلت ما معني اسناد الفعل الي الله تعالى قلت معناه ان الله عز وجل
عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة في قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة
فاعتقاد فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدر فعل الله تعالى كقوله يجعل
صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الي ما دل عليه النهي اي لا
تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة في قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون و
يعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم والله يحيي ويميت رد لقولهم اي الامر بيده قد
يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد وكما يشاء وعن خالد بن الوليد انه قال عند موته
ما في موضع شبر الا وفيه ضربة او طعنة وها انا ذا اموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء
والله بما تعملون بصير فلا تكونوا مثلهم وقري بالياء يعني الذين كفروا ولئن قتلتم في سبيل
الله او متم لمغفرة من الله ورحمة لمغفرة جواب للقسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالي
الله تحشرون كذب الكافرين اولا في زعمهم ان من سافر من اخوانهم او غزي لو كان بالمدينة لما مات
ونهي المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من
الهلاك بالموت او القتل في سبيل الله فانما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت في سبيل الله خير مما يجمعون
من الدنيا ومنافعها لو لم تموتوا وعن ابن عباس خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقري بالياء اي
يجمع الكفار ولئن متم او قتلتم لالي الله تحشرون لالي الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم
الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام علي الحرف المتصل به شان
ليس بالخفي وقري متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات فبما رحمة من الله لنت لهم
ما مزيدة للتوكيد والدلالة علي ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم
لعناهم ومعني الرحمة ربطه علي جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتي اثابهم غما بغم
واساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه ولو كنت فظا جافيا غليظ
القلب قاسيه لانفضوا من حولك لتفرقوا عنك حتي لا يبقي حولك احد منهم فاعف عنهم
فيما يختص بك واستغفر لهم فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم وشاورهم في الامر

يعني في امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برايهم ولما فيه من تطييب نفوسهم
والرفع من اقدارهم وعن الحسن قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به
من بعده وعن النبي صلي الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي
هريرة ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل كان
سادات العرب اذا لم يشاوروا في الامر شق عليهم فامر الله رسوله بمشاورة اصحابه لئلا
يثقل عليهم استبداده بالراي دونهم وقري وشاورهم في بعض الامر فاذا عزمت فاذا
قطعت الراي علي شي بعد الشوري فتوكل علي الله في امضاء امرك علي الارشد الاصلح فانما هو
اصلح لك لا يعلمه الا انت ولا من تشاور ان الله يحب المتوكلين وقري فاذا عزمت بضم التاء
بمعني فاذا عزمت لك علي شي وارشدتك اليه فتوكل علي ولا تشاور بعد ذلك احدا ان ينصركم
الله كما نصركم يوم بدر فلا غالب لكم فلا احد يغلبكم وان يخذلكم كما خذلكم يوم احد فمن
ذا الذي ينصركم وهذا تنبيه علي ان الامر كله لله وعلي وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح
الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده من بعد خذلانه او
هو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرا عبيد بن عمير
وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب في الطاعة وفيما يستحقون به النصر من
الله والتاييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون العقوبة بالخذلان وعلي الله فليتوكل
المومنون فليخص المومنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم
يوجب ذلك ويقتضيه وما كان لنبي ان يغل يقال غل شيا من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا
اخذه في خفية يقال اغل الجازر اذا سرق من اللحم شيا مع الجلد والغل الحقد الكامن في الصدر
ومنه قوله عليه السلام من بعثناه علي عمل فغل شيا جاء يوم القيمة يحمله علي عنقه وقوله
هدايا الولاة غلول وعنه عليه السلام ليس علي المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال
ويقال اغله اذا وجده غالا كقولك ابخلته واجبنته ومعني وما كان لنبي ان يغل وما صح له ذلك
يعني ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرا علي البناء للمفعول فهو راجع الي معني الاول لان
معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرا رسول الله من ذلك
وينزه وينبه علي عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيا منه وان
لا يسترتيب به احد كما روي ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول
الله اخذها وروي انها نزلت في غنايم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة و
قالوا نخشي ان يقول رسول الله من اخذ شيا فهو له وان لا يقسم الغنايم كما يقسم يوم بدر فقال
لهم النبي صلي الله عليه وسلم الم اعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتي ياتيكم امري فقالوا تركنا بقية
اخواننا وقوفا فقال عليه السلام بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثاني ان يكون مبالغة في
النهي لرسول الله صلي الله عليه وسلم علي ما روي انه بعث طلايع فغنمت غنايم فقسمها ولم يقسم
للطلايع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع اخرين بل عليه ان يقسم بالسوية و
سمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قري ان يغل من اغل بمعني غل
لجاز ومن يغلل يات بما غل يوم القيمة يات بما غل يوم القيمة يات بالشي الذي غله بعينه
يحمله كما جاء في الحديث جاء يوم القيمة يحمله علي عنقه وروي الا لا اعرفن احدكم ياتي ببعير له رغاء
وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادي يا محمد فاقول لا املك لك من الله شيا فقد بلغتك وعن
بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الاية فقال اذن احملها طيبة الريح خفيفة
المحمل ويجوز ان يراد يات بما احتمل من وباله وتبعته واثمه ثم توفي كل نفس ما كسبت فان
قلت هلا قيل ثم يوفي ما كسب ليتصل به قلت جي بعام دخل
تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعني وهو ابلغ لانه اذا علم الغال ان كل كاسب
خيرا او شرا مجزي موفي جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب وهم لا يظلمون اي يعدل
بينهم في الجزاء كل جزاوه علي قدر كسبه هم درجات عند الله اي هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات
كقوله ⁂ انصب للمنية تعتريهم ⁂ رجالي ام هم درج السيول ⁂
وقيل ذوو درجات والمعني تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت
بين الثواب والعقاب والله بصير بما يعملون عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم علي حسبها
لقد من الله علي المومنين علي من امن مع رسول الله من قومه وخص المومنين منهم لانهم هم المنتفعون

بمبعثه اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم المومنين من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسماعيل
كما انهم من ولده فان قلت فما وجه المنة عليهم في ان كان من انفسهم قلت اذا كان منهم
كان اللسان واحدا فسهل اخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله في الصدق و
الامانة وكان ذلك اقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفي كونه من انفسهم شرف لهم كقوله تعالى
وانه لذكر لك ولقومك وفي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من
انفسهم اي من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسماعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان
وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد
صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب في تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضره بنو
هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل وضئضئ معد وعنصر
مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما امنا وجعلنا الحكام على
الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد
هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقرئ لمن من الله على المومنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان
ان يراد لمن من الله على المومنين منه او بعثه اذ بعث فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ في
محل الرفع كاذا في قولك اخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المومنين
وقت بعثه يتلوا عليهم اياته بعدما كانوا اهل جاهلية لم يطرق اسماعهم شيء من الوحي
ويزكيهم ويطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات والخبائث
وقيل وياخذ منهم الزكوة ويعلمهم الكتاب والحكمة القران والسنة بعدما كانوا اجهل الناس
وابعدهم من دراسة العلوم وان كانوا من قبل من قبل بعثة الرسول لفي ضلال ان هي المخففة
من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية وتقديره ان الشان والحديث كانوا من
قبل لفي ضلال مبين ظاهر لا شبهة فيه اولما اصابتكم مصيبة يريد ما اصابهم يوم احد
من قتل سبعين منهم قد اصبتم مثليها يوم بدر من قتل سبعين واسر سبعين ولما نصب بقلتم
واصابتكم في محل الجر باضافة لما اليه قلتم انى هذا وتقديره اقلتم حين اصابتكم وانى هذا
نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع فان قلت علام عطفت الواو هذه الجملة
قلت على ما مضى من قصة احد من قوله ولقد صدقكم الله وعده ويجوز ان تكون معطوفة
على محذوف كانه قيل افعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا انى هذا من اين هذا كقوله انى لك هذا
لقوله قل هو من عند انفسكم وقوله من عند الله والمعنى انتم السبب فيما اصابكم لاختياركم
الخروج من المدينة او لتخليتكم المركز وعن علي رضي الله عنه لاخذكم الفدا من اسارى بدر قبل
ان يؤذن لكم ان الله على كل شيء قدير فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة
ويصيب منكم اخرى وما اصابكم يوم احد يوم التقى الجمعان يوم التقى جمعكم وجمع المشركين
فهو كائن باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم جمعكم
وجمع المشركين فهو كاين باذن الله اي بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم
منهم ليبتليهم لان الاذن مخل بين المأذون له ومراده وليعلم المومنين وليعلم الذين نافقوا
وهو كائن ليتميز المومنون والمنافقون وليظهر ايمان هولاء ونفاق هولاء وقيل لهم تعالوا
قاتلوا في سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم وقيل لهم من جملة الصلة عطف
على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المومنين لهم الى القتال كانه
قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم ويجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا ويكون وقيل لهم
كلاما مبتدأ قسم الامر عليهم بين ان يقاتلوا للاخرة كما يقاتل المومنون وبين ان يقاتلوا ان لم
يكن بهم غنم الاخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه
راسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ما روي ان عبد الله بن ابي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك
اوادفعوا العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو
ويكبر منه وعن سهل بن سعد الساعدي وقد كف بصره لو امكنني لبعت داري ولحقت بثغر
من ثغر المسلمين فكنت بينهم وبين عدوهم فقيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا
اكثر سوادهم ووجه اخر وهو ان يكون معنى قوله لو نعلم قتالا لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا
لاتبعناكم يعنون انما انتم فيه لخطأ رايكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال وانما
هو القاء بالانفس الى التهلكة لان راي عبد الله كان في الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب

الخروج

الخروج هم للكفر يومئذ اقرب منهم للايمان يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون
بالايمان وما ظهرت منهم امارة تؤذن بكفرهم فلما انخذلوا عن عسكر المومنين وقالوا ما
قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر اقرب
نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين يقولون
بافواههم ما ليس في قلوبهم لا يتجاوز ايمانهم افواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي
قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وان ايمانهم موجود في
افواههم معدوم في قلوبهم خلاف صفة المومنين في مواطاة لافواههم والله اعلم
بما يكتمون من النفاق وبما يجري بعضهم مع بعض من ذم المومنين وتجهيلهم وتخطئة
رايهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعضه علما مجملا بامارات وانا اعلم كله
علم احاطة بتفاصيله وكيفياته الذين قالوا في اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم او على
الرد على الذين نافقوا او رفعا عليهم الذين نافقوا او على الابدال من واو يكتمون ويجوز
ان يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم او قلوبهم كقوله • على جوده لضن بالماء حاتم •
لاخوانهم لاجل اخوانهم من جنس المقتولين يوم احد واخوانهم في النسب وفي سكنى الدار •
وقعدوا اي قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعونا ما قتلوا لو اطاعنا اخواننا فيما
امرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل قل فادرءوا عن انفسكم الموت
ان كنتم صادقين معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتال سبيلا وهو
القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعني ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان
دفعتم القتل الذي هو احد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر اسبابه المبثوثة ولا بد
من ان يتعلق بكم بعضها وروي انه مات يوم هذه المقالة سبعون منافقا فان قلت
فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين
قلت معناه ان النجاة من القتل يجوز ان يكون سببها القعود عن القتال وان يكون غيره •
لان اسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان •
سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه
اخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعني انهم لو اطاعوكم وقعدوا
لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرءوا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اي ان كنتم
رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرءوا جميع اسبابه حتى لا تموتوا ولا تحسبن الذين قتلوا
في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الخطاب لرسول الله او لكل احد وقرئ بالياء
اي ولا يحسبن رسول الله او ولا يحسبن حاسب ويجوز ان يكون الذين قتلوا فاعلا ويكون التقدير
ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اي ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا فان قلت
كيف جاز حذف المفعول الاول قلت هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله
احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد واحياء بالنصب على
معنى بل احسبهم احياء عند ربهم مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك
يرزقون مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم
التي هم عليها من التنعم برزق الله فرحين بما اتاهم الله من فضله وهو التوفيق في الشهادة وما
ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها
وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في
انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش ويستبشرون
بالذين باخوانهم المجاهدين الذين لم يلحقوا بهم اي لم يقتلوا فيلحقوا بهم من خلفهم يريد الذين
من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم
ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الا خوف عليهم بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين
لهم من حال من تركوا خلفهم من المومنين وهو انهم يبعثون امنين يوم القيمة بشرهم الله بذلك
فهم مستبشرون به وفي ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد
الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه
في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمومنين بالفوز في المآب يستبشرون بنعمة من الله
وفضل وان الله لا يضيع اجر المومنين وكرر يستبشرون ليعلق به ما هو بيان لقوله ان لا خوف

عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجرهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته
ان يحصل لهم ولا يضيع وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى
ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي ويعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع الذين استجابوا ل
له والرسول من بعد ما اصابهم القرح للذين احسنوا منهم واتقوا اجر عظيم الذين استجابوا
مبتدأ خبره للذين احسنوا او صفة للمؤمنين او نصب على المدح روي ان ابا سفيان واصحابه لما
انصرفوا من احد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاراد ان يرهبهم ويريهم من نفسه واصحابه قوة فندب اصحابه للخروج في طلب ابي سفيان
وقال لا يخرجن معنا احد الا من حضر يومنا بالامس فخرج صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء
الاسد وهي من المدينة على ثمانية اميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم
الاجر والقى الله الرعب في قلوب المشركين فذهبوا فنزلت ومن في للذين احسنوا منهم للتبيين
مثلها في قوله وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول
قد احسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لي عائشة ان ابويك لمن الذين استجابوا
لله والرسول يعني ابا بكر والزبير الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل روي ان ابا سفيان نادى عند انصرافه من احد يا محمد موعدنا
موسم بدر القابل ان شئت فقال صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابو سفيان في اهل
مكة حتى نزل مر الظهران فالقى الله الرعب في قلبه فبدا له ان يرجع فلقي نعيم بن مسعود الاشجعي وقد
قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا
الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لي ولكن ان خرج محمد ولم اخرج زاده ذلك جراءة
فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندي عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ما هذا
بالرأي اتوكم في دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا افتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند
الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابي سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل
لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال عليه السلام والذي نفسي بيده لاخرجن
ولو لم يخرج معي احد فخرج في سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هي الكلمة التي قالها
ابراهيم حين القي في النار حتى وافى بدرا واقاموا بها ثمان ليال وكانت معهم تجارات فباعوها
واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمى اهل مكة جيشه
جيش السويق وقالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون ابو سفيان واصحابه
فان قلت كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده قلت قيل ذلك لانه من جنس الناس
كما يقال فلان يركب الخيل ويلبس البرود وما له الا فرس واحد وبرد فرد ولانه حين قال ذلك
لم يخل من ناس من اهل المدينة يضامونه ويصلون جناح كلامه ويثبطون مثل تثبيطه فان
قلت الى م يرجع المستكن في فزادهم قلت الى المقول الذي هو ان الناس قد جمعوا لكم
فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا
له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده فان قلت كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا قلت
لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت
ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على اثر تثبيطه الى وجه
العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر رضي
الله عنه قلنا يا رسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة وينقص حتى
يدخل صاحبه النار وعن عمر انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزداد ايمانا وعنه لو وزن ايمان
هذه الامة لرجح به حسبنا الله محسبنا الله اي كافينا يقال احسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى
المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه في معنى اسم الفاعل غير حقيقية
ونعم الوكيل ونعم الموكول اليه هو فانقلبوا فرجعوا من بدر بنعمة من الله وهي السلامة وحذر العدو
منهم وفضل وهو الربح في التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم لم يمسسهم سوء
لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو واتبعوا رضوان الله بجراءتهم وخروجهم والله ذو فضل عظيم
قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطأ رأيهم حيث حرموا
انفسهم ما فاز به هؤلاء وروي انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي الله عنهم
انما ذلكم الشيطان يخوف اولياءه الشيطان خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان ويخوف

اولياءه

اولياءه جملة مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة ويخوف الخبر والمراد
بالشيطان نعيم او ابو سفيان ويجوز ان يكون على تقدير حذف مضاف بمعنى انما ذلكم قول
الشيطان اي قول ابليس لعنه الله يخوف اولياءه يخوفكم اولياءه الذين هم ابو سفيان واصحابه
ويدل عليه قراءة ابن عباس وابن مسعود يخوفكم اولياءه وقوله فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياءه
القاعدين عن الخروج مع رسول الله فان قلت فالى من يرجع الضمير في فلا تخافوهم على هذا
التفسير قلت الى الناس في قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال
وتجبنوا وخافون فجاهدوا مع رسولي وسارعوا الى ما يأمركم به ان كنتم مؤمنين يعني ان الايمان
يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا الله ولا يحزنك الذين يسارعون
في الكفر يقعون فيه سريعا ويرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل
هم قوم ارتدوا عن الاسلام فان قلت ما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن
لنفاق من نافق وارتداد من ارتد قلت معناه لا يحزنوك لخوف ان يضروك ويعينوا عليك
الا ترى الى قوله انهم لن يضروا الله شيئا يعني انهم لا يضرون بمسارعتهم في الكفر غير انفسهم
وما وبال ذلك عائدا على غيرهم ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله يريد الله ان لا يجعل لهم
حظا في الاخرة اي نصيبا من الثواب ولهم بدل الثواب عذاب عظيم وذلك ابلغ ما ضرب به
الانسان نفسه فان قلت هلا قيل لا يجعل لهم حظا في الاخرة واي فائدة في ذكر الارادة
قلت فائدته الاشعار بان الداعي الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف
قط حين سارعوا في الكفر تنبيها على تماديهم في الطغيان وبلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين
يريد ان لا يرحمهم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيئا ولهم عذاب اليم
اما ان يكون تكريرا لذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما اضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار
والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس وشيئا نصب على المصدر
لان المعنى شيئا من الضرر وبعض الضرر ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم
الذين كفروا فيمن قرأ بالتاء نصب وانما نملي لهم خير لانفسهم بدل منه اي ولا تحسبن انما نملي للكافرين
خير لهم وان مع ما في حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية
بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها في قياس علم الخط ان تكتب مفصولة
لكنها وقعت في الامام متصلة فلا تخالف وتتبع سنة الامام في خط المصاحف فان قلت
كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد
قلت صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه في حكم المنحى الا تراك تقول جعلت متاعك
بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك ويجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا
يحسبن الذين كفروا اصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير
لانفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بان وما في حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار
من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعى كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا
تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع آجالهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما ولهم عذاب مهين
ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها
كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما فان قلت
فكيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم قلت هو علة للاملاء وما كل
علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس
شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال وسببا فيه
فان قلت كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب قلت
لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله وبسببه على طريق
المجاز وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين
كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا ويدخلوا في الايمان وقوله
انما نملي لهم خير لانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه
وعرفوا انعام الله عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة فان قلت
فما معنى قوله ولهم عذاب مهين على هذه القراءة قلت معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة
الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين ما كان الله

ليذر المومنين الامر تاكيد النفي على ما انتم عليه من اختلاط المومنين الخلص والمنافقين
حتى يميز الخبيث من الطيب حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرى يميز من ميز وفي رواية
عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز فان قلت لمن الخطاب في انتم قلت للمصدقين جميعا
من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التي انتم عليها
من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى
يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره باحوالكم ثم قال وما كان الله ليطلعكم على الغيب اي
وما كان الله ليوتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول بنفاق رجل واخلاص
الاخر انه يطلع على ما في القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها ولكن الله يرسل الرسول فيوحي اليه
ويخبره بان في الغيب كذا وان فلانا في قلبه النفاق وفلانا في قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة
اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث
من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التي لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم
كبذل الارواح في الجهاد وانفاق الاموال في سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا لكم
بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما في قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور
والاطلاع عليها فان ذلك مما استاثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات
القلوب حتى تعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فيخبره
ببعض المغيبات فامنوا بالله ورسله بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب
وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما
اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب في شي وان تومنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم وعن السدي
قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يومن منا ومن يكفر فنزلت ولا يحسبن الذين
يبخلون بما اتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم ولا تحسبن من قرا بالتا قدر مضافا محذوفا
اي ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرا باليا وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله
او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين
يبخلون بخلهم هو خيرا لهم والذي سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرا الاعمش بغير هو
سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة سيطوقون تفسير لقوله هو شر لهم اي سيلزمون وبال ما بخلوا
به الزام الطوق وفي امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جا بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل
به من الزكوة حية يطوقها في عنقه يوم القيمة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر راسه وتقول
انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم في مانع الزكوة يطوق بشجاع اقرع وروي بشجاع اسود وعن
النخعي سيطوقون بطوق من نار ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير اي وله ما
فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه في سبيله ونحوه قوله وانفقوا
مما جعلكم مستخلفين فيه وقرى بما تعملون بالتا والبا فالتا على طريقة الالتفات وهي ابلغ في
الوعيد واليا على الظاهر لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنيا قال ذلك
اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلو اما ان يقولوه عن اعتقاد
لذلك او عن استهزا بالقران وايما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا من متمردين في كفرهم ومعنى
سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب سنكتب ما قالوا في صحايف الحفظة او
سنحفظه ونثبته في علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب وقتلهم الانبيا بغير حق فان قلت
كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب ما قالوا وهلا قيل ولقد كتبنا قلت ذكر وجود السماع اولا
موكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا
قتلهم الانبيا وجعل قتلهم الانبيا قرينة له ايذانا بانهما في العظم اخوان وبان هذا ليس باول
ما ركبوه من العظايم وانهم اصلا في الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبيا لم يستبعد منه الاجترا على
مثل هذا القول وروي ان رسول الله كتب مع ابي بكر رضي الله عنه الى يهود بني قينقاع يدعوهم الى الاسلام
والى اقام الصلاة وايتا الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا فقال فنحاص اليهودي ان الله
فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر في وجهه وقال لولا الذي بيننا وبينكم من العهد لضربت
عنقك فشكاه الى رسول الله وجحد ما قاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة ونقول لهم ذوقوا
ننتقم منهم بان نقول لهم يوم القيمة ذوقوا عذاب الحريق كما اذقتم المسلمين الغصص يقال للمنتقم
منه احسن وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق وقرا حمزة سيكتب على البنا للمفعول

ويقول

ويقول باليا وقرا الحسن والاعرج سيكتب باليا وتسمية الفاعل وقرا ابن مسعود ويقال
ذوقوا ذلك بما قدمت ايديكم ذلك اشارة الى ما تقدم من عقابهم وذكر الايدي لان
اكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدي على سبيل التغليب فان قلت
فلم عطف قوله وان الله ليس بظلام للعبيد على ما قدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام
للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات في استحقاق التعذيب قلت معنى كونه غير ظلام للعبيد
انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن الذين قالوا ان الله
عهد الينا امرنا في التورية واوصانا بان لا نومن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار
اي حتى يجيبنا بهذه الاية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السما فتاكله كما كان انبيا
بني اسرايل تلك اياتهم كان تقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السما فتاكله
وهذه دعوى باطلة وافترا على الله لان اكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الاتي به
الا لكونه اية ومعجزة فهو اذن وساير الايات سوا فلا يجوز ان يعينه الله من بين الايات
وقد الزمهم الله ان انبياهم جاوهم بالبينات الكثيرة التي اوجبت عليهم التصديق وجاوهم ايضا
بهذه التي اقترحوها قل قد جاكم رسل بالبينات وبالذي قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين من قبلي
فلم قتلتموهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمكم باتيانها وقرى بقربان بضمتين ونظيره
السلطان فان قلت ما معنى قوله وبالذي قلتم قلت معناه وبالذي قلتموه
من قولكم قربان تاكله النار وموداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اي لمعنى ما قالوا فان
كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاوا بالبينات والزبر والكتاب المنير في
مصاحف اهل الشام وبالزبر وهي الصحف والكتاب المنير التوراة والانجيل والزبور وهذه
تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود كل نفس ذايقة الموت
وانما توفون اجوركم يوم القيمة وقرى اليزيدي ذايقة الموت على الاصل وقرا الاعمش
ذايقة الموت بطرح التنوين مع النصب كقوله ⁂ ولا ذاكر الله الا قليلا ⁂
فان قلت كيف اتصل به قوله وانما توفون اجوركم قلت اتصاله به على ان كلكم
تموتون لا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما
توفونها يوم قيامكم عن القبور فان قلت فهذا يوهم نفي ما يروى ان القبر روضة
من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران قلت كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى
ان توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور
الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة فمن زحزح عن النار وادخل
الجنة فقد فاز فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاربه ولا غاية للفوز ورا
النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا
لما ندرك به عندك الفوز في الماب وعن النبي عليه السلام من احب ان يزحزح عن النار ويدخل
الجنة فلتدركه منيته وهو يومن بالله واليوم الاخر وياتي الى الناس ما يحب ان يوتى اليه وهذا
شامل للمحافظة على حقوق الله وحقوق العباد وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور شبه
الدنيا بالمتاع الذي يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده وردائته والشيطان
هو المدلس الغرور وعن سعيد بن جبير انما هذا لمن اثرها على الاخرة فاما من طلب الاخرة فانها متاع
بلاغ لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين
اشركوا اذى كثيرا خوطب المومنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى
والشدايد والصبر عليها حتى اذا لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من
تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه والبلاء في الانفس القتل والاسر والجراح
وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصايب وفي الاموال الانفاق في سبيل الخير وما يقع فيها
من الافات وما يسمعون من اهل الكتاب الطعن في الدين الحنيف وصد من اراد الايمان
وتخطية من امن وما كان من كعب بن الاشرف من هجايه لرسول الله وتحريض المشركين ومن
فنحاص ومن بني قريظة والنضير وان تصبروا وتتقوا فان ذلك فان الصبر والتقوى
من عزم الامور من معزومات الامور اي مما يجب عليه العزم من الامور او مما عزم الله ان يكون
يعني ان ذلك عزمة من عزمات الله لا بد لكم ان تصبروا وتتقوا واذ اخذ الله ميثاق الذين
اوتوا الكتاب واذكر وقت اخذ الله ميثاق اهل الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه

ليبيننه الضمير للكتاب اكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل
اذا عزم عليه وقيل لام القسم فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس
ما يشترون فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء
الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به
دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض
فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام
دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي
صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاووس انه قال لوهب اني ارى
سوف يعذبك هذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت ان الله سيعذبك
وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل لجاهل ان يسكت على جهله حتى
يسأل وعن علي رضي الله عنه ما اخذ الله على اهل الجهل ان يتعلموا حتى اخذ على اهل العلم ان
يعلموا وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله •
وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض لا تحسبن الذين يفرحون بما اتوا ويحبون
ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب اليم لا تحسبن خطاب
لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المفعولين الذين يفرحون والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم
تأكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين وقرئ لا يحسبن فلا يحسبنهم بضم الباء على خطاب
المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ ابو عمرو بالياء
وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على
لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن انفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم
تأكيد ومعنى بما اتوا بما فعلوا واتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا
لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة ابي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى اعطوا وعن علي
رضي الله عنه بما اوتوا ومعنى بمفازة من العذاب بمنجاة منه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
سأل اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا
اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما انزل من وعيدهم اي لا يحسبن اليهود
الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق
عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا بما اوتوه من علم التوراة وقيل
يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم
حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وانهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا اليه بان المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك
الخروج وقيل هم المنافقون ويفرحون بما اوتوا اظهار الايمان للمؤمنين ومنافقتهم وتوصلهم
بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر
ويجوز ان يكون شاملا لكل من اتى بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه
بالديانة والزهد وبما ليس فيه ولله ملك السموات والارض فهو يملك امرهم والله على كل شيء قدير
فهو يقدر على عقابهم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات دلالة
واضحة على الصانع وعظم قدرته وباهر حكمته لاولي الالباب الذين يفتحون بصائرهم للنظر
والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح
الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب واجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها
متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر قلت لعائشة
رضي الله عنها اخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت واطالت ثم قالت كل امره
عجب اتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى الصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك ان تأذني
لي في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لاحب قربك واحب هواك قد اذنت لك فقام الى قربة من ماء
في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن وجعل يبكي حتى بلغ الدموع
حقويه ثم جلس فحمد الله واثنى عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكي حتى رأيت دموعه قد
بلت الارض فاتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكي فقال له يا رسول الله اتبكي وقد غفر
الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال له يا بلال افلا اكون عبدا شكورا ثم قال وما لي لا ابكي

وقد

وقد انزل علي في هذه الليلة ان في خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر •
فيها وروي ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأمل فيها وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان
اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من •
بني اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة اظلته سحابة فعبدها فتى من فتيانهم فلم تظله فقالت له امه
لعل فرطة فرطت منك في مدتك قال ما اذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت
فما اوتيت الا من ذاك الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم يذكرون الله ذكرا دائما
على الحالات كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر في اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة
بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم اما قال الله تعالى
يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من
احب ان يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون في هذه الاحوال على حسب •
استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا
فان لم تستطع فعلى جنب تومئ ايماء وهذا حجة الشافعي رضي الله عنه في اضجاع المريض على جنبه
كما في اللحود عند ابي حنيفة رضي الله عنه انه يستلقي حتى اذا وجد خفة قعد • ومحل على جنوبهم
نصب على الحال عطفا على ما قبله كانه قيل وقعودا ومضطجعين ويتفكرون في خلق السموات
والارض وما يدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما يكل الافهام
عن ادراك بعض عجائبه على عظم شأن الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثوري انه صلى
خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فلما رأى الكواكب غشي عليه وكان يبول الدم من طول
حزنه وفكرته وعن النبي صلى الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى
السماء فقال اشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لي فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه
وسلم لا عبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة وتحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع
النبات وما جليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له في كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك
بالتفكر في امر الله الذي هو عمل القلب لان احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه في اليوم مثل عمل اهل الارض ربنا
ما خلقت هذا باطلا سبحانك على ارادة القول اي يقولون ذلك وهو في محل الحال بمعنى ويتفكرون
قائلين والمعنى ما خلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعي حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن
للمكلفين وادلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله •
فقنا عذاب النار لانه جزاء من عصى ولم يطع فان قلت هذا اشارة الى ماذا قلت
الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون في مخلوق السموات والارض اي فيما خلق منها
ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها في معنى المخلوق كانه قيل ما خلقت هذا المخلوق
العجيب باطلا وفي هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويجوز ان
يكون باطلا حالا من هذا • وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث ان يخلق شيئا بغير حكمة ربنا انك
من تدخل النار فقد اخزيته فقد ابلغت في اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم
من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق وما للظالمين من انصار
ينادي للايمان اللام اشارة الى من تدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة
ولا غيرها ربنا اننا سمعنا مناديا ينادي للايمان تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت
زيدا يتكلم فتوقع الفعل على الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع او جعلته حالا عنه
فاغناك عن ذكره ولولا الوصف والحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان او قوله فان
قلت فاي فائدة في الجمع بين مناديا وينادي قلت ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان
تفخيما لشأن المنادي لانه لا منادي اعظم من مناد ينادي للايمان ونحوه قولك مررت بهاد
يهدي للاسلام وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاغاثة المكروب
او لكفاية بعض النوازل او لبعض المنافع وكذلك الهادي قد يطلق على من يهدي للطريق ويهدي
لسداد الرأي وغير ذلك فاذا قلت ينادي للايمان ويهدي للاسلام فقد رفعت من شأن
المنادي والهادي وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه وهداه
للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادي هو
الرسول ادعو الى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن ان آمنوا اي آمنوا او بان آمنوا •

بربكم فامنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا كبايرنا وكفر عنا سيئاتنا صغايرنا وتوفنا مع الابرار
مخصوصين بصحبتهم معدودين في جملتهم • والابرار جمع بر او بار كرب وارباب وصاحب واصحاب
ربنا واتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيمة انك لا تخلف الميعاد على رسلك
على هذه صلة للوعد في قولك وعد الله الجنة على الطاعة والمعنى ما وعدتنا على تصديق رسلك الا
تراه كيف اتبع ذكر المنادي للايمان وهو الرسول وقوله امنا وهو التصديق ويجوز ان يكون متعلقا
بمحذوف اي ما وعدتنا منزلا على رسلك او محمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه
ما حمل وقيل على السنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء فان قلت
كيف دعوا الله بانجاز ما وعد والله لا يخلف الميعاد قلت معناه طلب التوفيق فيما يحفظ
عليهم اسباب انجاز الميعاد او هو باب من اللجاء الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم السلام
يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجاء الذي
هو سيما العبودية فاستجاب لهم ربهم يقال استجاب له واستجابه • فلم يستجبه عند ذاك مجيب
اني لا اضيع قرئ بالفتح على حذف الباء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لا اضيع بالتشديد عمل
عامل منكم من ذكر او انثى بيان لعامل بعضكم من بعض اي يجمع ذكوركم واناثكم اصل واحد فكل
واحد منكم من الاخر اي من اصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام
وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعد الله عباده العاملين وروي
ان ام سلمة قالت يا رسول الله اني لا اسمع الله يذكر الرجال في الهجرة ولا يذكر النساء فنزلت
فالذين هاجروا واخرجوا من ديارهم تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم
كانه قال فالذين عملوا هذه الاعمال السنية الفايقة وهي المهاجرة عن اوطانهم فارين الى الله
بدينهم من دار الفتنه واضطروا الى الخروج من ديارهم التي ولدوا فيها ونشاوا بما ساءهم المشركون
من الخسف واوذوا في سبيلي من اجله وبسببه يريد سبيل الدين وقاتلوا وقتلوا وغزوا المشركين
واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد ق
قتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل لاكفرن
عنهم سيئاتهم ولادخلنهم جنات تجري من تحتها الانهار ثوابا من عند الله ثوابا في موضع
المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا من عند الله لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم في معنى لاثيبنهم
والله عنده حسن الثواب وعنده مثل اي يختص به وبقدرته وفضله لا يثيبه غيره ولا يقدر عليه
كما يقول الرجل عندي ما تريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله
كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة
وحسن الاثابة من احتمال المشاق في دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى من
المتمنين عليه وتسجيل على من لا يرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروي عن جعفر الصادق
رضي الله عنه من حزبه امر فقال خمس مرات ربنا انجاه الله مما يخاف واعطاه ما اراد وقرا هذه الاية وعن الحسن
حكى الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبر انه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء وما
يستجاب به فلا بد من تقديمه بين يدي الدعاء لا يغرنك تقلب الذين كفروا في البلاد الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد اي لا تنظر الى ما هم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة
حظوظ الدنيا ولا تغتر بظاهر ما ترى من تبسطهم في الارض وتصرفهم في البلاد يتكسبون ويتجرون
ويتدهقنون وعن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروي ان ناسا من المومنين كانوا يرون
ما كانوا يرون ما كانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان اعداء الله فيما نرى من الخير
وقد هلكنا من الجوع والجهد فان قلت كيف جاز ان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى
ينهى عن الاغترار به قلت فيه وجهان احدهما ان مدرة القوم ومقدمهم يخاطب بشيء فيقوم
خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لا يغرنكم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان غير مغرور
بحالهم فاكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا تكونن من
المشركين فلا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا ايها الذين
امنوا امنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة
المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة متاع قليل
خبر مبتدا محذوف اي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد اراد قلته في جنب ما فاتهم من نعيم الاخرة
او في جنب ما اعد الله للمومنين من الثواب او اراد انه قليل في نفسه لانقضائه وكل زايل قليل

قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الاخرة الا مثل ما يجعل احدكم في اليم فلينظر بم يرجع
ثم ماواهم جهنم وبئس المهاد وساء ما مهدوا لانفسهم لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات
تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر
الضبي ۞ وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا • جعلنا القنا والمرهفات له نزلا ۞
وانتصابه اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز ان يكون بمعنى مصدر
مؤكد كانه قيل رزقا او عطاء من عند الله وما عند الله من الكثير الدائم خير للابرار مما يتقلب فيه الفجار
من القليل الزايل وقرا مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون وقرا يزيد بن القعقاع لكن الذين
اتقوا بالتشديد وان من اهل الكتاب لمن يومن بالله عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من
مسلمة اهل الكتاب وقيل في اربعين من اهل نجران واثنين وثلاثين من اهل الحبشة وثمانية من
الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وقيل في اصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى اصحمة
عطية بالعربية وذلك انه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام
اخرجوا فصلوا على اخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى ارض الحبشة فابصر سرير النجاشي
وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على نصراني لم يره قط وليس على دينه
فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن وما
انزل اليكم من القران وما انزل اليهم من الكتابين خاشعين لله حال من فاعل يومن لان من يومن في
معنى الجمع لا يشترون بايات الله ثمنا قليلا كما يفعل من لم يسلم من احبارهم وكبارهم اولئك
لهم اجرهم عند ربهم اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يوتون اجرهم مرتين
يوتكم كفلين من رحمته ان الله سريع الحساب لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل
من الاجر ويجوز ان يراد انما توعدون لات قريب بعد ذكر الموعد يا ايها الذين امنوا اصبروا
على الدين وتكاليفه وصابروا اعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدايد الحرب ولا تكونوا
اقل صبرا منهم وثباتا والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته
وصعوبته ورابطوا واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله
تعالى ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما
وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة واتقوا
الله لعلكم تفلحون وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة ال عمران اعطي بكل اية منها امانا
على جسر جهنم وعنه عليه السلام من قرا السورة التي يذكر فيها ال عمران يوم الجمعة صلى الله عليه
وملايكته حتى تحجب الشمس

سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون اية

۞ ۞ بسم الله الرحمن الرحيم ۞ ۞

يا ايها الناس يا بني ادم اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة فرعكم من اصل واحد وهو نفس
ادم ابيكم فان قلت علام عطف قوله وخلق منها زوجها قلت فيه وجهان احدهما
ان يعطف على محذوف كانه قيل من نفس واحدة انشاها او ابتداها وخلق منها زوجها وانما حذف
لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من نفس واحدة هذه صفتها وهي انه انشاها من تراب وخلق منها
زوجها حواء من ضلع من اضلاعها وبث منهما نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة
هي بيان وتفصيل لكيفية خلقهم والثاني ان يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا ايها الناس
للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى خلقكم من نفس واحدة ادم لانهم من جملة الجنس
المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما رجالا كثيرا ونساء غيركم من الامم الفايتة للحصر
فان قلت الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته ان يجاء عقيب الامر بالتقوى بما يوجب
او يدعوا اليها ويبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي ذكره موجبا
للتقوى وداعيا اليها قلت لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه
كان قادرا على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى ان يتقي القادر
عليه ويخشى عقابه ولانه يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم ان يتقوه في كفرانها والتفريط
فيما يلزمهم من القيام بشكرها او اراد بالتقوى تقوى خاصة وهي ان يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق
بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة
من ارومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق
لمعاني السورة وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ اسم الفاعل وهو خبر مبتدا محذوف

وخلق منها زوجها وبث منهما
رجالا كثيرا ونساء ٥

ف

تقديره وهو خالق **واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا** تساءلون
به تتساءلون به فادغمت التاء في السين وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية اي يسأل بعضكم
بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا على سبيل الاستعطاف وانا شدك الله والرحم
او تساءلون غيركم بالله وبالرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون للجمع كقولك رايت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام بالحركات الثلاث
فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام او ان تعطف على محل الجار والمجرور كقولك مررت
بزيد وعمرا وتنصره قراءة ابن مسعود تسألون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على المضمر وليس
بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في حكم قولك مررت به وزيد
وهذا غلامه وزيد شديد الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره اشبه العطف على بعض الكلمة فلم
يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد الا ترى الى صحة قولك رايتك
وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بانها على
تقدير تكرير الجار ونظيرها قول الشاعر ❁ فاذهب فما بك والايام من عجب ❁
والرفع على انه مبتدأ خبره محذوف كانه قيل والارحام كذلك على معنى والارحام مما يتقى او والارحام
مما يتساءل به والمعنى انهم كانوا يقرون بان لهم خالقا وكانوا يتساءلون بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله
الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او واتقوا الله الذي تتعاطفون
باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وعلا ان قرن الارحام باسمه ان صلتها منه بمكان كما قال الا
تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سألك بالله فاعطه واذا سألك بالرحم فاعطه والرحم حجنة عند العرش
ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما الرحم معلقة بالعرش فاذا اتاها الواصل بشت به
وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه السلام تخيروا لنطفكم فقال
يقول لاولادكم وذلك ان يضع ولده في الحلال الم تسمع قوله واتقوا الله الذي تساءلون به
والارحام واول صلته ان يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار
الصحة ويجتنب الدعوة ولا يضعه موضع شهوة يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله **وآتوا
اليتامى اموالهم** اليتامى الذين مات اباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد ومنه الرملة اليتيمة
والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الاباء وفي البهائم من قبل الامهات **فان قلت**
كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى **قلت** فيه وجهان ان يجمع على يتمى كاسرى لان
اليتم من وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع على فعالى كاسارى ويجوز ان يجمع على فعائل لجري
اليتيم مجرى الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار
والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب ان يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا
بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم
وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم ابي طالب اما على القياس واما حكاية للحال التي كان
عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له واما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة
لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار **فان قلت** فما معنى قوله وآتوا اليتامى
اموالهم **قلت** اما ان يراد باليتامى الصغار وباتيانهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء
وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها ايديهم الخاطفة حتى تاتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة
واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس ولقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة
عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع اموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان
اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من
غطفان كان معه مال كثير لابن اخ له يتيم فلما بلغ طلب منه المال فمنعه فترافعا الى النبي صلى
الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها قال اطعنا الله واطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع
ماله اليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني
جنته فلما قبض الفتى ماله انفقه في سبيل الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم ثبت الاجر وبقي الوزر فقالوا
يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر فكيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت الاجر
للغلام وبقي الوزر على والده **ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب** ولا تستبدلوا الحرام وهو مال
اليتامى بالحلال وهو مالكم وما ابيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتاكلوه

مكانه

مكانه اولا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها
والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة
❁ فيا كرم السكن الذين تحملوا ❁ عن الدار والمستخلف المتبدل ❁
اراد وبالوم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديا ويأخذ جيدا وعن السدي ان
يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل انما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فيأخذ منه
عجفا مكان سمينة من مال الصبي **ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم** ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا
تضموها اليها بالانفاق حتى لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه
وبين الحلال **فان قلت** قد حرم عليهم اكل اموال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن
اكله معها **قلت** لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم
على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعى عليهم فعلهم
وسمع بهم ليكون ازجر لهم **انه كان حوبا كبيرا** والحوب الذنب الكبير العظيم ومنه قوله عليه السلام
ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر
حاب حوبا وقرئ حابا ونظيره الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد ولما نزلت الآية في اليتامى
وما في اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا
يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج والثماني والست فلا يقوم
بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم **فان خفتم ان لا تقسطوا في اليتامى** ان خفتم ترك العدل
في حقوق اليتامى فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات
لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب ان يتحرج
من الذنب ويتاب عنه بقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون
من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الحوب في حق اليتامى فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا
حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها
عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن
ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم
ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل اياما والاصل ايايم ويتايم
وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا ❁
فانكحوا ما طاب لكم ما حل لكم **من النساء** لان منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا
الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم
مثنى وثلاث ورباع معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها
عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات تعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث
والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد
ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا واربعا اربعا **فان قلت** الذي اطلق للناكح في الجمع ان يجمع
بين ثنتين او ثلاث او اربع فما معنى التكرار في مثنى وثلاث ورباع **قلت** الخطاب للجميع
فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما اراد من العدد الذي اطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا
المال وهو الف درهم درهمين درهمين ثلاثة ثلاثة واربعة اربعة ولو افردت لم يكن له معنى •
فان قلت فلم جاء العاطف بالواو دون او **قلت** كما جاء في المثال الذي حذوته
لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة او اربعة اربعة اعلمت
انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض
القسم على تثنية وبعضه على تثليث وبعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع
القسمة الذي دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان يأخذ الناكحون من ارادوا
نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤوا مختلفين في تلك الاعداد وان شاؤوا متفقين فيها
محظورا عليهم ما وراء ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع **فان خفتم ان لا
تعدلوا** بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها **فواحدة** فالزموا او فاختاروا واحدة
وذروا الجمع راسا فان الامر كله يدور مع العدل فاينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع
على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة **او ما ملكت ايمانكم** سوى في السهولة
واليسر بين الحرة الواحدة وبين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمري انهن اقل تبعة واقصر

شعبا واخف مؤنة من المهاير ولا عليك اكثرت منهن او اقللت عدلت بينهن في القسم او لم تعدل
عزلت عنهن او لم تعزل وقرا ابن ابي عبلة من ملكت ذلك اشارة الى اختيار الواحدة والتسري
ادنى ان لا تعولوا اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال
الحاكم في حكمه اذا جار وروي ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول علي وقد روت عايشة رضي الله
عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذي يحكى عن الشافعي رضي الله عنه
انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولك
مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة
على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وايمة الشرع ورؤس
المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من اخيك سوءا وانت تجد لها في الخير
محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافي العي من كلام الشافعي شاهدا بانه كان اعلى كعبا واطول
باعا في علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك في تفسير
هذه الكلمة طريقة الكنايات فان قلت كيف يقل عيال من تسرى وفي السراري نحو ما في
المهاير قلت ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسري ولذلك
جاز العزل عن السراري بغير اذنهن فكان التسري مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج
الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرا طاوس ان لا تعيلوا من اعال الرجل اذا كثر عياله
وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي من حيث المعنى الذي قصده وآتوا النساء صدقاتهن
مهورهن وفي حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرى صدقاتهن بفتح الصاد وسكون
الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة
وقرى صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك في ظلمة ظلمة
نحلة من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابي
بكر رضي الله عنه اني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان
النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اي اعطوهن مهورهن
عن طيبة انفسكم او على الحال من المخاطبين اي آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس
بالاعطاء او من الصدقات اي منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية
من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل
كذا اي يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا
من الصدقات اي دينا من الله شرعه وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا
ياخذون مهور بناتهن وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ
مهرها فتنفج به مالك اي تعظمه فان طبن لكم عن شيء منه نفسا الضمير في منه جار مجرى
اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما في قال تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات
ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ما روي عن رؤبة انه قيل له في قوله
كانه في الجلد توليع البهق فقال اردت كان ذاك او يرجع الى ما هو في معنى الصدقات
وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق
واكن من الصالحين كانه قيل اصدق ونفسا تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس
والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيئا من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات
غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة اخلاقكم وسوء معاشرتكم فكلوه هنيئا مريئا
فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان
رجلا اتى مع امراته شريحا في عطية اعطتها اياه وهي تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها
فقال الرجل اليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها لما رجعت فيه وعنه
اقيلها فيما وهبت ولا اقيله لانهن يخدعن وحكي ان رجلا من آل ابي معيط اعطته امراته
الف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال
الرجل اعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الاية التي بعدها فلا تاخذوا منه شيئا اردد
عليها وعن عمر رضي الله عنه انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امراة
اعطت ثم ارادت ان ترجع فلها ذلك وعن ابن عباس ان رسول الله سئل عن هذه الاية فقال

اذا

اذا جادت لزوجها بالعطية طايعة غير مكرهة لا يقضي به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله
في الاخرة وروي ان ناسا كانوا يتاثمون ان يرجع احدهم في شيء مما ساق الى امراته فقال الله تعالى
ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه هنيئا سايغا وفي الاية دليل على ضيق المسلك
في ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فان طبن لكم ولم يقل فان وهبن او سمحن
اعلاما بان المراعى هو تجافي نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان
طبن لكم بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي
لا يجوز تبرعها ما لم تلد او تقم في بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى
الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض
الصدقات واحدة منها فصاعدا الهني والمري صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان
سايغا لا تنغيص فيه وقيل هو ما ينساغ في مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة
المري لمرور الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اي اكلا هنيئا مريئا او حال من
الضمير اي كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدا هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان
اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنا مرا وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة
التبعة ولا تؤتوا السفهاء اموالكم السفهاء المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغي
ولا يدي لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء واضاف الاموال اليهم
لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم
المؤمنات والدليل على انه خطاب للاولياء في اموال اليتامى قوله وارزقوهم فيها واكسوهم
التي جعل الله لكم قياما اي تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها انفسها
قيامكم وانتعاشكم وروي قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرا عبد الله بن عمر
قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون
المال سلاح المؤمن ولان اترك ما يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان
وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بي بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا
لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني منها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم في زمان اذا
احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما راوا رجلا في جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك
وارزقوهم فيها واكسوهم واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم
من الارباح لا من صلب المال فلا ياكلها الانفاق وقيل هو امر لكل احد ان لا يخرج ماله الى احد من السفهاء
قريب واجنبي رجل وامراة يعلم انه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده وقولوا لهم قولا معروفا
قال ابن جريج عدة جميلة اي ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم اموالكم وعن عطا اذا ربحت اعطيتك
وان غنمت في غزاتي جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله
واياك بارك الله فيك وكلما سكنت اليه النفس واحبته لحسنه عقلا او شرعا من قول او عمل فهو
معروف وما انكرته ونفرت عنه لقبحه فهو منكر وابتلوا اليتامى واختبروا عقولهم
وذوقوا احوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم
منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم حتى اذا تبينتم منهم رشدا اي هداية دفعتم اليهم
اموالهم من غير تاخير عن حد البلوغ وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب
ما هو مقصود به وهو التوالد والايناس الاستيضاح فاستعير للتبين واختلف في الابتلاء قبل
الرشد فالابتلاء عند ابي حنيفة واصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما
يجيء منه والرشد التهدي الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح في العقل والحفظ للمال
وعند مالك والشافعي الابتلاء ان يتتبع احواله وتصرفه في الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله
وميله الى الدين والرشد والصلاح في الدين لان الفسق مفسدة للمال فان قلت
فلو لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ قلت عند ابي حنيفة ينتظر الى خمس وعشرين سنة
لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثماني عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهي مدة
معتبرة في تغير احوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله اونس
منه الرشد او لم يؤنس وعند اصحابه لا يدفع اليه ابدا الا بايناس الرشد فان قلت
ما معنى تنكير الرشد قلت معناه نوعا من الرشد وهو الرشد في التصرف والتجارة
او طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد فان قلت كيف نظم هذا

الكلام قلت ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع
بعدها الجمل كالتي في قوله

فما زالت القتلى تمج دماءها ۞ بدجلة حتى ماء دجلة اشكل

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا
النكاح وقوله فان انستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا
للشرط الاول الذي هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم
دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرا ابن مسعود فان احستم بمعنى احسستم قال

احسن به فهن اليه شوس

وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين ولا
تاكلوها اسرافا وبدارا ان يكبروا مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم
تفرطون في انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينتزعوها من ايدينا ومن
كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فلياكل بالمعروف قسم الامر بين ان يكون الوصي غنيا
وبين ان يكون فقيرا فالغني يستعفف من اكلها ولا يطمع ويقنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا
على اليتيم وابقاء على ماله والفقير ياكل قوتا مقدرا محتاطا في تقديره على وجه الاجرة واستقراضها
فيها في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على ان للوصي حقا لقيامه
عليها وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال له ان في حجري يتيما افاكل من ماله قال بالمعروف غير
متاثل مالا ولا واق مالك بماله قال افاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان
ولي اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها
وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك في الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم
فلياكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ما سد
الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد
منه وعن الشعبي ياكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي
وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر ادى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر
ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن
الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والي اليتيم ان استغنيت استعففت
وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت • واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة
العفة فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها
ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل في الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم
يشهد فادعي عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة رحمه الله واصحابه وعند مالك والشافعي
لا يصدق الا بالبينة فكان في الاشهاد الاحتراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب
الضمان اذا لم يقم البينة وكفى بالله حسيبا اي كافيا في الشهادة عليكم بالدفع والقبض
او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون
وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون الاقربون هم المتوارثون من ذوي القرابات
دون غيرهم مما قل منه او كثر بدل من مما ترك بتكرير العامل ونصيبا مفروضا نصب على الاختصاص
بمعنى اعني نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستاثر به ويجوز ان ينتصب
انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روي ان اوس بن صامت
الانصاري ترك امراته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة
ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون الاطفال والنساء ويقولون لا يرث الا من طاعن
بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت ام كحة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسجد
الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعي حتى انظر الى ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال اوس
شيئا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطى ام كحة الثمن
والبنات الثلثين والباقي ابني العم واذا حضر القسمة اي قسمة التركة اولوا القربى وقولوا
لهم قولا معروفا ممن لا يرث فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا الضمير لما ترك الوالدان
والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة
حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تاديبا من غير ان يكون
فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروي ان عبد الله

بن

بن عبد الرحمن بن ابي بكر قسم ميراث ابيه وعائشة حية فلم يدع في الدار احدا الا اعطاه وتلا
هذه الاية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ باية المواريث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان
ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكن مما تهاون به الناس والقول المعروف ان يلطفوا
لهم القول ويقولوا خذوا بارك الله عليكم ويعتذروا اليهم ويستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه
ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى
من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين و
الرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم وليخش الذين لو
تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا لو مع
ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من في حجورهم
من اليتامى ويشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا
ذلك في انفسهم ويصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة ويجوز ان يكون المعنى
وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون
عنك من الله شيئا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد
المريض ويشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا ويجوز ان يتصل بما قبله وان
يكون امرا للورثة بالشفقة على الذين يحضرون القسمة من الضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين
وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم
الحرمان والخيبة فان قلت ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين قلت
معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند
احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحياة الي حبا ۞ بناتي انهن من الضعاف
احاذر ان يرين البؤس بعدي ۞ وان يشربن رنقا بعد صاف

وقرئ ضعفا وضعافى نحو سكارى وسكارى والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا
اليتامى ويكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب ويدعوهم بيا بني ويا ولدي
ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف في وصيتك فتجحف باولادك مثل
قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون
الناس وكان الصحابة رضي الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع
والربع افضل من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول ويجملوه للحاضرين ان الذين
ياكلون اموال اليتامى ظلما ظالمين او على وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته انما ياكلون
في بطونهم ملء بطونهم نارا يقال اكل فلان في بطنه وفي بعض بطنه قال

كلوا في بعض بطنكم تعفوا ۞ فان زمانكم زمن خميص

ومعنى ياكلون نارا ياكلون ما يجر الى النار فكانه نار في الحقيقة وروي انه يبعث اكل مال
اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه
كان ياكل مال اليتيم في الدنيا وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها
سعيرا نارا من النيران مبهمة الوصف يوصيكم الله يعهد اليكم ويامركم في اولادكم في شان
ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله للذكر مثل حظ الانثيين
فان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر قلت
ليبدا ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين
قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى
وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره عنه
ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الاية فقيل كفى الذكور ان ضوعف
لهم نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به
فان قلت فان حظ الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان قلت اريد حال الاجتماع
لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان كان له سهمان كما ان لهما سهمين فاما
في حال الانفراد فالابن ياخذ المال كله والبنتان ياخذان الثلثين والدليل على ان الغرض حكم
الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك

والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان
بدرهم • فان كن نساء فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني
بنات ليس معهن ابن فوق اثنتين يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي
نساء زايدات على اثنتين وان كانت واحدة وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس
معها اخرى فلها النصف وقرئ واحدة بالرفع على كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله
فان كن نساء وقرا زيد بن ثابت النصف بالضم والضم في ترك الميت لان الاية لما كانت في
الميراث علم ان التارك هو الميت فان قلت قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام مسوق
لبيان حظ الذكر من الاولاد لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يرد فقوله فان كن نساء ق
هو لبيان حظ الاناث قلت وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين
حظ الانثيين مع اخيهما كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء
فان قلت هل يصح ان يكون الضميران في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما
على ان كانت تامة قلت لا ابعد ذلك فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان
كانت امراة قلت لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين ما ذكر من اجتماعهن
مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد ههنا ان يميز بين كون البنت
مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها فان قلت فقد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما
مع الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما
وما باله لم يذكر قلت اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة
لقوله تعالى فان كن نساء فوق اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر
الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي يعلل به قولهم ان للذكر مثل حظ الانثيين قد دل
على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك
يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا
ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان
لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان البنتين امس
رحما بالميت من الاختين فاوجبوا لهما ما اوجب الله للاختين ولم يروا ان يقصروا بهما عن حظ
من هو ابعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع اخيها الثلث كانت احرى ان يجب
لها الثلث اذا كانت مع اختها مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا
مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان ولابويه الضمير للميت لكل واحد منهما
السدس مما ترك ان كان له ولد ولكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل وفائدة
هذا البدل انه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان
لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها فان قلت فهلا قيل
ولكل واحد من ابويه السدس واي فايدة في ذكر الابوين اولا ثم في الابدال منهما قلت
لان في الابدال والتفصيل بعد الاجمال تاكيدا وتشديدا كالذي تراه في الجمع بين المفسر
والتفسير والسدس مبتدا وخبره لابويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرا الحسن ونعيم
بن ميسرة السدس في التخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن والولد يقع على الذكر والانثى
ويختلف حكم الاب في ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كان انثى عصب
مع اعطاء السدس فان قلت قد بين حكم الابوين في الارث مع الولد ثم حكمهما مع
عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واي فايدة في قوله وورثه ابواه قلت
معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد
منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقي بعد
اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما
الميراث للذكر مثل حظ الانثيين فان قلت ما العلة في ان كان لها ثلث ما بقي
دون ثلث الميراث قلت فيه وجهان احدهما ان الزوج انما يستحق ما يسهم له
بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية في قسمة ما وراءه والثاني ان الاب اقوى في الارث
من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا
للامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لادى الى حط نصيبه عن نصيبها الا ترى ان امراة لو

تركت

تركت زوجا وابوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقي للاب حازت الام
سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثى مثل حظ الذكرين
فان كان له اخوة فلامه السدس الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع
الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوي في الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن
عباس وعنه انهم ياخذون السدس الذي حجبوا عنه الام فان قلت فكيف صح ان يتناول
الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية قلت الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة
بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع في افادة الكمية وهذا موضع الدلالة على
الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة الا تراها لا تكسر
في قوله وجعلنا ابن مريم وامه آية من بعد وصية متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث
كلها لا بما يليه وحده كانه قيل قسمة هذه الانصبا من بعد وصية يوصي بها او دين
وقرئ يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى على البنا للمفعول مخففا فان قلت
ما معنى او قلت معناها الاباحة وانه ان كان احدهما او كلاهما قدم على قسمة
الميراث كقولك جالس الحسن او ابن سيرين فان قلت لم قدمت الوصية على الدين
والدين مقدم عليها في الشريعة قلت لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها ماخوذة
من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب انفسهم بها فكان اداؤها
مظنة التفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى ادائه فلذلك قدمت على الدين
بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين فلذلك جيء بكلمة او للتسوية بينهما في
الوجوب ثم اكد ذلك ورغب فيه بقوله اباؤكم وابناؤكم لا تدرون ايهم اقرب لكم نفعا
اي لا تدرون من انفع لكم من ابائكم وابنائكم الذين يموتون امن اوصى منهم ام من لم يوص
يعني ان من اوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الاخرة بامضاء وصيته فهو اقرب لكم نفعا و
احضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الاخرة اقرب واحضر
من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة
الا انه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الاخرة وان كان اجلا الا انه باق فهو في الحقيقة
الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان ارفع درجة من ابيه في الجنة سال ان يرفع اليه ابوه فيرفع
وكذلك الاب ان كان ارفع درجة من ابنه في الجنة سال ان يرفع ابنه اليه فانتم لا تدرون في
الدنيا ايهم اقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الفرايض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا
ايهم لكم انفع فوضعتم انتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب تجب له النفقة على الابن اذا احتاج
وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى ايهما اقرب لكم نفعا وليس شيء
من هذه الاقاويل بملايم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراض ان يؤكد
ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم فريضة من الله فريضة نصبت نصب المصدر
المؤكد اي فرض ذلك فرضا ان الله كان عليما بمصالح خلقه حكيما في كل ما فرض وقسم من
المواريث وغيرها ولكم نصف ما ترك ازواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم
الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها او دين فان كان لهن ولد منكم او من غيركم جعلت
المراة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء
في الربع والثمن ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما
تركتم من بعد وصية توصون بها او دين وان كان رجل يورث كلالة او امراة وله
اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من
بعد وصية يوصى بها او دين وان كان رجل يعني الميت ويورث من ورث اي يورث منه
وهو صفة لرجل وكلالة خبر كان اي وان كان رجل موروث منه كلالة او يجعل يورث خبر
كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء
للفاعل وكلالة حالا او مفعول به فان قلت ما الكلالة قلت تنطلق على ثلاثة
على من لا يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة
الولد والوالد ومنه قولهم ❀ ما ورث المجد عن كلالة ❀
كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب
القوة من الاعياء قال الاعشى ❀ فآليت لا ارثي لها من كلالة ❀

فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة
واذا جعل صفة للمورث او الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي
قرابتي ويجوز ان تكون صفة كالهجاجة والفقاقة فان قلت فان جعلتها اسما للقرابة
في الاية فعلام تنصبها قلت على انها مفعول له اي يورث لاجل الكلالة او يورث غيره لاجلها
فان قلت فان جعلت يورث على البنا للفاعل فما وجهه قلت الرجل حينئذ
هو الوارث لا المورث فان قلت فالضمير في قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ
قلت الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما فان قلت اذا رجع الضمير اليهما افاد
استواءهما في حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقى هذه الفايدة قايمة في هذا
الوجه قلت نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت
بين الذكر والانثى وعن ابي بكر الصديق انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برايي فان كان صوابا
فمن الله وان كان خطا فمني ومن الشيطان والله منه بري الكلالة ما خلا الوالد والولد وعن
عطا والضحاك ان الكلالة هو المورث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد
اولاد الام وتدل عليه قراءة ابي وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ
او اخت من ام وقيل انما استدل على ان الكلالة هاهنا الاخوة للام خاصة بما ذكر في اخر السورة
من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم هاهنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين
الثلث ولم يزاد واعلى الثلث شيا انه يعني بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد
والوالد من ساير الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم غير مضار حال اي يوصي بها
وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصي بزيادة على الثلث او يوصي بالثلث فما دونه ونيته
مضارة ومغاضبتهم لا وجه الله وعن قتادة كره الله الضرار في الحيوة وعند الممات ونهى عنه
وعن الحسن المضارة في الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار وصية من الله مصدر
موكد اي يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اي
لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادة على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم
عالة باسرافه في الوصية وتنصره هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة
والله عليم بمن جار او عدل في وصيته وتنصره حليم عن الجاير لا يعاجله وهذا وعيد فان قلت
فيوصي ضمير الرجل اذا جعلته المورث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث قلت كما عملت في قوله تعالى
فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت فان قلت فاين ذو الحال فيمن قرا
يوصى بها على ما لم يسم فاعله قلت يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصى بها علم
ان ثم موصيا كما قال يسبح له على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل
ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها تلك حدود الله اشارة الى الاحكام
التي ذكرت في باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدودا لان الشرايع كالحدود
المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق ومن يطع الله
ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص
الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين يدخله قرى
بالياء والنون وكذلك ندخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه وانتصب خالدين
وخالدا على الحال فان قلت هل يجوز ان تكونا صفتين لجنات ونارا قلت لا لانهما جريا
على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها واللاتي ياتين
الفاحشة من نسايكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا ياتين الفاحشة يرهقنها
يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفي قراءة ابن مسعود ياتين بالفاحشة
والفاحشة الزنا لزيادتها في القبح على كثير من القبايح فامسكوهن في البيوت قيل معناه فخلدوهن
محبوسات في بيوتكم حتى يتوفاهن الموت وكان ذلك عقوبتهن في اول الاسلام ثم نسخ بقوله
تعالى الزانية والزاني الاية ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما
بالكتاب والسنة ويوصي بامساكهن في البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن
بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال او يجعل الله لهن سبيلا هو النكاح الذي يستغنين
به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا في ذلك الوقت فان قلت
ما معنى يتوفاهن الموت والتوفي والموت بمعنى واحد كانه قيل او يميتهن الموت قلت

يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملايكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملايكة قل يتوفاكم ملك
الموت او حتى ياخذهن الموت ويتوفاهن ازواجهن واللذان ياتيانها منكم يريد الزاني والزانية
فاذوهما فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما اما خفتما الله فان تابا واصلحا وغيرا
الحال فاعرضوا عنهما واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب
ان الله كان توابا رحيما ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما بان يوذوهما
وتعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا
تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين وقرى واللذان بتشديد النون
واللذان بالهمز وتشديد النون انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون
من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيات
حتى اذا حضر احدهم الموت قال اني تبت الان ولا الذين يموتون وهم كفار اولئك اعتدنا لهم
عذابا اليما التوبة من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله قريب
تعالى لهولاء بجهالة في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو
اليه السفه والشهوة لا مما يدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع
من جهالته من قريب اي من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله
حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا يقبل فيه التوبة فبقي
ما وراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل
توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي ما لم يوخذ بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله
عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر وعن عطا ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن
ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن ادم ما دام روحه في جسده فقال
وعزتي وجلالي لا اغلق عليه باب التوبة ما لم يغرغر فان قلت ما معنى من في قوله من قريب
قلت معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمى ما بين وجود المعصية و
من حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تايب من قريب والا فهو تايب
من بعيد فان قلت ما فايدة قوله فاولئك يتوب الله عليهم بعد قوله انما التوبة على الله
قلت قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله
فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كاين لا محالة كما يعد
العبد الوفا بالواجب ولا الذين يموتون عطف على الذين يعملون السيات سوى بين الذين
سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة
الموت اول احوال الاخرة فكما ان المايت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف
الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار اولئك اعتدنا في الوعيد نظير
فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كاينان لا محالة فان قلت من المراد
بالذين يعملون السيات اهم الفساق من اهل القبلة ام الكفار قلت فيه وجهان احدهما ان يراد
الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما
ان تابا واصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن
العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا او نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان
مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجتري على
ذلك الا قلب مصمت يا ايها الذين امنوا لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها كانوا يبلون النساء
بضروب من البلايا ويظلمونهن بانواع من الظلم فزجروا عن ذلك ولا تعضلوهن لتذهبوا
ببعض ما اتيتموهن كان الرجل اذا مات له قريب من اب او اخ او حميم عن امراة القى ثوبه عليها
وقال انا احق بها من كل احد فقيل لا يحل لكم ان ترثوا النساء كرها اي ان تاخذوهن على سبيل
الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك او مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل
لا يحل لكم ان تمسكوهن حتى ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج
امراة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدي منه بمالها وتختلع فقيل
ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما اتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المراة
بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه الا ان ياتين بفاحشة مبينة
وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج واهله بالبذاء والسلاطة اي الا ان يكون سوء

العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع وتدل عليه قراءة ابي الا ان يفحشن عليكم وعن الحسن
الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها ان يسالها الخلع وقيل كانوا اذا اصابت امراته فاحشة
اخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لا يحل الخلع حتي يوجد رجل علي
بطنها وعن قتادة لا يحل له ان يحبسها ضرارا حتي تفتدي منه يعني وان زنت وقيل نسخ ذلك
بالحدود وكانوا يسيئون معاشرة النسا فقيل لهم **وعاشروهن بالمعروف** وهي النصفة في
المبيت والنفقة في المبيت والنفقة والاجمال في القول **فان كرهتموهن** فلا تفارقوهن ∴
لكراهة الانفس وحدها **فعسي ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا** فربما كرهت النفس
ما هو اصلح في الدين واحمد وادني الي الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح وكان
الرجل اذا طمحت عينه الي استطراف امراة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتي يلجيها الي الافتدا
منه بما اعطاها ليصرفه الي تزوج غيرها فقيل **وان اردتم استبدال زوج مكان زوج واتيتم احداهن
قنطارا فلا تاخذوا منه شيا** والقنطار المال العظيم من قنطرت الشي اذا رفعته ومنه القنطرة
لانها بنا مشيد قال ∴

كقنطرة الرومي اقسم ربها ∴ لتكتنفن حتي تشاد بقرمد ∴

وعن عمر رضي الله عنه انه قام خطيبا فقال ايها الناس لا تغالوا بصداق النسا فلو كانت
مكرمة في الدنيا او تقوي عند الله لكان اولاكم بها رسول الله صلي الله عليه وسلم ما اصدق
امراة من نسايه اكثر من اثنتي عشرة اوقية فقامت اليه امراة فقالت يا امير المومنين
لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول واتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل احد اعلم من
عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا فلا تنكرونه علي حتي ترد علي امراة ليست من
اعلم الناس **اتاخذونه بهتانا واثما مبينا** والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه
به وهو بري منه لانه يبهت عند ذلك اي يتحير وانتصب بهتانا علي الحال اي باهتين واثمين
او علي انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا **وكيف تاخذونه وقد افضي
بعضكم الي بعض واخذن منكم ميثاقا غليظا** والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة
كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اي بافضا بعضكم الي بعض ووصفه بالغلظ لقوته
وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما جري بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج
وقيل هو قول الولي عند العقد انكحتك علي ما في كتاب الله تعالي من امساك بمعروف او تسريح باحسان
وعن النبي صلي الله عليه وسلم استوصوا بالنسا خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله و
استحللتم فروجهن بكلمة الله وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوي مرواتهم ويسمونه
نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل **ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا
الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا** كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة
في القبح قبيح ممقوت في المروة ولا مزيد علي ما يجمع القبحين وقري لا تحل لكم بالتا علي ان
ان ترثوا بمعني الوراثة ذكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه وقري بفاحشة مبينة من
ابانت بمعني تبينت او بينت كما قري مبينة بكسر اليا وفتحها ويجعل الله بالرفع علي انه في موضع
الحال واتيتم احديهن قنطارا بوصل همزة احديهن كما قري فلا اثم عليه **فان قلت** تعضلوهن
ما وجه اعرابه **قلت** النصب عطفا علي ان ترثوا ولا لتاكيد النفي اي لا يحل لكم ان ترثوا النسا
ولا ان تعضلوهن **فان قلت** اي فرق بين تعديه ذهب بالبا وبينها بالهمزة **قلت**
اذا عدي بالبا فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالي فلما ذهبوا به واما الاذهاب فكالازالة
فان قلت الا ان ياتين ما هذا الاستثنا **قلت** هو استثنا من اعم عام الظرف او المفعول
كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان ياتين بفاحشة او ولا تعضلوهن
لعلة من العلل الا ان ياتين بفاحشة **فان قلت** من اي وجه صح قوله فعسي ان تكرهوا جزا
للشرط **قلت** من حيث ان المعني فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما
تكرهون خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه **فان قلت** كيف قد يستثني ما قد سلف مما نكح اباوكم
قلت كما استثني غير ان سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان امكنكم ان تنكحوا ما قد
سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن فالغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق
الي اباحته كما تعلق بالمحال في التابيد في نحو قولهم حتي تبيض القار وحتي يلج الجمل في سم
الخياط **حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم واخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات**

لاخت

الاخت وامهاتكم اللاتي ارضعنكم واخواتكم من الرضاعة معني حرمت عليكم امهاتكم ∴
تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح اباوكم من النسا ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم
من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم الخنزير تحريم اكله وقري وبنات الاخت
بتخفيف الهمزة ∴ وقد نزل الرضاعة منزلة النسب حتي سمي المرضعة اما للرضيع والمراضعة اختا
وكذلك زوج المرضعة ابوه وابواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع
وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج
فهم اخوته واخواته لابيه وامه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته لامه ومنه قوله عليه السلام ∴
يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسيلتين احديهما
انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج اخت ابنه من الرضاع لان المعني
في النسب وطيه امها وهذا المعني غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه
من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع من النسب وطي الاب اياها وهذا المعني غير موجود في الرضاع
**وامهات نسايكم وربايبكم اللاتي في حجوركم من نسايكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا
دخلتم بهن فلا جناح عليكم** من نسايكم متعلق بربايبكم ومعناه ان الربيبة من المراة المدخول
بها محرمة علي الرجل حلال له اذا لم يدخل بها **فان قلت** هل يصح ان يتعلق بقوله وامهات
نسايكم **قلت** لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربايب فتكون حرمتهن وحرمة الربايب غير
مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربايب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربايب
مبهمة فلا يجوز الاول لان معني من مع احد المتعلقين خلاف معناه مع الاخر الا ترا انك اذا
قلت وامهات نسايكم من نسايكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النسا وتميز المدخول
بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربايبكم من نسايكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتدا
الغاية كما تقول بنات رسول الله صلي الله عليه وسلم من خديجة وليس بصحيح ان يعني بالكلمة الواحدة
في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم
يعترض امر لا يرد الا ان يقول اعلقه بالنسا والربايب واجعل من للاتصال كقوله تعالي المنا فقون
والمنافقات بعضهم من بعض قال ∴

فاني لست منك ولست مني ∴ ما انا من دد ولا الدد مني ∴

وامهات النسا متصلات بالنسا لانهن امهاتهن كما ان الربايب متصلات بامهاتهن لانهن
بناتهن هذا وقد اتفقوا علي ان تحريم امهات النسا مبهم دون تحريم الربايب علي ما عليه ظاهر
كلام الله وقد روي عن النبي صلي الله عليه وسلم في رجل تزوج ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال
لا باس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج امها وعن عمر وعمران بن الحصين ان الام تحرم بنفس
العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ما روي
عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قروا وامهات نسايكم اللاتي دخلتم
بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن
زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف علي امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان
شا فعلت اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المراة من
غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربها كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك ∴
وان لم يربهما **فان قلت** ما فايدة قوله في حجوركم **قلت** فايدته التعليل للتحريم وانهن
لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن
وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت
الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجري اولادكم في العقد علي بناتهن عاقدون علي بناتكم
وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم وبه اخذ داود **فان قلت** ما معني
دخلتم بهن **قلت** هي كناية عن الجماع كقوله بني عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن
الستر والبا للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه
انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع
جاريته بعد موته قال اما اني لم اصب منها الا ما يحرمها علي ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن
في الرجل يملك الامة فيغمزها بشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطا
وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الي فرج امراة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا

دخل بالام فرآها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن
ابن عباس وطاووس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده وحلائل ابنائكم
الذين من اصلابكم دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب
بنت جحش الاسدية بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال
عز وجل لكيلا يكون على المومنين حرج في ازواج ادعيائهم وان تجمعوا بين الاختين
الا ما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما وان تجمعوا في موضع الرفع عطف على
المحرمات اي وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الاية
تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعن علي رضي الله عنهما انهما قالا
احلتهما اية وحرمتهما اية يعنيان هذه الاية وقوله وما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم
وعثمان التحليل • الا ما قد سلف ولكن ما مضى مغفور بدليل قوله ان الله كان غفورا
والمحصنات من النساء القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف
انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات
ومحصنات الا ما ملكت ايمانكم يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج
في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق
وذات حليل انكحتها رماحنا • حلال لمن يبني بها لم تطلق
كتاب الله عليكم مصدر موكد اي كتب الله عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم
فان قلت علام عطف قوله واحل لكم ما وراء ذلكم قلت على الفعل المضمر
الذي نصب كتابا اي كتب الله لكم تحريم ذلك واحل لكم ما وراء ذلكم ويدل عليه قراءة
اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروي عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اي هذه
فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت ان تبتغوا
مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم باموالكم التي جعل
الله لكم قياما في حال كونكم محصنين غير مسافحين لئلا تضيعوا اموالكم وتفقروا
انفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة اعظم مما يجمع بين الخسرانين
والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام • والاموال المهور وما يخرج
في المناكح فان قلت اين مفعول تبتغوا قلت يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء
والاجود ان لا يقدر وكانه قيل ان تخرجوا اموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من ما وراء
ذلكم • المسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني و
ماذيني من المذي فما استمتعتم به منهن فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع
او خلوة صحيحة او عقد عليهن فآتوهن اجورهن عليه فاسقط الراجع اليه لانه لا يلبس
كقوله ان ذلك لمن عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان يكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض
او للبيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن • واجورهن
مهورهن لان المهر ثواب على البضع فريضة حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت
موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر موكد اي فرض ذلك فريضة ولا جناح
عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او
يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق ان الله كان عليما حكيما
قيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله ثم نسخت كان
الرجل ينكح المراة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها
وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل
تزوج امراة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم
اصبح يقول يا ايها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم
ذلك الى يوم القيمة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم
تنسخ وكان يقرا فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته
وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي بالصرف ومن لم يستطع منكم
طولا ان ينكح المحصنات المومنات فمن ما ملكت ايمانكم من فتياتكم المومنات
الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا

فهو طائل قال • لقد زادني حبا لنفسي انني • بغيض الى كل امرئ غير طائل •
ومنه قولهم ما حلي منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في
الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة
في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلاثمائة درهم
فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رضي الله
عنه واما ابو حنيفة رضي الله عنه فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة
ويفسر الاية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي
رواية عن ابن عباس انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية و
النصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله من فتياتكم المومنات الظاهر انه لا يجوز نكاح
الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعند اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المومنة
افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف
الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل فان قلت لم
كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة قلت لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت
حق المولى فيها ولا بها ثم انها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى
الناكح ومهانة والعزة من صفات المومنين وقوله من فتياتكم اي من فتيات المسلمين
لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين فان قلت ما معنى قوله والله اعلم
بايمانكم قلت معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان
ورجحانه ونقصانه فيكم وفيهم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمراة افضل
في الايمان من الرجل وحق المومنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحساب
والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف منه بعضكم من بعض اي انتم
وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم في الايمان لا يفضل حر عبدا الا برجحان فيه
فانكحوهن باذن اهلهن اشتراط الاذن الموالي في نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة
رضي الله عنه ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالي لا عقدهم وآتوهن
اجورهن بالمعروف وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز
فان قلت الموالي هم ملاك مهورهن فالواجب اداؤها اليهم فلم قيل وآتوهن قلت لانهن وما
في ايديهن مال الموالي فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالي او على ان اصله فآتوا مواليهن
فحذف المضاف محصنات عفائف غير مسافحات ولا متخذات اخدان الاخدان الاخلاء
في السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات فاذا احصن بالتزويج وقرئ احصن
فان اتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات اي الحرائر من العذاب من الحد
كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف ذلك اشارة
الى نكاح الاماء لمن خشي العنت منكم لمن خاف الاثم الذي تؤدي اليه غلبة الشهوة واصل العنت
انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقع المآثم وقيل
اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها وان تصبروا في محل الرفع على
الابتداء اي وصبركم عن نكاح الاماء متعففين خير لكم والله غفور رحيم وعن النبي صلى
الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت يريد الله ليبين لكم اصله يريد الله
ان يبين لكم فزيدت اللام موكدة لارادة التبيين كما زيدت في لا اباك لتاكيد اضافة الاب
والمعنى يريد الله ليبين لكم ما هو خفي عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم ويهديكم سنن
الذين من قبلكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم
لتقتدوا بهم ويتوب عليكم ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيئاتكم فيتوب
عليكم ويكفر لكم والله عليم حكيم والله يريد ان يتوب عليكم اي يريد ان تفعلوا ما تستوجبون
به ان يتوب عليكم ويريد الفجرة الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما وهو
الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل
هم اليهود وقيل هم المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت
فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة حرام فانكحوا بنات الاخ
وبنات الاخت فنزلت يقول يريدون ان تكونوا زناة مثلهم يريد الله ان يخفف عنكم

باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص وخلق الانسان ضعيفا لا يصبر عن الشهوات وعلي
ميثاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بني آدم قط الا اتاهم من قبل
النسآء فقد اتي علي ثمانون سنة وذهبت احدي عيني وانا اعشو بالاخري وان اخوف
ما اخاف علي من فتنة النسآء، وقرئ ان يميلوا باليآء، والضمير للذين يتبعون الشهوات
وقرا ابن عباس وخلق الانسان علي البنآء للفاعل ونصب الانسان وعنه ثمان ايات في
سورة النسآء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد
ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان تجتنبوا كباير ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان
يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم يا ايها
الذين آمنوا لا تاكلوا اموالكم بينكم بالباطل بما لم يبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة و
الغصب والقمار وعقود الربا الا ان تكون تجارة ان تقع تجارة وقرئ تجارة علي الا ان
تكون التجارة تجارة عن تراض منكم والاستثنآء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون التجارة
عن تراض او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض منكم صفة لتجارة اي
تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان اسباب الرزق متعلق بها والتراضي رضي
المتبايعين بما تعاقدا عليه في حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة ومذهب
الشافعي تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين ولا تقتلوا انفسكم من كان من جنسكم من المؤمنين
وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم او ولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاص
انه تاوله في التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلي الله عليه وسلم وقرا علي رضي الله عنه
ولا تقتلوا بالتشديد ان الله كان بكم رحيما ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته عليكم وقيل معناه
انه امر بني اسرائيل بقتلهم انفسهم لتكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا امة محمد
رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة ومن يفعل ذلك اشارة الي القتل اي ومن يقدم
علي قتل الانفس عدوانا وظلما لا خطا ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر فسوف نصليه
نارا نصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاه يصليه ومنه شاة مصلية
ويصليه باليآء، والضمير لله عز وجل ولذلك لكونه سببا للصلي نارا نارا مخصوصة شديدة
العذاب وكان ذلك علي الله يسيرا لا ان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه ان
تجتنبوا كباير ما تنهون عنه وقرئ كبير ما تنهون اي ما كبر من المعاصي التي نهاكم الله عنها
والرسول نكفر عنكم سياتكم نغط ما تستحقونه من العقاب في كل وقت علي صغايركم ونجعلها
كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق علي اجتنابكم الكباير وصبركم عنها علي عقاب السيات او الكبيرة
والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما علي طاعة او معصية او ثواب فاعلها والتكفير
اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق
بعقاب ازيد او بندم علي الطاعة وعن علي رضي الله عنه الكباير سبع الشرك والقتل والقذف
والربوا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال
البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكباير سبع فقال هي سبعماية اقرب لانه لا صغيرة
مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروي الي سبعين وقرئ يكفر باليآء، وندخلكم مدخلا
كريما ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعني المكان والمصدر فيهما ولا تتمنوا ما فضل الله به
بعضكم علي بعض نهوا عن التحاسد وعن تمني ما فضل الله به بعض الناس علي بعض من المال و
الجاه لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح
المقسوم له من بسط في الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض فعلي
كل احد ان يرضي بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحة ولو كان خلافه لكان مفسدة
ولا يحسد اخاه علي حظه للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنسآء نصيب مما اكتسبن جعل
ما قسم من الرجال والنسآء علي حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للقبض والبسط كسبا له
واسالوا الله من فضله ولا تتمنوا انصبآء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزاينه التي لا
تنفد ان الله كان بكل شيء عليما وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا علي النسآء
في الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجو ان يكون لنا اجران في الاخرة علي الاعمال ولهن
اجر واحد فقالت ام سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه علي الرجال فيكون
لنا من الاجر مثل ما لهم فنزلت ولكل جعلنا موالي مما ترك الوالدان والاقربون مما

ترك

ترك تبيين لكل اي ولكل شيء مما ترك الوالدان والاقربون من المال جعلنا موالي وراثا يلونه
ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالي نصيب مما ترك الوالدان والاقربون علي ان جعلنا
موالي صفة لكل والضمير الراجع الي كل محذوف والكلام مبتدا وخبر كما تقول لكل من خلقه الله
انسانا من رزق الله اي حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالي مما ترك اي وارثا مما
ترك علي ان من صلة موالي لانهم في معني الوارث وفي ترك ضمير ثم فسر الموالي بقوله الوالدان
والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان في معني الوارث وفي ترك ضمير ثم فسر الموالي
بقوله الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم مبتدا ضمن معني الشرط فوقع خبره مع
الفآء وهو قوله فآتوهم نصيبهم ويجوز ان يكون منصوبا علي قولك زيدا فاضربه ويجوز
ان يعطف علي الوالدان ويكون المضمر في فآتوهم للموالي والمراد بالذين عاقدت ايمانكم
موالي الموالاة ان الله كان علي كل شيء شهيدا وكان الرجل يحالف الرجل فيقول دمي دمك
وهدمي هدمك وثاري ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثني وارثك وتطلب بي واطلب
بك وتعقل عني واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي صلي
الله عليه وسلم انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف في الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده
الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا في الاسلام وعند ابي حنيفة رضي الله عنه لو اسلم رجل علي يد
رجل وتعاقدا علي ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعي
وقيل المعاقدة التبني ومعني عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت
بالتشديد والتخفيف بمعني عقدت عهودهم ايمانكم الرجال قوامون علي النسآء بما فضل
الله بعضهم علي بعض قوامون علي النسآء يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة
علي الرعايا وسموا قواما لذلك والضمير في بعضهم للرجال والنسآء جميعا يعني انما كانوا
مسيطرين عليهن بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال علي بعض وفيه دليل علي ان الولاية
انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا في فضل الرجال العقل والعزم
والحزم والقوة والكتابة في الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبيآء والعلمآء وفيهم
الامامة الكبري والصغري والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند
ابي حنيفة والشهادة في الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب في الميراث والحمالة
والقسامة والولاية في النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب
وهم اصحاب اللحي والعمايم وبما انفقوا وبسبب ما اخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور
والنفقات وروي ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقبآء الانصار نشزت عليه امراته
حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الي رسول الله صلي الله عليه وسلم
وقال افرشته كريمتي فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال اردنا امرا واراد الله امرا
والذي اراد الله خير ورفع القصاص واختلف في ذلك فقيل لا قصاص بين الرجل والمراة
فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لا قصاص بين الرجل والمراة فيما دون
النفس ولو شجها ولكن يجب وقيل لا قصاص الا في الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا
فالصالحات قانتات مطيعات قايمات بما عليهن للازواج حافظات للغيب الغيب
خلاف الشهادة اي حافظات لواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن
ما يجب عليهن حفظه في حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلي الله عليه وسلم
خير النسآء امراة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها اطاعتك واذا غبت عنها حفظتك في
مالها ونفسها وتلا الاية وقيل للغيب لاسرارهم بما حفظ الله بما حفظهن الله حين اوصي
بهن الازواج في كتابه وامر رسوله فقال استوصوا بالنسآء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن
ووفقهن لحفظ الغيب حين وعدهن الثواب العظيم علي حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب
الشديد علي الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب علي ان ما موصولة اي
حافظات للغيب بالامر الذي يحفظ حق الله وامانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة
علي الرجال والنصيحة لهم وقرا ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا
اليهن واللاتي تخافون نشوزهن ونشوزها ان تعصي زوجها ولا تطمين اليه واصله الا
فعظوهن واهجروهن في المضاجع في المراقد اي لا تدخلوهن تحت اللحف او هي كناية
عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره في المضجع وقيل في المضاجع في بيوتهن التي يبتن فيها نزعاج

اي لا تبايتوهن وقري في المضجع وفي المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز
واضربوهن امر بوعظهن اولا ثم بهجرانهن في المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ
والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا
من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب
الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه اهلك وعن اسما بنت ابي بكر الصديق
كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدنا ضربها بعود المشجب
حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات ۞ ولولا بنوها حولها لخبطتها فان اطعنكم
فلا تبغوا عليهن سبيلا فازيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجني وتوبوا عليهن
واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز ان
الله كان عليا كبيرا فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم اعظم من قدرتكم على من تحت ايديكم
ويروى ان ابا مسعود الانصاري رضي الله عنه رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم فصاح به ابا مسعود لله اقدر منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله
كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شانه وكبريا سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم
احق بالعفو عمن يجني عليكم اذا رجع وان خفتم شقاق بينهما اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق
الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر في الليل والنهار او على ان جعل
البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولك نهارك صايم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجري
ما يدل عليهما وهو الرجال والنسا حكما من اهله وحكما من اهلها رجلا مقنعا رضيا يصلح
لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال
واطلب للصلاح وانما تسكن اليهم نفوس الزوجين وتبرز اليهم ما في ضمايرهما من الحب والبغض و
ارادة الصحبة والفرقة وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان
ان يطلعوا عليه فان قلت فهل يليان الجمع بينهما والتفريق ان رايا ذلك قلت قد
اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما جعلا حكمين الا واليهما
بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد جاءته
امراة وزوجها ومع كل واحد فيام من الناس فاخرج هولاء حكما وهولاء حكما فقال علي للحكمين اتدرون
ما عليكما ان عليكما ان رايتما ان تفرقا فرقتما وان رايتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما الفرقة فلا
فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المراة رضيت بكتاب الله
لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز والالف في ان يريدا
اصلاحا ضمير الحكمين وفي يوفق الله بينهما للزوجين اي ان قصدا اصلاح ذات البين و
كانت نيتهما صحيحة وقلوبهما ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما
وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل
الضميران للحكمين اي ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة للزوجين يوفق الله بينهما
فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم المراد
وقيل الضميران للزوجين اي ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما
الشقاق يطرح الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة ان الله
كان عليما خبيرا يعلم كيف يوفق بين المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في
الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا
وبالوالدين احسانا واحسنوا بهما احسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين وبكل من
بينكم وبينه قربى من اخ او عم او غيرهما والجار ذي القربى الذي قرب جواره والجار الجنب
الذي جواره بعيد وقيل الجار القريب النسيب والجار الجنب الاجنبي وانشد لبلعا بن قيس ۞
۞ لا يجتنبنا مجاور ابدا ۞ ذو رحم او مجاور جنب ۞
وقري والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قري حافظوا على الصلوات والصلوة
الوسطى تنبيها على عظم حقه لادلائه بحقي الجوار والقربى والصاحب بالجنب هو الذي
صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة
واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير ذلك الخ اد في صحبة الناس بينك وبينه
فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان وقيل الصاحب بالجنب المراة ۞

وابن

وابن السبيل المسافر المنقطع به وقيل الضيف وما ملكت ايمانكم ان الله لا يحب من كان مختالا
فخورا المختال التياه الجهول الذي يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم
ولا يلتفت اليهم وقري والجار الجنب بفتح الجيم وسكون النون الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله واعتدنا للكافرين عذابا مهينا الذين يبخلون بدل من
قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا عليه وان يكون مبتدا خبره
محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقا بكل ملامة وقري بالبخل بضم البا
وفتحها وبفتحتين وبضمتين اي يبخلون بذات ايديهم فيما في ايدي غيرهم فيامرونهم بان
يبخلوا به مقتا للسخا ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بمال غيره ۞ ۞
۞ وان امرا ضنت يداه على امرء ۞ بنيل يد من غيره لبخيل ۞
ولقد راينا في بلى بدا البخلا من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل
حبوته واضطرب ودارت عيناه في راسه كانما رجب وكرب تجارته ضجرا من ذلك وحسرة على
وجوده وقيل هم اليهود كانوا ياتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم
فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون ما يكون وقد عابهم بكتمان نعمة الله وما اتاهم من فضل الغنى
والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته على عبده و
بنى عامل للرشيد قصرا حذا قصره فنم به عنده فقال الرجل يا امير المومنين ان الكريم يسره ان يرى
اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى اثار نعمتك فاعجبه كلامه وقيل نزلت في بيان اليهود الذين
كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم والذين ينفقون اموالهم رياء الناس للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء
وجه الله ولا يومنون بالله ولا باليوم الاخر وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يكن الشيطان له قرينا فسا قرينا حيث حملهم على البخل و
الريا وكل شر ويجوز ان يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار وماذا عليهم لو امنوا
بالله واليوم الاخر وانفقوا مما رزقهم الله واي تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل
الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو
عفوت وللعاق ما يرزوك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزية في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ
وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة وكان الله بهم عليما وعيد ان الله لا يظلم مثقال ذرة الذرة النملة
الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه
فقال كل واحد من هولاء ذرة وقيل كل جزء من اجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص
من الاجر ادنى شي واصغره او زاد في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا
لاستحالته في القدرة وان تك حسنة وان يك مثقال ذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال
لكونه مضافا الى مونث وقري بالرفع على كان التامة يضاعفها يضاعف ثوابها لاستحقاقها
عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن عثمان النهدي انه قال
لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي
عبده المومن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي
الفي حسنة ثم تلا هذه الاية والمراد الكثرة لا التحديد ويوت من لدنه اجرا عظيما ويعط
صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطا عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقري
يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرا ابن هرمز نضاعفها بالنون فكيف
يصنع هولاء الكفرة من اليهود وغيرهم اذا جينا من كل امة بشهيد يشهد عليهم بما فعلوا وهو
نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم وجينا بك على هولاء المكذبين شهيدا وعن
ابن مسعود انه قرا سورة النسا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجينا بك
على هولاء شهيدا فبكى رسول الله وقال حسبنا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو
تسوى بهم الارض لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا
وانهم كانوا والارض سوا وقيل تصير البهايم ترابا فيودون حالها ولا يكتمون الله حديثا
ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال اي يودون ان يدفنوا
تحت الارض وانما لا يكتمون حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم كانوا
اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم
والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر يتمنون ان تسوى بهم الارض وقري تسوى بحذف

التاء في السين يقال سويته فتسوي نحو لويته فتلوي وتسوي بادغام التاء في السين
كقوله يسمعون وماضيه اسوي كازكي وروي ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا
فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فاكلوا وشربوا فلما
ثملوا وجاء وقت صلوة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرا اعبد ما تعبدون وانتم عابدون
ما اعبد فنزلت يا ايها الذين امنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون
فكانوا لا يشربون في اوقات الصلوة فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحوا الا وقد ذهب
عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى لا تقربوا الصلوة لا تغشوها ولا تقوموا اليها
واجتنبوا كقوله ولا تقربوا الزنى ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي
المساجد كقوله عليه السلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل سكر النعاس وغلبة النوم
كقوله ⁂ ورانوا بسكر سنانهم كل الريون ⁂ وقرى سكارى
بفتح السين وسكرى كقوله امراة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان يكون صفة للجماعة
وحكى جناح بن جيش كسلى وكسلى بالفتح والضم • ولا جنبا عطف على قوله وانتم سكارى
لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كانه قيل لا تقربوا الصلوة سكارى ولا جنبا والجنب
يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمونث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب
الا عابري سبيل حتى تغتسلوا الا عابري سبيل استثناء من عامة احوال المخاطبين وانتصابه على
الحال فان قلت كيف جمع بين هذه الحال والتي قبلها قلت كانه قيل لا تقربوا الصلوة
في حال الجنابة الا ومعكم حال اخرى تعذرون فيها وهي حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه و
يجوز ان لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا اي لا تقربوا الصلوة جنبا غير عابري سبيل
اي جنبا مقيمين غير معذورين فان قلت كيف تصح صلوتهم على الجنابة بعذر السفر
قلت اريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كانه قيل لا تقربوا الصلوة غير مغتسلين الا ان تكونوا
مسافرين وقال من فسر الصلوة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا
كان الطريق فيه الى الماء او كان فيه الماء واحتلم فيه ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم في المسجد
فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا في المسجد فرخص لهم وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لم ياذن لاحد ان يجلس في المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلي رضي الله عنه لان بيته كان
في المسجد وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء
فلم تجدوا ماء فتيمموا فان قلت ادخل في حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون
والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذي هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم قلت
الظاهر انه متعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول
اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم
يجدوه لبعض الاسباب صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم وقال الزجاج الصعيد
وجه الارض ترابا كان او غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان
ذلك طهوره وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله فان قلت فما يصنع بقوله في سورة المائدة
فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه اي بعضه وهذا لا يتاتى في الصخر الذي لا تراب عليه
قلت قالوا ان من لابتداء الغاية فان قلت قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف
ولا يفهم احد من العرب من قول القائل مسحت براسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى
التبعيض قلت هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء ان الله كان عفوا غفورا
كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته ان يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر
ان يكون ميسرا غير معسر فان قلت كيف نظم في سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين
المحدثين والمجنبين والمرض والسفر سببان من اسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء
والجنابة سبب لوجوب الغسل قلت اراد سبحانه وتعالى ان يرخص للذين وجب عليهم
التطهر وهم عادمون الماء في التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم
المتقدمون في استحقاق بيان الرخصة لهم لكثرة المرض وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة
للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر واعوزه الماء لخوف عدو او سبع او عدم آلة استقاء
او ارهاق في مكان لا ماء فيه او غير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر وقرئ من الغيط قيل
هو تخفيف غيط كهين في هين والغيط بمعنى الغائط الم تر الى الذين من رؤية القلب

وعدي

وعدي بالى على معنى الم ينته علمك اليهم او بمعنى الم تنظر اليهم اوتوا نصيبا من الكتاب
حظا من علم التورية وهم احبار اليهود يشترون الضلالة يستبدلونها بالهدى وهو البقاء
على اليهودية بعد وضوح الايات لهم على صحة نبوة رسول الله وانه هو النبي العربي المبشر به
في التوراة والانجيل ويريدون ان تضلوا السبيل ويريدون ان تضلوا انتم ايها المؤمنون
سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا في سلكهم لا يكفيهم ضلالهم بل يحبون ان يضل معهم غيرهم وقرى
ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها والله اعلم منكم باعدائكم وقد اخبركم بعداوة هؤلاء و
اطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم في اموركم ولا تستشيروهم وكفى
بالله وليا وكفى بالله نصيرا فثقوا بولايته ونصرته دونهم او لا تبالوا بهم فان الله ينصركم
عليهم ويكفيكم مكرهم من الذين هادوا بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى
وقوله والله اعلم وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض وبيان لاعدائكم
وما بينهما اعتراض او صلة لنصيرا اي ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين
كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدا على ان يحرفون صفة مبتدا محذوف تقديره من الذين هادوا
قوم يحرفون كقوله ⁂
⁂ وما الدهر الا تارتان فمنهما • اموت واخرى ابتغي العيش اكدح ⁂
اي فمنهما تارة اموت فيها • يحرفون الكلم عن مواضعه يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا
بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد اما لوه عن مواضعه التي وضعه الله فيها وازالوه عنها
وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم
الرجم بوضعهم مكانه الحد بدله فان قلت كيف قيل هاهنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد
مواضعه قلت اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة
الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه
كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذي لا موضع له بعد مواضعه
ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بسكون اللام وكسر الكاف جمع كلمة
تخفيف كلمة ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا قولهم غير مسمع حال من
المخاطب اي اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اي اسمع منا مدعوا عليك بلا
سمعت لانه لو اجيبت دعوتهم عليه لم يسمع شيئا فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان
قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك
فكانك لم تسمع شيئا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون
غير مسمع مفعول اسمع اي اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح
اي اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم • راعنا يحتمل راعنا
نكلمك اي ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها •
وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزوا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام
يحتمل ينوون الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام • ليا بالسنتهم
فتلا بها وتحريفا اي يفتلون بالسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير
مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بالسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من
التوقير نفاقا وطعنا في الدين فان قلت كيف جاؤا بالقول المحتمل ذي الوجهين
بعد ما يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم
لما لم يومنوا به جعلوا كانهم نطقوا به ولو انهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم
وقرأ ابي وانظرنا من الانظار وهو الامهال فان قلت الى م يرجع الضمير في قوله لكان خيرا
لهم قلت الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم واقوم •
واعدل واسد ولكن لعنهم الله بكفرهم اي خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن الطافه فلا يؤمنون
الا ايمانا قليلا اي ضعيفا ركيكا لا يعبا به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره اراد الانبياء •
او اراد بالقلة العدم كقوله ⁂ قليل التشكي للمهم يصيبه ⁂
اي عديم التشكي والا قليلا منهم قد آمنوا يا ايها الذين اوتوا الكتاب امنوا بما نزلنا مصدقا
لما معكم من قبل ان نطمس وجوها اي نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم فنردها
على ادبارها فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان

بكم

جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها
فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو ان يراد
بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤوسهم ووجهاؤهم اي من قبل
ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى
حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بني النضير فان قلت لمن الراجع في قوله
او نلعنهم قلت للوجوه ان اريد الوجهاء او لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل
ان نطمس وجوه قوم او يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على طريقة الالتفات او نلعنهم او نخزيهم
بالمسخ كما لعنا كما مسخنا اصحاب السبت فان قلت فاين وقوع الوعيد قلت
هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيمة
ولان الله اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم او بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم
او اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل
لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ الا ترى الى قوله قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة
عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وكان امر الله مفعولا فلا بد ان
يقع احد الامرين ان لم يؤمنوا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فان قلت قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه وانه لا يغفر ما دون الشرك
من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
قلت الوجه ان يكون الفعل المنفي والمثبت جميعا موجهين الى قوله لمن يشاء كانه قيل ان
الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء ما دون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثاني
من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار
لمن لا يستاهله ويبذل القنطار لمن يستاهله ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما اي
ارتكبه وهو مفتر مفتعل ما لا يصح كونه الم تر الى الذين يزكون انفسهم اليهود والنصارى
قالوا نحن ابناء الله واحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال
من اليهود الى رسول الله باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم
ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من
زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة التقوى والطاعة والزلفى عند الله فان قلت
اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله اني لامين في السماء امين في الارض قلت انما قال ذلك
حين قال المنافقون اعدل في القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان
من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم بل الله يزكي من يشاء اعلام
بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكي
من يشاء يزكي المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به ولا يظلمون فتيلا
اي الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على
زكائهم ولا ينتقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى انظر كيف يفترون على
الله الكذب في زعمهم انهم عند الله ازكياء وكفى به وكفى بزعمهم هذا اثما مبينا من بين سائر
آثامهم الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون
بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا
والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة
مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم
اهل الكتاب وانتم اقرب الى محمد منكم الينا فلا نأمن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم
ففعلوا فهذا ايمانهم بالجبت والطاغوت لانهم سجدوا للاصنام واطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال
ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يأمر بعبادة الله
وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت نسقي الحاج ونقري الضيف ونفك
العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن
تجد له نصيرا ام لهم نصيب من الملك وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا
من النعمة ويتمنون ان تكون لهم نعمة غيرهم فقال ام لهم نصيب من الملك على ان ام منقطعة
ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال فاذا لا يؤتون الناس نقيرا اي

لوكان

اي لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم والنقير النقرة
في ظهر النواة وهو مثل للقلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك
الله كقوله قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا وصف لهم
بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا
من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما يكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون
احدا مما يملكون شيئا وقرأ ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذن عملها الذي هو النصب وهي
ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذن ام يحسدون الناس على ما آتاهم
الله من فضله بل يحسدون رسول الله والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم
على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم فقد آتينا آل ابراهيم
الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة آل
ابراهيم الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما اوتي اسلافه
وعن ابن عباس الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم
كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلاثمائة مهيرة وسبعمائة سرية
فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا فمن اليهود من آمن به اي بما ذكر من حديث
آل ابراهيم ومنهم من صد عنه وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم
ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير
منهم فاسقون ان الذين كفروا باياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا
غيرها ابدلناهم اياها فان قلت كيف يعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص قلت
العذاب للجملة الحاسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى
الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس
ليذوقوا العذاب ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اي ادامك على عزك وزادك
فيه وكان الله عزيزا لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين حكيما لا يعذب الا بعدل من يستحقه والذين
آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج
مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ظليل صفة مشتقة من لفظ الظل لتأكيد معناه كما يقال ليل اليل ويوم
ايوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه
ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا بتوفيقه لما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل وفي قراءة عبد الله
سيدخلهم بالياء ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا
بالعدل ان تؤدوا الامانات الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة
بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم
الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول
الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله وصلى ركعتين فلما
خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا رضي الله
عنه ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي اكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال
لقد انزل الله في شأنك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول
الله فنزل جبريل واخبر ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات
والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد ان الله نعما يعظكم به ما اما ان تكون منصوبة
موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيئا يعظكم به او نعم الشيء
الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اي نعما يعظكم ذاك وهو المأمور به من اداء الامانات
والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون ان الله كان سميعا بصيرا يا ايها الذين آمنوا اطيعوا
الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم لما امر الولاة باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا
بالعدل امر الناس ان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولي الامر منكم امراء الحق لان امراء الجور
الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وانما يجمع بين الله
ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهي عن اضدادهما كالخلفاء
الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون اطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت فلا
طاعة لي عليكم وعن ابي حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له الستم امرتم بطاعتنا في قوله واولي الامر منكم

تعالى البس قد نزعت عنكم اذا الفيتم الحق بقوله فان تنازعتم في شي فردوه الى الله والرسول
وقيل هم امرا السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى
الله ومن يطع اميري فقد اطاعني ومن يعص اميري فقد عصاني وقيل العلما الربانيون الذين
يعلمون الناس الدين ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر فان تنازعتم في شي فان اختلفتم
انتم واولوا الامر منكم في شي من امور الدين فردوه الى الله والرسول اي ارجعوا فيه الى الكتاب و
السنة وكيف تكون طاعة امرا الجور وقد جنح الله الامر بطاعة اولي الامر بما لا يبقى معه شك
وهو ان امرهم اولا باداء الامانات وبالعدل في الحكم وامرهم اخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما اشكل
وامرا الجور لا يودون امانة الله ولا يحكمون بعدل ولا يردون شيا الى كتاب الله ولا الى سنة رسول
الله انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر عند الله ورسوله
واحق اسمايهم اللصوص المتغلبة ان كنتم تومنون بالله ورسوله ذلك اشارة الى الرد اي الرد الى
الكتاب والسنة خير لكم واصلح واحسن تاويلا واحسن عاقبة وقيل احسن تاويلا من تاويلكم انتم
الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى
الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا روي ان بشرا
المنافق خاصم يهوديا فدعاه اليهودي الى النبي صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف
ثم انهما احتكما الى رسول الله فقضى لليهودي فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن
الخطاب فقال اليهودي لعمر قضى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرض بقضايه فقال
للمنافق اكذلك قال نعم فقال لهما مكانكما حتى اخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج
فضرب به عنق المنافق حتى برد فقال هكذا اقضي لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله وقال جبريل
ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله انت الفاروق والطاغوت كعب بن الاشرف
سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه
بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول الله على التحاكم اليه تحاكما الى
الشيطان بدليل قوله وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم وقري بما انزل وما انزل
على البنا للفاعل وقرا عباس بن الفضل ان يكفروا بهن ذهابا بالطاغوت الى الجمع كقوله اوليآوهم
الطاغوت يخرجونهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول رايت المنافقين
يصدون عنك صدودا وقرى الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف من تعاليت تخفيفا كما
قالوا بالیت به بالة واصله بالية كعافية وكما قال الكسايي في آية ان اصلها آيية فاعلة
فحذفت اللام فلما حذفت اللام وقعت واو الجمع بعد اللام من تعالا فضمت فصارت
تعالوا نحو تقدموا ومنه قول اهل مكة تعالي بكسر اللام للمراة وفي شعر الحمداني
تعالي اقاسمك الهموم تعالي والوجه فتح اللام فكيف يكون حالهم وكيف
يصنعون يعني انهم يعجزون عن ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه اذا اصابتهم مصيبة
بما قدمت ايديهم من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم ثم جاوك يحلفون بالله ان اردنا
ثم جاوك حين يصابون فيعتذرون اليك ويحلفون ما اردنا بتحاكمنا الى غيرك الا احسانا
لا اساءة وتوفيقا بين الخصمين ولم نرد مخالفة لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعايك
وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم ولا يغني عنهم الاعتذار
عند حلول باس الله وقيل جا اوليا المنافق يطلبون بدمه وقد اهدره الله فقالوا ما اردنا بالتحاكم
الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا
انه يحكم له بما حكم به اوليك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم لا تعاقبهم
لمصلحة في استبقايهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة عما هم عليه وقل لهم في انفسهم
قولا بليغا بالغ في وعظهم بالتخويف وعظهم والانذار فان قلت بما تعلق قوله
في انفسهم قلت بقوله بليغا اي قل لهم قولا بليغا في انفسهم موثرا في قلوبهم يغتمون
به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستيصال ان نجم منهم
النفاق واطلع قرنه واخبرهم ان ما في نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق
بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم
ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اي قل لهم في معنى انفسهم الخبيثة
وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما في قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغني عنكم

ابطانة فاصلحوا انفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل
بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ وقل لهم في انفسهم خاليا بهم ليس
معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها في السر انجع وفي الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم
ويوثر فيهم وما ارسلنا من رسول وما ارسلنا رسولا قط الا ليطاع باذن الله في طاعته
وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مود عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته
معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه في طاعته
ولو انهم اذ ظلموا انفسهم بالتحاكم الى الطاغوت جاوك تايبين من النفاق متنصلين عما
ارتكبوا فاستغفروا الله من ذلك بالاخلاص وبالغوا في الاعتذار اليك من ايذايك برد قضايك
حتى انتصبت شفيعا لهم من الله ومستغفرا واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما
لعلموه توابا اي لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان
رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول
من الله بمكان فلا وربك لا يومنون معناه فوربك كقوله فوربك لنسالنهم ولا مزيدة
لتاكيد معنى القسم كما زيدت في ليلا يعلم لتاكيد وجوب العلم ولا يومنون جواب القسم
فان قلت هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يومنون قلت يابى ذلك استوا
النفي والاثبات فيه وذلك قوله فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون انه لقول رسول كريم
حتى يحكموك فيما شجر بينهم فيما اختلف بينهم واختلط ومنه الشجر لتداخل اغصانه ثم
لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت حرجا ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل
شكا لان الشاك في ضيق من امره حتى يلوح له اليقين ويسلموا تسليما وينقادوا ويذعنوا لما
تاتي به من قضايك لا يعارضونه بشي من قولك سلم لامر الله واسلم له وحقيقته سلم له نفسه
واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة وتسليما تاكيد للفعل بمنزلة تكريره كانه قيل و
ينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق و
اليهودي وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله
في شراج الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الما الى جارك فغضب حاطب
وقال لان كان ابن عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اسق يا زبير ثم احبس
الما حتى يرجع الى الجدر واستوف حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه
السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله استوعب للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا
على المقداد فقال قاتل الله هولا يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في قضاء يقضي بينهم
وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حيوة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم
ففعلنا فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس
اما والله ان الله ليعلم مني الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك
ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان
من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي عن عمر بن الخطاب انه قال
والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الاية في شان حاطب و
نزلت في شان هولا ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم اي لو اوجبنا
عليهم مثل ما اوجبنا على بني اسرايل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من
عبادة العجل ما فعلوه الا ناس قليل منهم وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو
في فعلوا وقري الا قليلا بالنصب على اصل الاستثنا او على الا فعلا قليلا ولو انهم فعلوا ما يوعظون
به من اتباع رسول الله وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به لانه الصادق المصدوق الذي
لا ينطق عن الهوى لكان خيرا لهم في عاجلهم واجلهم واشد تثبيتا لايمانهم وابعد من
الاضطراب فيه واذن جواب لسوال مقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت فقيل
واذن لو ثبتوا لاتيناهم لان اذن جواب وجزا من لدنا اجرا عظيما كقوله ويوت من لدنه اجرا
عظيما في ان المراد العطا المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته
ولهديناهم صراطا مستقيما وللطفنا بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات ومن يطع
الله والرسول فاوليك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهدا
والصالحين وحسن اوليك رفيقا الصديقون افاضل صحابة الانبيا الذين تقدموا في

تصديقهم كابي بكر الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب
للمومنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة اقرب عباد الله الي الله وارفعهم درجات عنده
وحسن اولئك رفيقا فيه معني التعجب كانه قيل وما احسن اوليك رفيقا ولاستقلاله بمعني
التعجب قري وحسن بسكون السين يقول الرجل حسن الوجه وحسن الوجه وحسن الوجه بالفتح والضم مع
التسكين. والرفيق كالصديق والخليط في استوا الواحد والجمع فيه ويجوز ان يكون مفردا
بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولي رسول الله صلي الله عليه وسلم كان شديد
الحب لرسول الله قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن في
وجهه فسيله رسول الله صلي الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني
اذا لم اراك اشتقت اليك واستوحشت وحشة شديدة حتي القاك فذكرت الاخرة فخفت
ان لا اراك هناك لاني عرفت انك ترفع مع النبيين وان دخلت الجنة كنت في منزل دون
منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا فنزلت فقال صلي الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده لا يومن عبد حتي اكون احب اليه من نفسه وابويه واهله وولده والناس اجمعين وحكي
ذلك عن جماعة من الصحابة **ذلك الفضل من الله** ذلك مبتدا والفضل صفته ومن الله خبره والمعني
ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم ومرافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل عليهم تبعا
لثوابهم **وكفي بالله عليما** بجزا من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم
اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفي بالله عليما بعباده فهو يوفقهم علي حسب احوالهم **يا ايها
الذين امنوا خذوا حذركم** الحذر والحذر بمعني كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ
واحترز من المخوف كانه جعل الحذر الته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعني احذروا
واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من انفسكم **فانفروا ثبات او انفروا جميعا** فانفروا اذا نفرتم
الي العدو اما ثبات جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما جميعا اي مجتمعين كوكبة واحدة
ولا تتخاذلوا فتلقوا بايديكم الي التهلكة وقري فانفروا بضم الفا. **وان منكم لمن ليبطين**
اللام في لمن للابتدا بمنزلتها في قوله ان الله لغفور وفي ليبطين جواب قسم محذوف تقديره
وان منكم لمن اقسم بالله ليبطين والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منهما اليه ما استكن
في ليبطين والخطاب لعسكر رسول الله صلي الله عليه وسلم والمبطيون منهم المنافقون لانهم
كانوا يغزون معهم نفاقا ومعني ليبطين ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطا بمعني
ابطا كعتم بمعني اعتم اذا ابطا. وقري ليبطين بالتخفيف يقال بطا علي فلان وابطا علي
وبطو نحو ثقل ويقال ما بطا بك فيعدي بالبا ويجوز ان يكون منقولا من بطو نحو ثقل
من ثقل فيراد ليبطين غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن ابي
وهو الذي ثبط الناس يوم احد **فان اصابتكم مصيبة** من قتل او هزيمة **قال قد انعم الله
علي اذ لم اكن معهم شهيدا ولين اصابكم فضل من الله** من فتح او غنيمة **ليقولن**
وقرا الحسن ليقولن بضم الميم اللام اعادة الضمير الي معني من لان قوله لمن ليبطين في معني
الجماعة وقوله **كان لم تكن بينكم وبينه مودة** اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين
مفعوله وهو **يا ليتني كنت معهم** والمعني كان لم يتقدم له معكم موادة لان المنافقين
كانوا يوادون المومنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوايل في الباطن
والظاهر لانه تهكم لانهم كانوا اعدي عدو للمومنين واشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون
بالمودة الا علي وجه العكس تهكما بحالهم **فافوز فوزا عظيما** وقري فافوز بالرفع عطفا
علي كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز مع التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون
خبر مبتدا محذوف بمعني فانا افوز في ذلك الوقت **فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحيوة
الدنيا بالاخرة** يشرون بمعني يشترون قال ابن مفرغ
وشريت بردا ليتني من بعد برد كنت هامة. فالذين يشرون الحيوة الدنيا بالاخرة هم
المبطيون وعظوا بان يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا
في الله حق الجهاد والذين يبتغون هم المومنون الذين يستحبون الاجلة علي العاجلة
يستبدلونها بها والمعني ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل
الثابتون المخلصون **ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نوتيه اجرا عظيما**
وعد المقاتل في سبيل الله ظافرا او مظفورا به ايتا الاجر العظيم علي اجتهاده في اعزاز دين الله

وما لكم

**وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنسا والولدان
الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا
واجعل لنا من لدنك نصيرا** والمستضعفين فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا علي سبيل
الله اي في سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا علي الاختصاص يعني واختص من سبيل
الله خلاص المستضعفين من المسلمين لان سبيل الله عام في كل خير وخلاص المستضعفين
من المسلمين من ايدي الكفار من اعظم الخير واخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة و
صدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذي
الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الي المدينة
وبقي بعضهم الي الفتح حتي جعل الله لهم من لدنه خير ولي وناصر وهو محمد صلي الله عليه وسلم
فتولاهم احسن التولي ونصرهم اقوي النصر ولما خرج استعمل علي اهل مكة عتاب بن اسيد فراوا
منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوي حتي كانوا اعز بها
من الظلمة **فان قلت** لم ذكر الولدان **قلت** تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم
الولدان غير المكلفين ارغاما لابايهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين
كانوا يشركون صبيانهم في دعايهم استنزالا لرحمة الله بدعا صغارهم الذين لم يذنبوا
كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم في الاستسقا. وعن ابن عباس كنت انا
وامي من المستضعفين من النسا. والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنسا. الاحرار والحراير
وبالولدان العبيد والاما. لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان
والولايد الولدان لتغليب الذكور علي الاناث كما يقال الابا. والاخوة **فان قلت**
لم ذكر الظالم وموصوفه مونث **قلت** هو وصف للقرية الا انه مسند الي اهلها فاعطي اعراب
القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الي الاهل كما تقول من هذه القرية التي ظلم اهلها ولو
انث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويونث. **فان
قلت** هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها **قلت** نعم كما تقول التي ظلموا اهلها
علي لغة من يقول اكلوني البراغيث ومنه واسروا النجوي الذين ظلموا **الذين امنوا يقاتلون
في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا اوليا. الشيطان
ان كيد الشيطان كان ضعيفا** رغب الله المومنين ترغيبا وشجعهم باخبارهم انهم يقاتلون
في سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداوهم يقاتلون في سبيل الشيطان ولا ولي لهم الا
الشيطان وكيد الشيطان للمومنين الي جنب كيد الله للكافرين اضعف شي واوهنه **الم تر الي
الذين قيل لهم كفوا ايديكم واقيموا الصلاة واتوا الزكوة** اي كفوها عن القتال وذلك ان
المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يوذن لهم فيه
فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس فلما كتب عليهم القتال كع فريق منهم
لا شكا في الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت **كخشية
الله** من اضافة المصدر الي المفعول **فان قلت** ما محل كخشية الله من الاعراب **قلت**
محله النصب علي الحال من الضمير في يخشون اي يخشون الناس مثل اهل خشية الله اي مشبهين
لاهل خشية الله **او اشد خشية** بمعني او اشد خشية من اهل خشية الله واشد معطوف
علي الحال **فان قلت** لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدره يخشون خشية
مثل خشية الله اي مثل ما يخشي الله **قلت** ابي ذلك قوله او اشد خشية لانه وما عطف
عليه في حكم واحد ولو قلت يخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق
ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشي اشد خشية فتنصب خشية فانت تريد
المصدر انما تقول اشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل
حالا منه اللهم الا ان تجعل الخشية خاشية وذات خشية علي قولهم جد جده فتزعم ان
معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز
علي هذا ان يكون محل اشد مجرورا عطفا علي خشية الله تريد كخشية الله او خشية اشد
خشية منها **وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال لولا اخرتنا الي اجل قريب**
استزادة في مدة الكف واستمهال الي وقت اخر كقوله لولا اخرتني الي اجل قريب فاصدق
قل متاع الدنيا قليل ولا تظلمون فتيلا ولا تنقصون ادني شي من اجوركم علي مشاق القتال

فلا ترغبون عنه وقري ولا يظلمون بالياء اينما تكونوا يدرككم الموت قري يدركم
الموت بالرفع وقيل هو علي حذف الفا كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القايل
من يفعل الحسنات الله يشكرها
ويجوز ان يقال حمل علي ما يقع موقع اينما تكونوا وهو اينما كنتم كما حمل ولا ناعب علي ما يقع
موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير يقول لا غايب مالي ولا حرم
وهو قول نحوي سيبوي ويجوز ان يتصل بقوله ولا يظلمون فتيلا اي ولا تنقصون شيا مما
كتب من اجالكم اينما تكونوا في ملاحم حروب او غيرها ثم ابتدا بقوله يدرككم الموت ولو كنتم في
بروج مشيدة والوقف علي هذا الوجه علي اينما تكونوا والبروج الحصون مشيدة مرفعة
وقري مشيدة من شاد القصر اذا رفعه او طلاه بالشيد وهو الجص وقرا نعيم بن ميسرة
مشيدة بكسر اليا وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها
وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك والسيئة
تقع علي البلية والمعصية والحسنة علي النعمة والطاعة قال الله تعالي وبلوناهم بالحسنات والسيئات
لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيئات والمعني وان تصبهم نعمة من خصب ورخا
نسبوها الي الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هي من عندك وما كانت
الا بشومك كما حكي الله عن قوم موسي عليه السلام وان تصبهم سيئة يطيروا بموسي ومن معه
وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروي عن اليهودي لعنت انها تشامت برسول الله
صلي الله عليه وسلم فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم بقوله
قل كل من عند الله يبسط الارزاق ويقبضها علي حسب المصالح فمال هولاء القوم لا يكادون
يفقهون حديثا فيعلموا ان الله هو القابض الباسط وكل ذلك صادر عن حكمة وثواب ثم قال
ما اصابك يا انسان خطابا عاما من حسنة اي من نعمة واحسان فمن الله تفضلا منه واحسانا
وامتنانا وامتحانا وما اصابك من سيئة اي من بلية ومصيبة فمن نفسك فمن عندك لانك
السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عايشة
رضي الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتي الشوكة يشاكها وحتي انقطاع شسع نعله
الا بذنب وما يعفو الله اكثر وارسلناك للناس رسولا اي رسولا للناس جميعا لست برسول العرب
وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس اني رسول
الله اليكم جميعا وكفي بالله شهيدا علي ذلك فما ينبغي لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك
من يطع الرسول فقد اطاع الله لانه لا يامر الا بما امر الله ولا ينهي الا عما نهي الله عنه فكانت
طاعته في امتثال ما امر به والانتها عما نهي عنه طاعة الله وروي انه قال من احبني فقد احب
الله ومن اطاعني فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الي ما يقول هذا الرجل لقد
قارف الشرك وهو ينهي ان يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا ان نتخذه ربا كما اتخذت النصاري
فنزلت ومن تولي عن الطاعة فاعرض عنه فما ارسلناك عليهم حفيظا اي فما ارسلناك الا نذيرا
لا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم
بوكيل ويقولون اذا امرتهم بشي طاعة بالرفع اي امرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعني اطعناك
طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق
بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثنا عليه كانه قال امري وشاني حمد الله ولو نصب حمد الله
وثنا عليه كان علي الفعل والرفع يدل علي ثبات الطاعة واستقرارها فاذا خرجوا من عندك بيت
طايفة منهم زورت طايفة منهم وسوت غير الذي تقول خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت
وضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون
ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضا الامر وتدبره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من
ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها والله يكتب ما يبيتون يثبته في صحايف اعمالهم ويجازيهم
عليه علي سبيل الوعيد او يكتبه في جملة ما يوحي اليك فيطلعك علي اسرارهم فلا تحسبوا ان ابطانهم
يغني عنهم فاعرض عنهم ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم وتوكل علي الله في شانهم وكفي بالله
وكيلا فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوي امر الاسلام وعز انصاره وقري بيت طايفة
بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطايفة غير حقيقي ولانها في معني الفريق والفوج افلا
يتدبرون القران تدبر الامر تامله والنظر في ادباره وما يؤول اليه في عاقبته ومنتهاه ثم

استعمل

استعمل في كل تامل فمعني تدبر القران تامل معانيه وتبصر ما فيه ولو كان من عند غير الله
لوجدوا فيه اختلافا كثيرا لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته
ومعانيه وكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه
اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا علي معني
صحيح عند علما المعاني وبعضه دالا علي معني فاسد غير ملتيم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة
فايتة لقوي البلغا وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر علي ما لا
يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه فان قلت اليس نحو قوله فاذا هي ثعبان مبين
كانها جان فوربك لنسالنهم اجمعين فيوميذ لا يسيل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف
قلت ليس باختلاف عند المتدبرين واذا جاهم امر من الامن او الخوف هم اناس من ضعفة
المسلمين الذين لم يكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا
رسول الله صلي الله عليه وسلم من امن وسلامة او خوف وخلل اذاعوا به وكانت اذاعتهم مفسدة
ولو ردوه الي الرسول والي اولي الامر منهم ولو ردوا ذلك الخبر الي رسول الله والي اولي الامر منهم
وهم كبار الصحابة والبصرا بالامور والذين كانوا يومرون منهم لعلمه الذين يستنبطونه
منهم لعلم تدبير ما اخبروا به الذين يستنبطونه الذين يستخرجون تدبيره بفطنتهم وتجاربهم و
معرفتهم بامور الحرب ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله واولي الامر علي امن ووثوق
بالظهور علي بعض الاعدا او علي خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعدا فتعود
اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الي الرسول والي اولي الامر منهم وفوضوه اليهم وكانوا كان لم
يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبره كيف يدبرونه وما ياتون ويذرون فيه وقيل كانوا
يسمعون من افواه المنافقين شيا من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه
فيعود ذلك وبالا علي المومنين ولو ردوه الي الرسول والي اولي الامر وقالوا نسكت حتي نسمعه
منهم ونعلم هل هو مما يذاع او لا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما
يذاع او لا يذاع هولا المذيعون وهم الذين يستنبطونه من الرسول واولي الامر اي يتلقونه منهم
ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال
اذاع به في الناس حتي كانه بعلياء نار اوقدت بثقوب
ويجوز ان يكون المعني فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه وقري لعلمه باسكان اللام كقوله
كما ضحر بازل من الادم دبرت صفحتاه وغاربه
والنبط الما يخرج من البير اول ما تحفر وانباطه واستنباطه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه
الرجل بفضل ذهنه من المعاني والتدابير فيما يعضل ويهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته وهو
ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق لاتبعتم الشيطان لبقيتم علي الكفر الا قليلا منكم او الا
اتباعا قليلا لما ذكر في الاي قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال
فقاتل في سبيل الله ان افردوك وتركوك وحدك لا تكلف الا نفسك غير نفسك وحدها ان تقدمها
الي الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شا نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل
دعا الناس في بدر الصغري الي الخروج وكان ابو سفيان واعد رسول الله صلي الله عليه وسلم اللقا
فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلو علي احد ولو لم يتبعه
احد لخرج وحده وقري لا يكلف بالجزم علي النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اي لا نكلف نحن الا
نفسك وحدها وحرض المومنين وما عليك في شانهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم
عسي الله ان يكف باس الذين كفروا وهم قريش وقد كف باسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا
عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا في عام مخصب فرجع بهم والله اشد
باسا من قريش واشد تنكيلا تعذيبا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع
شفاعة سيئة يكن له كفل منها الشفاعة الحسنة هي التي روعي بها حق مسلم ودفع بها شرا
وجلب اليه خيرا وابتغي بها وجه الله ولم توخذ عليها رشوة وكانت في امر جايز لا في حد من حدود
الله ولا في حق من الحقوق والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدي
اليه المشفوع له جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما في قلبك لما تكلمت في حاجتك ولا
اتكلم فيما بقي منها وقيل الشفاعة الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها في معني الشفاعة وعن النبي
صلي الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك

وذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك وكان الله على كل شيء مقيتا شهيدا
حفيظا وقيل مقتدرا واقاته على الشي قال الزبير بن عبد المطلب
وذي ضغن كففت السوء عنه • وكنت على اساءته مقيتا
وقال السموأل الى الفضل ام على اذا حوسبت اني على الحساب مقيت
واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها اي
باحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته اذا قال
ورحمة الله وروي ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام
ورحمة الله وقال اخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال اخر
السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني اين ما قال الله وتلا الاية
فقال انك لم تترك لي فضلا فرددت عليك مثله • او ردوها اي اجيبوها بمثلها ورد السلام
ورجع جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير لما وقع
بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف من قال لاخر اقرئ فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن
النخعي السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب وما من رجل يمر على قوم من
المسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا
يرد السلام في الخطبة وقراءة القران جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان و
الاقامة وعن ابي يوسف رحمه الله لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته
ومطير الحمام والعاري من غير عذر في حمام او غيره وذكر الطحاوي ان المستحب رد السلام على الطهارة
وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امراته ولا يسلم على
اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على
الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابي حنيفة لا يجهر بالرد يعني الجهر الكثير وعن النبي
صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم اهل الكتاب فقولوا وعليكم اي وعليكم ما قلتم لانهم كانوا يقولون
السام عليكم وروي لا تبدا اليهودي بالسلام وان بداك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان يقول
للكافر وعليك السلام ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك
السلام ورحمة الله فقيل له فقال اليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء في ان يبدا اهل الذمة
بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم ويروى ذلك عن النخعي وعن ابي حنيفة رحمه الله •
لا يبدا بالسلام في كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف رحمه الله لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا
دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء بما يصلحه في دنياه ان الله كان على كل
شيء حسيبا اي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها الله لا اله الا هو اما خبر المبتدا واما اعتراض
والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم الى يوم القيمة الى ليحشرنكم اليه والقيمة والقيام
كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور او قيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس
لرب العالمين لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا لانه عز وجل صادق لا يجوز عليه الكذب
وذلك ان الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذي هو كونه كذبا •
واخبارا عن الشي بخلاف ما هو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة
او يدفع مضرة او هو غني عنه الا انه يجهل غناه او هو جاهل بقبحه او هو سفيه لا يفرق بين الصدق
والكذب في اخباره ولا يبالي بايهما نطق وربما كان الكذب احلى على حنكه من الصدق وعن بعض
السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت به لهواتك ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت
قط فقال لولا اني صادق في قولي لا لقلتها فكان الحكيم الغني الذي لا يجوز عليه الحاجات
العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح • فما لكم في المنافقين فئتين
نصب على الحال كقولك ما لك قائما روي ان قوما من المنافقين استاذنوا رسول الله في الخروج الى البدو
معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف
المسلمون فيهم فقال بعضهم هم كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم
بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا
وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا
يسارا وقيل هم قوم اظهروا وقعدوا عن الهجرة ومعناه ما لكم اختلفتم في شان قوم قد نافقوا نفاقا
ظاهرا وتفرقتم فيهم فرقتين وما لكم لم تبتوا القول بكفرهم والله اركسهم اي ردهم في حكم المشركين

كما

كما كانوا بما كسبوا من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله او اركسهم في
الكفر بان خذلهم حتى ارتكسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم اتريدون ان تهدوا ان تجعلوا من جملة
المهتدين من اضل الله من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل وقرئ
ركسهم وركسوا فيها ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون
سواء فتكونون عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمني لجاز والمعنى ودوا كفركم فكونكم معهم
شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الاباء فلا تتخذوا منهم اولياء فلا توالوهم
وان امنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة
ليس بعدها بداء حتى يهاجروا في سبيل الله ولا تعرب فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث
وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا فان تولوا عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة
المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا في الحل والحرم وجانبوهم مجانبة
كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم الا الذين يصلون استثناء من قوله فخذوهم
واقتلوهم الى قوم بينكم وبينهم ميثاق ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم و
عن ابي عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب
لا اثر له في منع القتال فقد قاتل رسول الله من معه من هو من انسبائهم والقوم هم الاسلميون
كان بينهم وبين رسول الله عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي
على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجا اليه فله من الجوار مثل الذي لهلال
وقيل القوم بنو بكر بن زيد بن مناة كانوا في الصلح اوجاؤكم حصرت صدورهم اوجاؤكم
لا يخلو من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين
او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين
او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم
السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان
كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفي التعرض عنهم وترك الايقاع بهم فان قلت
كل واحد من الاتصالين له تاثير في صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين
والاتصال بالمكافين لان الاتصال بهولاء او هولاء دخول في حكمهم فهلا جوزت ان يكون
العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم الاتصال بالمكافين واختلاطهم
بهم وجريهم على سننهم قلت هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام •
وفي قراءة ابي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم •
بيانا او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم حصرت صدورهم في موضع الحال باضمار
قد والدليل عليه قراءة من قرا حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله
المبرد صفة لموصوف محذوف على اوجاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم
وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله غير مقاتلين • والحصر الضيق والانقباض ان يقاتلوكم
عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم
فان قلت كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين قلت
ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب في قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه
فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط فلقاتلوكم وقرئ فلقتلوكم
بالتخفيف والتشديد فان اعتزلوكم فان لم يتعرضوا لكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم •
اي الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين فما جعل الله لكم عليهم سبيلا
فما اذن الله لكم في اخذهم وقتلهم ستجدون اخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم
قوم من اسد وغطفان كانوا اذا اتوا المدينة اسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين فاذا رجعوا
الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم كلما ردوا الى الفتنة كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين
اركسوا فيها قلبوا فيها اقبح قلب واشنعه وكانوا شرا فيها من كل عدو فان لم يعتزلوكم
ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم حيث تمكنتم منهم
واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم في •
الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم في قتلهم وما كان لمؤمن
وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود •

ان يقتل مومنا ابتداء غير قصاص الا خطاء الا على وجه الخطا فان قلت بم انتصب
خطا قلت بانه مفعول له اي ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطا وحده
ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله في حال من الاحوال الا في حال الخطا وان يكون صفة من
المصدر الا قتلا خطا والمعنى الا من شان المومن ان ينتفي عنه وجود قتل المومن ابتداء
البتة الا اذا وجد منه خطا من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على
انه كافر فاذا هو مسلم وقري خطاء بالمد وخطا بوزن عمي بتخفيف الهمزة وروي ان
عياش بن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة
قبل هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقسمت امه لا تاكل ولا تشرب ولا يوويها سقف
حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحرث بن زيد بن ابي انيسة فاتياه وهو في اطم ففتل
منه ابو جهل في الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر امك
وانت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده مائة جلدة
فقال للحارث هذا اخي فمن انت يا حارث لله علي ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به
على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك واسلم الحارث وهاجر
فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحى عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت ومن قتل مومنا خطاء فتحرير
رقبة مومنة ودية مسلمة الى اهله فتحرير رقبة فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق
والحر والعتيق الكريم لان الكرم في الاحرار كما ان اللوم في العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق
الطير لكرامتها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اي لئيم
الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالراس في قولهم فلان يملك كذا راسا من
الرقيق والمراد برقبة مومنة كل رقبة كان على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن
الحسن لا تجزي الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزي الصغيرة وقاس عليها الشافعي
كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مومنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا
مثلها في جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف
الاحرار مسلمة الى اهله موداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين
سائر التركة في كل شي يقضى منها الدين وتنفذ الوصية واذا لم يبق وارث فهي لبيت المال لان
المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له وعن
عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امراته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك
شيا انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك بن ابي سفيان الكلابي فقال كتب الي
رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان اورث امراة اشيم الضبابي من عقل زوجها اشيم فورثها
عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضى من الدية دين ولا
تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة فان قلت
على من يجب الدية والرقبة قلت على القاتل الا ان الرقبة في ماله والدية يتحملها عنه العاقلة
فان لم يكن له عاقلة فهي في بيت المال فان لم يكن ففي ماله الا ان يصدقوا الا ان يتصدقوا عليه
بالدية ومعناه العفو لقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه
وسلم كل معروف صدقة وقرا ابي الا ان يتصدقوا فان قلت بم تعلق ان يتصدقوا وما
محله قلت تعلق بعليه او بمسلمة كانه قيل ويجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون
عليه ومحلها النصب على الظرفية بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز
ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين فان كان من قوم عدو لكم وهو مومن فتحرير
رقبة من قوم عدو لكم من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل اسلم في قومه الكفار وهو بين
اظهرهم لم يفارقهم فعلى قاتله الكفارة اذا قتله خطا وليس على عاقلته لاهله شي لانهم
كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم ياتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين
فيقتل فيهم خطا لانهم يظنون كافرا مثلهم وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية
مسلمة الى اهله فتحرير رقبة مومنة وان كان من قوم كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا
المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من المسلمين فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين
توبة من الله وكان الله عليما حكيما فمن لم يجد رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها

فعليه



فعليه صيام شهرين متتابعين توبة من الله قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه
اذا قبل توبته بمعنى شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه ومن
يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه واعد له عذابا
عظيما هذه الاية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ
ومن روي عن ابن عباس ما روي من ان توبة قاتل المومن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان
اهل العلم اذا سيلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ
والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا
اهون على الله من قتل امري مسلم وفيه لو ان رجلا قتل بالمشرق واخر رضي بالمغرب لاشرك
في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من اعان على قتل
مسلم بشطر كلمة جاء يوم القيمة مكتوب بين عينيه ايس من رحمة الله والعجب من قوم يقرون
هذه الاية ويرون فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا
تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في
العفو عن قاتل المومن بغير توبة افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه
وتعالى التوبة في قتل الخطا لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه
حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حيوة لمن تنادي فان قلت
هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكباير قلت ما ابين الدليل فيها وهو تناول قوله
ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تايب او غير تايب الا ان التايب اخرجه الدليل فمن
ادعى اخراج المسلم غير التايب فليات بدليل مثله يا ايها الذين امنوا اذا ضربتم في سبيل الله
فتبينوا ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مومنا وقري فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال
اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية وقري السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل
الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام لست مومنا وقري مومنا بفتح الميم من امنه
اي لا نومنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم لم يسلم من قومه غيره فغزتهم
سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه
فلما راى الخيل الجا غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله
محمد رسول الله السلام عليكم وقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه
وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرا الاية على اسامة فقال يا رسول
الله استغفر لي فقال فكيف بلا اله الا الله قال اسامة فما زال يعيدها حتى وددت ان لم اكن اسلمت الا
يوميذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة تبتغون عرض الحيوة الدنيا تطلبون الغنيمة التي هي حطام
سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه فعند الله مغانم كثيرة
يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتاخذوا ماله كذلك كنتم
من قبل اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير
انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم فمن الله عليكم بالاستقامة والاشتهار بالايمان
والتقدم فيه وان صرتم اعلاما فيه فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام ما فعل بكم وان تعتبروا
ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه
سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله فتبينوا تكرير للامر بالتبين ليوكد عليهم
ان الله كان بما تعملون خبيرا فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك لا يستوي
القاعدون من المومنين غير اولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله باموالهم وانفسهم غير اولي
الضرر قري بالحركات الثلث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة
للمومنين والضرر المرض والعاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى
جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها
ثم سري عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوي القاعدون من المومنين والمجاهدون فقال
ابن ام مكتوم وهو اعمى يا رسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المومنين فغشيته السكينة
كذلك ثم قال اقرا يا زيد فقرات لا يستوي القاعدون من المومنين فقال غير اولي الضرر قال زيد
انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكاني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف
وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك فان قلت

معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء قلت معناه
الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن
انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض
بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم فضل الله المجاهدين
جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كانه قيل ما لهم لا يستوون فاجيب بذلك
والمعنى على القاعدين غير اولي الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف
وكلا وكل فريق من القاعدين والمجاهدين وعد الله الحسنى اي المثوبة الحسنى وهي الجنة
وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد
خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم
ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر وغيره
وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان
الله غفورا رحيما فان قلت قد ذكر الله سبحانه مفضلين درجة ومفضلين
درجات فمن هم قلت اما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين
الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف
اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية فان قلت لم نصب درجة واجرا ودرجات قلت
نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كانه قيل فضلهم تفضيلة ونظيره قولك
ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات
ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا
بمعنى ضربات كانه قيل وفضلهم تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي
هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم
مغفرة ورحمة ان الذين توفيهم الملائكة توفاهم يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرا توفتهم
ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرا توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة
انفسهم فيتوفونها اي يمكنهم من استيفائها فيستوفونها ظالمي انفسهم في حال ظلمهم انفسهم
قالوا قال الملائكة للمتوفين فيم كنتم في اي شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا
ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة فان قلت كيف صح وقوع قوله قالوا كنا مستضعفين
في الارض جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا ولم نكن في شيء قلت
معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا
فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة
حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ارادوا
انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن
الهجرة الى رسول الله كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان
في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين
لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن
النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة
وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني
فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي
عند بيتك بجوارك في دار كرامتك يا واسع المغفرة ثم توعدهم بقوله فاولئك مأواهم جهنم
وساءت مصيرا ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج
لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك فقال الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الاية
الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين
واني لاهتدي الطريق والله لا ابيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان
شيخا كبيرا فمات بالتنعيم فان قلت كيف ادخل الولدان في جملة المستثنين من اهل الوعيد
كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا

قلت

قلت الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك واما
الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال
والنساء من جملة اهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا في الولدان لا ينفكون
عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا اريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون
منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم في التكليف وان اريد العبيد والاماء
البالغون فلا سؤال فان قلت الجملة التي هي لا يستطيعون ما موقعها قلت هي صفة
للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان
كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله ⁂ ولقد امر على اللئيم يسبني ⁂
فاولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا فان قلت
لم قيل عسى الله ان يعفو عنهم بكلمة الاطماع قلت للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق
لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عني فكيف
بغيره ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة مراغما مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه
قومه اي يفارقهم على رغم انوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو
التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة
الجعدي ⁂ كطود يلاذ باركانه ⁂ عزيز المراغم والمذهب ⁂
وقرئ مرغما ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت قرئ ثم يدركه بالرفع
على انه خبر مبتدا محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه اراد ان يقف عليها ثم نقل حركة
الهاء الى الكاف كقوله ⁂ من عنزي سبني لم اضربه ⁂ وقرئ يدركه
بالنصب على اضمار ان كقوله ⁂ والحق بالحجاز فاستريحا ⁂ فقد وقع اجره
على الله فقد وقع اجره على الله فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط
فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب
عليه وكان الله غفورا رحيما وروي في قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق
بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك ابايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات
حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله فقالوا لو توفي بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون
ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض ديني من طلب علم او حج او جهاد او فرار
الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا في الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله
وان ادركه الموت في طريقه فاجره واقع على الله واذا ضربتم في الارض الضرب في الارض هو السفر
وادنى مدة السفر الذي يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن سير الابل
ومشي الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة ايام
ولياليهن في يوم قصر ولو سار مسيرة يوم في ثلاثة ايام لم يقصر وعند الشافعي ادنى مدة
السفر اربعة برد مسيرة يومين وقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلوة ظاهره التخيير
بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعي وروي عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه اتم في السفر وعن عائشة اعتمرت مع رسول الله من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت
مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامي قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة
وما عاب علي وكان عثمان يتم ويقصر وعند ابي حنيفة القصر في السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز
غيره وعن عمر رضي الله عنه صلوة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة اول
ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت في السفر وزيدت في الحضر فان قلت
فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا قلت كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر
ببالهم ان عليهم نقصانا في القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا
من اقصر وجاء في الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرا الزهري تقصروا بالتشديد و
القصر ثابت بنص الكتاب في حال الخوف خاصة وهو قوله ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا
ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبد الله من الصلوة
ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال
والتعرض بما يكره واذا كنت فيهم فاقمت لهم الصلوة تعلق بظاهره من لا يرى صلوة الخوف
بعد رسول الله حيث شرط كونه فيهم وقال الاخرون انها تجوز بعده لان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

في كل عصر قوام بما كان يقوم به وكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة في
حال الخوف عليه ان يومهم كما ام رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التي كان يحضرها والضمير
في فيهم للخايفين فلتقم طايفة منهم معك فاجعلهم طايفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم
وليأخذوا اسلحتهم الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح
ما لا يشغلهم عن الصلوة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه فاذا سجدوا
فليكونوا يعني غير المصلين من ورايكم يحرسونكم وصفة صلوة الخوف عند ابي حنيفة ان يصلي الامام
باحدي الطايفتين ركعة ان كانت الصلوة ركعتين والاخري بازاء العدو ثم تقف هذه بازاء
العدو وتاتي الاخري فيصلي بها ركعة ويتم صلوته ثم يقف بازاء العدو وتاتي الاولى فتودي
الركعة بغير قراءة وتتم صلوة ثم تحرس وتاتي الاخري فتودي الركعة بقراءة وتتم صلوتها والسجود
على ظاهره عند ابي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلوة لان الامام يصلي عنده بطايفة ركعة ويقف
قايما حتى تتم صلوتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلوتها
وتسلم بها ويعضده ولتات طايفة اخري لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم و
اسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن اسلحتكم وامتعتكم وفي يدا امتعتكم فان قلت
كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ قلت جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها
الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا ماخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوّءوا
الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوا لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينهم وبين الدار في
التبوء فيميلون عليكم ميلة واحدة فيشدون عليكم شدة واحدة ولا جناح عليكم ان كان
بكم اذى من مطر او كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم رخص لهم في وضع الاسلحة
ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا
يغفلوا فيهجم عليهم العدو فان قلت كيف طابق الامر بالحذر قوله ان الله اعد للكافرين
عذابا مهينا قلت الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفي عنهم
ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان
الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فاذا قضيتم
الصلوة فاذا صليتم في حال الخوف والقتال فاذكروا الله قياما فصلوها قياما مسايفين
ومقارعين وقعودا جاثين على الركب مرامين وعلى جنوبكم مثخنين بالجراح فاذا اطمأننتم
حين تضع الحرب اوزارها وامنتم فاقيموا الصلوة فاقضوا ما صليتم في تلك الاحوال التي هي احوال
القلق والانزعاج ان الصلوة كانت على المومنين كتابا موقوتا محدودا باوقات لا يجوز
اخراجها عن اوقاتها على اي حال كنتم خوف او امن وهذا ظاهر على مذهب الشافعي رحمه الله في
ايجابه الصلوة على المحارب في حال المسايفة والمشي والاضطراب في المعركة اذا حضر وقتها فاذا
اطمان فعليه القضاء واما عند ابي حنيفة رحمه الله فهو معذور في تركها الى ان يطمين وقيل
معناه فاذا قضيتم صلوة الخوف فادعوا اذكروا الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة
والتاييد في كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب
جدير بذكر الله ودعايه واللجا اليه فاذا اطمأننتم فاذا امنتم فاقيموا الصلاة فاتموها ولا
تهنوا ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم في طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم
الحجة بقوله ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون اي
ليس ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينهم وبينكم يصيبهم كما يصيبكم
ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون وتتمثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم ترجون
من الله ما لا يرجون من اظهار دينكم على ساير الاديان ومن الثواب العظيم في الاخرة وقرا الاعرج
ان تكونوا تالمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون وقوله فانهم يالمون كما تالمون تعليل
وقري بانهم يتلمون كما يتلمون وروي ان هذا في بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا وكان الله
عليما حكيما لا يكلفكم شيا ولا يامركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم انا انزلنا اليك
الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله روي ان طعمة بن ابيرق احد بني ظفر سرق درعا
من جار له اسمه قتادة بن النعمن في جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه حتى انتهي
الى الدار وفيها اثر الدقيق ثم خباها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع
عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وما له بها علم فتركوه واتبعوا الدقيق حتى انتهي

الي

الي منزل اليهودي فاخذوها فقال دفعها الي طعمة وشهد له اناس من اليهود فقالت
بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسيلوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا
ان لم تفعل هلك صاحبنا وافتضح وبري اليهودي فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل
ويعاقب اليهودي وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروي ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب
حايطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحايط عليه فقتله بما اراك الله بما عرفك واوحي به اليك
وعن عمر رضي الله عنه لا يقولن احدكم قضيت بما اراني الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه ولكن
ليجتهد رايه لان الراي من رسول الله كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف
ولا تكن للخاينين خصيما ولا تكن لاجل الخاينين مخاصما للبرا يعني لا تخاصم اليهودي لاجل
بني ظفر واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما واستغفر مما هممت به من عقاب اليهودي
ولا تجادل عن الذين يختانون انفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يختانون انفسهم
يخونونها بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم جعلت معصية العصاة خيانة
منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم فان قلت لم قيل للخاينين
ويختانون خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع انفسهم وكان السارق طعمة
وحده قلت لوجهين احدهما ان بني ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه وكانوا شركاء له في
الاثم والثاني انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخاين قط ولا تجادل عنه فان
قلت لم قيل خوانا على المبالغة قلت كان الله عالما من طعمة بالافراط في الخيانة و
ركوب الماثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك في حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة
فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضي الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت امه تبكي وتقول هذه
اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يواخذ عبده في اول مرة يستخفون يستترون
من الناس حياء منهم وخوفا من ضررهم ولا يستخفون من الله ولا يستحيون منه وهو معهم
وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خافية من سرهم وكفى بهذه الاية ناعية على الناس ما هم فيه
من قلة الحيا والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مومنين انهم في حضرته لا سترة ولا غفلة
ولا غيبة وليس الا الكشف الصريح والافتضاح اذ يبيتون يدبرون ويزورون واصله ان
يكون بالليل ما لا يرضى من القول وهو تدبير طعمة ان يرمي بالدرع في دار زيد ليسرق
دونه ويحلف ببراءته وكان الله بما يعملون محيطا فان قلت كيف سمي
التدبير قولا وانما هو معنى في النفس قلت لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز
ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذي حلف به بعد ان بيته وتوركه الذنب على
اليهودي ها انتم هولاء جادلتم عنهم في الحيوة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيمة
ام من يكون عليهم وكيلا ها للتنبيه في انتم واولاء وهما مبتدا وخبر وجادلتم جملة مبنية
لوقوع اولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء انت حاتم تجود بمالك وتوثر على نفسك ويجوز ان
يكون اولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة
وقومه في الدنيا فمن يخاصم عنهم في الاخرة اذا اخذهم الله بعذابه وقرا عبد الله عنه اي عن طعمة
وكيلا حافظا ومحاميا من باس الله وانتقامه ومن يعمل سوءا قبيحا متعديا يسوء به غيره
كما فعل طعمة بقتادة واليهودي او يظلم نفسه بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل
ومن يعمل سوءا من ذنب دون الشرك او يظلم نفسه بالشرك ثم يستغفر الله يجد الله
غفورا رحيما وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة ليلزمه الحجة مع العلم بما يكون
منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه ومن يكسب اثما فانما يكسبه على
نفسه اي لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء وكان الله عليما حكيما ومن
يكسب خطيئة صغيرة او اثما او كبيرة ثم يرم به بريئا كما رمى طعمة زيدا فقد احتمل بهتانا
واثما مبينا لانه بكسب الاثم آثم وبرمي البري باهت فهو جامع بين الامرين وقرا معاذ
بن جبل رضي الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والشين المشددة واصله يكتسب ولولا فضل
الله عليكم ورحمته اي عصمته والطافه وما اوحي اليك من الاطلاع على سرهم لهمت
طايفة منهم من بني ظفر ان يضلوك عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان
الجاني هو صاحبهم فقد روي ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة وما يضلون
الا انفسهم لان وباله عليهم وما يضرونك من شي لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان

يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم
تكن تعلم من خفيات الامور وضماير القلوب او من امور الدين والشرايع ويجوز ان يراد
بالطايفة بنو ظفر ويرجع الضمير في منهم الى الناس وقيل الآية في المنافقين وكان
فضل الله عليك عظيما لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح
بين الناس من نجوى الناس الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لا خير
في قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففي
نجواه الخير وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام في كل جميل ويجوز ان
يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبي صلى الله عليه وسلم كلام
ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول
ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لا خير في كثير من نجواهم فهو هذا بعينه او ما
سمعته يقول والعصر ان الانسان لفي خسر فهو هذا بعينه ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضات
الله فسوف نوتيه اجرا عظيما وشرط في استيجاب الاجر العظيم ان ينوي فاعل الخير عبادة
الله والتقرب اليه وان يبتغي به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات فان قلت كيف قال
الا من امر ثم قال ومن يفعل ذلك قلت قد ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر
به في زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم ادخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر
العظيم ويجوز ان يراد ومن يامر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال وقرئ
يوتيه بالياء ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المومنين وهو
السبيل الذي هم عليه من الدين الحنيفي القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز
مخالفة الكتاب والسنة لان الله تعالى جمع بين اتباع سبيل غير المومنين وبين مشاقة الرسول في الشرط
وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول نوله ما تولى نجعله والياء لما
تولى من الضلال بان نخذله ونخلي بينه وبين ما اختاره ونصله جهنم وساءت مصيرا وقرئ
ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هي في طعمة وارتداده وخروجه الى مكة ان الله لا يغفر ان يشرك
به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان الله لا يغفر ان
يشرك به تكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروي انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال اني شيخ منهمك في الذنوب الا اني لم اشرك بالله شيئا منذ عرفته وامنت
به ولم اتخذ من دونه وليا ولم اواقع المعاصي جراة على الله ولا مكابرة له ولا توهمت طرفة عين اني اعجز
الله هربا واني لنادم تايب مستغفر فما ترى حالي عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر
من يشاء بالتايب من ذنبه ان يدعون من دونه الا اناثا هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم
يكن حي من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بني فلان وقيل كانوا يقولون في
اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملايكة لقولهم الملايكة بنات الله وقرئ انثا جمع انيث او
اناث ووثنا واثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك اسد واسد وقلب الواو الفا نحو اجوه
في وجوه وقراة عايشة رضي الله عنها اوثانا وان يدعون واذ يعبدون بعبادة الاصنام الا
شيطانا مريدا لانه هو الذي اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة لعنه
الله وقال لاتخذن صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع
من عبادك نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له في العطاء وفرض
للجند رزقه قال الحسن من كل الف تسعماية وتسعين الى النار ولاضلنهم ولامنينهم ولامرنهم
فليبتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون
الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا اولئك ماواهم
جهنم ولا يجدون عنها محيصا ولامنينهم الاماني الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الامال ورحمة
الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك وتبتيكهم الاذان فعلهم
بالبحاير كانوا يشقون اذن الناقة اذا ولدت خمسة ابطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم
الانتفاع بها وتغييرهم خلق الله فقو عين الحامي واعفاوه عن الركوب وقيل الخصاء وهو في قول
العامة العلماء مباح في البهايم واما في بني آدم فمحظور وعند ابي حنيفة يكره شري الخصيان
واستخدامهم وامساكهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصايهم وقيل فطرة الله التي هي دين الاسلام
وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود وهي الوشم

وعنه

وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث والذين
امنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا
وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا وعد الله حقا مصدران الاول موكد لنفسه والثاني
موكد لغيره ومن اصدق من الله قيلا توكيد ثالث بليغ فان قلت ما فايدة هذه التوكيدات
قلت معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة واماني الباطلة لقرنايه بوعد الله الصادق
لاوليايه ترغيبا للعباد في ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون عاقبته غصص
اخلاف مواعيد الشيطان ليس باما نيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له
من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مومن فاولئك يدخلون
الجنة ولا يظلمون نقيرا في ليس ضمير وعد الله اي ليس ينال ما وعد الله من الثواب باما نيكم ولا اماني
اهل الكتاب والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من امن به ولذلك ذكر اهل الكتاب معهم
لمشاركتهم لهم في الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدي هي في المسلمين وعن الحسن ليس الايمان
بالتمني ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل ان قوما الهتهم اماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا
ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن به لاحسنوا العمل وقيل ان المسلمين
واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى
منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضي على الكتب التي كانت قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب
للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هولاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لاوتين مالا وولدا ان
لي عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباوه لن تمسنا النار الا اياما معدودة
ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين قوله من يعمل سوءا يجز به وقوله
ومن يعمل من الصالحات بعد ذكر تمني اهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة واحاطت به خطيئته
وقوله والذين امنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا ابطل
الله الاماني واثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفايز ومن اساء عمله فهو الهالك
تبين الامر ووضح ووجب قطع الاماني وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح
لا تعيه الاذان ولا تلقى اليه الاذهان فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية قلت
الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من كل الصالحات لاختلاف
الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفي وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا
زكوة وتسقط عنه الصلوة في بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام في ومن يعمل فان قلت
كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم في ذلك قلت فيه وجهان احدهما
ان يكون الراجع في ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثاني ان يكون ذكره عند
احد الفريقين دالا على ذكره عند الاخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم
ولان ظلم المسيء ان يزاد في عقابه وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد في عقاب المجرم فكان
ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع الثواب من فضل الله هي في حكم الثواب فجاز
ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفي الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان في الفضل
اسلم وجهه اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا يعرف لها ربا ومعبودا سواه وهو محسن
وهو عامل للحسنات تارك للسيئات واتبع ملة ابراهيم حنيفا حال من المتبع او من ابراهيم
كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذي تحنف اي مال عن الاديان كلها
الى دين الاسلام واتخذ الله ابراهيم خليلا مجاز عن اصطفايه واختصاصه بكرامة تشبه
كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذي يخالك اي يوافقك في خلالك او يسايرك
في طريقك من الخل وهو الطريق في الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال
منازلك وحجبك فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت هي جملة اعتراضية لا محل لها
من الاعراب كنحو ما يجي في الشعر من قولهم والحوادث جمة فايدتها تاكيد وجوب اتباع ملته
لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان يتبع ملته وطريقته ولو جعلتها
معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم بعث الى خليل له بمصر في
ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت
ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملاوا منها الغراير حياء من الناس
فلما اخبروا ابراهيم ساءه الخبر وسارة نايمة فحملته عيناه وعمدت امراته الى غرارة فاخرجت احسن

ومن احسن دينا ممن اسلم وجهه لله

جواري ولخبزت فاستيقظ ابراهيم فاشتم رايحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امراته
من خليلك المصري فقال بل من عند خليلي الله عز وجل فسماه خليلا ولله ما في السموات
وما في الارض متصل بذكر العمال الصالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض
فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شي محيطا وكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها
وشرها فعليهم ان يختاروا لانفسهم ما هو اصلح لها ويستفتونك في النسآء قل الله يفتيكم
فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامي النسآء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون
ان تنكحوهن ما يتلى في محل الرفع اي الله يفتيكم والمتلو في الكتاب في معنى اليتامي يعني قوله
وان خفتم الا تقسطوا في اليتامي وهو من قولك اعجبني زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى
عليكم مبتدا وفي الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما
للمتلو عليهم وان العدل والنصفة في حقوق اليتامي من عظايم الامور المرفوعة الدرجات
عند الله تعظيما التي يجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظم الله
ونحوه في تعظيم القران وانه في ام الكتاب لدينا لعلي حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم
كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم في الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم
وليس ببديد ان يعطف على المجرور في فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى فان قلت
بم تعلق قوله في يتامي النساء قلت في الوجه الاول هو صلة يتلى اي يتلى عليكم في معناهن
ويجوز ان يكون في يتامي النسا بدلا من فيهن واما في الوجهين الاخرين فبدل لا غير فان قلت
الاضافة في يتامي النسا ما هي قلت اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة وقري
في ييامي النسا بيايين على قلب همزة ايامي يآ لا تؤتونهن ما كتب لهن وفرض لهن اي
ما فرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها
واكل المال وان كانت ذميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها • وترغبون ان تنكحوهن
يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب كان اذا
جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك
وان كانت ذميمة ولا مال لها قال تزوجها فانت احق بها والمستضعفين من الولدان وان
تقوموا لليتامي بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما والمستضعفين مجرور
معطوف على يتامي النسآ وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون
الاطفال والنسآء ويجوز ان يكون خطابا للاوصيا كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب
وان تقوموا مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامي النسآء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا
ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى يامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا
لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم وان امراة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح
عليهما ان يصلحا بينهما صلحا خافت من بعلها توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وامارته
والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمراة
وان يوذيها بسب او ضرب والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك
لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شي في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى
او غير ذلك فلا باس بهما في ان يصلحا بينهما وقري يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو
اصلح اصبر في اصطبر صلحا في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا
على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت
ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عايشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما
روي ان امراة اراد ان يطلقها زوجها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني
ودعني اقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو احب الي فاقرها
او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان او يسرحها
والصلح خير من الفرقة او من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل
شي والصلح خير من الخير كما ان الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وقوله واحضرت
الانفس الشح ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا ينفك
عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المراة لا تكاد تسمح بقسمتها وبغير قسمتها والرجل
لا تكاد تسمح نفسه بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها واحب غيرها وان تحسنوا بالاقامة

امراة خ

علي

علي نسايكم وان كرهتموهن واحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة وتتقوا
النشوز والاعراض وما يودي الى الاذى والخصومة فان الله كان بما تعملون من الاحسان
والتقوي خبيرا وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن خطان من اذم بني ادم وامراته من اجملهم
فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال ما لك فقالت الحمد لله على اني واياك
من اهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد
الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين ولن تستطيعوا ان تعدلوا بين النسآء ولو حرصتم
ومحال ان تستطيعوا العدل بين النسآ والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان
فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان
تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام
للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين
نسايه ويقول هذه قسمتي فيما املك فلا تواخذني فيما تملك ولا املك يعني المحبة لان عايشة
رضي الله عنها كانت احب اليه وقيل ان العدل بينهن امر صعب بالغ في الصعوبة يتخيل لهم
انه غير مستطاع لانه يجب ان يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال
والملاحة والمفاكهة والموانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من وراية فهو كالخارج من حد
الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن فكيف اذا مال القلب مع بعضهن فلا تميلوا كل الميل
فلا تجوروا على المرغوب عنها فتمنعوها قسمتها من غير رضى منها يعني ان اجتناب كل الميل
مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من
التوبيخ فتذروها كالمعلقة وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال

هل هي الا خطة او تطليق • او صلف او بين ذلك تعليق

وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امراتان يميل مع احديهما جاء يوم
القيمة واحد شقيه مايل وروي ان عمر بن الخطاب بعث الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم
بمال فقالت عايشة الى كل ازواج رسول الله بعث عمر مثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل
هذا والى غيرهن بغيره ارفع راسك فان رسول الله كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع
الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امراتان فاذا كان عند احديهما لم يتوضا في بيت
الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد وان تصلحوا ما مضى من ميلكم وتتداركونه
بالتوبة وتتقوا فيما تستقبل غفر الله لكم فان الله كان غفورا رحيما وان يتفرقا يغن
الله كلا من سعته وكان الله واسعا حكيما وان يتفرقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما
صاحبه يغن الله كلا يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا اهنا من عيشه والسعة المقدرة
والغني والواسع الغني المقتدر ولله ما في السموات وما في الارض ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله وان تكفروا فان لله ما في السموات وما في
الارض وكان الله غنيا حميدا ولله ما في السموات وما في الارض وكفى بالله وكيلا من قبلكم
متعلق بوصينا او باوتوا واياكم عطف على الذين اوتوا الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية
ان اتقوا بان اتقوا او تكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله • وان تكفروا
فان لله عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله
والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه
ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه • ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي
الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في
العاقبة • وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله في سمواته وارضه من الملايكة والثقلين من يوحده
ويعبده ويتقيه وكان الله مع ذلك غنيا عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة
نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب
تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى اصل الخير كله ان يشا يذهبكم
ايها الناس يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشاكم ويات باخرين يوجد ناسا اخرين مكانكم
او خلقا اخرين غير الانس وكان الله على ذلك من الاعدام والايجاد قديرا بليغ القدرة لا
يمتنع عليه شي اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان

يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان شئنا بيتكم وبات بناس آخرين يوالونه
ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد
ابناء فارس من كان يريد ثواب الدنيا كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة فعند الله
ثواب الدنيا والآخرة فما له يطلب احدهما دون الآخرة والذي يطلبه اخسهما لان من جاهد لله
خالصا لم تخطئه الغنيمة وله ثواب الآخرة ما الغنيمة المجتنبة كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب
الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط وكان الله سميعا بصيرا يا ايها الذين
كونوا قوامين بالقسط مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا شهداء لله تقيمون
شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ولو كانت
الشهادة على انفسكم او آبائكم او اقاربكم فان قلت الشهادة على الوالدين والاقربين ان يقول اشهد ان لفلان على والدي كذا وعلى اقاربي فما معنى الشهادة على نفسه
قلت هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون
المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم واقاربكم وذلك ان يشهد على من
يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره ان يكن المشهود عليه غنيا فلا تمنع الشهادة عليه
لغناه طلبا لرضاه او فقيرا فلا تمنعها ترحما عليه فالله اولى بهما بالغني والفقير اي
بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه انظر
لعباده من كل ناظر فان قلت لم ثني الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله
ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكن احد هذين قلت قد رجع الضمير الى ما دل عليه
قوله ان يكن غنيا او فقيرا لا الى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغني وجنس الفقير
كانه قيل فالله اولى بجنسي الغني والفقير اي بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله اولى بهم
وهي شاهدة على ذلك وقرا عبد الله ان يكن غني او فقير على كان التامة فلا تتبعوا الهوى
ان تعدلوا يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس
او ارادة ان تعدلوا عن الحق وان تلووا او تعرضوا وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او
حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها وقرئ ان تلوا او تعرضوا بمعنى وان
وليتم اقامة الشهادة او اعرضتم عن اقامتها فان الله كان بما تعملون وبمجازاتكم عليه
خبيرا يا ايها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي
انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا
يا ايها الذين آمنوا خطاب للمسلمين ومعنى آمنوا اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه
والكتاب الذي انزل من قبل والمراد به جنس ما انزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله
وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل
الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروي انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد
ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن اخت عبد الله بن سلام وسلمة ابن اخيه ويامين بن يامين
اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير
ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل
كتاب قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا ايها الذين آمنوا نفاقا
آمنوا اخلاصا فان قلت كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذي انزل من قبل وكانوا مؤمنين
بالتوراة والانجيل قلت كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتاب
فامروا ان يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به
هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة
لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهو الذي
اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك
هم الكافرون حقا فان قلت لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل قلت لان القرآن انزل مفرقا
منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله ومعنى قوله ومن يكفر بالله الآية ومن يكفر بشيء من ذلك
فقد ضل لان الكفر ببعضه كفر الا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا ان الذين آمنوا ثم
كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا نفي الغفران
والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التي تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما

وهي

وهي الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد
الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون
اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب اولئك الذين هذا ديدنهم قلوب
قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم
فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى انهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم
لم تقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه
استبعاد له واستغراب وانه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذي يتوب ثم يرجع
ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة
وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم
بمحمد صلى الله عليه وسلم بشر المنافقين الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون المؤمنين
بان لهم عذابا اليما وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم
ايبتغون عندهم العزة الذين نصب على الذم او رفع بمعنى اريد الذين او هم الذين وكانوا يوالون
الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض لا يتم امر محمد فتولوا اليهود فان العزة لله جميعا
يريد لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله
وللمؤمنين وقد نزل عليكم في الكتاب ان اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزا بها فلا
تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره انكم اذا مثلهم ان اذا سمعتم هي ان المخففة
من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اي نزل عليكم ان الشان كذا والشان ما افادته الجملة بشرطها
وجزائها وان مع ما في حيزها في موضع الرفع بنزل او في موضع النصب بنزل فيمن قراه والمنزل
عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض
عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون في ذكر القرآن في مجالسهم
فيستهزئون به فنهى المسلمون عن القعود معهم ما داموا خائضين فيه فكان احبار اليهود بالمدينة
يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين
يقاعدون الخائضين في القرآن من الاحبار هم المنافقون فقيل لهم انكم اذا مثلهم ان الله جامع
المنافقين والكافرين في جهنم جميعا يعني القاعدين والمقعود معهم فان قلت الضمير في قوله فلا تقعدوا
معهم الى من يرجع قلت الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين
بها والمستهزئين بها فان قلت لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم في وقت الخوض قلت
لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر فان قلت فهلا كان المسلمون
بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين قلت لانهم كانوا ينكرون
لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم الذين يتربصون بكم فان
كان لكم فتح من الله قالوا الم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم
ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين
سبيلا الذين يتربصون اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم
يتربصون بكم اي ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق الم نكن معكم مظاهرين فاسهموا
لنا في الغنيمة الم نستحوذ عليكم اي نغلبكم ونتمكن من قتلكم واسركم فابقينا عليكم ونمنعكم
من المؤمنين بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ما ضعفت به قلوبهم ومرضوا في قتالكم وتوانينا في
مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما اصبتم وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار ان قال الحطيئة
الم اك جاركم ويكون بيني ۞ وبينكم المودة والاخاء ۞
فان قلت لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا قلت تعظيما لشان
المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح لهم ابواب السماء حتى ينزل
على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دني ولمظة من الدنيا يصيبونها ان المنافقين
يخادعون الله يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطال الكفر وهو خادعهم
وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب في الخداع حيث تركهم معصومي الدماء والاموال في الدنيا وا
عد لهم الدرك الاسفل من النار في الآخرة ولم يخلهم في العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة
ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت اخدع منه وقيل
يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفا نورهم ويبقى نور
المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم واذا قاموا الى الصلوة قاموا كسالى قرئ بضم

الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى في سكران اي يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى
من يفعل شيئا عن كره لا عن طيبة نفس ورغبة يراءون الناس يقصدون بصلاتهم الريا والسمعة
ولا يذكرون الله الا قليلا ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس
الا ما يجاهرون به وما يجاهرون به قليل ايضا لانهم ما وجدوا مندوحة من تكلف ما ليس في
قلوبهم لم يتكلفوه او ولا يذكرون الله بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى
كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالي لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة
ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم فان قلت
ما معنى المراءاة وهي مفاعلة من الرؤية قلت فيه وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله
وهم يرونه استحسانه والثاني ان لا يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس بمعنى
راءهم كقوله نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى ابو زيد رأت المرأة المرآة الرجل
اذا امسكتها ليرى وجهه وتدل عليه قراءة ابن ابي اسحق يرؤنهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم
اي يبصرونهم اعمالهم ويراءونهم مذبذبين بين ذلك اما حال نحو قوله ولا يذكرون عن واو
يراءون اي يراءونهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم مذبذبين ذبذبهم الشيطان
والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذي يذب
عن كلا الجانبين اي يذاد ويدفع فلا يقر في جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرجوان الا ان
الذبذبة فيها تكرير ليس في الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرا ابن عباس
مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم او دينهم او رايهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء
صلصل بمعنى تصلصل وفي مصحف عبد الله متذبذبين وعن ابي جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة
وكان المعنى ياخذ بهم تارة في دبة وتارة في دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة
ومنها دبة قريش وذلك اشارة الى الكفر والايمان لا الى هؤلاء لا منسوبين الى هؤلاء فيكونوا مؤمنين
ولا الى هؤلاء ولا منسوبين الى هؤلاء فيسموا مشركين يا ايها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين
اولياء من دون المؤمنين لا تتشبهوا بالمنافقين في اتخاذهم اليهود وغيرهم من اعداء الاسلام
اولياء اتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا حجة بينة يعني ان موالاة الكافرين
بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالق الفاجر والكافر وخالص
المؤمن فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن ان المنافقين في
الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الدرك الاسفل الطبق الذي في قعر جهنم والنار
سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه
التحريك لقولهم ادراك جهنم فان قلت لم كان المنافق اشد عذابا من الكافر قلت
لانه مثله في الكفر وضم الى كفره كفرا آخر الاستهزاء بالاسلام واهله ومداجاتهم الا الذين تابوا
واصلحوا ما افسدوا من اسرارهم واحوالهم في حال النفاق واعتصموا بالله ووثقوا به كما يثق
المؤمنون الخلص واخلصوا دينهم لله لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه فاولئك مع المؤمنين
فهم اصحاب المؤمنين ورفقاؤهم في الدارين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما
فيشاركونهم فيه ويساهمونهم فان قلت من المنافق قلت هو في الشريعة من اظهر الايمان
وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به منافقا فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا
فقد كفر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه
مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد اخلف واذا اؤتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من
المنافق فقال الذي يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام
فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن اتى على النفاق زمان وهو مقروع
فيه فاصبح وقد عمم وقلد واعطي سيفا يعني الحجاج ما يفعل الله بعذابكم ايتشفى به
من الغيظ ام يدرك به الثار ام يستجلب به نفعا او يستدفع به ضرا كما يفعل الملوك بعذابهم
وهو الغني الذي لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو امر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء ان شكرتم
وآمنتم فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد ابعدتم عن انفسكم استحقاق العذاب وكان الله
شاكرا مثيبا موفيا اجوركم عليما بحق شكركم وايمانكم فان قلت لم تقدم الشاكر على الايمان
قلت لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة في خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا
مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكرا مفصلا فكان الشكر متقدما

على

على الايمان فكان اصله التكليف ومداره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم
الا جهر من ظلم استثني من الجهر الذي لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم بما
فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف
رجل قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء
للفاعل للانقطاع اي ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم
مرفوعا كانه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ما جاءني زيد الا عمرو
بمعنى ما جاءني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وكان الله سميعا
عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء فان الله كان عفوا قديرا ثم حث على
العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله
محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر
ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له
مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه
قوله فان الله كان عفوا قديرا اي يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا
بسنة الله ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون
نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا جعل الذين آمنوا بالله وكفروا
برسله او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله وبرسله جميعا لما ذكرنا من العلة
ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر
بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اي طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر
والمخافتة وقد اخطؤوا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال اولئك هم الكافرون
حقا اي هم الكاملون في الكفر وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك
حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اي هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا
يقينا لا شك فيه واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا
بين احد منهم فان قلت كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي
شيئين فصاعدا قلت ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما
تقول ما رايت احدا فتقصد العموم الا تراك تقول الا بني فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم
يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء اولئك سوف
يؤتيهم اجورهم معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته
لا كونه متاخرا وكان الله غفورا رحيما يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء
روي ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازوراء وغيرهما قالوا يا رسول الله ان كنت نبيا
صادقا فاتنا بكتاب من السماء جملة كما اتى به موسى فنزلت وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما
اقترحوا ذلك على سبيل التعنت وقال الحسن لو سالوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما اتاهم
كفاية فقد سالوا موسى اكبر من ذلك جواب لشرط مقدر معناه ان استكبرت ما سالوه منك فقد
سالوا موسى اكبر من ذلك وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم في ايام موسى وهم النقباء
السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم في التعنت فقالوا ارنا الله
جهرة عيانا بمعنى ارناه نره جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا امرا
جائزا لما سموا ظالمين ولما اخذتهم الصاعقة كما سال ابراهيم صلوات الله عليه ان يريه احياء
الموتى فلم يسمه ظالما وما رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق ثم اتخذوا العجل
من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا تسلطا و
استيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا انفسهم حتى تاب عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم
والسيوف تتساقط عليهم فيا لك من سلطان مبين ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم بسبب
ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه وقلنا لهم والطور مظل عليهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا
لهم لا تعدوا في السبت واخذنا منهم ميثاقا غليظا وقد اخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم
سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد وقرئ ولا تعتدوا ولا تعدوا
بادغام التاء في الدال فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق
وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا فبنقضهم وما مزيدة

للتوكيد فان قلت بم تعلقت البا وما معنى التوكيد قلت اما ان يتعلق بمحذوف
كانه قيل فيما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب فعلنا بهم ما فعلنا
واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم
ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق ان العقاب او تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما
عطف عليه من الكفر وقتل الانبيا وغير ذلك فان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت
به البا ما دل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم
بل طبع الله عليها بكفرهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد
وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله
خلق قلوبنا غلفا اي في اكنة لا يتوصل اليها شي من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا
لو شا الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف
بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله
وبكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما فان قلت علام عطف قوله وبكفرهم
قلت الوجه ان يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع
قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم فان
قلت ما معنى المجي بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سوا عطف على ما قبل حرف الاضراب او
على ما بعده وهو قوله وكفرهم بايات الله وقوله بكفرهم قلت قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا
بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد فعطف بعض كفرهم على بعض وعطف مجموع المعطوف على مجموع
المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بايات الله وقتل الانبيا وقولهم
قلوبنا غلف وجمعهم من كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها
بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا والبهتان العظيم هو التزنية وقولهم انا قتلنا
المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم فان قلت
كانوا كافرين بعيسى عليه السلام اعدا له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن
الفاعلة فكيف قالوا انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله قلت قالوه على وجه الاستهزا
كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح
في الحكاية عنهم رفعا لعيسى عليه السلام عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله
ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهادا روي ان رهطا من اليهود سبوه
وسبوا امه فدعا عليهم اللهم انت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي
فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السما ويطهره
من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقى عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال
رجل منهم انا فالقى الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما ارادوا قتله
قال انا ادلكم عليه فدخل بيت عيسى ورفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه
وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قتل وصلب
وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع
الى السما وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا فان قلت شبه مسند
الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح شبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول
لم يجر له ذكر قلت هو مسند الى الجار والمجرور وهو لهم كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع
لهم التشبيه ويجوز ان يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم
من قتلوه وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن الا اتباع الظن استثنا
منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن فان قلت قد وصفوا
بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن ان يترجح احدهما فكيف يكونون
شاكين ظانين قلت اريد انهم شاكون ما لهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك
وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وما قتلوه قتلا يقينا او ما قتلوه
متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك
وما قتلوه حقا اي حق انتفا قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشي علما ونحرته علما اذا
تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما

علمو

علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم وان من اهل الكتاب الا ليومنن به قبل
موته ليومنن به جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب
احد الا ليومنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما
من اليهود والنصارى احد الا ليومنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا
عاين قبل ان تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب
قال لي الحجاج اية ما قراتها الا تخالج في نفسي شي منها يعني هذه الاية وقال اني اوتى بالاسير
من اليهود والنصارى فاضرب عنقه ولا اسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره
الموت ضربت الملايكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول
امنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيومن انه
عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكيا فاستوى جالسا ونظر الي وقال ممن
قلت قلت حدثني محمد بن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها
من عين صافية ومن معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان يقول حدثني محمد بن علي
بن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن
عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان اتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك
بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او اكله سبع قال يتكلم بها في الهوا ولا تخرج
روحه حتى يومن به وتدل عليه قراة ابي الا ليومنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان
منهم احد الا ليومنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع فان قلت ما فايدة الاخبار بايمانهم
بعيسى قبل موتهم قلت فايدته الوعيد وليكون علمهم بانهم لا بد لهم من الايمان به عن
قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان في اوان الانتفاع
به وليكون الزاما للحجة وكذلك قوله ويوم القيمة يكون عليهم شهيدا يشهد على اليهود
بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد
لا ليومنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل
من السما في اخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يومن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة
الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور
مع البقر والذياب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى
ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يريد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليومنن
به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويومنون به حين
لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم فبظلم
من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم
الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكباير العظيمة والطيبات التي حرمت
عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر حرمت الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا
او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها وبصدهم عن سبيل الله كثيرا ناسا كثيرا
او صدا كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل بالرشوة التي كانوا
ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون
في العلم منهم والمومنون يومنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والموتون
الزكوة والمومنون بالله واليوم الاخر اوليك سنوتيهم اجرا عظيما لكن الراسخون يريد
من امن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون المتقنون المستبصرون
والمومنون يعني المومنين منهم او المومنين من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتدا
ويومنون خبره والمقيمين نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع قد كسره سيبويه
على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم
ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه
ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التورية ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على
الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق
بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يومنون بالكتب وبالمقيمين الصلوة وهم الانبيا وفي
مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي انا اوحينا

اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحاق ويعقوب
والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم
عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما انا اوحينا اليك جواب لاهل الكتاب
عن سوالهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينزل عليهم كتابا من السما واحتجاج عليهم بان شانه في
الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا • وقرى زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب
ورسلا نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبانا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم
وفي قراة ابي ورسل قد قصصناهم من قبل ورسل وعن يحيى بن وثاب وابراهيم انهما قرا وكلم الله بالنصب
ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن رسلا
مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما رسلا
مبشرين ومنذرين الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز على التكرير فان قلت كيف يكون
للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التي النظر فيها موصل الى المعرفة
والرسل في انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر في تلك الادلة ولا عرفا انهم رسل الله الا
بالنظر فيها قلت الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علما اهل العدل
والتوحيد مع تبليغ ما حملوه من امور الدين وبيان احوال التكليف وتعليم الشرايع فكان ارسالهم
ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة
وينبهنا لما وجب الانتباه له لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملايكة يشهدون
قرى السلمي لكن الله يشهد بالتشديد فان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو
في قوله لكن الله يشهد قلت لما سال اهل الكتاب انزال الكتاب من السما وتعنتوا بذلك واحتج
عليهم بقوله انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله
بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوي بالبينات وشهادة الملايكة شهادتهم
بانه حق وصدق فان قلت بم يجابون لو قالوا بم نعلم ان الملايكة يشهدون بذلك
قلت يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم
ان الملايكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته فان قلت
ما معنى قوله انزله بعلمه وما موقعه من الجملة التي قبله قلت معناه انه انزله ملتبسا
بعلمه الخاص الذي لا يعلمه غيره وهو تاليفه على نظم واسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان
وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله
بالنظم المعجز الفايت للقدر وقيل انزله وهو عالم بانك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل
انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه ويحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له
من الشياطين برصد من الملايكة والملايكة يشهدون بذلك كما قال في آخر سورة الجن الا ترى الى قوله واحاط
بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم وكفى بالله شهيدا وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو
الشهادة حقا فلاي شي اكبر شهادة قل الله شهيد ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد
ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين كفروا وظلموا جمعوا بين الكفر والمعاصي او كان بعضهم كافرين
وبعضهم ظالمين اصحاب كباير لانه لا فرق بين الفريقين في انه لا يغفر لهما الا بالتوبة لم يكن الله
ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم الا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى
جهنم او لا يهديهم يوم القيمة الا طريقها خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا اي
لا صارف له عنه يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فامنوا خيرا لكم وان تكفروا
فان لله ما في السموات والارض وكان الله عليما حكيما فامنوا خيرا لكم وكذلك انتهوا خيرا لكم
انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتها عن التثليث علم انه يحملهم
على امر فقال خيرا لكم اي اقصدوا وايتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان
والتوحيد يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غلت اليهود في حط المسيح عن منزلته حيث
جعلته مولودا لغير رشده وغلت النصارى في رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها ولا تقولوا
على الله الا الحق وهو تنزيهه عن الشريك والولد انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته
القاها الى مريم وروح منه فامنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله
اله واحد سبحانه ان يكون له ولد قرا جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت وقيل لعيسى
كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وامره لا غير من غير واسطة اب ولا نطفة وقيل له

روح

روح الله وروح منه لذلك اي لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة
المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة ومعنى القاها
الى مريم اوصلها اليها وحصلها فيها • ثلاثة خبر مبتدا محذوف فان صحت الحكاية عنهم
انهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم اقنوم الاب واقنوم الابن واقنوم روح
القدس وانهم يريدون باقنوم الاب الذات وباقنوم الابن العلم وباقنوم روح
القدس الحيوة فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الالهة ثلاثة والذي يدل عليه القران
التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة الهة وان المسيح ولد الله من مريم الا ترى
الى قوله انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله
والمشهور المستفيض منهم انهم يقولون في المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام
ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى ابن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد
بامهاتهم وان اتصاله بالله عز وجل من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه
جسدا حيا من غير اب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالاباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد
وحكاية الله اوثق من حكاية غيره • ومعنى سبحانه ان يكون له ولد سبحه تسبيحا من ان
يكون له ولد وقرا الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اي سبحانه ما يكون له ولد على ان
الكلام جملتان له ما في السموات وما في الارض بيان لتنزهه عما نسب اليه يعني ان كل ما
فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزءا منه على ان الجزء انما يصح في الاجسام وهو
متعال عن صفات الاجسام والاعراض وكفى بالله وكيلا يكل اليه الخلق كلهم امورهم فهو الغني عنهم
وهم الفقرا اليه لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله لن يانف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت
الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك ولا الملايكة المقربون ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم
منه خطرا وهم الملايكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل واسرافيل ومن في طبقتهم
فان قلت من اين دل قوله ولا الملايكة المقربون على المعنى ولا من فوقه قلت
من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك لان الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في
رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو
ارفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملايكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل
عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم ارفع الملايكة درجة واعلاهم منزلة
ومثاله قول القايل

ومامثله ممن يجاود حاتم • ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره

لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق
مع هذه الاية ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين وقرا علي رضي الله
عنه عبيدا لله على التصغير • وروي ان وفد نجران قالوا يا رسول الله لم تعيب صاحبنا قال
ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شي اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس
بعار ان يكون عبد الله ورسوله قالوا بلى فنزلت لن يستنكف اي لا يستنكف عيسى من ذلك
فلا يستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق
به فان قلت علام عطف قوله ولا الملايكة قلت لا يخلو اما ان يعطف على المسيح
او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة وقولك
مررت برجل عبد ابوه والعطف على المسيح هو الظاهر لادا غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض
وهو ان المسيح لا يانف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن
فوقه فان قلت قد جعلت الملايكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه قلت
فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملايكة او ولا الملايكة المقربون ان يكونوا عبادا
لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح
هذا السوال ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا قرى فسنحشرهم بضم الشين
وكسرها وبالنون فاما الذين امنوا وعملوا الصلحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من
فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون
الله وليا ولا نصيرا فان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين
والمفصل على فريق واحد قلت هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج

عليه كساء وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد •
الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما
في التفصيل في قوله عقيب هذا فاما الذين امنوا بالله واعتصموا به والثاني وهو ان الاحسان
الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكانه قيل ومن يستنكف عن عبادته و
يستكبر فسيعذب بالحسرة اذا راى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله يا ايها الناس
قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا البرهان والنور المبين القران او اراد
بالبرهان دين الحق او رسول الله وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز فاما •
الذين امنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل في ثواب مستحق وتفضل ⁘
ويهديهم اليه الى عبادته صراطا مستقيما وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم ⁘
يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت
فلها نصف ما ترك وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك
وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين وروي انه آخر ما نزل من الاحكام
كان رسول الله في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله ان لي اختا فكم اخذ من ميراثها
ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع •
في مالي فنزلت ان امرؤ هلك رتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل ليس له ولد الرفع على الصفة
لا النصب على الحال اي ان هلك امرؤ غير ذي ولد • والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه
على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا في مذهب ابن عباس والاخت
التي هي لاب وام او لاب دون التي لام لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال
للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت للام فلها السدس في آية المواريث يسوي بينها وبين
اخيها • وهو يرثها واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها • ان لم
يكن لها ولد اي ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت فان قلت الابن لا يسقط الاخ وحده
فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد قلت بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء
الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام الحقوا الفرايض باهلها فما بقي فلاولى عصبة •
ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والاخر بالسنة ويجوز ان يدل بحكم
انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند •
انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة يتناول انتفاء الوالد والولد
جميعا وكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الاخر فان قلت الى من يرجع ضمير التثنية
والجمع في قوله فان كانتا اثنتين وان كانوا اخوة قلت اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين
وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت امك •
انث ضمير من لمكان تانيث الخبر كذلك جمع وثني ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه
والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم
ان تضلوا مفعول له ومعناه كراهية ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النساء فكانما
تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان
في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية
⁘ بسم الله الرحمن الرحيم ⁘ يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود يقال وفى
بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قول
الحطيئة ⁘ قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم • شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا ⁘
وهي عقود الله التي عقدها على عباده والزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون
بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود
الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله
احلت لكم وما بعده بهيمة الانعام والبهيمة كل ذات اربع في البحر والبر واضافتها الى الانعام
للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام الا ما يتلى عليكم الا محرم
ما يتلى عليكم من القران من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا ما يتلى عليكم آية تحريمه والانعام الازواج
الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كانهم ارادوا ما يماثل الانعام ويدانيها
من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه غير محلي الصيد

وانتم

وانتم حرم غير محلي الصيد ونصب على الحال من الضمير في لكم اي احلت لكم هذه الاشياء لا محلين •
الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله اوفوا بالعقود وقوله وانتم حرم حال عن محلي الصيد
كانه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا يحرج عليكم
ان الله يحكم ما يريد من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة • والحرم جمع حرام وهو المحرم •
يا ايها الذين امنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدي ولا القلائد الشعائر
جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اي جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى
والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر • والشهر
الحرام شهر الحج • والهدي ما اهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال
جدي في جدية السرج • والقلائد جمع قلادة وهو ما قلد به الهدي من نعل او عروة مزادة او لحاء
شجر او غيره ولا امين البيت الحرام اموا المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار واحلال هذه الاشيا
ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا في اشهر الحج ما يصدون
به الناس عن الحج وان يتعرض الهدي بالغصب او بالمنع من بلوغ محله • واما القلائد ففيها وجهان
احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص في
زيادة التوصية لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كانه قيل والقلائد منها خصوصا
والثاني ان ينهى عن التعرض للهدي مبالغة في النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلا نُريها
فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهى عن ابداء الزينة مبالغة في النهي عن ابداء •
مواقعها • ولا آمين ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام يبتغون فضلا من ربهم وهو
الثواب ورضوانا وان يرضى عنهم اي لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا
ان يتعرضوا لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القران نزولا فاحلوا
حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابي ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة
وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهى
الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس فلا
يقربوا المسجد الحرام ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ
بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين
كانوا يظنون في انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم وقرا •
عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة وقرا حميد بن قيس والاعرج يبتغون بالتاء على خطاب
المؤمنين واذا حللتم فاصطادوا اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل واذا حللتم
فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء وقرئ واذا
احللتم يقال حل المحرم واحل ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا
جرم يجري مجرى كسب في تعديه الى مفعول واحد واثنين يقال جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا
على نقل المتعدي الى مفعول واحد واثنين بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه
قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني •
ان تعتدوا وان صدوكم بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض
وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه
وقرئ ان صدوكم على ان الشرطية وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياكم عن المسجد
الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة • ومعنى
الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم وتعاونوا على البر والتقوى على العفو والاغضاء •
ولا تعاونوا على الاثم والعدوان على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى
وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار واتقوا الله ان الله شديد العقاب
حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير كان اهل الجاهلية ياكلون هذه المحرمات البهيمة
التي تموت حتف انفها والفصد وهو الدم في المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزد له وما
اهل لغير الله به اي رفع الصوت لغير الله به وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه والمنخنقة
التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب والموقوذة التي اثخنوها ضربا بعصا او حجر حتى
ماتت والمتردية والتي تردت من جبل او في بئر فماتت والنطيحة التي نطحتها اخرى
فماتت بالنطح وما اكل السبع بعضه الا ما ذكيتم الا ما ادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب

المذبوح وتشخب اوداجه وقرا عبد الله والمنطوحة وفي رواية عن ابي عمرو والسبع بسكون البا،
وقرا ابن عباس واكيل السبع وما ذبح على النصب كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت
يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمى الانصاب
والنصب واحد قال الاعشى
وذا النصب المنصوب لا تعبدنه
وقيل هو الجمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد وان تستقسموا بالازلام وحرم
عليكم الاستقسام بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا او غزوا او تجارة او نكاحا او امرا من معاظم
الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان
خرج الامر مضى لطلبه وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل اجالها عودا فمعنى الاستقسام
بالازلام طلب معرفة ما قسم له مما لا يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على
الانصبا، المعلوم ذلكم فسق اشارة الى الاستقسام والى تناول ما حرم عليهم لان المعنى حرم عليكم
تناول الميتة وكذا وكذا فان قلت لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال
فسقا قلت لانه دخول في علم الغيب الذي استاثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من في السموات
والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربي ونهاني ربي افترا،
على الله وما يدريه انه امره او نهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب
الصنم فقد روي انهم كانوا يجعلونها عند اصنامهم فامره ظاهر اليوم لم يرد به يوما بعينه
وانما اراد الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والاتية كقولك كنت
بالامس شابا وانت اليوم اشيب فلا تريد بالامس اليوم الذي قبل يومك ولا باليوم
يومك ونحوه الان في قوله
الان لما ابيض مسربتي وعضضت من نابي على جذم
وقيل اريد يوم نزولها فقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر في حجة الوداع
يئس الذين كفروا من دينكم يئسوا منه ان يبطلوه وان يرجعوا محللين لهذه الخبائث بعد
ما حرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله تعالى وفى بعهده من اظهاره على الدين
كله فلا تخشوهم بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين
بعد ما كانوا غالبين واخشون واخلصوا لي الخشية اليوم اكملت لكم دينكم كفيتكم امر عدوكم
وجعلت اليد العليا لكم كما يقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم
الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم او اكملت لكم ما تحتاجون اليه في تكليفكم من تعليم الحلال
والحرام والتوقيف على الشرايع وقوانين القياس واصول الاجتهاد واتممت عليكم نعمتي بفتح مكة
ودخولها امنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف
بالبيت عريان او اتممت عليكم نعمتي باكمال امر الدين والشرايع كانه قال اكملت لكم دينكم واتممت عليكم
نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام ورضيت لكم الاسلام دينا يعني اخترته لكم من
بين الاديان واذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا ان هذه امتكم
امة واحدة فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم فان قلت
بم اتصل قوله فمن اضطر قلت بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض اكد به معنى التحريم
وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت
بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها في مخمصة في مجاعة غير
متجانف لاثم غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد فان الله غفور لا يواخذه بذلك يسالونك
ماذا احل لهم قل احل لكم الطيبات في السوال معنى القول فلذلك وقع بعده ماذا احل لهم كانه
قيل يقولون لك ماذا احل لهم وانما لم يقل ماذا احل لنا حكاية لما قالوه لان يسالونك بلفظ
الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن واحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدا
واحل لهم خبره كقولك اي شيء احل لهم ومعناه ماذا احل لهم من المطاعم والماكل سالوا عما احل
لهم منها فقيل لهم احل لكم الطيبات اي ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يات في كتاب او سنة
او قياس مجتهد وما علمتم من الجوارح مكلبين عطف على الطيبات اي احل لكم الطيبات
وصيد ما علمتم فحذف المضاف او تجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع
البهايم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازي والشاهين والمكلب
المودب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورايضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التاديب

والتثقيف

والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التاديب اكثر ما يكون في الكلاب فاشتق من لفظه
لكثرته في جنسه او لان السبع يسمى كلبا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم اللهم سلط عليه كلبا من كلابك
فاكله الاسد او من الكلب الذي هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به
وانتصاب مكلبين على الحال من علمتم فان قلت ما فايدة هذه الحال وقد استغنى عنها
بعلمتم قلت فايدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا في علمه مدربا فيه موصوفا
بالتكليب وتعلمونهن حال ثانية او استيناف وفيه فايدة جليلة وهي ان كل اخذ علما ان لا
ياخذه الا من اقبل اهله علما وانحرهم دراية واغوصهم على لطايفه وحقايقه وان احتاج
الى ان يضرب اليه اكباد الابل فكم من اخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير
انامله مما علمكم الله من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم
ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعايه وامساك الصيد
عليه وان لا ياكل منه وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا فكلوا مما امسكن
عليكم واذكروا اسم الله واتقوا الله ان الله سريع الحساب الامساك على صاحبه ان لا ياكل
منه لقوله عليه السلام لعدي بن حاتم فان اكل منه فلا تاكل انما امسك على نفسه وعن علي
رضي الله عنه اذا اكل البازي فلا تاكل وفرق العلما، فاشترطوا في سباع البهايم ترك الاكل
لانها تودب بالضرب ولم يشترطوه في سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق
بين امساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابي وقاص وابي هريرة رضي الله عنهم واذا
اكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل فان قلت الى م يرجع الضمير
في قوله واذكروا اسم الله عليه قلت اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا
ادركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اي سموا عليه عند ارساله اليوم احل لكم الطيبات
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم طعام الذين اوتوا الكتاب قيل هو ذبايحهم وقيل جميع
مطاعمهم ويستوي في ذلك جميع النصارى وعن علي رضي الله عنه انه استثنى نصارى بني تغلب
وقال ليسوا على النصرانية ولم ياخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعي وعن ابن عباس
رضي الله عنه انه سيل عن ذبايح نصارى العرب فقال لا باس وهو قول عامة التابعين وبه
اخذ ابو حنيفة رحمه الله واصحابه وحكم الصابيين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة رحمه الله
وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملايكة وصنف لا يقرؤن
كتابا ويعبدون النجوم فهولا ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب
في اخذ الجزية منهم دون اكل ذبايحهم ونكاح نسايهم وقد روي عن ابن المسيب رضي الله
عنه انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسي ان يذكر الله ويذبح فلا باس وقال ابو ثور
وان امره بذلك في الصحة فلا باس وقد اسا وطعامكم حل لهم فلا عليكم ان تطعموهم لانه
لو كان حراما عليهم طعام المومنين لما ساغ لهم اطعامهم والمحصنات من المومنات والمحصنات
من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا اتيتموهن اجورهن المحصنات الحراير والعفايف و
تخصيصهن بعث على تخير المومنين لنطفهم والاما، من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق
وكذلك نكاح غير العفايف منهن واما الاما، الكتابيات فعند ابي حنيفة رحمه الله هن كالمسلمات
وخالفه الشافعي وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات
حتى يومن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطا قد اكثر الله المسلمات
وانما رخص لهم يوميذ محصنين اعفا، غير مسافحين ولا متخذي اخدان صدايق
والخدن يقع على الذكر والانثى ومن يكفر بالايمان بشرايع الاسلام وما احل الله وما حرم
فقد حبط عمله وهو في الاخرة من الخاسرين يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة
فاغسلوا وجوهكم اذا قمتم الى الصلاة كقوله فاذا قرات القران فاستعذ بالله وكقولك
اذا ضربت غلامك فهون عليه في ان المراد ارادة الفعل فان قلت لم جاز ان
يعبر عن ارادة الفعل بالفعل قلت لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل عليه وارادته
له وهي قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم
الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى
نعيده وعدا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل
بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة

بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان
عبر عن الفعل المبتدا الذي هو سبب الجزا بلفظ الجزا الذي هو مسبب عنه وقيل
معنى قمتم الى الصلوة قصدتموها لان من توجه الى الشي وقام اليه كان قاصدا له
لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه فان قلت ظاهر الاية يوجب الوضو على
كل قايم الى الصلوة محدث وغير محدث فما وجهه قلت يحتمل ان يكون الامر للوجوب
فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والخلفا بعده انهم كانوا يتوضون لكل صلوة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من توضا
على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه صلى الله عليه وسلم انه كان يتوضا لكل صلوة
فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضو واحد فقال عمر
صنعت شيا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز فان قلت
هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهولا على وجه الايجاب ولهولا على وجه
الندب قلت لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية
وقيل كان الوضو لكل صلاة واجبا اول ما فرض ثم نسخ الى تفيد معنى الغاية
مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج
قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت
الميسرة فيه لكان منتظرا في كلتي الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى
الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القران من اوله
الى اخره لان الكلام مسوق لحفظ القران كله وقوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى
لوقوع العلم بانه لا يسري به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله الى المرافق والى
الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلما بالاحتياط فحكموا بدخولها في
الغسل واخذ زفر وداود رحمهما الله بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه كان يدير الما على مرفقيه وامسحوا بروسكم وارجلكم الى الكعبين المراد الصاق المسح
بالراس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق المسح براسه وقد اخذ مالك بالاحتياط
فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعي رحمه الله باليقين فاوجب
اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة رحمه الله ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو ما روي انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الراس قرا جماعة وارجلكم بالنصب
فدل على ان الارجل مغسولة فان قلت فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح
قلت الارجل من بين الاعضا الثلاثة المغسولة تغسل بصب الما عليها فكانت مظنة
للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب
الاقتصاد في صب الما عليها وقيل الى الكعبين فجي بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها
ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضي الله عنه انه اشرف على فتية
من قريش فراى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها
غسلا ويدلكونها دلكا وعن عمر انه راى رجلا يتوضا فترك باطن قدميه فامره ان يعيد
الوضو وذلك للتغليظ عليه وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضا قوم
واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن
عايشه رضي الله عنها لان تقطعا احب الي ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء
والله ما علمت ان احدا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب
بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وروي عن الشعبي
نزل القران بالمسح والغسل سنة وقرا الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة
او ممسوحة الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد
منكم من الغايط او لمستم النسا فلم تجدوا ما فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا
بوجوهكم وايديكم منه وقري فاطهروا اي فطهروا ابدانكم وكذلك ليطهركم وفي قراءة عبد الله
فاموا صعيدا ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم
ولكن يريد ليطهركم بالتراب اذا اعوزكم التطهر بالما وليتم نعمته عليكم برخصه انعامه
عليكم بعزايمه لعلكم تشكرون نعمته فيثيبكم واذكروا نعمة الله عليكم وهي نعمة الاسلام

وميثاقه

وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات
الصدور واثقكم به اي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين
بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا
وقالوا سمعنا واطعنا وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان يا ايها الذين
امنوا كونوا قوامين لله شهدا بالقسط ولا يجرمنكم شنان قوم على الا تعدلوا
عدي يجرمنكم بحرف الاستعلا مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز ان
يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا فحذف مع ان ونحوه قوله صلى الله عليه وسلم من اتبع على
ملي فليتبع لانه بمعنى احيل وقري شنان بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى ولا يحملنكم
بغضكم للمشركين على ان لا تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا مما
في قلوبكم من الضغاين بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة او قذف او قتل اولاد او نسا او نقض
عهد وما اشبه ذلك اعدلوا هو اقرب للتقوى نهاهم اولا ان تحملهم البغضا على ترك العدل
ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر
بالعدل وهو قوله هو اقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب
الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم
اعدا الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المومنين الذين هم اولياؤه
واحباؤه واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين امنوا وعملوا الصلحت
لهم مغفرة واجر عظيم بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا
فقيل اي شي وعده لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم او يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم
وقال لهم مغفرة او على اجرا وعد مجرى قال لانه ضرب من القول ويجعل وعد واقعا على
الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول
واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم
وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيمة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون
عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب والذين كفروا وكذبوا باياتنا اوليك
اصحاب الجحيم يا ايها الذين امنوا اذكروا نعمت الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم
ايديهم روي ان المشركين راوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى صلوة
الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا الا كانوا اكبوا
عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلوة هي احب اليهم من ابايهم وابنايهم يعنون صلاة
العصر وهموا ان يوقعوا بهم اذا قاموا لها فنزل جبريل بصلوة الخوف وروي ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اتى بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية
مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطا يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس
حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحى
عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا و
تفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه
بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل عليه فقال من يمنعك
مني فقال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
باصحابه فاخبرهم وابى ان يعاقبه يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش
به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به
الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى فكف ايديهم عنكم فمنعها
ان تمد اليكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المومنون ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرايل
وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا لما استقر بنو اسرايل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم
الله بالمسير الى اريحا ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها
لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها فاني ناصركم وامر موسى عليه السلام
ان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفا بما امروا به توثقة عليهم
فاختار النقبا واخذ الميثاق على بني اسرايل وتكفل لهم به النقبا وسار بهم فلما دنا من
ارض كنعان بعث النقبا يتجسسون فراوا اجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا فرجعوا

فحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا
من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرائيم بن يوسف وكان من النقبا والنقيب الذي ينقب
عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها وقال الله اني معكم اي ناصركم ومعينكم
لين اقمتم الصلاة وآتيتم الزكوة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن
عنكم سياتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار عزرتموهم نصرتموهم ومنعتموهم
من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقري بالتخفيف يقال عزرت
الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتاذير من واد واحد ومنه لا نصرنك نصرا موزرا اي قويا قيل
معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم
العدل ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر واللام في لين اقمتم موطية للقسم وفي لاكفرن جواب
له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا فمن كفر بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد
العظيم فقد ضل سوا السبيل فان قلت من كفر قبل ذلك ايضا فقد ضل سوا السبيل
قلت اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه بعظم النعمة المكفورة فاذا
زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادي فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم طردناهم واخرجناهم من رحمتنا
وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية وجعلنا قلوبهم قاسية خذلناهم ومنعناهم
الالطاف حتى قست قلوبهم واملينا لهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرا عبد الله قسية اي
ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين
والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحا اخوان في الدلالة على اليبس والصلابة
وقري قست بكسر القاف للاتباع يحرفون الكلم عن مواضعه بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد
من الافترا على الله تعالى وتغير وحيه ونسوا حظا وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا مما ذكروا به
من التورية يعني ان تركهم واعراضهم عن التورية اغفال حظ عظيم او قست قلوبهم وفسد تحريفها
التورية وذلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية
وتلا هذه الاية وقيل تركوا نصيب انفسهم مما امروا به من الايمان بمحمد عليه السلام وبيان نعته
ولا تزال تطلع على خاينة منهم اي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون
الرسل وهولاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك
وان يسموك على خاينة اي على خاينة او على فعلة ذات خيانة او على نفس او فرقة خاينة يقال
رجل خاينة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال

حدثت نفسك بالوفا ولم تكن ... للغدر خاينة مغل الاصبع

وقري على خيانة منهم الا قليلا منهم وهم الذين امنوا منهم فاعف عنهم واصفح بعث على
مخالفتهم وقيل هو منسوخ باية السيف وقيل فاعف عن مومنهم ولا تواخذهم بما سلف منهم ومن
الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به اخذنا ميثاقهم اخذنا
من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله وبالرسل
وبافعال الخير واخذنا من النصارى ميثاقهم في انفسهم بذلك فان قلت فهلا قيل من
النصارى قلت لانهم انما سموا انفسهم بذلك ادعا لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن
انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان فاغرينا
فالصقنا والزمنا من غري بالشي اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغرا الذي يلصق به
بينهم اي فرق بين النصارى المختلفين العداوة والبغضا الى يوم القيمة وسوف ينبيهم
الله بما كانوا يصنعون وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا
او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا يبين لكم
خطاب لليهود والنصارى كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب من نحو صفة رسول الله ومن نحو
الرجم ويعفوا عن كثير مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فايدة
الا افتضاحكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احيا شريعة واماتة بدعة
وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يواخذه قد جاكم من الله نور وكتاب مبين
يريد القران لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا على الناس من الحق او لانه
ظاهر الاعجاز يهدي به الله من اتبع رضوانه من آمن منهم سبل السلام طرق السلامة والنجاة
من عذاب الله او سبل الله ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم

لقد

لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم قولهم ان الله هو المسيح معناه بت القول على
ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان في النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن
مذهبهم يودي اليه حيث اعتقدوا انه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم قل فمن يملك
من الله شيا فمن يمنع من قدرته ومشيته شيا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه
ومن في الارض جميعا ان اراد ان يهلك من دعوه الاها من المسيح وامه دلالة على ان المسيح
عبد مخلوق كساير العباد واراد بعطف من في الارض على المسيح وامه وانهما من جنسهم لا تفاوت
بينهما وبينهم في البشرية ولله ملك السموات والارض يخلق ما يشا اي يخلق من ذكر وانثى كما
يخلق من انثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وانثى كما خلق آدم عليه السلام والله
على كل شي قدير او يخلق ما يشا كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحيا الموتى وابرا الاكمه
والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجري على يديه وقالت اليهود والنصارى
نحن ابناء الله واحباوه ابنا الله اشياع ابني الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابي خبيب وهو
عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما يقال رهط مسيلمة نحن انبيا الله ويقول اقربا الملك وحشمه
وذووه نحن الملوك ولذلك قال مومن آل فرعون لكم الملك اليوم قل فلم يعذبكم بذنوبكم
فان صح انكم ابناء الله واحباوه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار اياما
معدودات على زعمكم ولو كنتم ابنا الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبايح ولا مستوجبين
العقاب ولو كنتم احباه لما عصيتموه ولما عاقبكم بل انتم بشر ممن خلق من جملة من خلق من البشر
يغفر لمن يشا وهم اهل الطاعة ويعذب من يشا وهم العصاة يبين لكم ولله ملك السموات
والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاكم رسولنا اما ان يقدر المبين وهو الدين
والشرايع وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره
اولا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اي مبينا لكم على فترة متعلق
بجاكم اي جاكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحي ان تقولوا كراهة ان تقولوا
ما جانا من بشير ولا نذير فقد جاكم بشير ونذير متعلق بمحذوف اي لا تعتذروا فقد
جاكم والله على كل شي قدير وقيل كان بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم خمسماية وستون وقيل
ستماية وقيل اربعماية ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى الف وسبعماية سنة
والف نبي وبين عيسى ومحمد اربعة انبيا ثلاثة من بني اسرايل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسي
والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحي احوج ما يكونون اليه ليهشوا
اليه ويعدوه اعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل
اليهم من ينبههم من غفلتهم واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم
انبياء لانه لم يبعث في امة ما بعث في بني اسرايل من الانبيا وجعلكم ملوكا لانه ملكهم بعد فرعون
ملكه وبعد الجبابرة ملكهم ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبيا وقيل كانوا مملوكين في ايدي
القبط فانقذهم الله فسمى انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ما جار وقيل من له بيت
وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق واتاكم ما لم يوت احدا من
العالمين من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام
وقيل اراد عالمي زمانهم يا قوم ادخلوا الارض المقدسة ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله
وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم عليه السلام ميراثا
لولده حين رفع ابراهيم على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبيا ومسكن
المومنين التي كتب الله لكم قسمها لكم وسماها او خط في اللوح انها لكم ولا ترتدوا على ادباركم ولا
تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا قيل لما حدثهم النقبا بحال الجبابرة رفعوا
اصواتهم بالبكا وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان
يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم فتنقلبوا خاسرين فترجعوا
خاسرين ثواب الدنيا والاخرة قالوا يا موسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا
منها فانا داخلون الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد
قال رجلان هما كالب ويوشع من الذين يخافون من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين
ويجوز ان تكون الواو لبني اسرايل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافونهم بنو اسرايل وهم
الجبارون وهما رجلان منهم انعم الله عليهما بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها

فلا تخافوهم وازحموا اليهم **ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون** له فانكم غالبوهم بنجيهما
على قتالهم وقراءة من قرا يخافون بالضم شاهدة وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من
الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب **فان قلت**
ما محل انعم الله عليهما **قلت** ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما
معترضا فلا محل لها **فان قلت** من اين علما انهم غالبون **قلت** من جهة اخبار موسى بذلك وقوله كتب
الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبينا من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى عليه السلام
في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة • والباب باب قريتهم **وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا يا موسى
انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها** لن ندخلها نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس • وابدا
تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول وما داموا فيها بيان للابد **فاذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا
قاعدون** يحتمل ان لا يقصد واحقيقة الذهاب كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد
للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء
وقصدوا ذهابهما حقيقة لجهلهم وجفائهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسالوا بها رؤية الله •
جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون خرا لوجههما قدامهم لشدة
ما ورد عليهما فهموا برجمهما • ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن
اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا • لما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا
من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون **قال رب اني لا املك الا نفسي
واخي** وهذا من البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل
النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان
يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين
تقعان مما اريد • وذكر في اعراب اخي وجوه ان يكون منصوبا عطفا على نفسي وعلى الضمير في اني
بمعنى ولا املك نفسي وان اخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل انا لا املك
الا نفسي واخي هرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير
في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على الضمير المجرور الا بتكرير الجار **فان قلت** اما كان معه الرجلان
المذكوران **قلت** كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان • في
اتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره • ويجوز
ان يقول ذلك لفرط ضجره عند ما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه • ويجوز ان يريد ومن يواخيني
على ديني **فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين** فافصل بيننا وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم
عليهم بما يستحقون وهو في المعنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه
التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين **قال فانها محرمة
عليهم** فان الارض المقدسة محرمة عليهم لا يدخلونها ولا يملكونها **اربعين سنة يتيهون
في الارض** **فان قلت** كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم **قلت** فيه وجهان
احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني
ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي ان موسى عليه
السلام سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحا واقام فيها ما شاء الله
ثم قبض وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا واخبرهم انه نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة •
فصدقوه وبايعوه فسار بهم الى اريحا وقتل الجبارين واخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل
لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها ابدا وهلكوا في التيه ونشات نواشئ من ذرياتهم
فقاتلوا الجبارين ودخلوها • والعامل في الظرف وهو قوله اربعين اما محرمة واما يتيهون
والمعنى يتيهون في الارض يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه •
فيها يروى انهم لبثوا اربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا سئموا
وامسوا اذاهم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل
يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر
يطول بطوله **فان قلت** فلم كانوا ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون **قلت**
كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل
الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتادب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه واحسانه

فان

فان قلت هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام **قلت** اختلف في
ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم
وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلاما لا عقوبة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب
وروي ان هرون عليه السلام مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحا
بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع **فلا تاس على القوم
الفاسقين** فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء لفسقهم بالعذاب
فلا تحزن عليهم ولا تندم **واتل عليهم نبا ابني ادم بالحق** هما ابنا ادم لصلبه قابيل وهابيل •
اوحى الله الى ادم ان يزوج كل واحد منهما توامة الاخر وكانت توامة قابيل اجمل واسمها اقليما
فحسد عليها اخاه وسخط فقال لهما ادم قربا قربانا فمن ايكما قبل زوجها فقبل قربان هابيل
بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من
بني اسرائيل • بالحق تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتله نبا ملتبسا بالصدق موافقا لما في
كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين واهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبغون عليه واتل عليهم وانت محق صادق **اذ قربا قربانا فتقبل
من احدهما ولم يتقبل من الاخر قال لاقتلنك قال انما يتقبل الله من المتقين** اذ قربا نصب
بالنبا اي قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبا اي اتل عليهم النبا نبا
ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف • والقربان اسم ما يتقرب به الى الله تعالى من نسيكة او
صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اي يعطى ويقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع
قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب **فان قلت**
كيف يكون قوله انما يتقبل الله من المتقين جوابا لقوله لاقتلنك **قلت** لما كان الحسد
لاخيه على تقبل قربانه هو الذي حمله على توعده بالقتل قال له انما اتيت من قبل نفسك لانسلاخها
من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني وما لك لا تعاقب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التي هي
السبب في القبول فاجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل
طاعة الا من مؤمن متق فما انعاه على اكثر العاملين اعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين
حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين
لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين قيل
كان اقوى من القاتل وابطش منه ولكنه تحرج عن قتل اخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن
مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره **اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار
وذلك جزاء الظالمين** ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لي **فان قلت** كيف يحتمل اثم
قتله له ولا تزر وازرة وزر اخرى **قلت** اراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرات قراءة
فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله صلى
الله عليه وسلم المستبان ما قالا فعلى البادي ما لم يعتد المظلوم لانه اذا خرج عن حد المكافاة و
اعتدى لم يسلم **فان قلت** فحين كف هابيل عن قتل اخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في
شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل اخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان **قلت** هو مقدر فهو
يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال اني اريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت اليك يدي وقيل باثمي باثم
قتلي واثمك الذي من اجله لم يتقبل قربانك **فان قلت** فكيف جاز ان يريد شقاوة اخيه
وتعذيبه بالنار **قلت** كان ظالما وجزاء الظالم حسن جاز ان يراد الا ترى الى قوله وذلك
جزاء الظالمين واذا جاز ان يريده الله جاز ان يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد
بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب **فان قلت** لم جاء الشرط بلفظ الفعل
والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط **قلت** ليفيد انه لا يفعل
ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك ذكره بالباء المؤكدة للنفي **فطوعت له نفسه قتل اخيه**
فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرا الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء
من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع
وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله **فقتله فاصبح من الخاسرين** وقيل قتل وهو ابن عشرين
سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم **فبعث الله غرابا يبحث
في الارض ليريه كيف يواري سواة اخيه** روي انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بني ادم ولما

فلما قتله تركه بالعراء لا يدري ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى اروح
وتعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الاخر فحفر له بمنقاره ورجليه
ثم القاه في الحفرة فقال يا ويلتى اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فاواري سوأة اخي فاصبح من
النادمين ويروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه
وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروي ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك
وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء معصومون
من الشعر ليريه اي ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد
تعليمه على سبيل المجاز سوأة اخيه عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوأة
الفضيحة لقبحها قال • يا لقومي للسوأة السوآء • اي للفضيحة لقبحها العظيمة
فكنى بها عنها فاواري بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا اواري او على
التسكين في موضع النصب للتخفيف من النادمين على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره في امره
وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين من
اجل ذلك بسبب ذلك وبعلته كتبنا على بني اسرائيل وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله
ومنه قوله • واهل خباء صالح ذات بينهم • قد احتربوا في عاجل انا آجله •
كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا اردت من ان جنيت فعله واوجبته ويدل عليه قولهم
من جراك فعلته اي من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اي من ان جنى ذلك
القتل الكتب وجر كتبنا على بني اسرائيل ومن لابتداء الغاية اي ابتداء الكتب ونشأ من اجل ذلك
ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال •
اجل ان الله قد فضلكم • وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها
وقال ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهي لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا كسرة الهمزة عليها
انه من قتل نفسا بغير نفس بغير قتل نفس على وجه الاقتصاص او فساد في الارض فكانما قتل الناس
جميعا او فساد عطف على نفس بمعنى او بغير فساد في الارض وهو الشرك وقيل قطع الطريق ومن
احياها ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل او غرق او حرق او هدم او غير ذلك فكانما
احيا الناس جميعا فان قلت كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم قلت
لان كل انسان يدلي بما يدلي به الاخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد اهين ما كرم على الله و
هتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذن بين الواحد والجميع في ذلك فان قلت فما الفائدة في
ذكر ذلك قلت تعظيم قتل النفس واحيائها في القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا
في المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه
فثبطه وكذلك الذي اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب
العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم ارايت لو قتلت الناس جميعا اكنت
تطمع ان يكون لك عمل يوازي ذلك فيغفر لك به كلا انه شيء سولت لك نفسك والشيطان فكذلك اذا
قتلت واحدا بعد ذلك بعدما كتبنا عليهم وبعد مجيء الرسل بالآيات ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات
ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك في الارض لمسرفون لمسرفون يعني في القتل لا يبالون بعظمته انما جزاء
الذين يحاربون الله ورسوله يحاربون رسول الله ومحاربة المسلمين في حكم محاربته ويسعون
في الارض فسادا مفسدين او لان سعيهم في الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون
في الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اي للفساد نزلت في قوم هلال
بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا
عليهم وقيل في العرنيين فاوحى اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل
ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفي من الارض وقيل
هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما ان يقتلوا او يصلبوا ومعناه ان يقتلوا من غير صلب ان افردوا
القتل او يصلبوا مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن
حتى يموت او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف ان اخذوا المال او ينفوا من الارض اذا لم يزيدوا على الاخافة
وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات في كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفي
الحبس عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه الله النفي من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا
وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد في اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة ذلك

لهم خزي في الدنيا خزي ذل وفضيحة ولهم في الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل
ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم الا الذين تابوا استثناء من المعاقبين عقاب قطع
الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاؤوا عفوا وان شاؤوا استوفوا
وعن علي رضي الله عنه ان الحرث بن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه
العقوبة يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة الوسيلة كل ما يتوسل به اي
يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله من فعل الطاعات وترك المعاصي
وانشد للبيد • ارى الناس لا يدرون ما قدر امرهم • الا كل ذي لب الى الله واسل •
وجاهدوا في سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه
ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم ليفتدوا به ليجعلوه فدية
لانفسهم لزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر
يوم القيامة ارايت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدي به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر
من ذلك • ولو مع ما في حيز خبر ان فان قلت لم وحد الراجع في قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيئان
قلت هو نحو قوله • فاني وقيار بها لغريب • او على اجراء الضمير مجرى
اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان يكون الواو في ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه
فان قلت فبم ينصب المفعول معه قلت بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم
ما في الارض يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم قرأ ابو واقد
ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة ان نافع بن
الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمى القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم
بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فمما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم
وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بين اظهر
اعضاده من قريش وانضاده من بني عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها بالخطاب الذي لا يجسر
على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصعين ان الحديث فرية ما فيها مرية فان
قلت اما يؤذن الضمير في قوله وما هم بخارجين بالاختصاص قلت ليس بمختص بالاختصاص فانه
يأتي للتاكيد كما يأتي كذلك كقوله • هم يفرشون اللبد كل طمرة • اي يجعلونه فراشا والسارق والسارقة
فاقطعوا ايديهما والسارق والسارقة رفعهما على الابتداء والخبر محذوف وعند سيبويه كانه قيل
وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اي حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر فاقطعوا ايديهما
ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذي سرق والتي سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول
يضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه
احسن من زيد فاضربه • ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفى بتثنية المضاف اليه عن تثنية
المضاف واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق
في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة
دراهم عند ابي حنيفة رحمه الله وعند مالك والشافعي رحمهما الله تعالى ربع دينار وعن الحسن درهم وفي
مواعظه احفظ درهمك تقطع يدك في درهم جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم جزاء ونكالا مفعول
لهما فمن تاب من السراق من بعد ظلمه من بعد سرقته واصلح امره بالتفصي عن التبعات فان الله
يتوب عليه ويسقط عنه عقاب الآخرة ان الله غفور رحيم واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي
حنيفة واصحابه رحمهم الله وعند الشافعي رحمه الله في احد قوليه تسقطه الم تعلم ان الله له ملك السموات
والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير من يشاء من يجب في الحكمة تعذيبه
والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام
وابعد من التنفير عنه ولا تسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحيوة وكم في القصاص
حيوة فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة قلت لانه قوبل بذلك تقدم السرقة
على التوبة يا ايها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم
ولم تؤمن قلوبهم قرئ لا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين في
الكفر اي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك
شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر ووقوعهم وتهافتهم
فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطئوها وآمنا مفعول قالوا • وبافواههم متعلق بقالوا لا بآمنا

ومن الذين هادوا سماعون للكذب ومن الذين هادوا منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف علي من الذين قالوا ويرتفع سماعون علي هم سماعون في الضمير للفريقين او للذين هادوا ومعني سماعون للكذب قابلون لما تفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب علي الله تعالي وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده سماعون لقوم آخرين لم ياتوك يعني اليهود الذين لم يصلوا الي مجلس رسول الله صلي الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر يحرفون الكلم يميلونه ويزيلونه من بعد مواضعه عن مواضعه التي وضعه الله فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع يقولون ان اوتيتم هذا المحرف المزال عن مواضعه فخذوه واعلموا انه الحق واعملوا به وان لم توتوه وافتاكم محمد بخلافه فاحذروا واياكم واياه فهو الباطل والضلال روي ان شريفا من خيبر زني بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم في التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الي بني قريظة ليسالوا رسول الله صلي الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم بالجلد والتحميم فاقبلوا وان امركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك وبينهم ابن صوريا فقال لهم هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودي علي وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلي الله عليه وسلم انشدك الله الذي لا اله الا هو الذي فلق البحر ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق الفرعون والذي انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم علي من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت ان كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله صلي الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبي الامي الذي بشر به المرسلون وامر رسول الله بالزانيين فرجما عند باب مسجده ومن يرد الله فتنته تركه مفتونا وخذلانه فلن تملك له من الله شيئا فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيئا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم اولئك الذين لم يرد الله ان يمنحهم من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يومنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدي الله قوما كفروا بعد ايمانهم سماعون للكذب اكالون للسحت السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال الله تعالي يمحق الله الربوا والربوا باب منه وقري السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين علي لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشا علي الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم في بني اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها في كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الي خصمه فياكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي ان عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جري له في عمله فقال له اعرابي من القوم نحن كما قال الله تعالي سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبي صلي الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولي به فان جاءوك فاحكم بينهم او اعرض عنهم قيل كان رسول الله صلي الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم وبين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعي والشعبي انهم اذا ارتفعوا الي حكام المسلمين فان شاءوا اعرضوا وان شاءوا حكموا وقيل هو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند ابي حنيفة ان احتكموا الينا حملوا علي حكم الاسلام فان زني رجل منهم بمسلمة او سرق من مسلم شيئا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الي انهم قد صولحوا علي شركهم وهو اعظم من الحدود ويقولون ان النبي صلي الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية وان تعرض عنهم فلن يضروك شيئا لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابي الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بان يعادوه ويضاروه فامنه الله سربه وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين بالقسط بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله تعجيب من تحكيمهم لمن لا يومنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص في كتابهم الذي يدعون الايمان به ثم يتولون من بعد ذلك ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما في كتابهم لا يرضون به وما اولئك بالمومنين بكتابهم كما يدعون او وما اولئك بالكاملين في الايمان علي سبيل التهكم بهم فان قلت فيها حكم الله ما موضعه

من

من الاعراب قلت اما ان ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدا خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بما تصنع فما تصنع بغيره فان قلت لما انث التوراة قلت لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوهما في كلام العرب فان قلت علام عطف ثم يتولون قلت علي يحكمونك انا انزلنا التوراة فيها هدي يهدي للحق والعدل ونور يبين ما استبهم من الاحكام يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا الذين اسلموا صفة اجريت علي النبيين علي سبيل المدح كالصفات الجارية علي القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح واريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهودية بمعزل عنها وقوله الذين اسلموا للذين هادوا مناد علي ذلك والربانيون والاحبار والزهاد والعلماء من ولد هارون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود بما استحفظوا من كتاب الله بما سالهم انبياوهم حفظه من التوراة اي بسبب سوال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في كتاب الله للتبيين وكانوا عليه شهداء رقباء لئلا يبدل والمعني يحكم باحكام التوراة والنبيون بين موسي وعيسي وكان بينهما الف نبي للذين هادوا يحملونهم علي احكام التوراة لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم من حملهم علي حكم الرجم وارغام انوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياوهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها علي خلاف ما امروا به من العدل لخشية سلطان ظالم او خيفة اذية احد من القرناء والاصدقاء ولا تشتروا باياتي ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا بآيات الله واحكامه ثمنا قليلا وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضي الناس كما حرف احبار اليهود كتاب الله في غيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا ومن لم يحكم بما انزل الله مستهينا به فاولئك هم الكافرون والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله باستهانته وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس ان الكافرين والظالمين والفاسقين اهل الكتاب وعنه نعم القوم انتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في اهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصاري وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم اشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا ادري اتعبدون العجل ام لا وكتبنا عليهم فيها ان النفس بالنفس في مصحف ابي وانزل الله علي بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قريت مرفوعة ومنصوبة والرفع للعطف علي محل ان النفس لان المعني وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجري قلنا واما لان معني الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب كما تقع عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرات سورة انزلناها وكذلك قال الزجاج لو قري ان النفس بالكسر لكان صحيحا وللاستئناف والمعني فرضنا عليهم فيها ان النفس ماخوذة بالنفس مقتولة بها اذا قتلتها بغير حق وكذلك العين مفقوءة بالعين والانف مجدوع بالانف والاذن مصلومة بالاذن والسن مقلوعة بالسن والجروح قصاص ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص ويعرف المساواة وعن ابن عباس كانوا لا يقتلون الرجل بالمراة فنزلت فمن تصدق من اصحاب الحق به بالقصاص وعفا عنه فهو كفارة له فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيئاته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله بن عمرو يهدم عنه ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة ابي فهو كفارته له يعني فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله فاجره علي الله وترغيب في العفو ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا علي آثارهم بعيسي ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدي ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدي وموعظة للمتقين قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الي الثاني بزيادة الباء فان قلت فاين المفعول الاول في الآية قلت هو محذوف والظرف الذي هو علي آثارهم كالساد مسده لانه اذا قفي به علي اثره

فقد قفي به اياه والضمير في اثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا وقرا الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه اعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر ومصدقا عطف علي محل فيه هدي ومحله النصب علي الحال وهدي وموعظة يجوز ان ينتصبا علي الحال كقوله مصدقا وان ينتصبا مفعولا لهما لقوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله فيه كانه قيل وللهدي والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله من الاحكام فان قلت فان نظمت هدي وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم قلت اصنع به ما صنعت بهدي وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وقري وليحكم علي لفظ الامر بمعني وقلنا ليحكم وفي قراءة ابي وان ليحكم بزيادة ان مع الامر علي ان ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم اهل الانجيل وقيل ان عيسي كان متعبدا بما في التورية من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم اهل الانجيل بما انزل فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقايل ان يقولوا معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التورية وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب فان قلت اي فرق بين التعريفين في قوله وانزلنا اليك الكتاب وقوله لما بين يديه من الكتاب قلت الاول تعريف العهد لانه عني به القران والثاني تعريف الجنس لانه عني به جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب علي الاطلاق وانما اريد نوع معلوم منه وهو ما انزل من السماء سوي القران ومهيمنا عليه ورقيبا علي ساير الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقري ومهيمنا عليه بفتح الميم اي هومن عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل او الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمازوا رادين ومنكرين فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم ضمن ولا تتبع معني ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم لكل جعلنا منكم ايها الناس شرعة شريعة وقري بفتح الشين ومنهاجا طريقا واضحا في الدين يجرون عليه وقيل هذا دليل علي انا غير متعبدين بشرايع من قبلنا ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة جماعة متفقة علي شريعة واحدة او ذوي امة واحدة اي دين واحد لا اختلاف فيه ولكن اراد ليبلوكم فيما آتاكم من الشرايع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت علي حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون في العمل فاستبقوا الخيرات فابتدروها وتسابقوا نحوها الي الله مرجعكم جميعا استيناف في معني التعليل لاستباق الخيرات فينبيكم بما كنتم فيه تختلفون فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم في العمل وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم فان قلت وان احكم بينهم معطوف علي ماذا قلت علي الكتاب في قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم علي ان ان وصلت بالامر لانه فعل كساير الافعال ويجوز ان يكون معطوفا علي بالحق اي انزلناه بالحق وبان احكم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك ان يضلوك عنه ويستزلوك وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الي محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعتنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نومن بك ونصدقك فابي ذلك رسول الله صلي الله عليه وسلم فنزلت فان تولوا عن الحكم بما انزل الله اليك وارادوا غيره فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم يعني بذنب التولي عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولي واسرافهم في ارتكابه ونحو البعض في هذا الكلام ما في قول لبيد .. او يرتبط بعض النفوس حمامها .. اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اي نفس فكما ان التنكير يعطي معني التكبير وهو في معني البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض وان كثيرا من الناس لفاسقون لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعني ان التولي عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء في الكفر افحكم الجاهلية يبغون فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلي وروي ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال لهم القتلي بواء فقال

بنوا

بنوا النضير نحن لا نرضي بذلك فنزلت والثاني ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل الكتاب والعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التي هي هوي وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الي وحي من الله وعن الحسن هو عام في كل من يبتغي غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسيل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده علي بعض فقرا هذه الاية وقري يبغون بالياء والتاء وقرا السلمي افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم علي الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة في اهذا الذي بعث الله وعن الصفة في الناس رجلان رجل اهنت ورجل اكرمت وعن الحال في مررت بهند يضرب زيد وقرا قتادة افحكم الجاهلية علي ان هذا الحكم الذي يبغونه انما يحكم به افعي نجران او نظيره من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون اللام في قوله لقوم يوقنون للبيان كاللام في قوله هيت لك اي هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم هم الذين يتبينون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اليهود والنصاري اولياء لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتواخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المومنين ثم علل النهي بقوله بعضهم اولياء بعض اي انما يوالي بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم ومن يتولهم منكم فانه منهم فانه من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد في وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم لا تراءي ناراهما ومنه قول عمر رضي الله عنه لابي موسي في كاتبه النصراني لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تامنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروي انه قال له ابو موسي لا قوام للبصرة الا به فقال مات النصراني والسلام يعني هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينيذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره ان الله لا يهدي القوم الظالمين يعني الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفرة يمنعهم الله الطافه ويخذلهم مقتا لهم فتري الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ينكمشون في موالاتهم ويرغبون فيها ويعتذرون بانهم لا يامنون ان تصيبهم دايرة من دواير الزمان يقولون نخشي ان تصيبنا دايرة اي صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجون اليهم والي معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلي الله عليه وسلم ان لي موالي من يهود كثيرا عددهم واني ابرا الي الله ورسوله من ولايتهم واوالي الله ورسوله فقال عبد الله بن ابي اني رجل اخاف الدواير لا ابرا من ولاية موالي وهم يهود بني قينقاع فعسي الله ان ياتي بالفتح لرسول الله علي اعدايه واظهار المسلمين او امر من عنده يقطع شافة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبحوا علي ما اسروا في انفسهم نادمين فيصبح المنافقون نادمين علي ما حدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون في امر رسول الله صلي الله عليه وسلم ويقولون ما نظن ان يتم له امر وبالحري ان يكون الغلبة والدولة لهولاء وقيل او امر من عنده او ان يامر النبي صلي الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا علي نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون للناس فيه فعل كبني النضير الذين طرح الله في قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب ويقول الذين امنوا قري بالنصب عطفا علي قوله ان ياتي وبالرفع علي انه كلام مبتدا اي ويقول الذين امنوا في ذلك الوقت وقري يقول بغير واو وهي مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك علي انه جواب قايل يقول فماذا يقول المومنون حينيذ فقيل يقول الذين امنوا اهولاء الذين اقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم فان قلت لمن يقولون هذا القول قلت اما يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق في الاخلاص اهولاء الذين اقسموا لكم باغلاظ الايمان انهم اولياوكم ومعاضدوكم علي الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكي الله تعالي عنهم وان قوتلتم لننصرنكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين حبطت اعمالهم من جملة قول المومنين اي بطلت اعمالهم التي كانوا يتكلفونها في راي اعين الناس وفيه معني التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم او من قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم يا ايها الذين امنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف ياتي الله بقوم يحبهم ويحبونه قري من يرتد ومن يرتدد وهو في الامام بدالين وهو من الكاينات التي اخبر عنها في القران قبل كونها وقيل كان اهل الردة احدي عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم بنو مدلج ورييسهم ذو الخمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبا باليمن واستولي علي بلاده واخرج عمال رسول الله

فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ بن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدي
فيروز الديلمي بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون
وقبض رسول الله من الغد واتى خبره في شهر ربيع الاول وبنو حنيفة قوم مسيلمة تنبا وكتب
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض لله نصفها
لي ونصفها لك فاجابه محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء
من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضي الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدي وحشي
قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد في جاهليتي واسلامي
وبنو اسد قوم طليحة بن خويلد تنبا فبعث اليه رسول الله خالدا فانهزم بعد القتال الى الشام
ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع في عهد ابي بكر فزارة قوم عيينة بن حصن وغطفان قوم قرة
بن سلمة القشيري وبنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل وبنو يربوع قوم مالك بن نويرة وبعض
تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التي زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول
ابو العلاء المعري في كتاب استغفر واستغفري
امت سجاح ووالاها مسيلمة • كذابة في بني الدنيا وكذاب
وكندة قوم الاشعث بن قيس وبنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يدي
ابي بكر وفرقة واحدة في عهد عمر غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم
بعد اسلامه فسوف ياتي الله بقوم قيل لما نزلت اشار رسول الله الى ابي موسى الاشعري فقال قوم هذا
وقيل هم الفان من النخع وخمسة الاف من كندة وبجيلة وثلاثة الاف من افناء الناس جاهدوا يوم
القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب على عاتق سلمان
وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس يحبهم ويحبونه
محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة
الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضى عنهم واما ما يعتقده
اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم
من الجهلة والسفهاء شيئا وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق
والتغني على كراسيهم خربها الله في مراقصهم عطلها بابيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم
شهداء وصعقاتهم التي ابن عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم
كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها
ان الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن كذلك لم تكن فيه حقيقة فان قلت اين الراجع
من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط قلت هو محذوف معناه فسوف ياتي الله بقوم مكانهم
او بقوم غيرهم او ما اشبه ذلك اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين اذلة جمع ذليل واما ذلول
فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذي هو نقيض الصعوبة فقد غبي عن ان ذلولا لا يجمع على اذلة فان
قلت هلا قيل اذلة للمؤمنين اعزة على الكافرين قلت فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل
معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثاني انهم مع شرفهم
وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم اجنحتهم ونحوه قوله تعالى اشداء على الكفار
رحماء بينهم وقرئ اذلة واعزة بالنصب على الحال يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم
يحتمل ان تكون الواو للحال على انهم يجاهدون وحالهم في المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا
موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا في جيش المؤمنين خافوا اولياءهم اليهود فلا يعملون شيئا مما
يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم
قط وان تكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة في سبيل الله وانهم صلاب في دينهم اذا شرعوا
في امر من امور الدين انكار منكر او امر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا
اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم في انكارهم وصلابتهم في امرهم • واللومة المرة من
اللوم وفيها وفي التنكيرات مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيئا قط من لوم احد من اللوام
ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ذلك اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة و
المجاهدة وانتفاء خوف اللومة يؤتيه يوفق له من يشاء ممن يعلم ان له لطفا والله واسع كثير
الفواضل والالطاف عليم بمن هو من اهلها عقب النهي عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب
موالاتهم بقوله انما وليكم الله ورسوله والذين امنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة

وهم

وهم راكعون ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة فان قلت قد ذكرت جماعة
فهلا قيل انما اولياؤكم قلت اصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق
الاصالة ثم نظم في سلك اثباتها له واثباتها لرسول الله وللمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل
انما اولياؤكم الله ورسوله والذين امنوا لم يكن في الكلام تبع وفي قراءة عبد الله انما مولاكم
فان قلت الذين يقيمون ما محله قلت الرفع على البدل من الذين امنوا او على
هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين امنوا نفاقا او واطات
قلوبهم السنتهم الا انهم مفرطون في العمل • وهم راكعون الواو فيه للحال اي يعملون ذلك
في حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال
من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها في حال ركوعهم في الصلوة وانها نزلت في علي رضي الله
عنه حين سأله سائل وهو راكع في صلوته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا في خنصره •
فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلوته فان قلت كيف صح ان يكون لعلي رضي
الله عنه واللفظ لفظ جماعة قلت جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا
ليرغب الناس في مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون
على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التاخير وهم
في الصلوة لم يؤخروه الى الفراغ منها ومن يتول الله ورسوله والذين امنوا فان حزب الله
هم الغالبون فان حزب الله من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون
ولكنهم بذلك جعلوا اعلاما لكونهم حزب الله واصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل
ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد
بمن لا يغالب يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء روي ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحارث قد
اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت يعني ان اتخاذهم دينكم هزوا
ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة وفصل
المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان اهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة
والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين اشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة •
ابي ومن الكفار واتقوا الله في موالاة الكفار وغيرها ان كنتم مؤمنين حقا لان الايمان حقا يأبى
موالاة اعداء الدين واذا ناديتم الى الصلوة اتخذوها هزوا ولعبا اتخذوها الضمير للصلوة
او للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول اشهد ان محمدا رسول الله
قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة في البيت •
فاحرقت البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام
وحده ذلك بانهم قوم لا يعقلون لان لعبهم وهزءهم من افعال السفهاء والجهلة فكانهم لا عقل
لهم قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا ان امنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل
وان اكثركم فاسقون قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون
منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها • وان اكثركم فاسقون فان قلت
علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون قلت فيه وجوه منها ان يعطف على ان امنا بمعنى
وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون
منا الا مخالفتكم حين دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف
المضاف اي واعتقاد انكم فاسقون ومنها ان يعطف على المجرور اي وما تنقمون منا الا الايمان
بالله وبما انزل الينا وبان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف
كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل
عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا وروي انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من
اليهود فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون
فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والاخرة منكم ولا دينا شرا من
دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل انه ينتصب وان اكثركم بفعل
محذوف يدل عليه هل تنقمون اي ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون او يرتفع على الابتداء
والخبر محذوف اي وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانتم على الباطل الا ان

حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا قل هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند
الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير ذلك اشارة الي المنقوم ولا بد من حذف
مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله ومن لعنه الله في محل الرفع علي
قولك هو من لعنه الله كقوله قل افانبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر علي البدل من شر • وقري مثوبة ومثوبة
ومثالهما مشورة ومشورة فان قلت المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة قلت
وضعت المثوبة موضع العقوبة علي طريقة قوله • تحية بينهم ضرب وجيع • ومنه فبشرهم بعذاب اليم
فان قلت المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة قلت
كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في
الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم وعبد الطاغوت عطف علي صلة من كانه قيل
ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت علي المعني وقرا ابن مسعود ومن عبدوا وقري وعابد
الطاغوت عطفا علي القردة وعابدي وعبادي وعَبُدَ وعَبْدَ ومعناه الغلو في العبودة كقولهم رجل
حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال • ابني لبيني ان امكم امة • وان اباكم عبد •
وعُبُدَ بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت
التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت علي البناء للمفعول وحذف
الراجع بمعني وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعَبُدَ الطاغوت بمعني صار الطاغوت معبودا من دون
الله كقولك امر اذا صار اميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا علي من لعنه الله فان قلت كيف جاز
ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت قلت فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتي عبدوها والثاني انه
حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا وقيل الطاغوت
العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكان عبادتهم له عبادة
للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده
وقرا الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة والخنازير كفار اهل مائدة عيسي عليه السلام وقيل كلا
المسخين من اصحاب السبت فشبابهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروي انها لما نزلت كان
المسلمون يعيرون اليهود ويقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم اولئك الملعونون
الممسوخون شر مكانا جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست في قوله اولئك شر واضل
عن سواء السبيل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز واذا جاؤكم قالوا امنا وقد دخلوا ب
الكفر وهم قد خرجوا به والله اعلم بما كانوا يكتمون نزلت في ناس من اليهود كانوا يدخلون علي رسول
الله صلي الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك اي دخلوا
كافرين وخرجوا كافرين كما دخلوا لم يتعلق بهم شي مما سمعوا به من تذكيرك بايات الله ومواعظك
وقوله بالكفر وبه حالان اي دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر وكذلك قوله
وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضي من الحال ولمعني اخر وهو ان امارات النفاق
كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم متوقعا لاظهار ما كتموه فدخل حرف التوقع وقد
هو متعلق بقوله قالوا امنا اي قالوا ذلك وهذه حالهم وتري كثيرا منهم يسارعون في الاثم والعدوان
واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون الاثم الكذب بدليل قوله عن قولهم الاثم والعدوان الظلم وقيل
الاثم والعدوان الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان
ما يتعداهم الي غيرهم • والمسارعة في الشي الشروع فيه بسرعة لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن
قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون كانهم جعلوا اثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل
لا يسمي صانعا ولا كل عمل يسمي صناعة حتي يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعني في ذلك
ان مواقع المعصية معه الشهوة التي تدعوه اليها وتحمله علي ارتكابها واما الذي ينهاه فلا شهوة
معه في فعل غيره فاذا فرط في الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمري ان هذه الاية مما يقذ السامع
وينعي علي العلماء توانيهم وعن ابن عباس هي اشد اية في القران وعن الضحاك ما في القران اية اخوف عندي
منها وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله
تعالي ولا تجعل يدك مغلولة الي عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل
ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه كانهما كلامان متعقبان علي حقيقة واحدة
حتي انه يستعمله في ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها
ولو اعطي الاقطع الي المنكب عطاء جزلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا

معاقبتين

معاقبتين للبخل والجود وقد استعملوها حيث لا تصح اليد كقوله • جاد الحمي بسط اليدين بوابل •
شكرت نداه تلاعه ووهاده • ولقد جعل لبيد للشمال يدا في قوله •
• وغداة ريح قد كشفت وقرة • اذ اصبحت بيد الشمال زمامها •
ويقال بسط الياس كفيه في صدري فجعلت للياس الذي هو من المعاني لا من الاعيان كفان
ومن لم ينظر في علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب في تاويل امثال هذه الاية ولم يتخلص من يد الطاعن
اذا عبث به فان قلت قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل فما تصنع بقوله غلت
ايديهم ومن حقه ان يطابق ما تقدم والا تنافر الكلام وزل عن سننه قلت يجوز ان يكون
معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا ابخل خلق الله وانكدهم ونحوه بيت الاشتر •
• بقيت وحدي وانحرفت عن العلي • ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي
حقيقة يغللون في الدنيا اساري وفي الاخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ و
ملاحظة اصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب اصله القطع فان قلت
كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد قلت المراد به الدعاء بالخذلان
الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الي بخلهم ونكدا الي نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد
من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق اعراضهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان
فان قلت لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة قلت
ليكون رد قوله وانكاره ابلغ وادل علي اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله
السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز علي ذلك وقري ولعنوا بسكون العين وفي
مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشيه سجح وناقة سرح ينفق كيف
يشاء تاكيد للوصف بالسخاء ودلالة علي انه لا ينفق الا علي مقتضي الحكمة والمصلحة روي ان الله تعالي
كان قد بسط علي اليهود حتي كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله تعالي في محمد صلي الله عليه وسلم
وكذبوه كف الله ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي
بقوله الاخرون فاشركوا فيه وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا اي يزدادون
عند نزول القران لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بايات الله والقينا بينهم العداوة والبغضاء الي
يوم القيمة فكلمهم ابدا مختلف وقلوبهم شتي لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد كلما اوقدوا نارا
للحرب اطفاها الله كلما ارادوا محاربة احد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله علي احد قط وقد
اتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التورية فبعث الله عليهم بخت نصر ثم افسدوا
فسلط الله فطرس الرومي ثم افسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين •
وقيل كلما حاربوا رسول الله صلي الله عليه وسلم نصر عليهم وعن قتادة لا تلقي اليهود ببلدة الا وجدتهم
من اذل الناس ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ويجتهدون في الكيد للاسلام
ومحو ذكر رسول الله من كتبهم ولو ان اهل الكتاب مع ما عددنا من سيئاتهم امنوا برسول الله وبما جاء به
واتقوا وقرنوا ايمانهم بالتقوي التي هي الشريطة في الفوز بالايمان لكفرنا عنهم سيئاتهم لكفرنا عنهم
تلك السيئات ولم نواخذهم بها ولادخلناهم جنات النعيم مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي
اليهود والنصاري وكثرة سيئاتهم ودلالة علي سعة رحمة الله وفتحه باب التوبة علي كل عاص وان
عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصاري وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوي
كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب ولو انهم اقاموا التورية والانجيل اقاموا احكامهما وحدودهما عما
وما فيهما من نعت رسول الله صلي الله عليه وسلم وما انزل اليهم من ربهم من سائر كتب الله لانهم مكلفون
الايمان بجميعها فكانها انزلت اليهم وقيل هو القران لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا
وقوله لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم عبارة عن التوسعة وقيل لانزله اوجران نفيض
عليهم بركات من السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم
الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل من رؤس الاشجار ويلتقطون ما تساقط علي الارض من تحت
ارجلهم منهم امة مقتصدة طائفة حالها امم في عداوة رسول الله صلي الله عليه وسلم وقيل هي
الطائفة المومنة عبد الله بن سلام واصحابه وثمانية واربعون من النصاري وكثير منهم
ساء ما يعملون فيه معني التعجب كانه قيل وكثير منهم ما اسوا عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف واصحابه
والروم يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك جميع ما انزل اليك واي شي انزل اليك غير
مراقب في تبليغه احدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل وان لم تبلغ جميعه كما امرتك

فما بلغت رسالته وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذن ما كلفت من اداء الرسالات ولم تؤد منها
شيا قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من بعض فان لم تؤد بعضها فكانك اغفلت اداءها
جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لاداء كل منها بما يدلیه غيرها وكونها
كذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس
ان كتمت اية لم تبلغ رسالتي وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها
ذرعا فاوحى الله الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت **فان قلت** وقوع
قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته **قلت** فيه وجهان احدهما انه اذا لم يمتثل
امر الله تعالى في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كانه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لا خفاء بشناعته
فقيل ان تبلغ منها ادنى شيء وان كلمة واحدة فانت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها
كما عظم قتل النفس بقوله فكانما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد وان لم تفعل فلك ما يوجبه
كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام فاوحى
الله الي ان لم تبلغ رسالتي عذبتك **والله يعصمك من الناس** عدة من الله بالحفظ والكلاءة
والمعنى والله يضمن لك العصمة من اعاديك فما عذرك في مراقبتهم **فان قلت** اين ضمان العصمة
وقد شج وجهه يوم احد وكسرت رباعيته **قلت** المراد انه يعصمه من القتل وفيه ان عليه
ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم السلام وقيل نزلت بعد
يوم احد والناس الكفار بدليل قوله **ان الله لا يهدي القوم الكافرين** ومعناه انه لا يمكنهم
مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس
حتى نزلت فاخرج راسه من قبة ادم فقال انصرفوا يا ايها الناس فقد عصمني الله من الناس **قل
يا اهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم** لستم على شيء
اي على دين يعتد به حتى يسمى شيا لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير
شانه وفي امثالهم اقل من لا شيء **وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تاس
على القوم الكافرين** فلا تاسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك يرجع اليهم
لا اليك وفي المؤمنين غنى منهم **ان الذين امنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من امن
بالله واليوم الاخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** والصابئون رفع على الابتداء وخبره
محذوف والنية به التاخير عما في خبر ان من اسمها وخبرها كانه قيل ان الذين امنوا والذين هادوا والنصارى
حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له ⁂ ⁂ ⁂ ⁂
⁂ ⁂ والا فاعلموا انا وانتم ⁂ بغاة ما بقينا من شقاق ⁂ ⁂ ⁂ ⁂
اي فاعلموا انا بغاة وانتم كذلك **فان قلت** هلا زعمت ان ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها
قلت لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان **فان قلت** لم لا
يصح والنية به التاخير فكانك قلت ان زيدا منطلق وعمرو **قلت** لاني اذا رفعته رفعته عطفا
على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب ان يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم
الجزئين في عمله كما ينتظمها ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوي به التاخير بالابتداء وقد رفعت
الخبر بان لاعملت فيهما رافعين مختلفين **فان قلت** فقوله والصابئون معطوف لا بد له من المعطوف
عليه فما هو **قلت** هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين امنوا الى اخره ولا محل لها
كما لا محل للتي عطفت عليها **فان قلت** ما التقديم والتاخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم
قلت فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم
وذلك ان الصابئين ابين هولاء المعدودين ضلالا واشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن
الاديان كلها اي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وانتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة
من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم اوغل فيه منهم واثبت
قدما **فان قلت** فلو قيل والصابئين وايا كم لكان التقديم حاصلا **قلت** لو قيل هكذا لم يكن
من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه
ومجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام **فان قلت** كيف قيل الذين امنوا ثم قيل من امن **قلت**
فيه وجهان ان يراد بالذين امنوا بالسنتهم وهم المنافقون وان يراد بمن امن من ثبت على الايمان
واستقام ولم يخالجه ريبة فيه **فان قلت** ما محل من امن **قلت** اما الرفع على الابتداء وخبره
فلا خوف عليهم والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان واما النصب على البدل من

اسم

اسم ان وما عطف عليه او من المعطوف عليه **فان قلت** اين الراجع الى اسم ان **قلت**
محذوف تقديره من امن منهم كما جاء في مواضع اخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف
الهمزة كقراءة من قرا يستهزيون والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات
في دينهم ولم يتبعوا ادلة العقل والسمع وفي قراءة ابي والصابئين بالنصب وبها قرا ابن كثير وقرا عبد الله
يا ايها الذين امنوا والذين هادوا والصابئون **ولقد اخذنا ميثاق بني اسرائيل** ولقد اخذنا ميثاقهم
بالتوحيد **وارسلنا اليهم رسلا** ليقفوهم على ما ياتون وما يذرون في دينهم **كلما جاءهم رسول**
جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اي رسول منهم **بما لا تهوى انفسهم** بما يخالف
هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع **فان قلت** اين جواب الشرط فان قوله •
فريقا كذبوا وفريقا يقتلون ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن ان تقول
ان اكرمت اخي اخاك اكرمت **قلت** هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل
كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستانف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم **فان
قلت** لم جيء باحد الفعلين ماضيا وبالاخر مضارعا **قلت** جيء بيقتلون على حكاية الحال
الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحالة الشنيعة للتعجيب منها **وحسبوا ان لا تكون فتنة**
قرئ ان لا تكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على ان ان هي المخففة من الثقيلة اصله انه لا تكون فتنة
فخففت ان وحذف ضمير الشان **فان قلت** كيف دخل فعل الحسبان على ان التي هي للتحقيق ⁂
قلت نزل حسبانهم لقوته في صدورهم منزلة العلم **فان قلت** فاين مفعولا حسبت ⁂
قلت سد ما يشتمل عليه صلة ان وان من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب
بنو اسرائيل انهم لا يصيبهم من الله فتنة اي بلاء وعذاب في الدنيا والاخرة **فعموا** عن الدين **وصموا**
حتى عبدوا العجل **ثم تابوا** عن عبادة العجل **فتاب الله عليهم ثم عموا وصموا** كرة ثانية بطلبهم
المحال غير المعقول في صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم
اي رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك •
كثير منهم والله بصير بما يعملون كثير منهم بدل من الضمير او على قولهم اكلوني البراغيث او هو خبر
مبتدا محذوف اي اولئك كثير منهم **لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح
يا بني اسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم** لم يفرق عيسى صلوات الله عليه بينه وبينهم في انه عبد مربوب
كمثلهم وهو احتجاج على النصارى **انه من يشرك بالله** في عبادته او فيما هو مختص به من صفاته
او افعاله **فقد حرم الله عليه الجنة** التي هي دار الموحدين اي حرمه دخولها ومنعه منه كما
يمنع المحروم من المحرم عليه **وماواه النار وما للظالمين من انصار** من كلام الله على انهم ظلموا
وعدلوا عن سبيل الحق فيما تقولوا على عيسى فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم ورده وانكره
وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم
احد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول او ولا ينصركم ناصر في الاخرة من
عذاب الله **لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما
يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب اليم** من في قوله وما من اله الا الله واحد للاستغراق
وهي المقدرة مع لا التي لنفي الجنس في كقولك لا اله الا الله والمعنى وما اله قط في الوجود الا اله
موصوف بالوحدانية لا ثاني له وهو الله وحده لا شريك له • ومن في قوله ليمسن الذين كفروا منهم
للبيان كالتي في قوله فاجتنبوا الرجس من الاوثان **فان قلت** في اقامة الظاهر مقام المضمر
فائدة وهي تكرير الشهادة عليهم بالكفر في قوله لقد كفر الذين قالوا وفي البيان فائدة اخرى
وهو الاعلام في تفسير الذين كفروا منهم انهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى
خاصة عذاب اليم اي نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطني عشرين من الثياب خاصة لا من •
غيرها من الاجناس التي يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز ان تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين •
بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية **افلا يتوبون الى الله ويستغفرونه** الا
يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب
من اصرارهم **والله غفور رحيم** يغفر لهولاء ان تابوا ولغيرهم **ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت
من قبله الرسل** صفة لرسول اي ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بايات الله
كما اتوا بامثالها ان ابرا الله الاكمه والابرص واحيى الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى •
وفلق البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق ادم من غير ذكر ولا انثى **وامه صديقة**

كانا يأكلان الطعام اي وما امه ايضا الا كبعض النساء المصدقات للانبياء المومنات
بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والاخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى
وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما وبينهم
بوجه من الوجوه ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله كانا ياكلان الطعام لان من احتاج الى
الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق واعصاب
واخلاط وامزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام
انظر كيف نبين لهم الايات اي الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم انى يؤفكون
كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله فان قلت ما معنى التراخي في قوله ثم انظر قلت
معناه ما بين العجبين يعني انه بين لهم الايات بيانا عجيبا وان اعراضهم عنها اعجب منه قل اتعبدون
من دون الله ما لا يملك لكم ضرا ولا نفعا ما لا يملك هو عيسى اي شيئا لا يستطيع ان يضركم
بمثل ما يضركم به من صحة الا ان الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل
ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب لان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فبا
قدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيئا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله
لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته والله
هو السميع العليم متعلق باتعبدون اي اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما يقولون
ويعلم ما يعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع
ويعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير
الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل غير الحق صفة للمصدر اي لا تغلوا في دينكم
غلوا غير الحق اي غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان غلو حق وهو ان يفحص عن حقائقه ويفتش
عن اباعد معانيه ويجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد وغلو باطل
وهو ان يتجاوز الحق ويتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعله اهل الاهواء والبدع قد ضلوا
من قبلهم ائمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم واضلوا كثيرا ممن
شايعهم على التثليث وضلوا لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سواء السبيل حين كذبوه وحسدوه
وبغوا عليه لعن الذين كفروا من بني اسرائيل نزل الله لعنهم في الزبور على لسان داود وفي الانجيل
على لسان وعيسى ابن مريم وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود اللهم العنهم واجعلهم
اية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسى بعد المائدة قال عيسى عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما اكل
من المائدة عذابا لم تعذبه احدا من العالمين والعنهم كما لعنت اصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا
خمسة الاف رجل ما فيهم امراة ولا صبي ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون اي لم يكن ذلك اللعن
الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء اخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله
كانوا لا يتناهون عن منكر لا ينهى بعضهم بعضا عن منكر فعلوه ثم قال لبئس ما كانوا يفعلون
للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن
المناكير وقلة عبائهم به كانه ليس من ملة الاسلام في شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من
المبالغات في هذا الباب فان قلت كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسيرا للمعصية والاعتداء
قلت من قبل ان الله عز وجل امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان التناهي
حسم للفساد فكان تركه على عكسه فان قلت ما معنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهي
بعد الفعل قلت معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه وعن مثل منكر فعلوه او عن
منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض في الفسق والاته تسوى وتهيأ فتنكر ويجوز ان
يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهى
عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا هم منافقوا اهل
الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم هو
المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الاخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط
الله وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما انزل اليه ولو كانوا يؤمنون
ايمانا خالصا من غير نفاق ما اتخذوهم ما اتخذوا المشركين اولياء يعني ان موالاة المشركين كفى
بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان ولكن كثيرا منهم فاسقون متمردون في كفرهم ونفاقهم
وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون

لتجدن

لتجدن اشد الناس عداوة للذين امنوا اليهود والذين اشركوا ولتجدن اقربهم
مودة للذين امنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا
وانهم لا يستكبرون وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة
النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين في شدة العداوة
للمومنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل في قوله ولتجدنهم
احرص الناس على حيوة ومن الذين اشركوا ولعمري انهم لكذلك واشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا
يهوديان بمسلم الا هما بقتله وعلل سهولة ماخذ النصارى وقرب مودتهم للمومنين بان منهم
قسيسين ورهبانا اي علماء وعبادا وانهم قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود
على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان العلم انفع شيء واهداه الى الخير وادله على الفوز حتى علم
القسيسين وكذلك علم الاخرة والتحدث بالعاقبة وان كان في راهب والبراءة من الكبر وان كان
في نصراني واذا سمعوا ما انزل الى الرسول ترى اعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من
الحق ووصفهم برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القران وذلك نحو ما يحكى عن النجاشي
انه قال لجعفر بن ابي طالب حين اجتمع في مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركون وهم يغرونه
عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل في كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقراها
الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرا سورة طه الى قوله وهل اتاك حديث موسى فبكى النجاشي وكذلك
فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرا عليهم رسول الله
سورة يس فبكوا فان قلت بم تعلقت اللام في قوله للذين امنوا قلت بعداوة
ومودة على ان عداوة اليهود التي اختصت المومنين اشد العداوات واظهرها وان مودة
النصارى التي اختصت المومنين اقرب المودات وادناها وجودا واسهلها حصولا ووصف
اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف المودة والعداوة
بالاقرب والاشد فان قلت ما معنى قوله تفيض من الدمع
قلت معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع
ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذي هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب
مقام السبب او قصدت المبالغة في وصفهم بالبكاء فجعلت اعينهم كانها تفيض بانفسها
اي تسيل من الدمع من اجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا فان قلت اي فرق بين من ومن
في قوله مما عرفوا من الحق قلت الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدا ونشا من معرفة الحق
وكان من اجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذي هو ما عرفوا ويحتمل معنى التبعيض على انهم
عرفوا بعض الحق فابكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرءوا القران واحاطوا بالسنة وقرئ
ترى اعينهم على البناء للمفعول يقولون ربنا امنا المراد به انشاء الايمان والدخول فيه فاكتبنا
مع الشاهدين من امة محمد الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيمة لتكونوا شهداء على الناس
وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم في الانجيل كذلك وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع
ان يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين وما لنا لا نؤمن انكار واستبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه
وهو الطمع في انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فاجابوهم بذلك
او ارادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب
على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك ما لك قائما والواو في ونطمع واو الحال فان قلت ما العامل
في الحال الاولى والثانية قلت العامل في الاولى ما في اللام من معنى الفعل كانه قيل
اي شيء حصل لنا غير مؤمنين وفي الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو ازلتها
وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على انهم انكروا على
انفسهم انهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على
لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع في صحبة الصالحين او على معنى وما لنا
لا نجمع بينهما بالدخول في الاسلام لان الكافر ما ينبغي له ان يطمع في صحبة الصالحين فاثابهم الله
بما قالوا جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا
باياتنا اولئك اصحاب الجحيم قرا الحسن فاتاهم الله بما قالوا بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا
قول فلان اي اعتقاده وما يذهب اليه يا ايها الذين امنوا لا تحرموا طيبات ما احل الله لكم
ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها انفسكم كمنع التحريم او لا تقولوا حرمناها

على انفسنا مبالغة منكم في العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم وصف القيمة لاصحابه يوما فبالغ واشبع الكلام في الانذار فرقوا واجتمعوا في بيت
عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صايمين وان لا يناموا على الفرش ولا ياكلوا اللحم
والودك ولا يقربوا النسا والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا ويجبوا مذاكيرهم
فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم اني لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا و
افطروا وقوموا وناموا فاني اقوم وانام واصوم وافطر واكل اللحم والدسم واتي النسا فمن رغب
عن سنتي فليس مني ونزلت وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ياكل الدجاج والفالوذ وكان
يعجبه الحلوا والعسل وقال ان المومن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود رضي الله عنهما ان رجلا
قال له اني حرمت الفراش فتلا هذه الاية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن انه
دعي الى طعام ومعه فرقد السبخي واصحابه فقعدوا على المايدة وعليها الالوان من الدجاج
المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية فسال الحسن اهو صايم قالوا لا ولكنه يكره
هذه الالوان فاقبل الحسن عليه وقال يا فريقد اترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن
يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا ياكل الفالوذ ويقول لا اودي شكره قال افيشرب الما
البارد قال نعم قال انه جاهل ان نعمة الله في الما البارد من نعمته عليه في الفالوذ وعنه ان الله
تعالى ادب عباده فاحسن ادبهم قال لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم
الدنيا فتنعموا واطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين
ولا تتعدوا ما احل لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات او جعل تحريم الطيبات
اعتدا وظلما فنهى عن الاعتدا ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه •
او اراد ولا تعتدوا بذلك وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا اي من الوجوه الطيبة التي تسمى
رزقا حلالا حال مما رزقكم الله واتقوا الله تاكيد للتوصية بما امر به • وزاد تاكيدا بقوله •
الذي انتم به مومنون لان الايمان به يوجب التقوى في الانتها الى ما امر به وعما نهى عنه لا يواخذكم
الله باللغو في ايمانكم اللغو في اليمين الساقط الذي لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عايشة
رضي الله عنها انها سيلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله وبلى والله وهو مذهب الشافعي رحمه الله
وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشي يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو قول ابي حنيفة رحمه الله ::
ولكن يواخذكم بما عقدتم الايمان بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروي
ان الحسن سيل عن لغو الايمان وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني اجب عنك فقال
:: • ولست بماخوذ بلغو تقوله • اذا لم تتعمد عاقدات العزايم • ::
وقري عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يواخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت
المواخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف فكفارته اطعام
عشرة مساكين فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شانها ان تكفر الخطيئة
اي تسترها من اوسط ما تطعمون اهليكم من اقصده لان منهم من يسرف في اطعام اهله ومنهم
من يقتر وهو عند ابي حنيفة نصف صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين او يغديهم ويعشيهم
وعند الشافعي رحمه الله تعالى مد لكل مسكين وقرا جعفر بن محمد اهاليكم بسكون اليا والاهالي اسم
جمع لاهل كالليالي في جمع ليلة والاراضي في جمع ارض وقولهم اهلون كقولهم ارضون بسكون
الرا واما تسكين اليا في حال النصب فللتخفيف كما قالوا رايت معد يكرب تشبيها لليا بالالف
او كسوتهم عطف على محل من اوسط وقري بضم الكاف ونحوه قدوة في قدوة واسوة في اسوة و
الكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس كانت العباة تجزي يومئذ وعن ابن عمر ازار وقميص
او ردا او كسا وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرا سعيد بن المسيب و
اليماني او كاسوتهم بمعنى او بمثل ما تطعمون اهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تنقصونهم عن
مقدار نفقتهم ولكن تواسون بينهم وبينهم فان قلت ما محل الكاف قلت الرفع
تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم تطعمهم الاوسط او تحرير رقبة شرط الشافعي
الايمان قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله فقد جوزوا تحرير الرقبة
الكافرة في كل كفارة سوى القتل فان قلت ما معنى او قلت التخيير وايجاب
احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق بايتها اخذ المكفر فقد اصاب فمن لم يجد احدها فصيام
ثلاثة ايام متتابعات عند ابي حنيفة رحمه الله تمسكا بقراة ابي وابن مسعود فصيام ثلاثة

ايام

ايام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضا رمضان ويخير في كفارة اليمين
ذلك المذكور كفارة ايمانكم اذا حلفتم ولو قيل تلك كفارة لكان صحيحا بمعنى تلك الاشيا
او لتانيث الكفارة والمعنى اذا حلفتم وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة
انما تجب بالحنث في الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابي حنيفة واصحابه
رحمهم الله ويجوز عند الشافعي رحمه الله اذا لم يعص الحانث واحفظوا ايمانكم فبروا فيها
ولا تحنثوا اراد الايمان التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض
الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بان تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم ولا تنسوها
تهاونا بها كذلك مثل ذلك البيان يبين الله لكم اياته اعلام شريعته واحكامه لعلكم
تشكرون نعمته فيما يعلمكم ويسهل عليكم المخرج منه يا ايها الذين امنوا انما الخمر والميسر
والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان
ان يوقع بينكم العداوة في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم
منتهون اكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التاكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما
بعبادة الاصنام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما
رجسا كما قال فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان
لا ياتي منه الا الشر البحت ومنها انه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح
واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ما ينتج منهما
من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض بين اصحاب الخمر والقمر وما يوديان اليه من الصد
عن ذكر الله وعن مراعاة اوقات الصلوة وقوله • فهل انتم منتهون من ابلغ ما ينهى به
كانه قيل قد تلي عليكم ما فيهما من انواع الصوارف والموانع فهل انتم مع هذه الصوارف
منتهون ام انتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا فان قلت الى م يرجع الضمير
في قوله فاجتنبوه قلت الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شان الخمر والميسر •
او تعاطيهما او ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان فان قلت لم جمع الخمر
والميسر مع الانصاب والازلام اولا ثم افردهما اخرا قلت لان الخطاب مع المومنين وانما
نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتاكيد تحريم
الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من اعمال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه
لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب وبين من شرب خمرا او قامر ثم افردهما بالذكر
ليري ان المقصود بالذكر الخمر والميسر وقوله وعن الصلوة اختصاص للصلوة من بين الذكر كانه قيل
وعن الصلوة خصوصا واطيعوا الله واطيعوا الرسول واحذروا وكونوا حذرين خاشين لانهم
اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقا كل سيية وعمل كل حسنة ويجوز ان يراد واحذروا ما عليكم في
الخمر والميسر او في ترك طاعة الله والرسول فان توليتم فاعلموا انكم لن تضروا بتوليكم الرسول انما على
رسولنا البلاغ المبين لان الرسول ما كلف الا البلاغ المبين بالايات وانما ضررتم انفسكم حين
اعرضتم عما كلفتموه ليس على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا رفع الجناح عن المومنين
في اي شي طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها اذا ما اتقوا ما حرم عليهم منها وامنوا وعملوا
الصالحات وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه ثم اتقوا وامنوا ثم ثبتوا على التقوى و
الايمان ثم اتقوا واحسنوا ثم ثبتوا على اتقا المعاصي • واحسنوا اعمالهم واحسنوا الى الناس فاسوهم
بما رزقهم الله من الطيبات والله يحب المحسنين وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يا رسول الله
فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر وياكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المومنين لا جناح
عليهم في اي شي طعموه من المباحات اذا اتقوا المحارم ثم اتقوا وامنوا ثم اتقوا واحسنوا على
معنى ان اوليك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان
ومثاله ان يقال لك اتقي المحارم وكان مومنا محسنا تريد ان زيدا تقي مومن محسن وانه غير مواخذ
بما فعل • نزلت عام الحديبية يا ايها الذين امنوا ليبلونكم الله بشي من الصيد تناله ايديكم
ورماحكم ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون
من صيده اخذا بايديهم وطعنا برماحهم ليعلم الله من يخافه بالغيب ليتميز من يخاف عقاب الله
وهو غايب منتظر في الاخرة فيتقي الصيد ممن لا يخافه فيقدم عليه فمن اعتدى فصاد بعد
ذلك الابتلا فله عذاب اليم فالوعيد لاحق به فان قلت ما معنى التقليل والتصغير في قوله

الشيطان

بشيء من الصيد **قلت** قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض
عندها اقدام الثابتين كالابتلا ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلي به اهل
ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف يثبتون عند ما هو اشد منه وقرا ابرهيم
يناله بالياء **يا ايها الذين امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل**
ما قتل من النعم حرم محرمون جمع حرام كردح جمع رداح • والمتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه او
عالم انما يقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه او رمى صيدا وهو يظن انه ليس
بصيد فاذا هو صيد او قصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فاصاب صيدا فهو مخطئ
فان قلت فمحظورات الاحرام يستوي فيها العمد والخطا فما بال التعمد مشروطا في الاية •
قلت لان مورد الاية فيمن تعمد فقد روي انه عن لهم في عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه
ابو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قد قتلت الصيد وانت محرم فنزلت ولان الاصل فعل
المتعمد والخطا لاحق به للتغليظ والدليل عليه قوله ليذوق وبال امره ومن عاد فينتقم الله منه وعن
الزهري نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطا وعن سعيد بن جبير لا ارى في الخطا شيئا اخذا
باشتراط العمد في الاية وعن الحسن روايتان فجزاء مثل ما قتل برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه
جزاء مماثل لما قتل من الصيد وهو عند ابي حنيفة رحمه الله قيمة المصيد تقوم حيث صيد فان
بلغت قيمته ثمن هدي تخير بين ان يهدي من النعم ما قيمته قيمة الصيد وبين ان يشتري بقيمته
طعاما فيعطي كل مسكين نصف صاع من بر او صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين
يوما فان فضل ما لا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما او تصدق به وعند محمد والشافعي
رحمهما الله تعالى مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير في النعم عدل الى قول ابي حنيفة رحمه الله
فان قلت فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله من النعم وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ
الكعبة **قلت** قد خير من اوجب القيمة بين ان يشتري بها هديا او طعاما او يصوم كما خير
الله تعالى في الاية فكان قوله من النعم بيانا للهدي المشترى بالقيمة من احد وجوه التخيير لان من
قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فاهداه فقد جزى بمثل ما قتل من النعم على ان التخيير الذي في الاية
بين ان يجزي بالهدي او يكفر بالاطعام او الصوم وانما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم
ونظر بعد التقويم اي الثلاثة يختار فاما اذا عمد الى النظير وجعل الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان
شيئا لا نظير له قوم حينئذ ثم تخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما في الاية الا ترى الى قوله •
او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل اليه الا بالتقويم
وقرا عبد الله فجزاؤه مثل ما قتل وقرئ فجزاء مثل ما قتل على الاضافة واصله فجزاء مثل ما قتل بنصب
مثل بمعنى فعليه ان يجزي مثل ما قتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرا السلمي
على الاصل وقرا محمد بن مقاتل فجزاء مثل ما قتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ما قتل وقرا الحسن من النعم
بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه **يحكم به** بمثل ما قتل **ذوا عدل منكم** حكمان عادلان
من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد
دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه اصاب ظبيا وهو محرم فسال عمر فشاور عبد الرحمن بن
عوف ثم امره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ما علم امير المومنين حتى سال غيره فاقبل
عليه ضربا بالدرة فقال اتغمص الفتيا وتقتل الصيد وانت محرم قال الله تعالى يحكم به ذوا عدل
منكم فانا عمر وهذا عبد الرحمن وقرا محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم
يرد الوحدة وقيل اراد الامام **هديا بالغ الكعبة** هديا حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان
الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان
ينتصب حالا عن الضمير في به ووصف هديا ببالغ الكعبة لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه
الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعي رحمه
الله في الحرم **او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما** **فان قلت** بم يرجع
كفارة من ينصب جزاء **قلت** يجعلها خبر مبتدا محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة
او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة
وهذه الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة
وقرا الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد عن الجنس
وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم

الاطعام

والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالاخر حتى
اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح وغيره ونحوهما الحمل
والحمل وذلك اشارة الى الطعام وصياما تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك
الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف رحمهما الله وعند محمد رحمه الله الى الحكمين **ليذوق**
وبال امره متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة
الاحرام • والوبال المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه من قوله
تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرا •
عفا الله عما سلف لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله فتسالوه عن جوازه
وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها
محرما **ومن عاد** الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي عنه **فينتقم الله منه والله عزيز**
ذو انتقام فينتقم خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن
يومن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منها في الاخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فعن
عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح
انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة **احل لكم صيد البحر** مصيدات البحر مما
يوكل ومما لا يوكل **وطعامه متاعا لكم وللسيارة** وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع
بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم اكل الماكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة رحمه الله
وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد فيه على ان تفسير الاية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان
تطعموه • متاعا لكم مفعول له اي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا
له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما
ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه وتمتيعا لتنائكم تاكلونه طريا ولسيارتكم
تزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر وقرئ وطعمه **وحرم**
عليكم صيد البر ما دمتم حرما وصيد البحر ما صيد فيه وهو ما تفرخ فيه وان كان يعيش في
الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة رحمه الله واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل
شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير
انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه
قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم
الله لا يباح له ما صيد لاجله **فان قلت** ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر **قلت**
قد اخذ ابو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما لان ظاهره
انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر
فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا ايها الذين
امنوا لا تقتلوا الصيد وانتم حرم وقرا ابن عباس وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ
ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام **واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة**
البيت الحرام البيت الحرام عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما يجيء الصفة كذلك
قياما للناس انتعاشا لهم في امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم في معاشهم
ومعادهم لما يتم من امر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابي رباح لو تركوه
عاما واحدا لم ينظروا ولم يوخروا **والشهر الحرام** والشهر الذي يودى فيه الحج وهو ذو الحجة لان
لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شانا قد عرفه الله وقيل عني به جنس الاشهر
الحرم **والهدي والقلائد** والمقلد منه خصوصا وهو البدن لان الثواب فيه اكثر وبها الحج معه
اظهر **ذلك** اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس والى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد
وغيره **لتعلموا ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض وان الله بكل شيء عليم** لتعلموا
ان الله يعلم كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وينعشكم مما امركم به وكلفكم **اعلموا ان الله شديد**
العقاب لمن انتهك محارمه **وان الله غفور رحيم** لمن حافظ عليها **ما على الرسول الا البلاغ**
تشديد في ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم
الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم في التفريط **والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوي**
الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله وان كان

قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروه لكثرته على الطيب القليل فان ما تتوهمونه
في الكثرة من الفضل لا يوازي النقصان في الخبث وفوات الطيب وهو عام في حلال المال
وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم فاتقوا الله
يا اولي الالباب واثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر لعلكم تفلحون ومن حق هذه
الاية ان تكفح بها وجوه المجبرة اذا افتخروا بالكثرة ⁘
كما ترى بعيدا ان سعدا كثيرة ⁘ ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا
ولا يدهمنك من دهمائهم عدد ⁘ فان جلهم بل كلهم بقر
وقيل نزلت في حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان
كانوا مشركين يا ايها الذين امنوا لا تسالوا عن اشياء ان تبد لكم تسؤكم وان تسالوا عنها
حين ينزل القران تبد لكم عفا الله عنها الجملة الشرطية والمعطوفة عليها اعني قوله ان تبد لكم
تسؤكم وان تسالوا عنها حين ينزل القران تبد لكم صفة لاشيا والمعنى لا تكثروا مسالة رسول
الله صلى الله عليه وسلم حتى تسالوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم بها وكلفكم اياها تغمكم
وتشق عليكم وتندموا على السوال عنها وذلك نحو ما روي ان سراقة بن او عكاشة بن محصن
قال يا رسول الله الحج علينا كل عام فاعرض عنه رسول الله حتى اعاد مسالته ثلاث مرات فقال
صلى الله عليه وسلم ويحك وما يؤمنك ان اقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت ما استطعتم
ولو تركتم لكفرتم فاتركوا ما تركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على
انبيائهم فاذا امرتكم بامر فخذوا منه ما استطعتم واذا نهيتكم عن شي فاجتنبوه وان تسالوا
عنها حين ينزل القران وان تسالوا عن هذه التكاليف الصعبة في زمان الوحي وهو ما دام الرسول
بين اظهركم يوحى اليه تبد لكم تلك التكاليف التي تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب
الله بالتفريط فيها عفا الله عنها عفا الله عما سلف من مسالتكم فلا تعودوا الى مثلها والله غفور
حليم لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته فان قلت كيف قال لا تسالوا عن اشياء ثم قال
قد سالها قوم من قبلكم ولم يقل قد سال عنها قلت الضمير في سالها ليس براجع الى اشيا
حتى يجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسالة التي دل عليها لا تسالوا يعني قد سال هذه
المسالة قوم من الاولين ثم اصبحوا بها اي بمرجوعها او بسببها كافرين وذلك انهم بنو اسرائيل
كانوا يستفتون انبياءهم عن اشيا فاذا امروا بها تركوها فهلكوا ما جعل الله من بحيرة ولا
سائبة ولا وصيلة ولا حام كان اهل الجاهلية اذا انتجت الناقة خمسة ابطن اخرها
ذكر بحروا اذنها اي شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعى واذا لقيها المعيي لم
يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفري او برئت من مرضي فناقتي سائبة
فلا عقل بينها ولا ميراث واذا ولدت الشاة انثى فهي لهم وان ولدت ذكرا فهو لالهتهم وان
ولدت ذكرا وانثى قالوا وصلت اخاها فلم يذبحوا الذكر لالهتهم • واذا نتجت من صلب الفحل عشرة
ابطن قالوا قد حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى • ومعنى ما جعل ما شرع
ذلك ولا امر بالتبحير والتسييب وغير ذلك ولكن الذين كفروا ولكنهم بتحريم ما حرموا يفترون
على الله الكذب واكثرهم لا يعقلون فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون
في تحريمها كبارهم واذا قيل لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا
عليه اباءنا اولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون الواو في قوله اولو كان اباؤهم
واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره احسبهم ذلك ولو كان اباؤهم لا يعلمون شيا
ولا يهتدون والمعنى ان الاقتدا انما يصح بالعالم المهتدي وانما يعرف اهتداؤه بالحجة يا ايها
الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما
كنتم تعملون كان المؤمنون تذهب انفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون
دخولهم في الاسلام فقيل لهم عليكم انفسكم وما كلفتم من اصلاحها والمشي بها في طرق الهدى
لا يضركم الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
وكذلك من يتاسف على ما فيه الفسقة من الفجور والمعاصي ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو
مخاطب به وليس المراد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد
وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الاية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده
فقال ان هذا ليس بزمانها وانها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان ياتي زمان تامرون فلا يقبل منكم

فحينئذ

فحينئذ عليكم انفسكم فهي على هذا تسلية لمن يامر وينهى فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه
ليس هذا زمان تاويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسجن وعن ابي ثعلبة
الخشني انه سيل عن ذلك فقال للسايل سالت عنها خبيرا سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا ما رايت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة
واعجاب كل ذي راي برايه فعليك نفسك ودع امر العوام وان من ورائكم اياما الصبر فيهن كقبض
على الجمر للعامل منهم اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت
اباك ولاموه فنزلت عليكم انفسكم • عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك
جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع وهو قوله لا يضركم وقرى لا يضركم وفيه وجهان
ان يكون خبرا مرفوعا حال تريد الاخبار لا خبر المبتدا وينصره قراءة ابي حيوة لا يضيركم وان يكون
جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الرا اتباعا لضمة الرا الضاد المنقولة اليها من الرا المدغمة والاصل
الاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره
يا ايها الذين امنوا شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم
او اخران من غيركم ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدا الذي هو شهادة بينكم على تقدير شهادة بينكم
شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرا الشعبي
شهادة بينكم بالتنوين وقرا الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر
ظرف للشهادة • وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور
اللازمة التي ما ينبغي ان يتهاون بها المسلم ويذهل عنها • وحضور الموت مشارفته وظهور
امارات بلوغ الاجل • منكم من اقاربكم من غيركم من الاجانب • ان انتم ضربتم في الارض فاصابتكم
مصيبة الموت يعني ان وقع الموت في السفر ولم يكن احد من عشيرتكم فاستشهدوا اجنبيين على
الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو اصلح وهم له انصح وقيل منكم
من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لا تجوز شهادة الذمي على المسلم وانما جازت
في اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم في حال السفر وعن مكحول نسخها قوله واشهدوا
ذوي عدل منكم وروي انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاص وكان من المهاجرين
مع عدي بن زيد وتميم بن اوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا
فيه ما معه وطرحه في متاعه ولم يخبر به صاحبيه واوصى اليهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات
ففتشا متاعه واخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب
اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
تحبسونهما تقفونهما وتصبرونهما للحلف من بعد الصلوة من بعد صلوة العصر لانه وقت اجتماع
الناس وعن الحسن بعد العصر والظهر لان اهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفي حديث
بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر ودعا بعدي وتميم فاستحلفهما
عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلوة اهل
الذمة وهم يعظمون صلاة العصر فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشتري به ثمنا قليلا
ولو كان ذا قربى ان ارتبتم اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم في شانهما
واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد
الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوي اذا
اتهمهما والضمير في به للقسم وفي كان للمقسم له يعني لا نستبدل بصحة القسم بالله عرضا من
الدنيا اي لا نحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه
عادتهم في صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله كونوا قوامين بالقسط شهداء لله
ولو على انفسكم او الوالدين والاقربين ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الاثمين شهادة الله اي
الشهادة التي امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدا الله بالمد
على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروي عنه بغير مد على ما ذكر سيبويه
ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا وقرى
لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادلولى فان
قلت ما موقع تحبسونهما قلت هو استيناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة
فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما فان قلت كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر

وهي مطلقة قلت لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها أغنى ذلك عن التقييد
كما لو قلت في بعض أئمة الفقه إذا صلى أخذ في الدرس علم أنها صلاة الفجر ويجوز أن تكون
اللام للجنس وأن يقصد بالتحليف على أثر الصلاة أن تكون الصلاة لطفا في النطق بالصدق
وناهية عن الكذب والزور إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر. فإن عثر فإن اطلع على أنهما
استحقا إثما أي فعلا ما أوجب إثما واستوجبا أن يقال إنهما لمن الآثمين. فآخران فشاهدان آخران
يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان أي من الذين استحق عليهم الإثم ومعناه
من الذين جني عليهم وهم أهل الميت وعشيرته وفي قصة بديل أنه لما ظهرت خيانة الرجلين
حلف رجلان من ورثته أنه إناء صاحبهما وأن شهادتهما أحق من شهادتهما. والأوليان
الأحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الأوليان كأنه قيل ومن هما فقيل
الأوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان أو من آخران. ويجوز أن يرتفعا باستحق أي من
الذين استحق عليهم انتداب الأولين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة الحال وقرئ
الأولين على أنه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الأولية التقدم
على الأجانب بالشهادة لكونهم أحق بها وقرئ الأولين على التثنية وانتصابه على المدح.
وقرأ الحسن الأولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وأبو حنيفة وأصحابه رحمهم الله
لا يرون ذلك فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين أنهما قد اختانا فحلفا فلما
ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لإنكارهم الشراء فإن
قلت فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الأوليان على البناء للفاعل وهو علي وأبي وابن عباس
قلت معناه من الورثة الذين استحق عليهم الأوليان من بينهم بالشهادة أن يجردوهما
للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما
وما اعتدينا إنا إذا لمن الظالمين ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن
ترد أيمان بعد أيمانهم ذلك الذي تقدم من بيان الحكم أدنى أن يأتي الشهداء على نحو تلك
الحادثة بالشهادة على وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان أن تكرر أيمان شهود آخرين بعد
أيمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل واتقوا الله واسمعوا سمع إجابة و
قبول والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل يوم يجمع بدل من المنصوب في
قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كأنه قيل واتقوا الله يوم جمعه أو ظرف لقوله لا يهدي
أي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم أو ينصب بإضمار اذكر أو احذروا يوم يجمع الله الرسل
كان كيت وكيت فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب وماذا منتصب
بأجبتم انتصاب مصدره على معنى أي إجابة أجبتم ولو أريد الجواب لقيل بماذا أجبتم
فإن قلت ما معنى سؤالهم يقولون لا علم لنا وقد قلت توبيخ قومهم كما كان سؤال
الموؤدة توبيخا للوائد فإن قلت فكيف يقولون لا علم لنا وقد علموا بما أجيبوا قلت
يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ أعدائهم فيكلون الأمر إلى علمه وإحاطته بما منوا به منهم
وكابدوا من سوء إجابتهم إظهارا للتشكي واللجاء إلى ربهم في الانتقام منهم وذلك أعظم
على الكفرة وأفت في أعضادهم وأجلب لحسرتهم وسقوطهم في أيديهم إذا اجتمع توبيخ
الله وتشكي أنبيائه عليهم ومثاله أن ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة
من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه
فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته
فيقول له أنت أعلم بما فعل بي تفويضا للأمر إلى علم السلطان واتكالا عليه وإظهارا للشكاية
وإظهار الماحل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد
ما تثوب إليهم عقولهم بالشهادة على أممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به
لأنك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها إجابة الأمم لرسلهم
فكأنه لا علم لنا إلى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وإنما الحكم للخاتمة وكيف
يخفى عليهم أمرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين وقرئ علام الغيوب
بالنصب على أن الكلام قد تم بقوله إنك أنت أي إنك الموصوف بأوصافك المعروفة من
العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص أو على النداء أو هو صفة لاسم إن إذ قال
الله يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ قال الله بدل من يوم يجمع

والمعنى

والمعنى أنه توبيخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن إجابتهم وتعديد ما أظهر على أيديهم
من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة أو جاوزوا حد التصديق إلى أن اتخذوهم آلهة
كما قال بعض بني إسرائيل فيما أظهر على يد عيسى من البينات هو سحر مبين واتخذه بعضهم وأمه
إلهين إذ أيدتك قويتك وقرئ آيدتك على أفعلتك بروح القدس بالكلام الذي يحيى
به الدين وأضافه إلى القدس لأنه سبب الطهر من أوضار الآثام والدليل عليه قوله تكلم
الناس في المهد في موضع الحال لأن المعنى تكلمهم طفلا وكهلا إلا أن في المهد فيه دليل
على حد الطفولية وقيل روح القدس جبريل أيد به لتثبيت الحجة فإن قلت ما معنى
قوله في المهد وكهلا قلت معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير أن يتفاوت كلامك
في حين الطفولية وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الأشد والحد الذي يستنبأ
فيه الأنبياء. وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل خصا بالذكر مما تناوله الكتاب
والحكمة لأن المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط والحكمة الكلام المحكم الصواب
وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير هيئة مثل هيئة الطير بإذني بتسهيلي فتنفخ فيها
الضمير للكاف لأنها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى وينفخ فيها ولا يرجع إلى الهيئة
المضاف إليها لأنها ليست من خلقه ولا نفخه في شيء وكذلك الضمير في فتكون طيرا بإذني وتبرئ
الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني تخرجهم من القبور وتبعثهم
قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم
بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين يعني اليهود حين هموا بقتله
وقيل لما قال الله لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيئا لغد يقول
مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات وإذ أوحيت إلى الحواريين
أمرتهم على ألسنة الرسل أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون مسلمون
مخلصون من أسلم وجهه لله إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل
علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله عيسى في محل النصب على إتباع حركته حركة الابن كقولك
يا زيد بن عمرو وهي اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما كقولك يا زيد بن عمرو والدليل عليه
قوله ... أحار بن عمرو كأني خمر ... ويعدو على المرء ما يأتمر
لأن الترخيم لا يكون إلا في المضموم فإن قلت كيف قالوا هل يستطيع ربك بعد إيمانهم
وإخلاصهم قلت ما وصفهم الله بالإيمان والإخلاص وإنما حكى ادعاءهم لهما ثم أتبعه قوله
إذ قالوا فآذن أن دعواهم كانت باطلة وأنهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد
مثله عن مؤمنين معظمين لربهم وكذلك قول عيسى عليه السلام معناه اتقوا الله ولا تشكوا في اقتداره
واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا إذا عصيتموه بعدها
إن كنتم مؤمنين إن كانت دعواكم للإيمان صحيحة وقرئ هل تستطيع ربك أي هل تستطيع سؤال
ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله والمائدة الخوان إذا كان عليه الطعام
وهي من ماده إذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم إليه قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن
قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين نشهد عليها عند الذين لم يحضروها
من بني إسرائيل أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على أن عليها
في موضع الحال وكانت دعواهم لإرادة ما ذكروا أكد دعواهم للإيمان والإخلاص وإنما سأل
عيسى وأجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب إذا خالفوا وقرئ ويعلم بالياء على
البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا
مائدة من السماء اللهم أصله يا الله فحذف حرف النداء وعوضت عنه الميم وربنا نداء ثان تكون لنا
عيدا أي يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الأحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور
العائد ولذلك يقال يوم عيد وكان معناه يكون لنا فرحا وسرورا وقرأ عبد الله تكن على جواب الأمر
ونظيرهما يرثني ويرث لأولنا وآخرنا بدل من لنا بتكرير العامل أي لمن في زماننا من أهل ديننا
ولمن يأتي بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمقدمين منا والأتباع وفي
قراءة زيد لأولانا وأخرانا والتأنيث بمعنى الأمة والجماعة وآية منك وارزقنا وأنت
خير الرازقين قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا
من العالمين عذابا بمعنى تعذيبا والضمير في لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به



ما يكن بدٌّ من البلاء روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم
انزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وغمامة تحتها وهم ينظرون
اليها ثم سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم
اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم احسنكم عملا ويكشف عنها ويذكر اسم
الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين انت اولى بذلك فقام عيسى وتوضأ وصلى
وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا
شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث
واذا خمسة ارغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع
جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله امن طعام الدنيا ام طعام الاخرة فقال
ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله تعالى بالقدرة الغالبة كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله
ويزدكم من فضله فقال الحواريون يا روح الله لو اريتنا من هذه الاية اية اخرى فقال
يا سمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة
ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروي انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله فمن
يكفر بعد منكم فاني اعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا
الى يوم القيمة بقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت واذ قال الله يا عيسى ابن مريم ءانت قلت
للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك سبحانك من ان يكون لك شريك
ما يكون لي ما ينبغي لي ان اقول ما ليس لي بحق ان اقول قولا لا يحق لي ان اقوله ان كنت قلته فقد
علمته تعلم ما في نفسي في قلبي ولا اعلم ما في نفسك والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك
ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل في نفسك بقوله في نفسي
انك انت علام الغيوب فقرر للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان
ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم احد ما قلت لهم الا ما امرتني به ان اعبدوا الله ربي
وربكم ان في قوله ان اعبدوا الله ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل
القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان توسط
بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله
واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم
لان الله لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون
بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام
المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة
لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو اقمت ان اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما
امرتني الا بان اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته فان قلت
فكيف يصنع قلت يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما امرتني به ما امرتهم
الا بما امرتني به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون ان موصولة عطف
بيان للهاء لا بدلا وكنت عليهم شهيدا رقيبا كالشاهد على المشهود عليه امنعهم من ان يقولوا
ذلك ويتدينوا به ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت انت الرقيب عليهم تمنعهم من القول
به بما نصبت لهم من الادلة وانزلت عليهم من البينات وارسلت اليهم من الرسل وانت على كل
شيء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك الذين عرفتهم عاصين جاحدين لاياتك مكذبين
لانبيائك وان تغفر لهم فانك انت العزيز القوي القادر على الثواب والعقاب الحكيم الذي
لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب فان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال
وان تغفر لهم قلت ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان فقال ان عذبتهم عدلت لانهم
احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم في المغفرة وجه حكمة لان المغفرة بالرفع
حسنة لكل مجرم في المعقول بل متى كان المجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن قال الله هذا
يوم ينفع الصادقين صدقهم قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على
انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذي ذكرنا من كلام عيسى
واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرئ
الاعمش يوما ينفع بالتنوين كقوله واتقوا يوما لا تجزي فان قلت ما معنى قوله ينفع

الصادقين

الصادقين صدقهم ان اريد صدقهم في الاخرة فليست الاخرة بدار عمل وان اريد صدقهم في
الدنيا فليس بمطابق لما ورد فيه لانه في معنى الشهادة لعيسى عليه السلام بالصدق فيما يجيب
به يوم القيمة وان اريد صدقهم في الاخرة فليست الاخرة بدار عمل قلت معناه الصدق
المستمر بالصادقين في دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان يتكلمان يوم القيمة اما ابليس فقال
ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى
فكان صادقا في الحيوة وبعد الممات فنفعه صدقه لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن
وهو على كل شيء قدير فان قلت في السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب
العقلاء فقال ومن فيهن قلت ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما الا تراك تقول اذا
رايت شبحا من بعيد ما هو قبل ان تعرف اعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطي من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيآت ورفع
له عشر درجات بعدد كل يهودي ونصراني يتنفس في الدنيا سورة الانعام مكية وعن ابن عباس
رضي الله عنهما غير ست آيات وهي مائة وخمس وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور جعل يتعدى الى مفعول واحد
اذا كان بمعنى احدث وانشأ كقوله جعل الظلمات والنور والى مفعولين اذا كان بمعنى صير
كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه
معنى التقدير وفي الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيئا او نقله من مكان
الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة
والنور من النار وجعلنا لكم ازواجا اجعل الالهة الها واحدا فان قلت لم افرد النور قلت
للقصد الى الجنس كقوله والملك على ارجائها او لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من اجناس الاجرام الا
وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار فان قلت علام عطف
قوله ثم الذين كفروا بربهم يعدلون قلت اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق
بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا بربهم يعدلون فيكفرون نعمته واما على
قوله خلق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا
يقدر على شيء منه فان قلت فما معنى ثم قلت استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات
قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم
هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلا اجل الموت واجل مسمى عنده اجل القيمة وقيل الاجل
الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم
والثاني الموت ثم انتم تمترون فان قلت المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب
تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده قلت لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة
كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك فان قلت الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي
عبد كيس وما اشبه ذلك فما اوجب التقديم قلت وجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما
لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم وهو الله في السموات وفي الارض في السموات
متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها ومنه قوله وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله او وهو المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية وهو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا
الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في السموات والارض
بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كان ذاته فيهما فان قلت كيف موقع قوله يعلم سركم
وجهركم قلت ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر
والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى
هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث ويعلم ما تكسبون من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب وما
تأتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين من في من آية للاستغراق ومن في من آيات
ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار
الا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم
للعواقب فقد كذبوا بالحق لما جاءهم مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين

مطلب سورة الانعام

من في من آية للاستغراق ومن في من آيات ربهم للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من
الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار عن الايات فقد كذبوا بما هو اعظم اية و
اكبرها وهو الحق لما جاءهم يعني القران الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه •
فسوف ياتيهم انباء ما كانوا به يستهزءون فسوف ياتيهم انباء الشيء الذي كانوا به يستهزءون
وهو القران اي اخباره واحواله بمعنى سيعلمون باي شيء استهزءوا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع
استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيمة او عند ظهور الاسلام وعلو
كلمته الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم
مدرارا وجعلنا الانهار تجري من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وانشانا من بعدهم قرنا آخرين
مكن له في الارض جعل له مكانا ونحوه ارض له ومنه قوله انا مكنا له في الارض اولم نمكن لهم
واما مكنته في الارض فاثبته فيها ومنه قوله تعالى ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب
المعنيين جمع بينهما في قوله مكناهم في الارض ما لم نمكن لهم والمعنى لم نعط اهل مكة نحو •
ما اعطينا عادا وثمود وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب
الدنيا • والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب والمطر والمدرار المغزار ••
فان قلت اي فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم قلت الدلالة على انه لا يتعاظمه ان
يهلك قرنا ويخرب بلاده فانه قادر على ان ينشئ مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله تعالى
ولا يخاف عقباها ولو نزلنا عليك كتابا مكتوبا في قرطاس في ورق فلمسوه بايديهم ولم يقتصر بهم
على الرؤية لئلا يقولوا سكرت ابصارنا ولا تبقى لهم علة لقال الذين كفروا منهم ان هذا الا سحر
مبين تعالوا ان هذا الا سحر مبين تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره • وقالوا لولا انزل عليه ملك
ولو انزلنا ملكا لقضي الامر لقضي امر هلاكهم ثم لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين
اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء
ابين منها وايقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك
اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملك فيجب اهلاكهم
واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد
ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار اشد من قضاء الامر لان مفاجاة
الشدة اشد من نفس الشدة • ولو جعلناه ملكا ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا
يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم لو شاء ربنا لانزل ملائكة
لجعلناه رجلا لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعم
الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم وللبسنا عليهم ما
يلبسون ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا راوا الملك في صورة
الانسان هذا انسان وليس بملك وان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقران المعجز وهو
ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم •
مخذولون الان فهو لبس الله عليهم ويجوز ان يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على
انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرا ابن محيصن ولبسنا بلام واحدة وقرا الزهري
وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد • ولقد استهزئ برسل من قبلك تسلية لرسول الله صلى
الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزءون
فحاق فاحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزءون به وهو الحق حيث اهلكوا من اجل الاستهزاء به
قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين فان قلت اي فرق بين
قوله فانظروا وبين قوله ثم انظروا قلت جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل
سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين واما قوله قل سيروا في الارض ثم انظروا فمعناه اباحة
السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم
لتباعد ما بين الواجب والمباح قل لمن ما في السموات والارض سوال تبكيت • قل لله تقرير
لهم اي هو لله لا خلاف بيني وبينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيئا منه الى غيره كتب على نفسه
الرحمة اي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما انتم مقرون به
من خلق السموات والارض • ثم اوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء
بقوله ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه فيجازيكم على اشراككم وقوله الذين خسروا انفسهم

نصب على الذم او رفع اي اريد الذين خسروا انفسهم او انتم الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون
فان قلت كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس قلت معناه
الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون وله عطف على لله ما سكن في
الليل والنهار من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وهو السميع
العليم يسمع كل مسموع ويعلم كل معلوم ولا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان قل اغير الله
اتخذ وليا فاطر السموات والارض اولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو
اتخذ لان الانكار في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه افغير الله
تامروني اعبد وآلله اذن لكم • وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرا
الزهري فطر وعن ابن عباس ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى اتاني اعرابيان يختصمان
في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتداتها وهو يطعم ولا يطعم وهو يرزق ولا يرزق كقوله
ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه
الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المامون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء
الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرا الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل •
وفسر بان معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكى الازهري اطعمت بمعنى استطعمت ونحوه افدت ويجوز
ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم اخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط و
يقدر ويغني ويفقر قل اني امرت ان اكون اول من اسلم لان النبي سابق امته في الاسلام كقوله وبذلك
امرت وانا اول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وانا اول المومنين ولا تكونن وقيل لي
لا تكونن من المشركين ومعناه امرت بالاسلام ونهيت عن الشرك قل اني اخاف ان عصيت ربي عذاب
يوم عظيم من يصرف عنه العذاب يومئذ فقد رحمه الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك
ان اطعمت زيدا من جوعه فقد احسنت اليه تريد فقد اتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان
من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب • وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه
يحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب
ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به اي من يصرف الله عنه ذلك اليوم اي هوله
فقد رحمه وتنصره هذه القراءة قراءة ابي من يصرف الله عنه وذلك الفوز المبين • وان يمسسك الله
بضر من مرض وفقر او غير ذلك من بلاياه فلا كاشف له الا هو فلا قادر على كشفه الا هو وان يمسسك
بخير من غنى او صحة فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته وازالته وهو القاهر فوق عباده •
تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون وهو الحكيم الخبير قل اي شيء اكبر شهادة
الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم
ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شيء لا كالاشياء كانك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولم يصح جسم لا
كالاجسام واراد اي شهيد اكبر شهادة فوضع شيئا مقام شهيد ليبالغ بالتعميم قل الله شهيد بيني و
بينكم يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدا شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني و
بينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر
شيء شهادة شهيد له واوحي الي هذا القران لانذركم به ومن بلغ عطف على ضمير المخاطبين من اهل مكة اي
لانذركم به وانذر كل من بلغه القران من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيمة وعن
سعيد بن جبير من بلغه القران فكانما راى محمدا صلى الله عليه وسلم ائنكم لتشهدون ان مع الله الهة اخرى
تقرير لهم مع انكار واستبعاد قل لا اشهد شهادتكم قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون
الذين آتيناهم الكتاب يعني اليهود والنصارى يعرفونه يعرفون رسول الله بحليته ونعته الثابت
في الكتابين معرفة خالصة كما يعرفون ابناءهم بحلاهم ونعوتهم لا يخفون عليهم ولا يلتبسون بغيرهم
وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب وبصحة نبوته ثم قال الذين خسروا انفسهم من المشركين
ومن اهل الكتاب الجاحدين فهم لا يؤمنون به جمعوا بين امرين متناقضين فكذبوا على الله ما لا حجة
عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباؤنا
وقالوا والله امرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر
والسوائب وذهبوا فكذبوا القران والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ومن اظلم ممن
افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ويوم
نحشرهم ناصبه محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام

الذي هو داخل في التخويف ثم نقول للذين اشركوا اين شركاؤكم اين آلهتكم التي جعلتموها
شركاء لله وقوله الذين كنتم تزعمون معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان وقرئ يحشرهم
ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ ويجوز ان يشاهدوهم الا انهم حين لا
ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكانهم غيب عنهم وان يحال بينهم وبينهم في وقت
التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بها الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا
والله ربنا ما كنا مشركين فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه ق
افتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرء منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز ان يراد ثم لم
يكن جوابهم الا ان قالوا فسمي فتنة لانه كذب وقرئ يكن بالياء وفتنتهم بالنصب وانما انث ان قالوا لوقوع الخبر
كقوله من كانت امك وقرئ بالياء ونصب الفتنة والياء والتاء مع رفع الفتنة وقرئ ربنا بالنصب على الندا
انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون وغاب عنهم ما كانوا يفترونه اي يفترون
الاهيته وشفاعته فان قلت كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان
الكذب والجحود لا وجه لمنفعته قلت الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز
بينهما حيرة ودهشا الا تراهم يقولون ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد ايقنوا بالخلود ولم
يشكوا فيه وقالوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضي عليهم واما قول من يقول معناه ما كنا
مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطا في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على انفسهم يعني في
الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي واقحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام
بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله يوم
يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ق
ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الاخرة بكذبهم في الدنيا ومنهم من يستمع اليك حين تتلو
القران وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفي اذانهم وقرا روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد
والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر
يا ابا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك
لسانه ويقول اساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال
ابو جهل كلا فنزلت والاكنة في القلوب والوقر في الاذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله ق
اعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا الدلالة على انه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم
كانهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرا
طلحة وقرا بكسر الواو وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤوك يجادلونك هي حتى التي تقع بعدها
الجمل والجملة قوله اذا جاؤوك يقول الذين كفروا ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون
اذا جاؤوك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له
والمعنى انه بلغ تكذيبهم الايات الى انهم يجادلونك ويناكرونك وفسر مجادلتهم بانهم يقولون ان هذا
الا اساطير الاولين فيجعلون كلام الله واصدق الحديث خرافات واكاذيب وهي الغاية في التكذيب
وهم ينهون عنه الناس عن القران او عن الرسول واتباعه ويثبطونهم عن الايمان به وينأون
عنه بانفسهم فيضلون ويضلون وان يهلكون بذلك الا انفسهم ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان
كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله وما يشعرون وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض
لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه فلا يؤمن به وروي انهم اجتمعوا الى ابي طالب وارادوا برسول الله
صلى الله عليه وسلم سوءا فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم ... حتى اوسد في التراب دفينا
فاصدع بامرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقر منه عيونا
وعرضت دينا لا محالة انه ... من خير اديان البرية دينا
ودعوتني وزعمت انك ناصح ... ولقد صدقت وكنت ثم امينا
لولا الملامة او حذاري سبة ... لوجدتني سمحا بذاك مبينا

فنزلت ولو ترى جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرايت امرا شنيعا اذ وقفوا على النار
اروها حتى يعاينوها او اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم او ادخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك
وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا يا ليتنا
نرد تم تمنيهم ثم ابتدؤوا ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين واعدين الايمان

كانهم

كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعني ولا اعود بمعنى
دعني وانا لا اعود تركتني او لم تتركني ويجوز ان يكون معطوفا على نرد او حالا على معنى يا ليتنا نرد
غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمني فان قلت يدفع ذلك قوله
وانهم لكاذبون لان المتمني لا يكون كاذبا قلت هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز ان
يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقني مالا فاحسن اليك واكافئك على صنيعك فهذا متمن
في معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقني الله مالا
كافاتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار ان على جواب التمني ومعناه ان رددنا
لم نكذب ونكن من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل من الناس من قبائحهم وفضائحهم
في صحفهم وبشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا انهم عازمون على انهم لو ردوا
لآمنوا وقيل هو في المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذي كانوا يسرونه وقيل هو في اهل الكتاب وانه
يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله ولو ردوا الى الدنيا بعد وقوفهم على النار لعادوا
لما نهوا عنه من الكفر والمعاصي وانهم لكاذبون فيما وعدوا من انفسهم لا يفون به وقالوا
ان هي الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين وقالوا عطف على لعادوا اي ولو ردوا لكفروا
ولقالوا ان هي الا حياتنا كما كانوا يقولون قبل معاينة القيمة ويجوز ان يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى
وانهم لقوم كاذبون في كل شيء وهم الذين قالوا ان هي الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم
ولو ترى اذ وقفوا على ربهم مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجاني بين يدي سيده
ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف قال اليس هذا بالحق كانه مردود
على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل اليس هذا بالحق وهذا تعيير من الله لهم على
التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعونه من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل قالوا بلى وربنا
قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون بكفركم بلقاء الله ببلوغ الاخرة وما يتصل بها وقد حقق
الكلام فيه في مواضع اخر قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة بغتة
قالوا يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وحتى غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اي ما زال بهم
التكذيب الى حسرتهم وقت مجيء الساعة فان قلت اما يتحسرون عند موتهم قلت لما كان الموت
وقوعا في احوال الاخرة ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من مات فقد قامت قيامته او جعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة
بغتة فجاءة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة او على المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة
فرطنا فيها الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة او للساعة
على معنى قصرنا في شانها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله
وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم كقوله فبما كسبت ايديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور
كما الف الكسب بالايدي الا ساء ما يزرون بئس شيئا يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم
وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الاخرة خير للذين يتقون افلا تعقلون جعل اعمال
الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب اعمال الاخرة المنافع العظيمة
وقوله للذين يتقون دليل على ان ما سوى اعمال المتقين لعب ولهو وقرا ابن عباس ولدار الاخرة
وقرئ تعقلون بالتاء والياء قد نعلم بمعنى ربما الذي تجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله

ولكنه قد يهلك المال نائله

والهاء في انه ضمير الشان ليحزنك قرئ بفتح الياء وضمها الذي يقولون هو قولهم ساحر
كذاب فانهم لا يكذبونك قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه ق
اكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم
لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فاله عن حزنك لنفسك وانهم يكذبونك
وانت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك لجحود آيات الله والاستهانة بكتابه
ونحو قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لن يهينوك وانما اهانوني ومن هذه الطريقة
قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكن الظالمين
بآيات الله يجحدون ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق
الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك

وانك عندنا المصدق وانما نكذب ما جيتنا به • وروي ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل
يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان
محمدا الصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللوا والسقاية والحجابه والنبوة فماذا
يكون لساير قريش فنزلت • وقوله ولكن الظالمين من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة
على انهم ظلموا في جحودهم ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم
نصرنا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي
لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني • على ما كذبوا واوذوا
على تكذيبهم وايذايهم ولا مبدل لكلمات الله لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا
المرسلين انهم لهم المنصورون ولقد جاءك من نبإ المرسلين بعض ابنايهم وقصصهم وما
كابدوا من مصابرة المشركين كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به
فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي من احببت وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت
ان تبتغي نفقا في الارض منفذا ينفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع اية يومنون بها او سلما
في السما فتاتيهم منها باية فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام
قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان ياتيهم باية من تحت الارض او من فوق السماء لاتى بها
رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الايات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم
فقيل له ان استطعت كذا فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى ياتيهم
بما اقترحوا لعلهم يومنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان
بالاية كانه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض او الرقي في السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك
اية يومنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت ان تقوم الى فلان لعل تزوره • ولو شاء الله
لجمعهم على الهدى بان تاتيهم باية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين
من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه انما يستجيب الذين يسمعون يعني ان الذين
تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون انما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع
الموتى والموتى يبعثهم الله مثل لقدرته على الجايهم الى الاستجابة به هو الذي يبعث الموتى من القبور
يوم القيمة ثم اليه يرجعون للجزاء فكان قادرا على هولاء الموتى ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر
على ذلك وقيل معناه وهولاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون
واما قبل ذلك فلا سبيل الى اسماعهم وقري يرجعون بفتح اليا وقالوا لولا نزل عليه اية من ربه
نزل بمعنى انزل وقري ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مونث لان تانيث
اية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما انزل من الايات على رسول الله صلى الله
عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما انزل عليه شي من الايات عنادا منهم قل ان الله قادر على ان ينزل
اية تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرايل ونحوه او اية ان جحدوها جاءهم العذاب
ولكن اكثرهم لا يعلمون ان الله قادر على ان ينزل تلك الاية وان صارفا من الحكمة يصرفه عن
انزالها وما من دابة في الارض ولا طاير يطير بجناحيه الا امم امثالكم مكتوبة ارزاقها
واجالها واعمالها كما كتبت ارزاقكم واجالكم واعمالكم ما فرطنا ما تركنا وما اغفلنا في الكتاب
في اللوح المحفوظ من شي من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به ثم الى ربهم
يحشرون يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه
ياخذ للجما من القرنا فان قلت كيف قيل الا امم مع افراد الدابه والطاير قلت
لما كان قوله وما من دابة ولا طاير دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب
ولا طير حمل قوله الا امم على المعنى فان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طاير الا امم
امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه قلت معنى ذلك زيادة
التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طاير قط
في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل امرها فان قلت
فما الغرض في ذكر ذلك قلت الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه
وتدبيره تلك الخلايق المتفاوته والاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ لما لها وما عليها
مهيمن على احوالها لا يشغله شان عن شان وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون
من عداهم من ساير الحيوان وقرا ابن ابي عبلة ولا طاير بالرفع على المحل كانه قيل وما دابة

ولا طاير

ولا طاير وقرا علقمة ما فرطنا بالتخفيف والذين كذبوا باياتنا صم وبكم في الظلمات فان
قلت كيف اتبعه قوله والذين كذبوا باياتنا قلت لما ذكر من خلايقه
واثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون صم لا يسمعون كلام المنبه
بكم لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا
بانهم من اهل الطبع من يشاء الله يضلله اي يخذله ويخليه وضلاله لم يلطف لانه ليس من اهل
اللطف ومن يشا يجعله على صراط مستقيم اي يلطف به لان اللطف يجدي عليه قل ارايتكم
اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول ارايتك زيدا ما شانه فلو جعلت الكاف
محلا لكنت كانك تقول ارايت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار
محذوف تقديره ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة من تدعون • ثم بكتهم بقوله
اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بمعنى اتخصون الهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا
اصابكم ضر ام تدعون الله دونها بل اياه تدعون بل تخصونه بالدعاء دون الالهة ∴
فيكشف ما تدعون اليه اي ما تدعونه الى كشفه ان شاء ان اراد ان يتفضل عليكم وان لم
يكن مفسدة وتنسون ما تشركون وتتركون الهتكم او لا تذكرونها في ذلك الوقت لان
اذهانكم معمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار
بقوله اغير الله تدعون كانه قيل ارايتكم اغير الله تدعون ان اتيكم عذاب فان قلت
ان علقت الاستخبار به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع
الساعة لا تكشف عن المشركين قلت قد اشترط في الكشف المشية وهو قوله ان شاء ايذانا
بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه اخر من الحكمة ارجح منه ولقد ارسلنا
الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون الباساء والضراء البوس
والضر وقيل الباساء القحط والجوع والضراء المرض ونقصان الانفس والاموال والمعنى ولقد
ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم لعلهم يتضرعون يتذللون ويتخشعون لربهم
ويتوبون عن ذنوبهم فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان
ما كانوا يعملون معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء
بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم
التي زينها الشيطان لهم فلما نسوا ما ذكروا به من الباساء والضراء اي تركوا الاتعاظ به
ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم فتحنا عليهم ابواب كل شي من الصحة والسعة وصنوف النعمة
لنراوح عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطف طفه
اخرى طلبا لصلاحه حتى اذا فرحوا بما اوتوا من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح
والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون
واجمون متحيرون ايسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا اخرهم لم يترك منهم احد قد
استوصلت شافتهم والحمد لله رب العالمين ايذان بوجوب الحمد لله عند هلاك الظلمة
وانه من اجل النعم واجزل القسم وقري فتحنا بالتشديد قل ارايتم ان اخذ الله سمعكم
وابصاركم بان يصمكم ويعميكم وختم على قلوبكم بان يغطي عليها ما يذهب عنده فهمكم
وعقلكم من اله غير الله ياتيكم به اي ياتيكم بذاك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ
وختم عليه انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون يعرضون عن الايات بعد ظهورها
قل ارايتم ان اتاكم عذاب الله بغتة او جهرة لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير ان يشعر به
وتظهر اماراته قيل بغتة او جهرة وعن الحسن ليلا ونهارا وقري بغتة او جهرة هل يهلك
هلاك تعذيب وسخط الا القوم الظالمون وقري هل يهلك بفتح اليا وما نرسل المرسلين
الا مبشرين ومنذرين من امن بهم وبما جاوا به واطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم
ليتلهى بهم وتقترح عليهم الايات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعه فمن امن واصلح
ما يجب اصلاحه مما كلف فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا باياتنا يمسهم العذاب
بما كانوا يفسقون جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم ما يريد من الالام ومنه قولهم
لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء • وقوله اذا راتهم من مكان بعيد
سمعوا لها تغيظا وزفيرا قل لا اقول لكم عندي خزاين الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك
ان اتبع الا ما يوحى الي اي لا ادعي ما يستبعد في العقول ان يكون لبشر من ملك خزاين الله

وهي قسمة بين الخلق وارزاقه • وعلم الغيب واني من الملايكة الذين هم اشرف جنس خلق الله • و
افضله واقربه منزلة منه اي لم ادع الالهيه ولا ملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع
من منزلة الملايكة حتى تستبعد وادعواي وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير
من البشر وهو النبوة قل هل يستوي الاعمى والبصير مثل للضال والمهتدي ويجوز ان يكون
مثلا لمن اتبع ما يوحي اليه ومن لم يتبع اولمن ادعي المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهيه
والملكية افلا تتفكرون فلا تكونوا ضالين اشباه العميان او فتعلموا اني ما ادعيت
ما لا يليق بالبشر او فتعلموا ان اتباع ما يوحي الي مما لا بد لي منه فان قلت اعلم
الغيب ما محله من الاعراب قلت النصب عطفا على محل قوله عندي خزاين الله لانه من
جملة المقول كانه قال لا اقول لكم هذا القول ولا هذا القول • وانذر به الضمير راجع الي
ما يوحي الي والذين يخافون ان يحشروا الي ربهم اما قوم داخلون في الاسلام مقرون بالبعث
الا انهم مفرطون في العمل فينذرهم بما اوحي اليه ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم
يتقون اي يدخلون في زمرة اهل التقوى من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث
واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا
فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار المترددين منهم فامر ان ينذر هولاء • وقوله • ليس لهم من
دونه ولي ولا شفيع في موضع الحال من يحشروا والمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا
مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور والمخوف انما هو الحشر على هذه الحال • ذكر
غير المتقين من المسلمين وامر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وامر بتقريبهم
واكرامهم وان لا يطيع فيهم من اراد بهم خلاف ذلك ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة
والعشي واثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اي عبادته ويواظبون عليها والمراد بذكر
الغداة والعشي الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص
في عبادتهم بقوله يريدون وجهه والوجه يعبر به عن ذات الشي وحقيقته وروي ان
روسا من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت هولاء الاعبد يعنون فقراء
المسلمين وهم عمار وصهيب وخباب وسلمان واضرابهم وارواح جبابهم وكانت عليهم جباب
من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه السلام ما انا بطارد المومنين فقالوا فاقمهم
عنا اذا جينا فاذا قمنا فاقعدهم معك ان شيت قال نعم طمعا في ايمانهم وروي ان عمر رضي
الله عنه قال لو فعلت حتى ننظر الي ماذا يصيرون قالوا فاكتب بذلك كتابا فدعا بالصحيفة
وبعلي ليكتب فنزلت فرمي بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا
نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا وندنوا منه حتى تمس ركبنا ركبته وكان
يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام من
عنا الي ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يميتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من امتي
معكم المحيا ومعكم الممات ما عليك من حسابهم من شي وما من حسابك عليهم من شي ما عليك
من حسابهم من شي كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك انهم طعنوا في دينهم واخلاصهم فقال
ما عليك من حسابهم من شي بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله تعالى في اعمالهم على
معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيرة المتقين
وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك
لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر اخرى فان قلت اما كفي قوله ما عليك من
حسابهم من شي حتى ضم اليه وما من حسابك عليهم من شي قلت قد جعلت الجملتان
بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدي واحد وهو المعني في قوله ولا تزر وازرة وزر اخرى
ولا يستقل بهذا المعني الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تواخذ انت ولا هم بحساب صاحبه
وقيل الضمير للمشركين والمعني لا يواخذون بحسابك ولا انت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم و
يحركك الحرص عليهم الي ان تطرد المومنين فتطردهم جواب النفي فتكون من الظالمين جواب
النهي ويجوز ان يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم
وقرئ بالغدوة والعشي وكذلك فتنا ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعضهم ببعض بعض
الناس ببعض اي ابتلينا هم بهم ليقولوا اهولاء من الله عليهم من بيننا وذلك ان المشركين كانوا
يقولون للمسلمين اهولاء الذين من الله عليهم من بيننا اي انعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق

ولما

ولما يسبقهم عندهم من دوننا ونحن المقدمون والروسا وهم العبيد والفقرا انكارا لان يكون
امثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه االقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا
ما سبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا
القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون اليس الله باعلم بالشاكرين اي الله اعلم
بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق واذا
جاءك الذين يومنون باياتنا فقل سلام عليكم اما ان يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما
ان يكون امرا بان يبداهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله كتب ربكم على نفسه
الرحمة من جملة ما يقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم انه من عمل منكم
سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم • وقرئ انه فانه بالكسر على الاستيناف
كان الرحمة استفسرت فقيل انه من عمل منكم وبالفتح على الابدال من الرحمة بجهالة في موضع الحال
اي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل ما يودي الي الضرر
في العاقبة وهو عالم بذلك او ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه
قول الشاعر: على انها قالت عشية زرتها • جهلت على عمد ولم تك جاهلا •
والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شي حتى يعلم
حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر حين اشار باجابة الكفرة الي ما سالوا ولم يعلم انها مفسدة
وكذلك نفصل الايات ولتستبين سبيل المجرمين قرئ وليستبين بالياء مع رفع السبيل لانها
تذكر وتونث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته
وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل ايات القران ونلخصها في صفة احوال المجرمين
من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن ترى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع •
ذكر القيمة ومن دخل الاسلام الا انه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما
يجب ان يعامل به • فصلنا ذلك التفصيل قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله
نهيت صرفت وزجرت بما ركب في من ادلة العقل وبما اوتيت من ادلة السمع • عن عبادة
ما تعبدون من دون الله وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة
قل لا اتبع اهواءكم اي لا اجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع
الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة
الباطل قد ضللت اذا اي ان اتبعت اهواءكم فانا ضال وما انا من المهتدين وما انا من الهدى •
في شي يعني انكم كذلك • ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله قل اني
على بينة من ربي ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم به اني من معرفة ربي وانه لا معبود
سواه على حجة واضحة وشاهد صدق وكذبتم به انتم حيث اشركتم به غيره يقال انا على بينة
من هذا الامر وانا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل • ثم عقبه بما دل به على استعظام
تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بان يغافصوا بالعذاب المستاصل •
فقال ما عندي ما تستعجلون به يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فامطر علينا حجارة
من السماء • ان الحكم الا لله في تاخير عذابكم يقض الحق اي القضاء الحق في كل ما يقضي من التاخير
والتعجيل في اقسامه وهو خير الفاصلين اي القاضين • وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق و
الحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره قل لو ان عندي اي في قدرتي وامكاني ما تستعجلون
به من العذاب لقضي الامر بيني وبينكم لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذ يبكم
به ولتخلصت منكم سريعا والله اعلم بالظالمين وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل •
على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القران وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على
تاويل البيان او القران فان قلت بم انتصب الحق قلت بانه صفة لمصدر
يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها
اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبد الله يقضي بالحق فان قلت لم اسقطت الياء في
الخط قلت اتباعا للخط اللفظ وسقوطها في اللفظ لالتقاء الساكنين وعنده
مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا
حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين جعل للغيب مفاتح على طريق
الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الي ما في المخازن المستوثق منها بالاغلاق والاقفال

ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد انه هو المتوصل الي المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح اقفال المخازن ويعلم فتحها وهو المتوصل اليها • في المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقري مفاتيح وقيل هو جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن • ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف علي ورقة وداخل في حكمها كانه قيل وما يسقط من شي من هذه الاشيا الا يعلمه وقوله • الا في كتاب مبين كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معني الا يعلمها ومعني الا في كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله او اللوح وقري ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا علي محل من ورقة وان يكون رفعا علي الابتدا وخبره الا في كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امراة الا في الدار وهو الذي يتوفاكم بالليل الخطاب للكفرة اي انتم منسدحون الليل كله كالجيف ويعلم ما جرحتم بالنهار ما كسبتم من الاثام فيه ثم يبعثكم فيه ثم يبعثكم من القبور في شان ذلك الذي قطعتم به اعماركم من النوم بالليل وكسب الاثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتني فيقول في امر كذا ليقضي اجل مسمي وهو الاجل الذي سماه وضربه لبعث الموتي وجزايهم علي اعمالهم ثم اليه مرجعكم وهو المرجع الي موقف الحساب • ثم ينبيكم بما كنتم تعملون في ليلكم ونهاركم وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة ملايكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون • وعن ابي حاتم السجستاني انه كان يكتب عن الاصمعي كل شي يلفظ به من فوايد العلم حتي قال فيه انت شبيه الحفظة • تكتب لفظ اللفظة فقال ابو حاتم وهذا ايضا مما يكتب فان قلت الله تعالي غني بعلمه عن كتبة الملايكة فما فايدتها قلت فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملايكة الذين هم اشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها في صحايف تعرض علي رووس الاشهاد في مواقف القيمة كان ذلك ازجر لهم عن القبيح وابعد عن السو حتي اذا جا احدكم الموت • توفته رسلنا اي استوفت روحه وهم ملك الموت واعوانه وعن مجاهد جعلت له الارض • مثل الطست يتناول من يتناوله وما من اهل بيت الا ويطوف عليهم في كل يوم مرتين • وقري يتوفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعني تتوفاه وهم لا يفرطون بالتشديد • والتخفيف فالتفريط التواني والتاخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد اي لا ينقصون مما امروا به ولا يزيدون فيه ثم ردوا الي الله اي الي حكمه وجزايه مولاهم مالكهم الذي يلي عليهم امورهم الحق العدل الذي لا يحكم الا بالحق الا له الحكم يومئذ لا حكم فيه لغيره وهو اسرع الحاسبين لا يشغله حساب عن حساب • وقري الحق بالنصب علي المدح كقولك الحمد لله الحق قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية ظلمات البر والبحر مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اذا اشتدت ظلمته حتي عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف في البر والغرق في البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتها لين انجيتنا علي ارادة القول من هذه من هذه الظلمة والشدة لنكونن من الشاكرين وقري ينجيكم بالتخفيف والتشديد وانجانا • وخفية بالضم والكسر قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم انتم تشركون قل هو القادر هو الذي عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة علي ان يبعث عليكم عذابا من فوقكم كما امطر علي قوم لوط وعلي اصحاب الفيل الحجارة وارسل علي قوم نوح الطوفان او من تحت ارجلكم كما اغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم او من تحت ارجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات او يلبسكم شيعا او يخلطكم فرقا مختلفين علي اهوا شتي كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعني خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله

وكتيبة لبستها بكتيبة • حتي اذا التبست نفضت لها يدي

وعن رسول الله صلي الله عليه وسلم سالت الله ان لا يبعث علي امتي عذابا من فوقهم او من تحت ارجلهم فاعطاني ذلك وسالته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فنا امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله اعوذ بوجهك فلما نزل او من تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا قال هاتان اهون ومعني الاية الوعيد

باحد

باحد اصناف العذاب المعدودة ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الايات لعلهم يفقهون و الضمير في قوله وكذب به قومك راجع الي العذاب وهو الحق اي لا بد ان ينزل بهم قل لست عليكم بوكيل بحفيظ وكل الي امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر لكل نبا لكل شي ينبا به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به مستقر وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل في به للقران وسوف تعلمون واذا رايت الذين يخوضون في اياتنا في الاستهزا بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم فاعرض عنهم فلا تجالسهم وقم عنهم حتي يخوضوا في حديث غيره فلا باس ان تجالسهم وقم عنهم حتي يخوضوا في حينيذ واما ينسينك الشيطان وان شغلك بوسوسته حتي نسي النهي عن مجالستهم فلا تقعد بعد الذكري بعد ان تذكر النهي مع القوم الظالمين وقري ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكري بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم وما علي الذين يتقون من حسابهم من شي وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شي مما يحاسبون عليه من ذنوبهم ولكن عليهم ان يذكروهم ذكري اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم لعلهم يتقون لعلهم يجتنبون الخوض حياء وكراهة لمساتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اي يذكرونهم ارادة ان يثبتوا علي تقواهم ويزدادوها وروي ان المسلمين قالوا لين كنا نقوم كلما استهزوا بالقران لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم فان قلت ما محل ذكري قلت يجوز ان يكون نصبا علي ولكن يذكرونهم ذكري اي تذكيرا او رفعا علي ولكن عليهم ذكري ولا يجوز ان يكون عطفا علي محل من شي كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يابي ذلك وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا اي دينهم الذي كان يجب ان يتخذوه به لعبا ولهوا وغرتهم الحيوة الدنيا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحاير والسوايب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوي النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد واتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم او اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزوا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لهوا ولعبا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله • ومعني ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزايهم ولا تشغل قلبك بهم • وذكر به اي بالقران ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع ان تبسل نفس مخافة ان تسلم الي الهلكة والعذاب وترتهن بسو كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال

⁖ وابسالي بني بغير جرم ⁖

ومنه هذا عليك بسل اي حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه او لانه شديد البسور يقال بسر الرجل اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا بسل والعابس منقبض الوجه وان تعدل كل عدل وان تفد كل فدا لا يوخذ منها والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدي بمثله وكل عدل نصب علي المصدر وفاعل يوخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل هاهنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله ولا يوخذ منها عدل فبمعني المفدي به فيصح اسناده اليه اوليك الذين ابسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون اوليك اشارة الي المتخذين دينهم لعبا ولهوا وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الي عبادة الاوثان قل اندعوا من دون الله ما لا ينفعنا ولا يضرنا نعبد من دون الله الضار النافع ما لا يقدر علي نفعنا ولا مضرتنا ونرد علي اعقابنا راجعين الي الشرك بعد اذ هدانا الله بعد اذ انقذنا الله وهدانا للاسلام كالذي استهوته الشيا طين كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان في الارض في المهمة حيران تايها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع له اي لهذا المستهوي اصحاب رفقة يدعونه الي الهدي الي ان يهدوه الطريق المستوي او سمي طريق المستقيم بالهدي يقولون له ايتنا وقد اعتسف المهمة تابعا للجن لا يجيبهم ولا ياتيهم وهذا مبني علي ما يزعمه العرب ويعتقدونه ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولي عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان فشبه به الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم قل ان هدي الله وهو الاسلام هو الهدي وحده وما وراه ضلال وغي وامرنا لنسلم لرب العالمين ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال فان قلت ما محل الكاف في قوله كالذي

استهوته قلت النصب على الحال من الضمير في نرد على اعقابنا اي انتكص متشبهين من
استهوته الشياطين فان قلت ما معنى استهوته قلت هو استفعال من هوى في
الارض اذا ذهب فيها كان معناه طلبت هويه وحرصت عليه فان قلت ما محل امرنا
قلت النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على انهما مقولان كانه
قيل قل هذا القول وقل امرنا لنسلم فان قلت ما معنى اللام في لنسلم قلت
هو تعليل للامر بمعنى امرنا وقيل لنا اسلموا لاجل ان نسلم فان قلت فاذا كان هذا
ورد في شان ابي بكر فكيف قيل للرسول قل اندعوا قلت للاتحاد الذي كان بين
رسول الله والمومنين خصوصا بينه وبين الصديق رضي الله عنه وان اقيموا الصلاة
واتقوه وهو الذي اليه تحشرون وهو الذي خلق السموات والارض ويوم يقول كن
فيكون فان قلت علام عطف قوله وان اقيموا قلت على موضع لنسلم كانه
قيل وامرنا ان نسلم وان اقيموا ويجوز ان يكون التقدير وامرنا لنسلم ولان اقيموا اي الاسلام
والاقامة والاقامة الصلاة قوله الحق وله الملك يوم ينفخ في الصور عالم الغيب والشهادة
وهو الحكيم الخبير قوله الحق مبتدا ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقوله
يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى انه خلق السموات والارض قايما بالحق والحكمة وحين
يقول لشيء من الاشيا كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اي لا يكون شيا من السموات والارض
وساير المكونات الا عن حكمة وصواب ويوم ينفخ ظرف لقوله وله الملك كقوله لمن الملك اليوم
ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق اي لقضايه الحق كن فيكون
قوله الحق وانتصاب اليوم بمحذوف دل عليه بالحق كانه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق عالم
الغيب هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح واذ قال ابراهيم لابيه ازر اتتخذ اصناما الهة
اني اراك وقومك في ضلال مبين ازر اسم ابي ابراهيم وفي كتب التواريخ ان اسمه بالسريانية
تارخ والاقرب ان يكون آزر فاعل مثل تارخ وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما اشبهها من اسمايهم
وهو عطف بيان لابيه وقرى بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه
عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاي كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفي
شعر بعض المحدثين ادعى باسماء نبزا في قبايلها كان اسماء اضحت بعض اسمايي
او اريد عابد آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وقرى ازرا تتخذ اصناما الهة
بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاي ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه
اتعبد ازرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما الهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل في حكم
الانكار لانه كالبيان له وكذلك نري ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لا احب الافلين فلما جن عليه الليل
عطف على قال ابراهيم لابيه وقوله وكذلك نري ابراهيم جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه
والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابراهيم ونبصره ملكوت السموات والارض يعني الربوبية
والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهدينا لطريق الاستدلال
وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونري حكاية حال ماضية وكان ابوه وقومه يعبدون
الاصنام والشمس والقمر والكواكب فاراد ان ينبههم على الخطا في دينهم وان يرشدهم الى طريق النظر
والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مود الى ان شيا منها لا يصح ان يكون الها لقيام دليل
الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وافولها وانتقالها
ومسيرها وساير احوالها هذا ربي قول من ينصف خصمه مع علمه انه مبطل فيحكي قوله كما
هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك ادعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته
فيبطله بالحجة لا احب الافلين لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين
من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام فلما راى القمر بازغا قال هذا
ربي بازغا مبتديا بالطلوع فلما افل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين
لئن لم يهدني ربي تنبيه لقومه على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكواكب في الافول
فهو ضال وان الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه فلما راى الشمس بازغة قال هذا ربي
هذا اكبر هذا اكبر من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه فلما افلت قال يا قوم اني
بري مما تشركون اني بري مما تشركون من الاجرام التي تجعلونها شركا لخالقها اني وجهت

وجهي للذي فطر السموات والارض اي للذي دلت هذه المخلوقات عليه وعلى انه مبتديها
ومبتدعها حنيفا وما انا من المشركين وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله
والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله يا قوم اني بري مما تشركون فان قلت
لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال قلت الاحتجاج
بالافول اظهر لانه انتقال مع خفا واحتجاب فان قلت ما وجه التذكير في قوله هذا
ربي والاشارة للشمس قلت جعل المبتدا مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ما جاءت
حاجتك ومن كانت امك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا
لصيانة الرب عن شبهة التانيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان
العلامة ابلغ احترازا من علامة التانيث وقرى ترى ابراهيم ملكوت السموات بالتاء و
رفع الملكوت ومعناه تبصره دلايل الربوبية وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وكانوا حاجوه
في توحيد الله ونفي الشركا عنه منكرين لذلك وقد هدان يعني الى التوحيد ولا اخاف
ما تشركون به وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء الا ان يشاء ربي شيا الا وقت مشية
ربي شيا يخاف فحذف الوقت يعني لا اخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة
ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان اصبت ذنبا استوجب به انزال المكروه
مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي وسع ربي كل
شيء علما اي ليس بعجب ولا مستبعد ان يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها افلا تتذكرون
فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم
بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا وكيف تخوفونني شيا مامون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه وانتم
لا تخافون ما يتعلق به كل خوف وهو اشراككم بالله ما لم ينزل باشراكه سلطانا اي حجة لان الاشراك
لا يصح ان يكون عليه حجة كانه قال وما لكم تنكرون على الامن في موضع الخوف ولا تنكرون على
انفسكم الامن في موضع الخوف ولم يقل فاينا احق بالامن انا ام انتم احترازا من تزكية نفسه فعدل
عنه الى قوله فاي الفريقين يعني فريقي المشركين والموحدين احق بالامن ان كنتم تعلمون
ثم استانف الجواب عن السوال بقوله الذين امنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اي لم يخلطوا ايمانهم بمعصية
تفسقهم وابى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس اولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا اتيناها
ابراهيم على قومه وتلك اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله
وهم مهتدون ومعنى اتيناها ارشدناه اليها نرفع درجات من نشاء يعني الحكمة في العلم والحكمة ان ربك
حكيم عليم وقرى بالتنوين ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته
الضمير لنوح او لابراهيم داود وسليمان وايوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين
وزكريا ويحيى وعيسى والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على
العالمين ومن ابايهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله
يهدي به من يشاء من عباده ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون داود عطف على نوحا اي وهدينا
داود ومن ابايهم في موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض ابايهم ولو اشركوا مع فضلهم وتقدمهم
وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم في حبوط اعمالهم كما قال لئن اشركت ليحبطن عملك اولئك الذين اتيناهم
الكتاب يريد الجنس والحكم والنبوة فان يكفر بها بالكتاب والحكم والنبوة او بالنبوة هولاء يعني اهل
مكة فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين هم الانبيا المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله اولئك
الذين هدى الله فبهداهم اقتده وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هولاء بما قبله وقيل هم اصحاب النبي صلى
الله عليه وسلم وكل من امن به وقيل كل مومن من بني آدم وقيل الملايكة وادعى الانصار انها لهم وعن
مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم
به ويتعهده ويحافظ عليه والبا في بها صلة كافرين وفي بكافرين تاكيد النفي فبهداهم اقتده فاختص
هداهم بالاقتدا ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم في الايمان بالله
وتوحيده واصول الدين دون الشرايع فانها مختلفة وهي هدى ما لم تنسخ فاذا نسخت لم تبق
هدى بخلاف اصول الدين فانها هدى ابدا والهاء في اقتده للوقف تسقط في الدرج واستحسن ايثار
الوقف لثبات الهاء في المصحف قل لا اسالكم عليه اجرا ان هو الا ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره
وما عرفوه حق معرفته في الرحمة على عباده واللطف بهم حين انكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك
من اعظم رحمته واجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين او ما عرفوه حق معرفته في سخطه على الكافرين

وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة اذ قالوا ما انزل الله
على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها
وتخفون كثيرا والقايلون هم اليهود بدليل قراءة من قرا تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وانما قالوا ذلك
مبالغة في انكار انزال القران على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا ما لا بد لهم من الاقرار به من انزال
التوراة على موسى فادرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم
وابداء بعضه واخفاء بعض فقيل جاء به موسى وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه
وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابدال والاخفاء وروي ان مالك
بن الصيف من احبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك بالذي انزل
التوراة على موسى هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذي
تطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه
ويلك ما هذا الذي بلغنا عنك فقال انه اغضبني فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل
القايلون قريش وقد الزموا انزال التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسى والتوراة
وكانوا يقولون لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم وعلمتم ما لم تعلموا انتم ولا اباؤكم الخطاب
لليهود اي علمتم على لسان محمد مما اوحي اليه ما لم تعلموا انتم وانتم حملة التوراة ولم يعلمه اباؤكم
الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القران يقص على بني اسرايل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم قل الله اي انزله الله فانهم لا
يقدرون ان يناكروك ثم ذرهم في خوضهم في باطلهم الذي يخوضون فيه يلعبون ولا عليك
بعد الزام الحجة ويقال لمن كان في عمل لا يجدي عليه انما انت لاعب ويلعبون حال من ذرهم
او من خوضهم ويجوز ان يكون في خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لهم او لذرهم وهذا
كتاب انزلناه مبارك كثير المنافع والفوايد مصدق الذي بين يديه ولتنذر ام القرى ومن
حولها ولتنذر معطوف على ما دل عليه صفة الكتاب كانه قيل انزلناه للبركات وتصديق ما تقدم
من الكتب والانذار وقري لينذر بالتاء والياء وسميت مكة ام القرى لانها مكان اول بيت وضع
للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين
فمن يلق في بعض القريات رحله • فام القرى ملقى رحالي ومنتابي
والذين يومنون بالاخرة يصدقون بالعاقبة ويخافونها يومنون به يومنون بهذا الكتاب وذلك
ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يومن وهم على صلاتهم يحافظون خص
الصلوة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا له في المحافظة على اخواتها ومن اظلم ممن افترى
على الله كذبا فزعم ان الله بعثه نبيا او قال اوحي الي ولم يوح اليه شيء وهو مسيلمة الحنفي الكذاب او
كذاب صنعاء الاسود العنسي وعن النبي صلى الله عليه وسلم رايت فيما يرى النايم كان في يدي سوارين من
ذهب فكبرا علي واهماني فاوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عني فاولتهما الكذابين اللذين انا
بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسي ومن قال سانزل مثل ما انزل الله هو عبد
الله بن سعد بن ابي سرح القرشي كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا
عليما كتب حكيما عليما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة
من طين الى آخر الاية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال عليه
السلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لين كان محمد صادقا لقد اوحي الي كما اوحي اليه ولين كان
كاذبا لقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر
بن الحارث والمستهزون ولو ترى جوابه محذوف اي لرايت امرا عظيما اذ الظالمون يريد الذين ذكرهم
من اليهود والمتنبية فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه هولاء لاشتماله في
غمرات الموت شدايده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة والملايكة
باسطوا ايديهم يبسطون اليهم يقولون هاتوا ارواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه
عبارة عن العنف في السياق والالحاح والتشديد في الازهاق من غير تنفيس وامهال وانهم
يفعلون بهم فعل الغريم الملظ يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه في المطالبة ولا يمهله و
يقول له اخرج الي ما لي عليك الساعة ولا اريم مكاني حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا
ايديهم بالعذاب اخرجوا انفسكم خلصوها من ايدينا اي لا تقدرون على الخلاص اليوم تجزون
عذاب الهون يجوز ان يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وان يريدوا الوقت

المتد

المتد المتطاول الذي يلحقهم فيه العذاب في البرزخ والقيمة والهون الهوان الشديد واضافة
العذاب اليه كقوله رجل سوء يريد العراقة في الهوان والتمكن فيه بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن
آياته تستكبرون فلا تومنون بها ولقد جيتمونا فرادى منفردين عن اموالكم واولادكم وما حرصتم عليه
وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التي زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء لله كما خلقناكم اول مرة على الهيئة التي
ولدتم عليها في الانفراد وتركتم ما خولناكم ما تفضلنا به عليكم في الدنيا فشغلتم به عن الآخرة وراء ظهوركم
لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء في
استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفي استعبادهم وقري
فرادا بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى فان قلت كما خلقناكم في اي محل هو قلت
في محل النصب صفة لمصدر جيتمونا اي مجيا مثل ما خلقناكم لقد تقطع بينكم وقع التقطع بينكم كما تقول
جمع بين الشيين تريد اوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند
الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وامامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم وضل عنكم ما كنتم
تزعمون ان الله فالق الحب والنوى بالنبات والشجر وعن مجاهد اراد الشقين اللذين في النواة والحنطة
يخرج الحي من الميت اي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى ومخرج الميت من الحي ومخرج
هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي فان قلت كيف قال ومخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل
بعد قوله يخرج الحي من الميت قلت عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه
موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فالق الحب بالنبات والشجر النامين من جنس اخراج
الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها ذلكم الله ذلكم المحيي
والمميت هو الله الذي يحق له الربوبية فانى توفكون فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره
فالق الاصباح الاصباح مصدر سمي به الصبح وقرا الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وانشد قوله
افنى رياحا وبني رياح • تناسخ الامساء والاصباح
بالكسر والفتح مصدرين وجمعي مسي وصبح فان قلت فما معنى فلق الصبح والظلمة هي
التي تنفلق عن الصبح كما قال • تفري ليل عن بياض نهار • قلت
فيه وجهان احدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغلس في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي
الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق
عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق وقال الطايي • وازرق الفجر يبدو قبل ابيضه
وقري فالق الاصباح وجاعل الليل بالنصب على المدح وقرا النخعي فلق الاصباح وجعل الليل
سكنا والسكن ما يسكن اليه الرجل ويطمين استيناسا واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه
قيل للنار سكن لانه يستانس بها الا تراهم سموها المونسة والليل يطمين اليه المتعب بالنهار
لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه والشمس
والقمر حسبانا والشمس والقمر قرييا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل
الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل فان قلت كيف يكون لليل
محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى المضي لا تقول زيد ضارب
عمرو امس قلت ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة
وكذلك فالق الحب وفالق الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان
والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان
حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات
يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران
والشكران ذلك اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم تقدير العزيز الذي
قهرهما وسخرهما العليم بتدبيرهما وتدويرهما وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات
البر والبحر في ظلمات الليل بالبر والبحر واضافها اليهما لملابستها لهما او شبه مشتبهات الطرق بالظلمات
قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشاكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا
الآيات لقوم يفقهون من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله او مصدرا ومن كسرها كان
اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب او مستقر فوق
الارض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع في الصلب فان قلت لم قيل يعلمون مع
ذكر النجوم ويفقهون مع انشاء بني آدم قلت كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم

بين احوال المختلفة الطف وادق صنعة وتدبيرا وكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة
وتدقيق نظر مطابقا له وهو الذي انزل من السماء ماء فاخرجنا به بالماء نبات كل شي نبت
كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال
تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فاخرجنا منه من النبات خضرا شيا غضا اخضر
يقال اخضر وخضر كاعور وعور وهو ما يتشعب من اصل النبات الخارج من الحبة نخرج منه من الخضر
حبا متراكبا وهو السنبل ومن النخل من طلعها قنوان قنوان رفع على الابتدا ومن النخل خبره ومن
طلعها بدل منه كانه قيل وحاصله من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة
اخرجنا عليه تقديره ومخرجه من طلع النخل قنوان ومن قرا يخرج منه حبا متراكبا كان قنوان عنده
معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرى بضم القاف وبفتحها على انه جمع
كركب لان فعلان ليس من زنات التكسير دانية سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشي الداني القريب
المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تاتي بالثمر لا ينتظر الطول وقال الحسن
دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة لان النعمة فيها اظهر اودل بذكر
القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله وجنات من اعناب فيه وجهان احدهما ان يراد
وثم جنات من اعناب اي مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل
قنوان وجنات من اعناب اي من نبات اعناب وقرى وجنات بالنصب عطفا على نبات كل شي اي
واخرجنا به جنات من اعناب وكذلك قوله والزيتون والرمان والاحسن ان ينتصبا على الاختصاص
كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين مشتبها وغير متشابه يقال اشتبه الشيان وتشابها
كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرى متشابها وغير متشابه وتقديره
والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله كنت منه ووالدي بريا والمعنى
بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في القدر والطعم واللون وذلك دليل على التعمد دون الاهمال
انظروا الى ثمره اذا اثمر اذا اخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به وينعه ان في ذلكم
لايات لقوم يومنون وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيا جامعا للمنافع وملاذ
نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدرة ومدبره وناقله من حال الى حال وقرى وينعه
بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرا ابن محيصن ويانعه وقرى وثمره وجعلوا لله شركاء الجن
ان جعلت لله شركاء مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان الجن مفعولين
قدم ثانيهما على الاول فان قلت ما فايدة التقديم قلت فايدته استعظام ان يتخذ
لله شريك من كان ملكا او جنيا او انسيا او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء وقرا الحسن
بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادتهم لانهم
اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل
ضار وخلقهم وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم دون الجن ولم يمنعهم علمهم
ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرى وخلقهم اي اختلاقهم للافك يعني
وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبايحهم الى الله في قولهم والله امرنا بها وخرقوا له اي افتعلوا له بنين
وبنات وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملايكة يقال خلق الافك وخرقه
واختلقه واخترقه بمعنى وسيل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها كان الرجل اذا كذب
كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب اذا شقه
اي اشتقوا له بنين وبنات وقرى وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرا ابن
عمر وابن عباس وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل
بغير علم من غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطا او صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من
غير فكر وروية سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض انى يكون له ولد بديع
السموات من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر اي بديع شعره
او هو بديع في السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر اي ثابت فيه والمعنى انه عديم النظير
والمثل فيهما وقيل البديع بمعنى المبدع وارتفاعه على انه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا
وخبره انى يكون له ولد او فاعل تعالى وقرى بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وقرى
بالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه احدها ان مبتدع السموات والارض وهي
اجسام عظيمة لا يستقيم ان يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام ومخترع الاجسام

لا يكون

لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني ان الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد وهو
متعال عن مجانس ولم تكن له صاحبة فلم يصح ان تكون له صاحبة فلم يصح الولادة والثالث
انه ما من شي الا وهو خالقه والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شي والولد انما يطلبه
المحتاج وقرى ولم يكن له صاحبة بالياء وانما جاز للفصل كقوله لقد ولد الاخيطل ام سوء
وخلق كل شي وهو بكل شي عليم ذلكم اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات وهو مبتدا
ما بعده اخبار مترادفة وهي الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شي اي ذلكم الجامع لهذه
الصفات فاعبدوه مسبب عن مضمون الجملة على معنى ان من استجمعت له هذه الصفات
كان هو الحقيق بالعبادة فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال وهو على كل شي
وكيل يعني هو مع تلك الصفات مالك لكل شي من الارزاق والاجال رقيب على الاعمال لا تدركه
الابصار البصر هو الجوهر اللطيف الذي ركبه الله في حاسة النظر به تدرك المبصرات
فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا في ذاته لان
الابصار انما يتعلق بما كان في جهة اصلا او تابعا كالاجسام والهيات وهو يدرك
الابصار وهو للطف ادراكه للمدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التي لا يدركها مدرك
وهو اللطيف يلطف عن ان تدركه الابصار الخبير بكل لطيف فهو يدرك الابصار ولا يلطف
عن ادراكه وهذا من باب اللف قد جاءكم بصاير من ربكم وهو وارد على لسان رسول الله عليه الصلاة
والسلام لقوله وما انا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذي به يستبصر كما ان البصر نور
العين الذي به تبصر اي جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب
كالبصاير فمن ابصر الحق وامن فلنفسه ابصر واياها نفع ومن عمي عنه فعليها فعلى نفسه عمي واياها
ضر بالعمى وما انا عليكم بحفيظ احفظ اعمالكم واجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم
وكذلك نصرف الايات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون وليقولوا جوابه محذوف
تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى درست قرات وتعلمت وقرى دارست اي دارست
العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الايات وعفت كما قالوا اساطير الاولين ودرست
بضم الراء مبالغة في درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قريت او عفيت
ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود
عندهم ويجوز ان يكون الفعل للايات وهو لاهلها اي دارس اهل الايات وحملتها محمدا وهم
اهل الكتاب ودرس اي درس محمد ودارسات على هي دارسات اي قديمات او ذات
درس كعيشة راضية فان قلت اي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه قلت
الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الايات صرفت للتبيين
ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الايات كما حصل التبيين
شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه فان قلت الى م يرجع في قوله ولنبينه
قلت الى الايات لانها في معنى القران كانه قيل وكذلك نصرف القران او الى القران وان لم يجر له
ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذي هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا ويجوز ان يراد
فمن قرا درست ودارست درس الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر اتبع
ما اوحي اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين لا اله الا هو اعتراض اكد به ايجاب
اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهو حال موكدة كقوله وهو الحق
مصدقا ولو شاء الله ما اشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما انت عليهم بوكيل ولا تسبوا الالهة
الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله وذلك انهم قالوا عند نزول قوله انكم وما تعبدون
من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب الهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون
الهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله فان قلت سب الالهة حق وطاعة فكيف
صح النهي عنه وانما يصح النهي عن المعاصي قلت رب طاعة علم انها تكون مفسدة
فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهي عن المنكر
هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يودي الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن
ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر فان قلت فقد روي عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا
جنازة فراى محمد نساء فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك في ديننا
قلت ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها

حضر الرجال ولم يحضروا بخلاف سب الالهة وانما خيل الي محمد انه مثله حتي نبه عليه
الحسن عدوا ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين بتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا
وعدوا وعدوانا وعن ابن كثير عدوا بفتح العين بمعني اعدا بغير علم علي جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به
كذلك زينا لكل امة عملهم مثل ذلك التزيين زينا لكل امة من امم الكفار سوء عملهم اي خليناهم وشانهم
ولم نكفهم حتي حسن عندهم سوء عملهم وامهلنا الشيطان حتي زين لهم او زيناه في زعمهم وقولهم ان الله امرنا
بها وزينه لنا ثم الي ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون فيخبرهم بما يجزيهم عليه ويعاقبهم به
واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم اية من مقترحاتهم ليومنن بها قل انما الايات عند الله وهو قادر
عليها ولكنه لا ينزلها الا علي موجب الحكمة وانما الايات عند الله لا عندي فكيف اجيبكم اليها واتيكم
بها وما يشعركم وما يدريكم انها ان الاية التي يقترحونها اذا جاءت لا يومنون بها يعني انا اعلم انها
اذا جاءت لا يومنون بها وانتم لا تدرون بذلك وذلك ان المومنين كانوا يطمعون في ايمانهم
اذا جاءت تلك الاية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يومنون علي معني
انكم لا تدرون ما سبق علمي به من انهم لا يومنون الا تري الي قوله كما لم يومنوا به اول
مرة وقيل انها بمعني لعلها من قول العرب ايت السوق انك تشتري لحما وقال امرؤ القيس
عوجوا علي الطلل المحيل لاننا ۞ نبكي الديار كما بكي ابن حذام
وتقويها قراءة ابي لعلها اذا جاءت لا يومنون وقرئ انها بالكسر علي ان الكلام قد تم قبله بمعني
وما يشعركم ما يكون منهم ثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يومنون البتة ومنهم من جعل
لا مزيدة في قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يومنون اي يحلفون بانهم يومنون
عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القران وغيره من الايات مطبوعا عليها
ولا يومنون بها ونقلب افئدتهم وابصارهم كما لم يومنوا به اول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون
ونقلب افئدتهم ونذرهم عطف علي لا يومنون داخل في حكم وما يشعركم بمعني وما يشعركم انهم لا يومنون
وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اي نطبع علي قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون
الحق كما كانوا عند نزول اياتنا اولا يومنون بها لكونهم مطبوعا علي قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم في
طغيانهم اي نخليهم وشانهم لا نكفهم عن الطغيان حتي يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم اي الله عز
وجل وقرا الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم علي البناء للمفعول ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة
كما قالوا لولا انزل علينا الملائكة وكلمهم الموتي كما قالوا فاتوا باباينا وحشرنا عليهم كل شيء قبلا
كما قالوا او تاتي بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلا بصحة ما بشرناهم وانذرناهم وجماعات
وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اي عيانا ما كانوا ليومنوا الا ان يشاء الله الا ان يشاء
مشيئة اكراه واضطرار ولكن اكثرهم يجهلون فيقسمون بالله جهد ايمانهم علي ما لا يشعرون
من حال قلوبهم عند نزول الايات ولكن اكثر المسلمين يجهلون ان هولاء لا يومنون الا ان
يضطرهم فيطمعون في ايمانهم اذا جاءت الاية المقترحة وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين
الانس والجن كما خلينا بينك وبين اعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبيا واعدائهم لم
نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذي هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب
والاجر وانتصب شياطين علي البدل من عدوا او علي انهما مفعولان كقوله وجعلوا
لله شركاء الجن يوحي بعضهم الي بعض يوسوس شياطين الجن الي شياطين الانس وكذلك بعض
الجن الي بعض وبعض الانس الي بعض وعن مالك بن دينار ان شياطين الانس اشد علي
من شياطين الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني
الي المعاصي عيانا زخرف القول ما يزينه من القول والوسوسة والاغراء علي المعاصي ويموهه
غرورا خدعا واخذا علي غرة ولو شاء ربك ما فعلوه ما فعلوا ذلك اي ما عادوك
او ما اوحي بعضهم الي بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشانهم فذرهم
وما يفترون ولتصغي اليه افئدة الذين لا يومنون بالاخرة ولتصغي جوابه محذوف
تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا علي ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ما ذكر
والضمير في اليه يرجع الي ما رجع اليه الضمير في فعلوه اي ولتميل الي ما ذكر من عداوة
الانبيا ووسوسة الشياطين افئدة الكفار وليرضوه لانفسهم وليقترفوا ما هم
مقترفون من الاثام افغير الله ابتغي حكما علي ارادة القول اي قل يا محمد افغير الله اطلب
حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق من المبطل وهو الذي انزل اليكم الكتاب المعجز مفصلا

مبينا

مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لي بالصدق وعليكم بالافترا ثم عضد الدلالة
علي ان القران حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ما عندهم وموافقته له بقوله والذين اتيناهم
الكتاب يعلمون انه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين من باب التهييج والالهاب كقوله فلا
تكونن من المشركين او فلا تكونن من الممترين في ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود
اكثرهم وكفرهم به ويجوز ان يكون فلا تكونن خطابا لكل واحد علي انه اذا تعاضدت الادلة علي
صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله خطاب لامته وتمت كلمات
ربك اي تم ما اخبر به وامر ونهي واوعد ووعد صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته لا احد يبدل شيا من ذلك
بما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب علي الحال وهو السميع العليم وقرئ كلمة ربنا اي ما تكلم
ربك به وقيل هي القران وان تطع اكثر من في الارض يضلوك عن سبيل الله وان تطع اكثر الناس يضلوك
لان الاكثر في غالب الامر يتبعون اهواهم ثم قال ان يتبعون الا الظن وهو ظنهم ان اباءهم كانوا
علي الحق فهم يقلدونهم وان هم الا يخرصون يقدرون انهم علي شي او يكذبون في ان الله حرم كذا
واحل كذا ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو اعلم بالمهتدين وقرئ من يضل بضم اليا اي
يضله الله فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم باياته مومنين فكلوا مسبب عن انكار اتباع المضلين
الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون
الله فما قتل الله احق ان تاكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا مما
ذكر اسم الله خاصة دون ما ذكر عليه اسم غيره من الهتهم او مات حتف انفه وما ذكر اسم الله عليه
هو المذكي بسم الله وما لكم الا تاكلوا واي غرض لكم في ان لا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل
لكم وقد بين لكم ما حرم عليكم مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ما حرم عليكم مما لم
يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة علي تسمية الفاعل وهو الله عز وجل الا ما اضطررتم اليه مما حرم عليكم
فانه حلال لكم في حال الضرورة وان كثيرا ليضلون قرئ بفتح اليا وضمها اي يضلون فيحرمون و
يحلون باهوائهم وشهواتهم من غير تعلق بشريعة بغير علم ان ربك هو اعلم بالمعتدين وذروا
ظاهر الاثم وباطنه ما اعلنتم منه وما اسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزني في الحوانيت
وباطنه الصديقة في السر ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تاكلوا مما لم يذكر
اسم الله عليه وانه لفسق الضمير راجع الي مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل
منه لفسق او الي الموصول علي وان اكله لفسق او جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا فان
قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الي جواز اكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد قلت
قد تاوله هولاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله او فسقا اهل لغير الله به وان الشياطين ليوحون
ليوسوسون الي اوليائهم من المشركين ليجادلوكم بقولهم ولا تاكلون مما قتل الله وبهذا يرجح تاويل من تاوله
بالميتة وان اطعتموهم انكم لمشركون لان من اتبع غير الله في دينه فقد اشرك به ومن حق ذي البصيرة
في دينه ان لا ياكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيف ما كان لما يري في الاية من التشديد العظيم وان كان
ابو حنيفة رحمه الله تعالي مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما او من كان
ميتا فاحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها مثل الذي هداه
الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين المحق والمبطل والمهتدي والضال بمن كان
ميتا فاحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين
حلالهم ومن بقي علي الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعني قوله كمن مثله
في الظلمات ليس بخارج منها كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعني هو في
الظلمات ليس بخارج منها كقوله مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار اي صفتها هذه وهو قوله
فيها انهار كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون اي زينه الشيطان او الله عز وجل علي قوله زينا لهم
اعمالهم ويدل عليه قوله وكذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها ليمكروا فيها يعني وكما جعلنا في
مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية اكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا
ما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون علي الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا
مترفيها وقرئ اكبر مجرميها علي قولك هم اكبر قومهم واكابر قومهم وما يمكرون الا بانفسهم لان
مكرهم يحيق بهم وما يشعرون وهذه تسلية لرسول الله صلي الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة
عليهم روي ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولي بها منك لاني اكبر منك
سنا واكبر منك مالا وروي ان ابا جهل قال زاحمنا بني عبد مناف في الشرف حتي اذا صرنا كفرسي رهان

قالوا امنا بني يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان ياتينا بوحي كما ياتيه فنزلت
ونحوها قوله بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى
مثل ما اوتي رسل الله• الله اعلم حيث يجعل رسالاته الله اعلم كلام مستانف للانكار عليهم وان
الله لا يصطفي للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم سيصيب
الذين اجرموا من اكابرها صغار وقماءة بعد كبرهم وعظمهم عند الله وعذاب شديد في الدارين
من الاسر والقتل وعذاب النار بما كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه ان يلطف به ولا يريد
ان يلطف الا بمن له لطف يشرح صدره للاسلام يلطف به حتى يرغب في الاسلام ويسكن اليه نفسه
ويحب الدخول فيه ومن يرد ان يضله ان يخذله ويخليه وشانه وهو الذي لا لطف له يجعل صدره
ضيقا حرجا يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان• وقرئ
ضيقا بالتخفيف والتشديد• حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر كانما يصعد في السماء
كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه
القدرة• وقرئ يصعد واصله يتصعد• وقرا عبد الله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد
ويصعد من صعد ويصعد من اصعد كذلك يجعل الله الرجس يعني الخذلان ومنع التوفيق
على الذين لا يؤمنون وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب واراد الفعل المؤدي الى
الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب وهذا صراط ربك وهذا طريقه الذي اقتضته
الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان• مستقيما عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله
وهو الحق مصدقا• قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام دار الله يعني الجنة اضافها
الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر عند ربهم في ضمانه كما تقول لفلان عندي
حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وهو وليهم
مواليهم ومحبهم وناصرهم على اعدائهم بما كانوا يعملون بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون
ويوم نحشرهم جميعا منصوب بمحذوف اي واذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا يا معشر الجن او ويوم
نحشرهم وقلنا يا معشر الجن كان ما لا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم•
والجن هم الشياطين قد استكثرتم من الانس اي اضللتم منهم كثيرا وجعلتموهم اتباعكم فحشر معكم
منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع وقال اولياؤهم من الانس
الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم ربنا استمتع بعضنا ببعض اي انتفع الانس بالشياطين
حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم
على مرادهم وشهواتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس•
يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا نزل واديا وخاف قال اعوذ برب هذا الوادي يعني به
كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم
وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة
الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم قال النار مثواكم خالدين
فيها الا ما شاء الله اي يخلدون في عذاب النار الابد كله• الا ما شاء الله الا الاوقات التي ينقلون
فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روي انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض او
صالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم او يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم
يزل يحرق عليه انيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه اهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد
علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصى ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت
من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع ان ربك حكيم لا يفعل
شيئا الا بموجب الحكمة عليم بان الكفار يستوجبون عذاب الابد وكذلك نولي بعض الظالمين
نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس او نجعل بعضهم اولياء بعض
يوم القيمة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا بما كانوا يكسبون بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي يقال لهم يوم
القيمة على جهة التوبيخ الم ياتكم رسل منكم واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم
بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وبه الف
وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك
وان كان من احدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله
ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد يبعثون الى الانس ورسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم الى الجن والانس يا معشر الجن والانس الم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي
وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحيوة الدنيا وشهدوا على انفسهم
انهم كانوا كافرين قالوا شهدنا على انفسنا حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله الم ياتكم لان الهمزة الداخلة
على نفي اثبات الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على انفسهم اقرار منهم بان حجة
الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها فان قلت ما لهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله
والله ربنا ما كنا مشركين قلت تتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول
فيقرون في بعضها ويجحدون في البعض او اريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين
يختم على افواههم فان قلت لم كررت شهادتهم على انفسهم قلت الاولى حكاية
لقولهم كيف يعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرايهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم
وانهم قوم غرتهم الحيوة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة امرهم ان اضطروا الى الشهادة
على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين•
من مثل حالهم• ذلك اشارة الى ما تقدم من بعثه الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر
مبتدأ محذوف اي الامر ذلك وان لم يكن ربك مهلك القرى تعليل اي الامر ما قصصنا عليك
لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان ان هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة
من الثقيلة على معنى لان الشان والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله•
بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع بظلم واهلها غافلون
بسبب ظلم اقدموا عليه او ظالما على انه لو اهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان
ظلما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح• ولكل من المكلفين درجات منازل مما عملوا من جزاء
اعمالهم وما ربك بغافل عما تعملون بساه عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه
من الاجر وربك الغني عن عباده وعن عبادتهم ذو الرحمة يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم
للمنافع الدائمة ان يشا يذهبكم ايها العصاة ويستخلف من بعدكم ما يشاء من الخلق المطيع
كما انشاكم من ذرية قوم آخرين من اولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة
نوح عليه السلام انما توعدون لآت وما انتم بمعجزين قل يا قوم اعملوا على مكانتكم المكانة تكون
مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال المكان والمكانة ومقام و
مقامة وقوله اعملوا على مكانتكم يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم واعملوا
على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اي
اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه اني عامل على مكانتي التي انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم
وعداوتكم لي فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم فسوف تعلمون اينا تكون له العاقبة•
المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهي التخلية والتسجيل على المامور•
بانه لا ياتي منه الا الشر فكانه مامور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتقصى عنه ويعمل بخلافه
فانج
من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون قلت ما موضع من قلت
الرفع اذا كان بمعنى اي وعلق عنه فعل العلم والنصب اذا كان بمعنى الذي• وعاقبة الدار العاقبة
الحسنى التي خلق الله هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف في المقال•
وادب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق وان المنذر مبطل• وجعلوا لله•
مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا كانوا يعينون اشياء
من حرث ونتاج لله واشياء منهما لالهتهم فاذا راوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد في نفسه
خيرا رجعوا فجعلوه للالهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غني وانما
ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله مما ذرا فيه ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكي لانه
هو الذي ذراه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية• بزعمهم وقرئ بالضم•
اي قد زعموا انه لله والله لم يامرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التي هي الشرك لانهم اشركوا
بين الله وبين الاصنام في القربة فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله اي لا يصل الى الوجوه
التي كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين وما كان لله فهو
يصل الى شركائهم من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك•
ساء ما يحكمون في ايثار آلهتهم على الله وعملهم على ما لم يشرع لهم وكذلك زين لكثير من المشركين
قتل اولادهم شركاؤهم ومثل ذلك التزيين الذي علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم

من الشياطين او من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالواد او بنحرهم للالهة وكان
الرجل يحلف في الجاهلية لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب وقرئ
زين على البناء للفاعل الذي هو شركاوهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول
الذي هو القتل ورفع شركاوهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل لهم زين لهم قتل
اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاوهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع
القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف
فشي لو كان في مكان الضرورات لكان سمجا مردودا كما سمج ورد زج القلوص ابي مزاده
فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القران المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله
على ذلك ان راى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرا بجر الاولاد والشركاء لان
الاولاد شركاوهم في اموالهم لوجد مندوحة عن هذا الارتكاب ليردوهم ليهلكوهم بالاغواء
وليلبسوا عليهم دينهم وليخلطوا عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسماعيل حتى زلوا
عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس فان
قلت ما معنى اللام قلت ان كان التزيين من الشيطان فهو على حقيقة التعليل وان كان
من السدنة فعلى معنى الصيرورة ولو شاء الله مشيئة قسر ما فعلوه ما فعل المشركون ما زين لهم من
القتل او لما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس او جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى
اسم الاشارة فذرهم وما يفترون وما يفترونه من الافك او وافتراءهم وقالوا هذه انعام وحرث
حجر حجر فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوي في الوصف به المذكر والمونث والواحد والجمع
لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرا الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وعن ابن عباس حرج وهو من
التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لالهتهم قالوا لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم
يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء وانعام حرمت ظهورها هي البحائر والسوائب والحوامي
وانعام لا يذكرون اسم الله عليها في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون
عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا انعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه محرمة الظهور
وهذه انعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها اجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله افتراء
عليه اي فعلوا ذلك في معنى الافتراء سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة
لذكورنا ومحرم على ازواجنا كانوا يقولون في اجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص
للذكور ولا ياكل منه الاناث وما ولد ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث خالصة للحمل على
المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا
من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص
كالعافية اي ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرا خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة
مصدر موكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرا ابن عباس
خالصة على الاضافة وفي مصحف عبد الله خالص وان يكن ميتة فهم فيه شركاء وان يكن ما في
بطونها ميتة وقرئ وان تكن بالتانيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرا اهل مكة وان تكن
ميتة بالتانيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير في قوله فهم فيه شركاء لان الميتة
لكل ميت ذكرا وانثى فكانه قيل وان يكن ميت فهم فيه سواء سيجزيهم وصفهم اي جزاء وصفهم
الكذب على الله في التحريم والتحليل من قوله وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام نزلت في ربيعة
ومضر والذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم
سفها بغير علم لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لا هم وقرئ قتلوا بالتشديد وحرموا
ما رزقهم الله من البحائر والسوائب وغيرها افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذي
انشا جنات من الكروم معروشات مسموكات وغير معروشات متروكات على وجه الارض
لم تعرش وقيل المعروشات ما في الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات
مما انبته الله وحشيا في البراري والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا
يعطف عليها القضبان وسقف البيت عرشه والنخل والزرع مختلفا اكله في اللون والطعم
والحجم والرائحة وقرئ اكله بالضم والسكون وهو ثمره الذي يوكل والضمير للنخل والزرع داخل في
حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله فادخلوها
خالدين والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وقرئ ثمره بضمتين

فان

فان قلت ما فائدة قوله اذا اثمر وقد علم انه اذا لم يثمر لم يوكل منه قلت
لما ابيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا اثمر ليعلم ان اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا
يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك واينع وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب
المسرفين الاية مكية والزكوة انما فرضت بالمدينة فاريد بالحق ما كان يتصدق به على
المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل
مدنية والحق هو الزكوة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا
به يوم الحصاد حتى لا توخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء ولا تسرفوا في الصدقة كما
روي عن ثابت بن قيس انه صرم خمسماية نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منها شيئا الى
منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ومن الانعام حمولة وفرشا عطف
على جنات اي وانشا من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه
وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التي تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل
والغنم لانها دانية من الارض للطافة اجرامها مثل الفرش المفروش عليها على الارض كلوا
مما رزقكم ولا تتبعوا خطوات الشيطان في التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية
انه لكم عدو مبين ثمانية ازواج بدل من حمولة وفرشا من الضان اثنين ومن المعز اثنين
قل الذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين اثنين زوجين اثنين
يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد
اذا كان وحده فهو فرد واذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل
قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله ثمانية ازواج ثم فسرها بقوله من الضان
اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان
يكون معه اخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر والضان والمعز
جمع ضاين وماعز كتاجر وتجر وقرئ بفتح العين وقرا ابي ومن المعزى وقرئ اثنان
على الابتداء والهمزة في آلذكرين للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر
من المعز وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار ان
يحرم الله من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين
وكذلك الذكران من جنسي الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون
ذكورة الانعام تارة واناثها تارة واولادها كيفما كانت ذكورا او اناثا او مختلطة تارة
وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم نبئوني بعلم اخبروني بامر معلوم من جهة الله
يدل على تحريم ما حرمتم ان كنتم صادقين في ان الله حرمه ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين
قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء بل اكنتم
شهداء اذ وصاكم الله بهذا ومعنى الهمزة الانكار يعني ام شاهدتم ربكم حين امركم بهذا التحريم
وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يومنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه
فتهكم به في قوله ام كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تومنون
بالرسل فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا فنسب اليه تحريم ما لم يحرم ليضل الناس بغير علم
وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحاير وسيب السوايب ان الله لا يهدي القوم الظالمين
فان قلت كيف فصل بين البعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه قلت
قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء
الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تاكيد
وتشديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد قل لا اجد فيما اوحي الي تنبيه
على ان التحريم انما يثبت بوحي الله وشرعه لا بهوى الانفس محرما طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها
على طاعم يطعمه الا ان يكون ميتة الا ان يكون الشي المحرم ميتة او دما مسفوحا
اي مصبوبا على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله سايلا كالدم في العروق لا كالكبد و
الطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح او لحم خنزير فانه رجس او فسقا اهل لغير الله
به او فسقا عطف على المنصوب قبله سمي ما اهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه
قوله تعالى ولا تاكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان
يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا فان قلت فعلام تعطف

اهل والي م يرجع الضمير في به علي هذا القول قلت يعطف علي يكون ويرجع الضمير
الي ما رجع اليه المستكن في يكون • فمن اضطر فمن دعته الضرورة الي كل شي من هذه المحرمات
غير باغ علي مضطر مثله تارك لمواساته ولا عاد متجاوز قدر حاجته من تناوله فان ربك
غفور رحيم لا يواخذ وعلي الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ذو الظفر ما له اصبع من دابة
او طاير وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي
ظفر بدليل قوله تعالي فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وقوله ومن البقر
والغنم حرمنا عليهم شحومهما كقولك من زيد اخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعني
انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شي منه وترك البقر والغنم علي التحليل لم يحرم منهما الا
الشحوم الخاصة وهي الثروب وشحوم الكلي وقوله الا ما حملت ظهورهما يعني الا ما اشتمل علي الظهور
والجنوب من السحفة او الحوايا او اشتمل علي الامعا او ما اختلط بعظم وهو شحم الالية وقيل
الحوايا عطف علي شحومهما او بمنزلتهما في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين ذلك جزيناهم وهو تحريم
الطيبات ببغيهم بسبب ظلمهم وانا لصادقون فيما اوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف
ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العذاب فان كذبوك
في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة لا يواخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما فقل ربكم ذو
رحمة واسعة لاهل طاعته ولا يرد باسه مع سعة رحمته عن القوم المجرمين فلا يغتر
برجاء رحمته عن خوف نقمته سيقول الذين اشركوا لو شاء الله ما اشركنا ولا اباونا ولا حرمنا
من شي اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه
من شي يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك اباهم وتحريمهم ما احل الله بمشية الله
وارادته ولولا مشيته لم يكن شي من ذلك كمذهب المجبرة بعينه كذلك كذب الذين من قبلهم
اي جاوا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل ركب العقول وانزل في الكتاب ما دل علي غناه
وبراته من مشية القبايح وارادتها • والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبايح
من الكفر والمعاصي بمشية الله تعالي فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله
ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره • حتي ذاقوا باسنا حتي انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم
قل هل عندكم من علم من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم فتخرجوه لنا وهذا من التهكم
والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجة ان تتبعون الا الظن في قولكم هذا • وان انتم
الا تخرصون تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون • وقري كذلك كذب الذين من قبلهم
بالتخفيف قل فلله الحجة البالغة يعني فان كان الامر كما زعمتم ان ما انتم عليه بمشية الله
فلله الحجة البالغة عليكم علي قود مذهبكم • فلو شاء لهداكم اجمعين منكم ومن مخالفيكم في
الدين فان تعليقكم دينكم بمشية الله يقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم ايضا بمشيته فتوالوهم
ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشية تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه •
قل هلم شهداءكم الذين يشهدون ان الله حرم هذا هلم يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر
والمونث عند الحجازيين وبنو تميم تونث وتجمع والمعني هاتوا شهداءكم وقربوهم •
فان قلت كيف امرهم باستحضار شهدايهم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما
ثم امرهم بان لا يشهد معهم قلت امرهم باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة
ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء انهم ليسوا علي شي لتساوي اقدام الشاهد
والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الي ما يصح التمسك به • وقوله فان شهدوا فلا تشهد
معهم يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكانه شهد معهم
مثل شهادتهم وكان واحدا منهم ولا تتبع اهواء الذين كذبوا باياتنا من وضع الظاهر
موضع المضمر للدلالة علي ان من كذب بايات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوي لا غير لانه
لو اتبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالايات موحدا لله فان قلت هلا قيل قل
هلم شهداء كم يشهدون ان الله حرم هذا فاي فرق بينه وبين المنزل قلت
المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم فكان المشهود
لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يثقون به فيحق الحق و
يبطل الباطل فاضيفت الشهداء اليهم وجي بالذين للدلالة علي انهم شهداء معروفون موسومون
بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل

هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا اناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر
طلب شهداء بالحق وذلك ليس بالغرض ويناقضه قوله فان شهدوا فلا تشهد معهم •
والذين لا يومنون بالاخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم •
تعال من الخاص الذي صار عاما واصله ان يقوله من كان في مكان عال لمن هو اسفل منه ثم
كثر واتسع فيه حتي عم • وما حرم منصوب بفعل التلاوة بمعني اتل الذي حرمه ربكم او يحرم
بمعني اتل اي شي حرم ربكم لان التلاوة من القول وان في ان لا تشركوا به شيا بد لا من ما حرم
مفسرة ولا للنهي فان قلت هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ان لا تشركوا بدلا
مما حرم قلت وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي
لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله وبالوالدين احسانا لان التقدير واحسنوا بالوالدين
احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله اوفوا فان قلت فما تصنع بقوله وان
هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرا بالفتح وانما يستقيم عطفه علي ان لا تشركوا اذا
جعلت ان هي الناصبة للفعل حتي يكون المعني اتل عليهم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم
ان هذا صراطي مستقيما قلت اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع
بتقدير اللام لقوله تعالي وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعني ولان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراة بالكسر كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم
او واتبعوا صراطي انه مستقيم فان قلت اذا جعلت ان مفسرة بفعل التلاوة وهو
متعلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل
عليه حرف النهي فما تصنع بالاوامر قلت لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن
جميعا فعل التحريم واشتركن في الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الي اضدادها وهي
الاساءة الي الوالدين وبخس الكيل والميزان وترك العدل في القول ونكث عهد الله ولا تقتلوا
اولادكم من املاق من اجل فقر ومن خشيته كقوله خشية املاق • ما ظهر منها وما بطن
مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق الا بالحق كالقصاص
والقتل علي الردة والرجم ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم الا
بالتي هي احسن الا بالخصلة التي هي احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعني
احفظوه عليه حتي يبلغ اشده فادفعوه اليه واوفوا الكيل والميزان • بالقسط بالسوية
وبالعدل لا نكلف نفسا الا وسعها ولا تعجز عنه وانما الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك
لان مراعاة الحد من القسط الذي لا زيادة فيه ولا نقصان مما يجري فيه الحرج فامر ببلوغ
الوسع وان ما وراءه معفو عنه واذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربي ولو كان المقول
له او عليه في شهادة او غيرها من اهل قرابة القايل فما ينبغي ان يزيد في القول او ينقص كقوله
ولو علي انفسكم او الوالدين والاقربين وبعهد الله اوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه • وقري وان هذا صراطي مستقيما بتخفيف ان واصله
انه هذا صراطي علي ان الهاء ضمير الشان والحديث • وقرا الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف
عبد الله وهذا صراط ربكم وفي مصحف ابي وهذا صراط ربك ولا تتبعوا السبل الطرق المختلفة
في الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وساير البدع والضلالات فتفرق بكم فتفرقكم
ايادي سبا عن سبيله عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام • وقري فتفرق بادغام
التاء • روي ابو وايل عن ابن مسعود رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه وسلم انه خط خطا
ثم قال هذا سبيل الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل علي كل سبيل
منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله
عنهما هذه الايات المحكمات لم ينسخهن شي من جميع الكتب وقيل انهن ام الكتاب من عمل بهن دخل
الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب الاحبار والذي نفس كعب بيده ان هذه الايات لاول شي في
التوراة ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ثم اتينا موسي الكتاب فان قلت
علام عطف قوله ثم اتينا موسي الكتاب قلت علي وصاكم به فان قلت
كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر طويل قلت هذه التوصية قديمة
لم تزل توصاها كل امة علي لسان نبيها كما قال ابن عباس محكمات لم ينسخهن شي من جميع الكتب فكانه
قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا ثم اعظم من ذلك انا اتينا موسي الكتاب وانزلنا

هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر السورة من قوله ووهبنا
له اسحق ويعقوب تماما على الذي احسن تماما للكرامة والنعمة على الذي احسن على من كان
محسنا صالحا يريد جنس المحسنين ويدل عليه قراءة عبد الله على الذين احسنوا او اراد به موسى
عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما امر به او
تماما على الذي احسن موسى من العلم والشرايع من احسن الشي اذا اجاد معرفته اي زيادة
على علمه وجه التتميم • وقرا يحيى بن يعمر على احسن اي على الذي هو احسن بحذف المبتدا كقراءة
من قرا مثلا ما بعوضة بالرفع اي على الذين الذي هو احسن دين وارضاه واتينا موسى
الكتاب تماما اي تاما كاملا على احسن ما يكون عليه الكتب اي على الوجه والطريق الذي هو
احسن وهو معنى قول الكلبي اتم له الكتاب على احسنه وتفصيلا لكل شي وهدى ورحمة لعلهم
بلقاء ربهم يومنون وهذا كتاب انزلناه مبارك فاتبعوه لعلكم ترحمون ان يقولوا كراهة
ان يقولوا انما انزل الكتاب على طايفتين من قبلنا يريدون اهل الكتاب التورية واهل الانجيل وان
كنا هي ان المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا
عن دراستهم لغافلين على ان الها ضمير الشان عن دراستهم عن قراتهم اي لم نعرف مثل دراستهم
او تقولوا لو انا انزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم لحدة اذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة
حفظنا لايام العرب ودقايقها وخطبها واشعارها واشجاعها وامثالها على انا اميون •
وقرى ان يقولون او يقولوا بالياء فقد جاكم بينة من ربكم وهدى ورحمة تبكيت لهم وهو
على قراءة من قرا يقولون على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتم فيما كنتم
تعدون من انفسكم فقد جاكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من احاسن الحذوف فمن اظلم ممن
كذب بايات الله بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك وصدف عنها الناس
فضل واضل سنجزي الذين يصدفون عن اياتنا سوء العذاب كقوله الذين كفروا وصدوا
عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا ان تاتيهم الملايكة
ملايكة الموت والعذاب او ياتي ربك او ياتي كل ايات ربك بدليل قوله او ياتي بعض ايات
ربك يريد ايات القيمة والهلاك الكلي وبعض الايات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير
ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ اشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال ما تتذاكرون قلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر ايات الدخان
ودابة الارض وخسفا بالمغرب وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها وياجوج
وماجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن يوم ياتي بعض ايات ربك لا ينفع نفسا ايمانها
لم تكن امنت من قبل لم تكن امنت من قبل صفة لقوله نفسا • وقوله او كسبت في ايمانها خيرا •
عطف على امنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي ايات ملجئة مضطرة ذهب اوان
التكليف عندها فلم ينفع الايمان نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الايات او مقدمة
ايمانها غير كاسبة خيرا في ايمانها فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا امنت في غير وقت الايمان
وبين النفس التي امنت في وقتها ولم تكسب خيرا لتعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع
بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احدهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة و
الهلاك قل انتظروا انا منتظرون وعيد وقرى ان تاتيهم الملايكة بالياء والتاء • وقرا ابن
سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المونث الذي بعضه كقوله ذهبت بعض
اصابعه ان الذين فرقوا دينهم اختلفوا فيه اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود
على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى •
على ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق امتي على ثلاث وسبعين كلها
في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فامنوا ببعض وكفروا ببعض • وقرى فارقوا دينهم
اي تركوه وكانوا شيعا فرقا كل فرقة تشيع اماما لها • لست منهم في شي اي من السوال عنهم وعن
تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة باية السيف • انما امرهم الى الله ثم ينبيهم بما كانوا
يفعلون من جاء بالحسنة فله عشر امثالها على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف
تقديره عشر حسنات امثالها • وقرى عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا اقل ما
وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحدة سبعماية ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات
فضل ومكافاة السيئات عدل ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون

لا ينقص

لا ينقص ثوابهم ولا يزاد على عقابهم • قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم • دينا
قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين دينا نصب على البدل من محل الى صراط لان
معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما • والقيم فيعل من قام كسيد
من ساد وهو ابلغ من القايم • وقرى قيما فالقيم مصدر بمعنى القيام وصف به • وملة
ابراهيم عطف بيان • وحنيفا حال من ابراهيم قل ان صلاتي ونسكي وعبادتي وتقربي
كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلوة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل
صلاتي وحجي من مناسك الحج ومحياي ومماتي وما اتيه في حياتي واموت عليه من الايمان
والعمل الصالح • لله رب العالمين خالصة لوجهه وبذلك من الاخلاص امرت وانا اول
المسلمين لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام امته • قل اغير الله ابغي ربا جواب عن دعايهم
الى عبادة الهتهم والهمزة للانكار اي منكرا ان ابغي ربا غيره وهو رب كل شي وكل من دونه
مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل افغير الله تامروني اعبد • ولا تكسب
كل نفس الا عليها جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم ولا تزر وازرة وزر اخرى
ثم الى ربكم مرجعكم فينبيكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلايف الارض
لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت امته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا
او هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها ورفع بعضكم فوق بعض درجات
في الشرف والرزق ليبلوكم فيما اتاكم من نعمة الجاه والمال كيف تشكرون تلك النعم وكيف
يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير ان ربك سريع العقاب لمن كفر نعمته
وانه لغفور رحيم لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم انزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك
لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرا سورة الانعام صلى عليه واستغفر له اولئك السبعون
الف ملك بعدد كل اية من سورة الانعام يوما وليلة سورة الاعراف مكية
الا ثمان ايات منه قوله واسيلهم عن القرية الى واذ نتقنا الجبل وهي مايتان وست ايات

بسم الله الرحمن الرحيم

المص كتاب انزل
اليك كتاب خبر مبتدا محذوف اي هو كتاب • وانزل اليك صفة له والمراد بالكتاب السورة •
فلا يكن في صدرك حرج منه اي شك منه كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك و
سمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه اي
لا نشك انه منزل من الله او حرج في تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه
واذاهم فكان يضيق صدره من الاذى ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم
فان قلت بم تعلق قوله لتنذر به • قلت بانزل اي انزل اليك لانذارك
به او بالنهي لانه اذا لم يخفهم انذرهم وكذلك اذا ايقن انه من عند الله شجعه اليقين
على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه وعصمته وذكرى للمومنين
فان قلت ما محل ذكرى قلت يحتمل الحركات الثلاث النصب باضمار
فعلها كانه قيل لتنذر وتذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع على كتاب
او بانه خبر مبتدا محذوف والجر العطف على محل لتنذر اي للانذار والذكرى فان قلت
النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا ارينك
هاهنا اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم من القران والسنة ولا تتبعوا من دونه من دون الله
اولياء ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملونكم على عبادة الاوثان والاهواء
والبدع ويضلونكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن ادم امرت
باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت اية الا ويحب ان يعلم فيما انزلت
وما معناها • وقرا مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا
ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تبتغوا من دون دين الله اولياء
قليلا ما تذكرون حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرى تتذكرون بحذف الياء •
وتتذكرون بالتاء • وقليلا نصب بتذكرون اي تذكرون تذكرا قليلا • وما مزيدة
لتوكيد القلة وكم من قرية اهلكناها فجاءها فجاء اهلها باسنا بياتا مصدر واقع
موقع الحال بمعنى بايتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله او هم قايلون

حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم باسنا بايتين او قايلين فان قلت
هل تقدير حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية وقبل الضمير في اهلكناها قلت
انما يقدر المضاف للحاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير
في فجاءها لقوله او هم قايلون فان قلت لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما
بال قوله او هم قايلون قلت قدر بعض النحويين الواو المحذوفة ورده الزجاج
وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس لم يحتج الى واو لان الذكر قد عاد على الاول والصحيح
انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي
واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا وهو فارس كلام فصيح وارد على حده
واما جاءني زيد هو فارس فخبيث فان قلت فما معنى اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك
انما هو بعد مجيء الباس قلت معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما
خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقتا الغفلة والدعة فيكون
نزول العذاب فيهما اشد وافظع وقوم لوط اهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت
القيلولة • فما كان دعواهم اذ جاءهم باسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فما كانوا يدعونه
وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم • انا كنا ظالمين فيما كنا عليه
ويجوز ان يكون ما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا يستغاث من الله بغيره من قولهم
دعواهم يا لكعب فما كان دعواهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفع وان لات حين
دعاء ولا يزيدون على ذم انفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا
رفع اسم له ويجوز العكس فلنسألن الذين ارسل اليهم ارسل مسند الى الجار والمجرور وهو اليهم
ومعناه فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسالهم عما اجابوا به رسلهم كما قال ويوم يناديهم
فيقول ماذا اجبتم المرسلين ولنسألن المرسلين عما اجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل
فيقول ماذا اجبتم فلنقصن عليهم على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم • بعلم عالمين باحوالهم
الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم وما كنا غايبين عنهم وعما وجد منهم فان قلت
فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم قلت معناه التوبيخ والتقريع
والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم • والوزن يومئذ الحق يعني وزن
الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته •
اي والوزن يوم يسال الله الامم ورسلهم الوزن الحق اي العدل • وقرئ القسط واختلف
في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان ينظر اليه الخلايق تاكيدا
للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسالهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم
وتشهد عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملايكة والاشهاد
وكما يكتب في صحايفهم فيقرؤونها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم
العادل • فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون موازينه جمع ميزان اي موزون
اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات اي تثقل وحق الميزان
ان يوضع فيه السيات ان يخف • ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا
باياتنا يظلمون يكذبون بها ظلما لقوله وظلموا بها ظلما • ولقد مكناكم في الارض جعلنا لكم
فيها مكانا وقرارا او مكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها • وجعلنا لكم فيها معايش
جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها او ما يتوصل به الى ذلك والوجه
تصريح الياء، وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحايف قليلا ما تشكرون • ولقد خلقناكم ثم
صورناكم يعني اباكم ادم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله ثم قلنا للملايكة
اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين ممن سجد لادم • قال ما منعك
الا تسجد لا في الا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم
اهل الكتاب بمعنى ليعلم فان قلت فما فايدة زيادتها قلت توكيد معنى
الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كانه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك عن السجود
تلزمه نفسك اذ امرتك لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا واحتمه حتما لا بد منه
فان قلت لم سال عن المانع من السجود وقد علم ما المانع منه قلت للتوبيخ ولاظهار
معاندته وكبره وكفره وافتخاره باصله وازدرايه باصل ادم وانه خالف امر ربه معتقدا

انه

انه غير واجب عليه لما راى ان سجود الفاضل للمفضول خارج عن الصواب قال انا خير منه
خلقتني من نار وخلقته من طين فان قلت كيف يكون قوله انا خير منه جوابا
لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا قلت قد استانف قصة اخبر فيها عن
نفسه بالفضل على ادم وبفضله فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل ادم من طين فعلم
منها الجواب وزيادة عليه وانكار الامر عليه واستبعاد ان يكون مثله مامورا بالسجود
لمثله كانه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما امر به • قال فاهبط منها
من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملايكة الى الارض التي هي مقر العاصين
والمتكبرين من الثقلين • فما يكون لك فما يصح لك ان تتكبر فيها وتعصي فاخرج انك من الصاغرين
من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته
وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار البس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع
لله رفعه الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدى طوره وهصه الله في الارض
قال فانظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين فان قلت لم اجيب الى
استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده ويغويهم قلت لما في ذلك من ابتلاء العباد
وفي مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق الله في الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ
والملاهي وما ركب في الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده قال فبما اغويتني فبما اغوايك اياي
وهو تكليفه اياه ما وقع به في الغي ولم يثبت كما ثبت الملايكة مع كونهم افضل منه ومن ادم
انفسا ومناصب وعن الاصم امرتني بالسجود فحملني الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي
في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم فان قلت بم
تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن قلت
تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتني اقسم بالله لاقعدن اي فبسبب اغوايك
اقسم ويجوز ان تكون الباء للقسم اي فاقسم باغوايك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه
كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد وكان جديرا بان يقسم به
ومن تكاذيب المجبرة ما حكوا عن طاوس انه كان في المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى
بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه
فقال ابليس افقه منه قال يا رب بما اغويتني وهو يقول انا اغوي نفسي وما ظنك بقوم
بلغ من تهالكهم على اضافة القبايح الى الله تعالى ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة
والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باي شيء اغويتني ثم ابتدا لاقعدن
واثبات الالف اذا دخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ • واصل الغي الفساد ومنه
غوي الفصيل اذا بشم والبشم فساد • لاقعدن لهم صراطك المستقيم لاعترضن لهم على طريق
الاسلام كما يتعرض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله •
كما عسل الطريق الثعلب • وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر
والبطن اي على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن ادم
باطرقه فقعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين اباءك فعصاه فاسلم ثم قعد له بطريق
الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له •
تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امراتك فعصاه فقاتل • ثم لاتينهم من بين ايديهم ومن
خلفهم وعن ايمانهم وعن شمايلهم من الجهات الاربع التي ياتي منها العدو في الغالب وهذا
مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما امكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم
بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك فان قلت كيف قيل من بين ايديهم ومن خلفهم
بحرف الابتداء وعن ايمانهم وعن شمايلهم بحرف المجاوزة قلت المفعول فيه عدي
اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية في ذلك اختلفت هنا وكانت
لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه
وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلي من
المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له
ثم كثر حتى استعمل في المتجافي وغيره كما ذكرنا في تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس
وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها للرمي ويبتدي

الرمي منها وكذلك قالوا اجلس بين يديه وخلفه بمعنى في لأنهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لأن الفعل يقع في بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق ما من صباح إلا قعد لي الشيطان على أربعة مراصد من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي أما من بين يدي فيقول لا تخف فإن الله غفور رحيم فأقرأ وإني لغفار لمن تاب وآمن الآية وأما من خلفي فيخوفني على تخلفي الضيعة فأقرأ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وأما من قبل يميني فيأتيني من قبل الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وأما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين ما يشتهون • ولا تجد أكثرهم شاكرين قاله تظنيا بدليل قوله ولقد صدق عليهم إبليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة بإخبار الله لهم قال اخرج منها مذءوما مدحورا مذؤما من ذأمه إذا ذمه وقرئ الزهري مذوما بالتخفيف مثل مسول في مسؤول • واللام في لمن تبعك منهم موطئة للقسم ولأملأن جهنم جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط • منكم أجمعين منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله إنكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم منكم أجمعين على أن لأملأن في محل الابتداء ولمن تبعك خبره • ويا آدم وقلنا يا آدم • اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقرئ هذي الشجرة والأصل الياء والهاء بدل منها فوسوس لهما الشيطان ويقال وسوس إذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسواس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المرأة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس إليه وهو الذي تلقى إليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لأجله ووسوس إليه ألقاها إليه ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما جعل ذلك غرضا له ليسوءهما إذا رأيا ما يؤثران ستره وأن لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على أن كشف العورة من عظائم الأمور وأنه لم يزل مستهجنا في الطباع مستقبحا في العقول فإن قلت ما للواو المضمومة في ووري لم تقلب همزة كما في أويصل قلت لأن الثانية مدة كألف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله • أوري بالقلب وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين إلا كراهة أن تكونا ملكين وفيه دليل على أن الملائكة بالمنظر الأعلى وأن البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام كقوله وملك لا يبلى أو تكونا من الخالدين من الذين لا يموتون ويبقون في الجنة ساكنين • وقرئ من سوتهما بالتوحيد وسوّاتهما بالواو المشددة وقاسمهما وأقسم لهما إني لكما لمن الناصحين فإن قلت المقاسمة أن تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تقاسموا بالله لنبيتنه قلت كأنه قال لهما أقسم لكما إني لكما لمن الناصحين وقالا له أتقسم بالله إنك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة بينهم أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسما له بالقبول وأخرج قسم إبليس على زنة المفاعلة لأنه اجتهد فيها اجتهاد المقاسم • فدلاهما فنزلهما إلى الأكل من الشجرة • بغرور بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وإنما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر أنه كان إذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه وكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له إنهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له • فلما ذاقا الشجرة وجدا طعمها آخذين في الأكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم بدت لهما سوآتهما أي تهافت عنهما اللباس وظهرت لهما عوراتهما وكانا لا يريانها من أنفسهما ولا أحدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كان لباسهما من جنس الأظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر وطفقا يقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا • وقرأ أبو السمال وطفقا بالفتح يخصفان عليهما يجعلان ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بأن يجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور • وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان • وقرأ الزهري يخصفان من أخصف وهو منقول من خصف أي يخصفان من خصف بالتشديد • من ورق الجنة قيل كان من ورق التين وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين المراد عتاب من الله وتوبيخ وتنبيه على الخطأ حيث لم يحذرا ما حذرهما من عداوة إبليس وروي أنه قال لآدم ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك

ولكن

ولكن ما ظننت أن أحدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتي لأهبطنك إلى الأرض ثم لا تنال العيش إلا كدا فأهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين وسميا ذنبهما وإن كان صغيرا مغفورا ظلما لأنفسهما وقالا لنكونن من الخاسرين على عادة الأولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات قال اهبطوا الخطاب لآدم وحواء وإبليس والحية بعضكم لبعض عدو في موضع الحال أي متعادين يعاديهما إبليس ويعاديانه ولكم في الأرض مستقر استقرار أو موضع استقرار ومتاع وانتفاع بعيش إلى حين إلى انقضاء آجالكم وعن ثابت البناني لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلي ملائكة ربي فإنما أصابني الذي أصابني فيك فلما توفي غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته في وتر من الثياب وحفروا له ولحدوه ودفنوه بسرنديب بأرض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يواري سوآتكم وريشا جعل ما في الأرض منزلا من السماء لأنه قضي ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج • والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لأنه لباسه وزينته أي أنزلنا عليكم لباسين لباسا يواري سوآتكم ولباسا يزينكم لأن الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال • وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب ولباس التقوى ولباس الورع والخشية من الله وارتفاعه على الابتداء وخبره إما الجملة التي هي ذلك خير كأنه قال ولباس التقوى هو خير لأن أسماء الإشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع إلى عود الذكر وإما المفرد وهو خير وذلك صفة للمبتدأ كأنه قيل ولباس التقوى المشار إليه خير ولا تخلو الإشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون إشارة إلى اللباس المواري للسوأة لأن مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدأ محذوف أي وهو لباس التقوى ثم قيل خير • وفي قراءة عبد الله وأبي ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرهما مما يتقى به في الحروب • وقرئ ولباس التقوى بالنصب عطفا على لباسا وريشا • ذلك من آيات الله الدالة على فضله ورحمته على عباده يعني إنزال اللباس لعلهم يذكرون فيعرفوا عظيم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها إظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العري وكشف العورة من المهانة والفضيحة وإشعارا بأن التستر باب عظيم من أبواب التقوى يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة لا يمحنكم بأن لا تدخلوا الجنة كما محن أبويكم بأن أخرجهما منها ينزع عنهما لباسهما حال أي أخرجهما نازعا لباسهما بأن كان سببا في أن نزع عنهما ليريهما سوآتهما إنه يراكم هو تعليل للنهي وتحذير من فتنته بأنه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار إن عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة إلا من عصمه الله هو وقبيله وجنوده من الشياطين من حيث لا ترونهم وفيه دليل بين أن الجن لا يرون ولا يظهرون للإنس وأن إظهارهم أنفسهم ليس في استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة • إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون أي خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الأول فإن قلت علام عطف وقبيله قلت على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في إنه ضمير الشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان أن يعطف على اسم إن وأن تكون الواو بمعنى مع وإذا عطف على اسم إن وهو الضمير في إنه كان راجعا إلى إبليس وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء الفاحشة ما تبالغ في قبحه من الذنوب أي إذا فعلوها اعتذروا بأن آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله أمرهم بأن يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لأن أحدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله وإلحاد في صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن إن الله بعث محمدا عليه السلام إلى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قوله تعالى وإذا فعلوا فاحشة • قل إن الله لا يأمر بالفحشاء لأن فعل القبيح

هم

مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصوارف فكيف يأمر بفعله • أتقولون على الله ما لا تعلمون
إنكار لإضافتهم القبيح إليه وشهادة على أن مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم
بالبيت عراة • قل أمر ربي بالقسط بالعدل وبما قام في النفوس أنه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل
بالتوحيد • وأقيموا وجوهكم أي اقصدوا عبادته مستقيمين إليها غير عادلين إلى غيرها • عند كل
مسجد في كل وقت سجود أو في كل مكان سجود وهو الصلوة • وادعوه واعبدوه • مخلصين له الدين
أي الطاعة مبتغين بها وجهه خالصا • كما بدأكم تعودون كما أنشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في
إنكارهم الإعادة بابتداء الخلق والمعنى أنه يعيدكم فيجازيكم على أعمالكم فأخلصوا له العبادة • فريقا هدى
وهم الذين أسلموا أي وفقهم للإيمان • وفريقا حق عليهم الضلالة أي كلمة الضلالة وعلم الله
أنهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق
عليهم الضلالة • إنهم أي الفريق الذين حق عليهم الضلالة • اتخذوا الشياطين أولياء من دون
الله ويحسبون أنهم مهتدون أي تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على أن علم الله لا أثر له
في ضلالهم وأنهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين من دون الله • يا بني آدم خذوا زينتكم
أي ريشكم ولباس زينتكم عند كل مسجد كلما صليتم أو طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس
لم يأمرهم بالحرير والديباج وإنما كان أحدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد وإن طاف وهي
عليه ضرب وانتزعت منه لأنهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل الزينة المشط وقيل
الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته • وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام إلا
قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون نحن أحق أن نفعل فقيل لهم • وكلوا واشربوا
ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين وعن ابن عباس كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان
سرف ومخيلة • وحكي أن الرشيد كان له طبيب حاذق نصراني فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في
كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان فقال له قد جمع الله الطب كله
في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر
من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال
المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء وأعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم
ولا نبيكم لجالينوس طبا • قل من حرم زينة الله من الثياب وكل ما يتجمل به التي أخرج لعباده •
والطيبات من الرزق والمستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من إنكار تحريم
هذه الأشياء وقيل كانوا إذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها • قل هي
للذين آمنوا في الحيوة الدنيا غير خالصة لهم لأن المشركين شركاؤهم فيها • خالصة يوم القيمة
لا يشركهم فيها أحد • كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون • فإن قلت هلا قيل
للذين آمنوا ولغيرهم قلت لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريقة الأصالة وأن
الكفرة تبع لهم كقوله ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب
على الحال وبالرفع على أنها خبر بعد خبر • قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن الفواحش
ما تفاحش قبحه أي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج • والإثم عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر • والبغي
الظلم والكبر أفرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي • بغير الحق وأن تشركوا بالله
ما لم ينزل به سلطانا فيه تهكم لأنه لا يجوز أن ينزل برهانا بأن يشرك به غيره • وأن تقولوا على الله
ما لا تعلمون وأن تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره • ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم
لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وعيد لأهل مكة بالعذاب النازل في أجل معلوم عند الله كما نزل
بالأمم وقرئ فإذا جاء آجالهم وقال ساعة لأنها أقل الأوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه
في ساعة يريد أقصر وقت وأقربه • يا بني آدم إما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى
وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب
النار هم فيها خالدون إما يأتينكم هي إن الشرطية ضمت إليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت
فعلها النون الثقيلة والخفيفة • فإن قلت فما جزاء هذا الشرط قلت الفاء وما بعده
من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى وأصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء • فمن أظلم ممن
أشنع ظلما • ممن افترى على الله كذبا ممن تقول على الله ما لم يقله أو كذب بآياته أو كذب ما قاله أولئك
ينالهم نصيبهم من الكتاب أي مما كتب لهم من الأرزاق والأعمار • حتى إذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم
قالوا أين ما كنتم تدعون من دون الله حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له أي إلى وقت

وفاتهم

وفاتهم وهي التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي إذا جاءتهم رسلنا قالوا
ويتوفونهم حال من الرسل أي متوفيهم والرسل ملك الموت وأعوانه • وما وقعت موصولة
بأين في خط المصحف وكان حقها أن تفصل لأنها موصولة بمعنى أين الآلهة الذين تدعون •
قالوا ضلوا عنا غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بأنهم لم يكونوا على شيء فيما
كانوا عليه وأنهم لم يجدوه في العاقبة • قال ادخلوا في أمم أي يقول الله تعالى يوم القيمة
لأولئك الذين قال فيهم فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته وهم كفار العرب •
في أمم في موضع الحال أي كائنين في جملة أمم وفي غمارهم مصاحبين لهم أي ادخلوا في النار
مع أمم • قد خلت من قبلكم مضت وتقدم زمانهم زمانكم • من الجن والإنس في النار كلما دخلت
أمة لعنت أختها التي ضلت بالاقتداء بها • حتى إذا اداركوا فيها جميعا أي تداركوا بمعنى
تلاحقوا واجتمعوا في النار • قالت أخراهم منزلة وهي الأتباع والسفلة • لأولاهم منزلة وهي
القادة والرؤساء ومعنى لأولاهم لأجل أولاهم لأن خطابهم مع الله لا معهم • ربنا هؤلاء
أضلونا فآتهم عذابا ضعفا مضاعفا • قال لكل ضعف لأن كلا من القادة والأتباع كانوا ضالين
مضلين • ولكن لا تعلمون قرئ بالتاء والياء • وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل
عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أي فقد ثبت أن لا فضل لكم علينا
وأنا متساوون في استحقاق الضعف • فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون من قول القادة
أو من قول الله جميعا • إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء
ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط لا تفتح لهم أبواب السماء لا يصعد لهم عمل صالح إليه
يصعد الكلم الطيب كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين وقيل إن الجنة في السماء فالمعنى لا يؤذن لهم
في صعود السماء ولا تطرق لهم إليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد أرواحهم إذا ماتوا كما
تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون فتحنا أبواب السماء
وقرئ لا تفتح لهم بالتشديد ولا يفتح بالياء والتاء للفاعل ونصب الأبواب على أن الفعل
للآيات وبالياء على أن الفعل لله تعالى • وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن
جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل
ومعناها القلس الغليظ لأنه حبال جمعت فجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس أن الله
تعالى أحسن تشبيها من أن يشبه بالجمل يعني أن الحبل مناسب للخيط الذي يسلك في سم
الإبرة والبعير لا يناسبه إلا أن قراءة العامة أوقع لأن سم الإبرة مثل في ضيق المسلك يقال
أضيق من خرت الإبرة وقالوا للدليل الماهر خريت للاهتداء به في المضايق المشبهة بأخرات
الإبر والجمل مثل في عظم الجرم قال • جسم الجمال وأحلام العصافير •
أو لأنه لا بأس بالقوم من طول ومن عظم •
إن الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الأجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون
أبدا من ولوج هذا الحيوان الذي لا يلج إلا في باب واسع في ثقب الإبرة وعن ابن مسعود
رضي الله عنه أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل وإشارة إلى أن
طلب معنى آخر تكلف • وقرئ في سم بالحركات الثلاث وقرأ عبد الله في سم المخيط والخياط
والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الإبرة • وكذلك ومثل ذلك الجزاء الفظيع
نجزي المجرمين ليؤذن أن الإجرام هو السبب الموصل إلى العقاب وأن كل من أجرم عوقب
وقد كرره فقال وكذلك نجزي الظالمين لأن كل مجرم ظالم لنفسه • لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم
غواش وكذلك نجزي الظالمين مهاد فراش غواش أغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله
وله الجوار المنشآت في قراءة عبد الله • والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا إلا
وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون لا نكلف نفسا إلا وسعها جملة معترضة
بين المبتدأ والخبر للترغيب في اكتساب ما لا يكتنهه وصفا لواصف من النعيم الخالد مع
التعظيم بما هو في الوسع وهو الإمكان الواسع غير الضيق من الإيمان والعمل الصالح • وقرأ الأعمش
لا تكلف نفس • ونزعنا ما في صدورهم من غل تجري من تحتهم الأنهار • من كان في قلبه
غل على أخيه في الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت فلم يكن بينهم إلا التواد والتعاطف
وعن علي رضي الله عنه إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم • وقالوا الحمد
لله الذي هدانا لهذا أي وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الإيمان والعمل الصالح •
وما كنا لنهتدي اللام لتوكيد النفي لولا أن هدانا الله يعنون وما كان يستقيم أن

لنكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام وما كنا لنهتدي بغير واو
على انها جملة موضحة للاولى لقد جاءت رسل ربنا بالحق فكان لطفا وتنبيها على الاهتداء
فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من
رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يتمالك ان لا يقوله للفرح لا للقربة ونودوا ان
تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون ان مخففة من الثقيلة ونودوا بانه تلكم الجنة اورثتموها
والضمير ضمير الشان والحديث ويكون بمعنى اي لان المناداة من القول كانه قيل
وقيل لهم تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة ونادى
اصحاب الجنة اصحاب النار ان قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا
نعم فاذن مؤذن بينهم ان لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها
عوجا وهم بالاخرة كافرون ان في ان قد وجدنا يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون
مفسرة كالتي سبقت انفا وكذلك ان لعنة الله على الظالمين وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم
وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن
بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يامره الله فينادي بينهم نداء يسمع اهل الجنة و
النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرا الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة
القول او على اجراء اذن مجرى قال فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا
ربنا قلت حذف ذلك للدلالة تخفيفا وعدنا عليه ولقائل ان يقول اطلق ليتناول
كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيمة لانهم كانوا
مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم اهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق
لذلك وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا اصحاب الجنة ان سلام
عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون وبينهما حجاب يعني الجنة والنار او بين الفريقين وهو
السور المذكور في قوله فضرب بينهم بسور وعلى الاعراف وعلى اعراف الحجاب وهو
السور المضروب بين الجنة والنار وهي اعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف
الديك رجال من المسلمين من اخرهم دخولا في الجنة لقصور اعمالهم كانهم المرجون لامر الله
يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنة يعرفون كلا من السعداء
والاشقياء بسيماهم بعلامتهم التي اعلمهم الله بها يلهمهم الله ذلك او تعرفهم الملائكة
اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب
النار ورأوا ما هم فيه من العذاب قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين استعاذوا
بالله وفزعوا الى رحمته ان لا يجعلهم معهم ونادى اصحاب الاعراف رجالا ونادوا رجالا من
رؤس الكفرة يعرفونهم بسيماهم قالوا ما اغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون اهؤلاء الذين
اقسمتم لا ينالهم الله برحمة يقولون اهؤلاء الذين اقسمتم لا ينالهم الله برحمة اشارة لهم
الى اهل الجنة الذين كان الرؤسا يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم
من الدنيا وكانوا يقسمون ان الله لا يدخلهم الجنة ادخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا انتم
تحزنون يقال لاصحاب الاعراف ادخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا
الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك ان الجزاء على
قدر الاعمال وان التقدم والتاخر على حسبها وان احدا لا يسبق عليه عند الله الا بسبقه
في العمل ولا يتخلف عنه الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون في حال السابقين ويحرصوا
على احراز قصبهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التي استوجب ان
يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن في احسانه وليعلم
ان العصاة يوبخهم كل احد حتى اقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا
يصرف ابصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا وقرا الاعمش واذا قلبت ابصارهم وقرئ
ادخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرا عكرمة دخلوا الجنة فان قلت كيف لاءم هاتين
القراءتين قوله لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون قلت تاويله ادخلوا الجنة او دخلوا الجنة
مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون
قلت لا محل له لانه استيناف كان سائلا سال عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها
وهم يطمعون يعني حالهم ان دخولهم الجنة استاخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم

محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال ما اغنى
عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس
وقرئ تستكثرون من الكثرة ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من
الماء افيضوا علينا فيه دليل على ان الجنة فوق النار او مما رزقكم الله من غيره من الاشربة
لدخوله في حكم الافاضة ويجوز ان يراد او القوا علينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة
كقوله ∴ علفتها تبنا وماء باردا ∴ وانما يطلبون ذلك
مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة في امرهم كما يفعل المضطر الممتحن قالوا ان الله حرمهما
على الكافرين منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله
∴ حرام على عيني ان تطعم الكرى ∴ الذين اتخذوا دينهم لهوا و
غرتهم الحيوة الدنيا فاليوم ننساهم نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا
يذكرونهم به كما نسوا لقاء يومهم هذا كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا
به وما كانوا باياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم عالمين كيف نفصل احكامه
ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذي عوج وقرا ابن محيصن فضلناه
بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين انه اهل للتفضيل عليها وهدى ورحمة
حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تاويله
الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد
يوم ياتي تاويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق اي تبين وصح انهم
جاؤا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل قد خسروا انفسهم
وضل عنهم ما كانوا يفترون نرد جملة معطوفة على الجملة التي قبلها داخلة معها في حكم
الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول
ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل اخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد
وقرا ابن ابي اسحق او نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا او تكون او بمعنى حتى ان اي يشفعون
لنا حتى نرد فنعمل وقرا الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل ان ربكم الله الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا يغشي الليل النهار
وقرئ يغشي الليل بالتشديد اي يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثاني
قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار اي يدرك النهار الليل
ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره بمشيئته في
تصريفه وهو متعلق بمسخرات اي خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها
سمي ذلك امرا على التشبيه كانهن مامورات بذلك وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع
ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بامره قال الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين اي هو الذي
خلق الاشيا وهو الذي صرفها على حسب ارادته ادعوا ربكم تضرعا وخفية نصب على الحال
اي ذوي تضرع وخفية وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهي الذل اي تذللا وتملقا
وقرئ وخفية وعن الحسن رحمه الله ان الله يعلم القلب التقي والدعاء الخفي ان كان الرجل لقد جمع
القران وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه الكثير ولا يشعر الناس به وان كان الرجل
ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد ادركنا اقواما ما كان على الارض من عمل
يقدرون على ان يعملوه في السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون يجتهدون في الدعا
وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم
وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون
ضعفا انه لا يحب المعتدين اي المجاوزين ما امروا به في كل شيء من الدعاء وغيره عن ابن جريج
هو رفع الصوت بالدعاء وعنه الصياح في الدعاء مكروه وقيل هو الاسهاب في الدعاء وعن
النبي صلى الله عليه وسلم سيكون قوم يعتدون في الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم اني اسالك
الجنة وما قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ
قوله انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا
ان رحمة الله قريب من المحسنين كقوله واني لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا وانما ذكر قريب
على تاويل الرحمة بالرحم او الترحم او لانه صفة موصوف محذوف اي شيء قريب او على تشبيهه

بفعيل الذي بمعنى مفعول كما شبه ذاك به فقيل قتلاء واسرآء او على انه بزنة المصدر الذي
هو النقيض والضغيب او لان تانيث الرحمة غير حقيقي • وهو الذي يرسل الرياح نشرا وقري
نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا واما على الحال
بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا بالتخفيف نشر كرسل ورسل وقرا مسروق نشرا بمعنى منشورات
فعل بمعنى مفعول كنفض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بالتخفيف وبشرا بفتح
البا مصدر من بشره بمعنى بشره اي باشرات وبشرى بين يدي رحمته امام نعمته وهي الغيث الذي هو
من اجل النعم واحسنها اثرا • حتى اذا اقلت حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق
يرى ما يرفعه قليلا • سحابا ثقالا سحائب ثقالا بالما جمع سحابة سقناه الضمير للسحاب على اللفظ ولو
حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا • لبلد ميت لاجل بلد ليس فيه حيا
ولسقيه • وقري ميت • فانزلنا به بالبلد او بالسحاب او بما يسوق الما • وكذلك فاخرجنا به من كل الثمرات
كذلك مثل ذلك الاخراج وهو اخراج الثمرات • نخرج الموتى لعلكم تذكرون فيوديكم التذكر الى انه
لا فرق بين الاخراجين اذ كل واحد منهما اعادة للشي بعد انشائه • والبلد الطيب الارض الغداة
الكريمة التربة • والذي خبث الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به • يخرج نباته باذن ربه
تيسيره وهو في موضع الحال كانه قيل يخرج نباته حسنا وافيا لانه واقع في مقابلة نكدا والنكد الذي لا خير
فيه • وقري يخرج نباته اي يخرجه البلد وينبته • وقوله • والذي خبث صفة للبلد ومعناه والبلد
الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذي هو النبات واقيم المضاف اليه الذي هو الراجع
الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا لوقوعه موقع الفاعل او نقدر نبات
الذي خبث • وقري نكدا بفتح الكاف على المصدر اي ذا نكد ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله •
نزه عن الريب • بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من المكلفين ولمن لا يوثر فيه
شي من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب • وعن قتادة المومن سمع كتاب الله فعقله
نوعاه وانتفع به كالارض الطيبة اصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك التمثيل واقع على
اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الطيب واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد • كذلك مثل ذلك التصريف
نصرف الآيات نرددها ونكررها لقوم يشكرون نعمة الله وهم المومنون ليتفكروا فيها ويعتبروا بها
وقري يصرف بالياء اي يصرفها الله • ولقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم
من اله غيره اني اخاف عليكم عذاب يوم عظيم لقد ارسلنا جواب القسم محذوف فان قلت
ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الامع قد وقل عنهم نحو قوله ∴ ∴ ∴
∴ حلفت لها بالله حلفة فاجر لناموا ∴ ∴ ∴
قلت انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التي هي
جوابها فكانت مظنة لمعنى التوقع الذي هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح
وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ اسم ادريس النبي عليه السلام
وقري غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل ما لكم اله غيره والجر على اللفظ والنصب على
الاستثنا بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما في الدار من احد الا زيدا وغير زيد فان قلت
ما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله قلت الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة
والثانية بيان للداعي الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون من كانوا يعبدونه من دون
الله • واليوم العظيم يوم القيمة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان قال الملا من قومه
انا لنراك في ضلال مبين الملا الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نسا • في ضلال
في ذهاب عن طريق الصواب ومعنى الروية روية القلب قال يا قوم ليس بي ضلالة ولكني
رسول من رب العالمين فان قلت لم قيل ليس بي ضلالة ولم يقل ضلال كما
قالوا قلت الضلالة اخص من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت ما لي تمرة
فان قلت كيف وقع قوله ولكني رسول استدراكا للانتفاء عن الضلالة •
قلت كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا في معنى كونه على الصراط المستقيم
فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة • ابلغكم وقري ابلغكم بالتخفيف
فان قلت كيف موقع قوله ابلغكم قلت فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما
مستانفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول فان قلت
كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه الغايب قلت جاز ذلك لان الرسول

وقع

وقع خبرا عن ضمير المخاطب فكان في معناه كما قال ∴ انا الذي سمتني امي حيدره ∴
رسالات ربي ما اوحي الي في الاوقات المتطاوله او في المعاني المختلفه من الاوامر
والنواهي والمواعظ والزواجر والبشاير والنذاير ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى
الانبيا قبله من صحف جده ادريس وهي ثلاثون صحيفه ومن صحف شيث وهي خمسون
صحيفه • وانصح لكم يقال نصحته ونصحت له وفي زيادة اللام مبالغة ودلالة على محاض
النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له ومقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع
بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله ورسله • واعلم من
الله ما لا تعلمون اي من صفات الله واحواله يعني قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدايه
وان باسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم وكانوا امنين
لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه او اراد واعلم من جهة الله اشيا لا علم لكم بها قد اوحي
بها • اوعجبتم الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم
وعجبتم • ان جاءكم من ان جاءكم ذكر موعظة من ربكم على رجل منكم على لسان رجل
منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام و
يقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعني ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملايكة •
لينذركم وليتقوا ليحذركم عاقبة الكفر وليوجد منكم التقوى وهي الخشية بسبب الانذار
ولعلكم ترحمون ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم • فكذبوه فانجيناه والذين معه
في الفلك الذين معه قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امراة وقيل عشرة بنوه سام وحام
ويافث وستة ممن آمن به فان قلت في الفلك بم يتعلق قلت هو متعلق
بمعه كانه قيل والذين استقروا معه في الفلك او صحبوه في الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجا
اي انجيناهم في السفينة من الطوفان • واغرقنا الذين كذبوا باياتنا انهم كانوا قوما عمين
عمي القلوب غير مستبصرين وقري عامين والفرق بين العمي والعامي ان العمي يدل على عمى ثابت
والعامي على عمى حادث ونحوه قولك وضايق به صدرك • والى عاد اخاهم هودا قال يا قوم
اعبدوا الله ما لكم من اله غيره افلا تتقون قال الملا الذين كفروا من قومه انا لنراك
في سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين اخاهم واحدا منهم من قولك يا اخا العرب للواحد
منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم افهم عن رجل منهم واعرف بحاله في صدقه وامانته وهو هود
بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح عليه السلام واخاهم عطف على نوحا وهودا عطف بيان
له فان قلت لم حذف العاطف من قوله قال يا قوم ولم يقل وقال كما في قصة نوح عليه السلام
قلت هو على تقدير سوال سايل قال فما قال لهم هود فقيل قال يا قوم اعبدوا الله و
كذلك قال الملا • فان قلت لم وصف الملا بالذين كفروا دون الملا من قوم نوح قلت
كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذي اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت
التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مومن ونحوه قوله تعالى وقال الملا من قومه
الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا واراد الذم لا غير • في سفاهة
في خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق
المجاز اراد وانه متمكن فيها غير منفك عنها قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول
من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وفي اجابة الانبيا عليهم السلام من نسبهم الى الضلال
والسفاهة بما اجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضا وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم
بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم • وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده
كيف يخاطبون السفها وكيف يغضون عنهم ويسبلون اذيالهم على ما يكون منهم وانا لكم ناصح امين
اي عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقي ان اتهم او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على
ما اقول لكم لا اكذب فيه • اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا
اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح اي خلفتموهم في الارض او جعلكم ملوكا في الارض قد
استخلفكم فيها بعدهم وزادكم في الخلق بسطة فيما خلق من اجرامكم ذهابا في الطول
والبدانة قيل كان اقصرهم ستون ذراعا واطولهم مائة ذراع • فاذكروا آلاء الله في
استخلافكم وبسطة اجرامكم وما سواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحو اني وآناء وضلع
واضلاع وعنب واعناب لعلكم تفلحون فان قلت اذ في قوله اذ جعلكم خلفاء

ما وجه انتصابه قلت هو مفعول به وليس بظرف اي اذكروا وقت استخلافكم قالوا اجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد اباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين اجئتنا لنعبد الله وحده انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الاباء في اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشأوا عليه والفا لما صادفوا اباءهم يتدينون به فان قلت ما معنى المجيء في قوله اجئتنا قلت فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحي اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا اجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا اقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك فاتنا بما تعدنا استعجال منهم العذاب قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب قد وقع عليكم اي حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذي لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني ما لك قال لسعني طير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال يا بني قد قلت الشعر والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم واباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا اني معكم من المنتظرين في اسماء سميتموها في اشياء ما هي الا اسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها الهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله ما تدعون من دون الله من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من قولك سميته زيدا فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا باياتنا وما كانوا مؤمنين وقطع دابرهم استيصالهم وتدميرهم عن اخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا في البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء طلبوا الى الله الفرج منه عند بيته المحرم مسلمهم ومشركهم واهل مكة اذ ذاك العماليق اولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عتر ومرثد بن سعد الذي كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا من الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية بن بكر فلما راى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالي واصهاري وهؤلاء على ما هم عليه وكان يستحي ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

الا يا قيل ويحك قم فهينم ... لعل الله يسقينا غماما
فيسقي ارض عاد ان عادا ... قد امسوا ما يبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذي نزل بهم وقد ابطاتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشأ الله سحابات ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن مطرا فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها فقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا فان قلت ما فائدة نفي الايمان عنهم في قوله وما كانوا مؤمنين مع اثبات التكذيب بايات الله قلت هو تعريض بمن امن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من امن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين والى ثمود اخاهم صالحا قرئ والى ثمود بمنع الصرف بتاويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتاويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل

سميت

سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الحجاز والشام الى وادي القرى قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم اية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي كانه قيل ما هذه البينة فقال هذه ناقة الله لكم اية واية نصب على الحال والعامل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل اشير اليها اية ولكم بيان لمن هي له اية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة اية من اياته كما تقول اية الله وروي ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم في الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبني المسكن المحكم فينهدم في حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا في سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا في الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله اليهم صالحا وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه اية فقال اية اية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا في يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو الهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة في ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التي شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها في العظم فامن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤوسهم ان يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا فاذا كان يومها وضعت راسها في البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ما فيها ثم تتفحج فيحتلبون ما شاءوا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعري اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادي فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت ببطن الوادي فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امراتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقي جبلا اسمه قارة فرغا ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى ان يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا وجوهكم مصفرة وبعد غد وجوهكم محمرة واليوم الثالث وجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما راوا العلامات طلبوا ان يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فاتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا فذروها تاكل في ارض الله اي الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تاكل في ارض الله فليست الارض لكم ولا ما فيها من النبات من انباتكم ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب اليم ولا تضربوها ولا تطردوها ولا تقربوها بشيء من الاذى اكراما لاية الله ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر في غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذي اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم يا علي اتدري من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح اتدري من اشقى الاخرين قال الله ورسوله اعلم قال قاتلك وقرا ابو جعفر في رواية تاكل في ارض الله وهو في موضع الحال بمعنى اكلة واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم ونزلكم والمباءة المنزل في الارض في ارض الحجر بين الحجاز والشام تتخذون من سهولها قصورا اي تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والاجر وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا الاء الله ولا تعثوا في الارض مفسدين وقرئ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله ينباع من ذفرى اسيل حرة فان قلت علام انتصب بيوتا قلت على الحال كما تقول خط هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهي من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا في حال النحت ولا

الثوب والقصبة قميصًا وقلمًا في حال الخياطة والبري • وقيل كانوا يسكنون السهول في
الصيف والجبال في الشتاء • قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم
اتعلمون ان صالحًا مرسل من ربه قالوا انا بما ارسل به مومنون قال الذين استكبروا انا بالذي
آمنتم به كافرون للذين استضعفوا الذين استضعفهم رؤسا الكفار واستذلوهم • ولمن آمن منهم
بدل من الذين استضعفوا فان قلت الضمير في منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه او الى
الذين استضعفوا فان قلت هل لاختلاف المرجعين اثر في اختلاف المعنى قلت
نعم وذلك ان الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرًا لمن استضعف منهم فدل ان استضعافهم
كان مقصورًا على المومنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورًا عليهم
ودل ان المستضعفين كانوا مومنين وكافرين • اتعلمون ان صالحًا مرسل من ربه قالوه على سبيل
الطنز والسخرية كما تقول للمجسمة اتعلمون ان الله فوق العرش فان قلت كيف صح قولهم
انا بما ارسل به مومنون جوابًا عنه قلت سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله امرًا
معلومًا مكشوفًا مسلمًا لا يدخله ريب كانهم قالوا العلم بارساله وبما ارسل به ما لا كلام فيه
ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام في وجوب الايمان به فنخبركم انا به مومنون
ولذلك كان جواب الكفرة • انا بالذي آمنتم به كافرون فوضعوا آمنتم به موضع ارسل به ردًا
لما جعله المومنون معلومًا واخذوه مسلمًا • فعقروا الناقة اسند العقر الى جميعهم لانه كان
برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا
واحد منهم • وعتوا عن امر ربهم وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به
على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تاكل في ارض الله او شان ربهم وهو دينه ويجوز
ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن
هذه ما في قوله وما فعلته عن امري • وقالوا يا صالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين
ارادوا من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلومًا واستعجالهم له لتكذيبهم ولذلك علقوه
بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين • فاخذتهم الرجفة الصيحة التي زلزلت لها الارض
واضطربوا لها فاصبحوا في دارهم جاثمين في بلادهم وفي مساكنهم • جاثمين هامدين لا يتحركون
موتى يقال الناس جثم اي قعود لا حراك بهم ولا ينبسون بنبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي
عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما مر
بالحجر قال لا تسألوا الآيات فقد سألها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل
واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم اصابه ما اصاب قومه
وروي ان صالحًا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروي انه مر بقبر ابي رغال فقال اتدرون
من هذا قالوا الله ورسوله اعلم فذكر قصة ابي رغال وانه دفن ههنا ودفن معه غصن
من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن • فتولى عنهم وقال يا قوم
لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم الظاهر انه كان مشاهدًا لما جرى عليهم وانه تولى
عنهم بعدما ابصرهم جاثمين تولي مغتم متحسر على ما فاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول يا قوم
لقد بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدًا في ابلاغكم والنصيحة لكم • ولكن لا تحبون الناصحين ويجوز
ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين راى العلامات قبل نزول العذاب وروي
ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروي انه خرج في مائة وعشرة
من المسلمين وهو يبكي فالتفت فراى الدخان ساطعًا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفًا وخمسمائة دار
وروي انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم • فان قلت كيف صح خطاب الموتى وقوله
ولكن لا تحبون الناصحين قلت قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وقد كان نصحه
فلم يسمع حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون
الناصحين حكاية حال ماضية • ولوطًا وارسلنا لوطًا واذ ظرف لارسلنا او واذكر لوطًا واذ بدل
منه بمعنى واذكر وقت قال لقومه اتاتون الفاحشة اتفعلون السيئة المتمادية في القبح
ما سبقكم بها ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه
قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة • من احد من العالمين من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة
معنى الاستغراق والثانية للتبعيض • فان قلت ما موقع هذه الجملة قلت
هي جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على

انه

انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ما سبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم
تسبقوا به • اينكم لتاتون الرجال بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون
للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستانف لتاتون الرجال من اتى المراة اذا غشيها
شهوة من دون النساء شهوة مفعول له اي للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة
من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمة وانه لا داعي لهم من جهة العقل
البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى
السماحة بل انتم قوم مسرفون اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب
ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز
الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد
ونحوه بل انتم قوم عادون • وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم
يعني ما اجابوه بما يكون جوابًا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم
امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤوا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه
ونصحه من الامر باخراجه ومن معه من المومنين من قريتهم ضجرًا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم
ونصحهم وقولهم • انهم اناس يتطهرون سخرية بهم وبتطهرهم من الفواحش وافتخارًا بما كانوا فيه
من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف
وارحونا من هذا المتزهد فانجيناه واهله ومن يختص به من ذويه او من المومنين الا امراته
كانت من الغابرين من الذين غبروا في ديارهم اي بقوا فهلكوا والتذكير لتغليب الذكور
على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروي انها التفتت فاصابها حجر فماتت
وقيل كانت المؤتفكة خمس مداين وقيل كانوا اربعة الاف بين الشام والمدينة فامطر
الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم و
شذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروي ان تاجرًا منهم كان في الحرم فوقف عليه
الحجر اربعين يومًا حتى قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه • وامطرنا عليهم مطرًا فانظر
كيف كان عاقبة المجرمين فان قلت اي فرق بين مطر وامطر قلت
يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفي نوابغ الكلم حري غير ممطور حري ان يكون غير ممطور
ومعنى مطرتهم اصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال امطرت
عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر • فامطر علينا حجارة من السماء • وامطرنا عليهم
حجارة من سجيل ومعنى وامطرنا عليهم مطرًا وارسلنا عليهم نوعًا من المطر عجيبًا يعني
الحجارة الا ترى الى قوله فساء مطر المنذرين • والى مدين اخاهم شعيبًا قال يا قوم اعبدوا
الله ما لكم من اله غيره كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا
اهل بخس للمكاييل والموازين • قد جاءتكم بينة من ربكم معجزة شاهدة بصحة نبوتي
اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما امرتكم به والانتهاء عما نهيتكم عنه فاوفوا الكيل والميزان
ولا تبخسوا الناس اشياءهم فان قلت ما كانت معجزته قلت قد وقع
العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم فانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة
تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئًا لا نبيًا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن
كما لم تذكر اكثر معجزات نبينا فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ما روي من محاربة عصا
موسى التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان يكون له
الدرع من اولادها ووقوع عصا آدم على يده في المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان
هذه كلها كانت قبل ان يستنبأ موسى وكانت معجزات لشعيب فان قلت كيف
قيل الكيل والميزان وهلا قيل المكيال كما في سورة هود قلت اريد بالكيل آلة
الكيل وهو المكيال او الميزان او سمي ما يكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به او اريد
فاوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميعاد والميلاد بمعنى المصدر
ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفي امثالهم تحسبها حمقاء
وهي باخس وقيل اشياءهم لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء في مبايعاتهم او كانوا مكاسين
لا يدعون شيئًا الا مكسوه كما يفعل امراء الحرمين • وروي انهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم
اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعًا ثم اخذوها بنقصان ظاهر

واعطوهم بدلها زيوفا • ولا تفسدوا في الارض بعد اصلاحها بعد الاصلاح فيها اي
لا تفسدوا بعد ما اصلح فيها الصالحون من الانبيا واتباعهم العاملين بشرايعهم واضافته
كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار يعني بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على
حذف المضاف • ذلكم اشارة الي ما ذكر من الوفا بالكيل والميزان وترك البخس والافساد
في الارض والي العمل بما امرهم به ونهاهم عنه • ومعنى خير لكم يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة
وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس رغب في متاجركم اذا عرفوا منكم الامانة والسوية
ان كنتم مومنين ان كنتم مصدقين لي في قولي ذلكم خير لكم • ولا تقعدوا بكل صراط توعدون
وتصدون عن سبيل الله من امن وتبغونها عوجا اي ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك
المستقيم فتقعدوا بكل صراط اي بكل منهاج من مناهج والدليل على ان المراد بالصراط سبيل الحق
قوله وتصدون عن سبيل الله ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اي ولا تقعدوا
موعدين وصادين عن سبيل الله وباغين عوجا فان قلت صراط الحق واحد وان هذا
صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط قلت
صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الي معارف وحدود واحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا راوا واحدا
يشرع في شي منها اوعدوه وصدوه فان قلت الي م يرجع الضمير في من امن به قلت
الي كل صراط تقديره توعدون من امن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذي هو سبيل الله
موضع الضمير زيادة في تقبيح امرهم ودلالة على عظم ما يصدون عنه وقيل كانوا يجلسون
على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم عن دينكم كما كان يفعل
قريش وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم وقيل كانوا عشارين • وتبغونها
عوجا وتطلبون لسبيل الله عوجا اي تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم
عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وانهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج
واذكروا اذ كنتم قليلا اذ مفعول به غير ظرف اي واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا
عددكم فكثركم الله ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله
في نسلها بالبركة فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقرا فكثركم فجعلكم مكثرين •
موسرين او كنتم اقلة اذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد وانظروا كيف كان عاقبة
المفسدين اخر امر من افسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا قريبي
العهد بما اصاب المؤتفكة • وان كان طايفة منكم امنوا بالذي ارسلت به وطايفة
لم يومنوا فاصبروا فتربصوا وانتظروا • حتى يحكم الله بيننا اي بين الفريقين بان ينصر
المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم
متربصون او هو عظة للمومنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من اذى المشركين
الي ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اي ليصبر المومنون على اذى
الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من امن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب وهو
خير الحاكمين لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف • قال الملا الذين استكبروا من قومه لنخرجنك
يا شعيب والذين امنوا معك من قريتنا او لتعودن في ملتنا اي ليكونن احد الامرين اما اخراجكم
واما عودكم في الكفر قال اولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد اذ نجانا
الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا فان قلت كيف خاطبوا
شعيبا عليه السلام بالعود في الكفر في قولهم او لتعودن في ملتنا وكيف اجابهم بقوله ان عدنا في ملتكم
بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها والانبياء لا يجوز عليهم من الصغاير الا ما ليس
فيه تنفير فضلا عن الكباير فضلا عن الكفر قلت لما قالوا لنخرجنك يا شعيب والذين امنوا
معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا في الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة
على الواحد فجعلوهم عايدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك اجرى الكلام
على حكم التغليب فان قلت فما معنى قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء
الله والله تعالى متعال عن ان يشاء كفر المومنين وعودهم في الكفر قلت معناه الا ان
يشاء الله خذلاننا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا ويكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله
الحكيم والدليل عليه قوله وسع ربنا كل شي علما اي هو عالم بكل شي مما كان وما يكون فهو يعلم
احوال عباده وكيف تحول وقلوبهم كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة

وترجع

وترجع الى الكفر بعد الايمان على الله توكلنا اي في يثبتنا على الايمان ويوفقنا
لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم في العود
لان مشية الله لعودهم في الكفر محال خارج من الحكمة اولو كنا كارهين الهمزة
للاستفهام والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا في ملتكم في حال كراهتنا ومع
كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغي لنا وما يصح ربنا افتح بيننا وبين قومنا
احكم بيننا بالحق والفتاحة الحكومة او اظهر امرنا حتى ينفتح ما بيننا وبين قومنا وينكشف
بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل وانت خير الفاتحين كقوله وهو
خير الفاتحين فان قلت كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا
في ملتكم قلت هو اخبار مقيد بالشرط وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما
مستانفا فيه معنى التعجب كانهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا في الكفر بعد الاسلام
لان المرتد ابلغ من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم ان لله ندا
ولا ند له والمرتد مثله في ذلك وزايد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفي
عليه من التمييز بين الحق والباطل والثاني ان يكون قسما على تقدير حذف
اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا وقال الملا الذين كفروا من قومه اي
اشرافهم للذين دونهم يثبطونهم عن الايمان لين اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون
لاستبدالكم الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوايد
البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنها ويحملكم على الايفا والتسوية فان قلت
ما جواب القسم الذي وطات اللام في لين اتبعتم شعيبا وجواب الشرط
قلت قوله انكم اذا لخاسرون ساد مسد الجوابين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا
في دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا مبتدا خبره كان لم يغنوا فيها وكذلك كانوا
هم الخاسرين وفي هذا الابتدا معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا
هم المخصوصون بان اهلكوا واستوصلوا كان لم يقيموا في دارهم لان الذين اتبعوا
شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بالخسران العظيم
دون اتباعه فانهم الرابحون وفي هذا الاستيناف والابتدا وهذا التكرير
مبالغة في رد مقالة الملا لاشياعهم وتسفيه لرايهم واستهزاء بنصحهم لقومهم
واستعظام لما جرى عليهم فتولى عنهم وقال يا قوم لقد ابلغتكم رسالات ربي
ونصحت لكم فكيف اسى على قوم كافرين الاسى شدة الحزن قال العجاج وانحلبت
عيناه من فرط الاسى اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال كيف
يشتد حزني على قوم ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز
ان يريد لقد اعذرت اليكم في الابلاغ والنصيحة والانذار والتحذير مما حل بكم فلم
تسمعوا قولي ولم تصدقوني فكيف اسى عليكم يعني انه لا ياسى عليهم لانهم ليسوا
احقا بالاسى وقرا يحيى بن وثاب ايسى بكسر الهمزة وما ارسلنا في قرية من نبي
الا اخذنا اهلها بالباساء والضراء بالبوس والفقر والضراء بالضر والمرض لاستكبارهم
عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه لعلهم يتضرعون ليتضرعوا ويتذللوا ويحطوا اردية
الكبر والعزة ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة اي اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من
البلاء والمحنة الرخا والسعة والصحة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات
حتى عفوا حتى كثروا ونموا في انفسهم واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا
الشحم والوبر اذا كثر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى قال
الحطيئة ولكنا نعض السيف منها باسوق عافيات الشحم كوم وقالوا قد مس اباءنا
الضراء والسراء فابطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب في الناس
بين الضراء والسراء وقد مس اباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق

بعد ما ابتلاهم بالسيئات والحسنات الا ان ياخذهم العذاب فاخذناهم بغتة
وهم لا يشعرون فاخذناهم اشد اخذ وافظعه وهو اخذهم من غير شعور منهم
ولو ان اهل القرى اللام في القرى اشارة الى القرى التي دل عليها قوله وما
ارسلنا في قرية من نبي كانه قال ولو ان اهل تلك القرى الذين كذبوا واهلكوا
امنوا بدل كفرهم واتقوا المعاصي مكان ارتكابها لفتحنا عليهم بركات من
السماء والارض لاتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات
ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون فاخذناهم بسوء كسبهم ويجوز
ان يكون اللام في القرى للجنس فان قلت ما معنى فتح البركات
قلت تيسيرها عليهم كما تيسر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم
فتحت على القارى اذا تعذرت عليه القراءة فيسرها عليه بالتلقين
افامن اهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون اوامن اهل القرى ان
ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون البيات بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه
قوله جاءها باسنا بياتا وهم قائلون ويكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى
التسليم يقال بيت العدو بياتا فيجوز ان يراد ياتيهم باسنا بائتين او وقت
بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى مبيتا كانه قيل ان يبيتهم باسنا بياتا
وضحى نصب على الظرف يقال اتانا ضحى والضحى اسم لضوء الشمس اذا اشرقت
وارتفعت والفاء والواو في افامن واومن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار
فان قلت ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو قلت
المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان اهل القرى الى يكسبون
وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطفت بالفاء لان المعنى
فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك امن اهل القرى ان ياتيهم باسنا
بياتا وامنوا ان ياتيهم باسنا ضحى وقرئ اوامن على العطف باو وهم يلعبون
يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون فان قلت فلم رجع فعطف بالفاء
قوله افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون قلت هو تكرير
لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه
فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه
الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خيثم ان ابنته قالت له ما لي ارى الناس
ينامون ولا اراك تنام فقال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان
ياتيهم باسنا بياتا اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها اذا قرئ اولم
يهد بالياء ان لو نشاء مرفوع بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا
قبلهم في ديارهم ويرثون ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم
بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا الموروثين واذا
قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم يهد الله للوارثين هذا الشان بمعنى
اولم يبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم وانما
عدي فعل الهداية باللام لانه في معنى التبيين فان قلت بم تعلق قوله
ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون قلت فيه اوجه ان يكون معطوفا
على معنى ما دل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على
قلوبهم او على يرثون الارض ويكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم فان
قلت هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء
بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم قلت لا يساعد عليه المعنى
لان القوم كانوا مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف

الذنوب

الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله
تعالى لو شاء لاتصفوا بها تلك القرى نقص عليك من انبائها كقوله هذا بعلي
شيخا في انه مبتدا وخبر وحال ويجوز ان تكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا
وان تكون القرى نقص خبرا بعد خبر فان قلت ما معنى تلك القرى حتى يكون
كلاما مفيدا قلت هو مفيد لكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد
بالصفة في قولك هو الرجل الكريم فان قلت ما معنى الاخبار عن القرى
بنقص عليك من انبائها قلت معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك
بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا
ليؤمنوا عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل من
قبل مجيء الرسل او فما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين
جاءتهم الرسل اي استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا
مصرين لا يرعوون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ
عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تاكيد النفي وان الايمان كان منافيا
لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما
نهوا عنه كذلك مثل ذلك الطبع الشديد يطبع الله على قلوب الكافرين
وما وجدنا لاكثرهم من عهد الضمير للناس على الاطلاق اي ما وجدنا لاكثر
الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى
وان وجدنا وان الشان والحديث وجدنا اكثرهم لفاسقين خارجين عن الطاعة
مارقين والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وانهم اذا
كانوا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن انجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال
قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك
الى قوله اذا هم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا
الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدا
والخبر والافعال الداخلة عليهما ثم بعثنا من بعدهم الضمير للرسل في قوله
ولقد جاءتهم رسلهم او للامم موسى باياتنا الى فرعون وملائه فظلموا بها
فكفروا باياتنا اجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك
لظلم عظيم او فظلموا الناس بسببها حين اوعدوهم وصدوهم عنها واذوا
من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما
فلذلك قيل فظلموا بها اي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع
الايمان فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يا فرعون اني رسول من
رب العالمين يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة
فكانه قال يا ملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد بن مصعب بن الريان
حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق علي
ان لا اقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق
بان لا اقول وهي قراءة ابي وفي المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها
ان يكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر
ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح والثاني ان ما لزمك فقد لزمته
فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اي لازما له
والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني
في بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القرآن ان يغرق
موسى عليه السلام في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روي

ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين فتقول انا حقيق
على قول الحق اي واجب على قول الحق ان اكون انا قايله والقايم به ولا يرضى الا بمثله
ناطقا به قد جيتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرايل فخلهم حتى يذهبوا معي
راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد ابايهم وذلك ان يوسف عليه
السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم
الله بموسى عليه السلام فكان بين اليوم الذي دخل يوسف عليه السلام مصر واليوم
الذي دخله موسى اربعماية عام قال ان كنت جيت باية فات بها ان كنت من الصادقين
فان قلت كيف قال له فات بها ان كنت جيت باية قلت معناه ان كنت جيت
من عند من ارسلك باية فاتني بها واحضرها عندي لتصح دعواك ويثبت صدقك
فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ظاهر امره لا يشك في انه ثعبان وروي انه كان ثعبانا
ذكرا اشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه
الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون لياخذه فوثب فرعون من سريره وهرب
واحدث ولم يكن احدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا
فمات منهم خمسة وعشرون الفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح
يا موسى خذه وانا اومن بك وارسل معك بني اسرايل فاخذه موسى فعاد عصا
ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين فان قلت بم يتعلق للناظرين قلت يتعلق
ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للناظرين ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان
بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجايب
وذلك ما يروى انه ارى فرعون يده وقال ما هذه قال يدك ثم ادخلها جيبه
وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع
الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة قال الملا من قوم فرعون ان
هذا لساحر عليم اي عليم بالسحر ماهر فيه قد اخذ عيون الناس بخدعة من خدعه
حتى خيل لهم العصا حية والآدم ابيض يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون
فان قلت قد عزي هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعرا وانه قاله للملا وعزي
هاهنا اليهم قلت قد قاله هو وقالوه هم فحكي ثم قوله وهنا قولهم او قاله
ابتداء فتلقنه منه الملا فقالوه لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل
الملوك يرى الواحد منهم الراي فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة
العامة والدليل عليه انهم اجابوه في قولهم قالوا ارجه واخاه وارسل في المداين
حاشرين ياتوك بكل ساحر عليم وقرئ سحار اي ياتوك بكل ساحر مثله في العلم
بالمهارة او باخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تامرون من امرته
فامرني بكذا اذا شاورته فاشار عليك براي وقيل فماذا تامرون من كلام
فرعون قاله للملا لما قالوا له ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم كانه قيل
قال فماذا تامرون قالوا ارجه واخاه ومعنى ارجه واخاه اخرهما واصدرهما
عنك حتى ترى رايك فيهما وتدبر امرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجيه بالهمز
وارجه من ارجاه وارجاه وجاء السحرة فرعون قالوا فان قلت هلا قيل
وجاء السحرة فرعون فقالوا قلت هو على تقدير سايل سال ما قالوا اذ جاءوا
فاجيب بقوله قالوا ان لنا لاجرا اي جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا لاجرا على الاخبار
واثبات الاجر العظيم وايجابه كانهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم
كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة ان كنا نحن الغالبين
قال نعم وانكم لمن المقربين فان قلت وانكم لمن المقربين ما الذي عطف عليه
قلت هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كانه قال ايجابا لقو لهم

ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده
وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما
يتهنا بما يصل اليه ويغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروي انه قال لهم تكونون
اول من يدخل واخر من يخرج وروي انه دعا برؤسا السحرة ومعلمهم فقال
لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امرا
من السما فانه لا طاقة لنا به وروي انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا
وقيل بضعة وثلاثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان
يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو
منه يعني السحر قالوا يا موسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين تخييرهم
اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل
ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان ياخذوا في الصراع وقولهم واما ان
نكون نحن الملقين فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تاكيد ضميرهم
المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او اقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا
فيه ازدراء لشانهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التاييد السماوي
وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس اروها
بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله يخيل اليه من سحرهم انها
تسعى وروي انهم القوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات
قد ملات الارض وركب بعضها بعضا واسترهبوهم وارهبوهم ارهابا شديدا
كانهم استدعوا رهبتهم وجاءوا بسحر عظيم في باب السحر وروي انهم لونوا
حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها ما يوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزيبق واوحينا
الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف ما يافكون ما موصولة او مصدرية يعني
ما يافكونه اي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه او افكهم تسمية للمافوك
بالافك وروي انها لما تلقفت ملا الوادي من الخشب والحبال ورفعها موسى
عليه السلام فرجعت عصا كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام
العظيمة قالت السحرة لو كان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا فوقع الحق
فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اي فاثر فيها من قولهم فاس وقيع
وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين وصاروا اذلا مبهوتين
والقي السحرة ساجدين وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل
لم يتمالكوا مما راوا فكانهم القوا قالوا امنا برب العالمين رب موسى وهارون
عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفي اخر النهار شهدا بررة وعن الحسن
تراه ولد في الاسلام ونشا بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهولا كفار
نشاوا في الكفر وبذلوا انفسهم لله قال فرعون امنتم به على الاخبار اي فعلتم
هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ ءامنتم بحرف الاستفهام ومعناه
الانكار والاستبعاد قبل ان اذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها
اهلها ان صنعكم هذا لحيلة احتلتموها انتم وموسى في مصر قبل ان تخرجوا
منها الى هذه الصحرا وقد تواطاتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط
وتسكنوا بني اسرايل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا
السحرة في الايمان وروي ان موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر اتؤمن
بي ان غلبتك قال لاتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون
يسمع فلذلك قال ما قال فسوف تعلمون وعيد مجمل ثم فصله بقوله لاقطعن
لاقطعن ايديكم وارجلكم وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم من خلاف

من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون ثم لاصلبنكم اجمعين قالوا انا
الى ربنا منقلبون فيه اوجه ان يريد انا لا نبالي بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته
وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب
او انا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لا
بد لنا منه وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا وما تعيب منا الا الايمان
بآيات الله اراد وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان
ومنه قوله ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ربنا افرغ علينا صبرا هب لنا صبرا واسعا
واكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء افراغا وعن بعض السلف ان احدكم
ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اي يغمره بالحياء والخجل او صب علينا
ما يطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ما توعدنا به فرعون لانهم علموا انهم
اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم وتوفنا مسلمين ثابتين على الاسلام
وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك والهتك
ويذرك عطف على ليفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه
فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك او هو جواب للاستفهام بالواو
كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة • ألم اك جاركم ويكون بيني • وبينكم المودة والاخاء
والنصب باضمار ان تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك والهتك
ويذرك والهتك بالرفع عطفا على أتذر بمعنى أتذره ويذرك اي ايطلق له ذلك
او يكون مستانفا او حالا على معنى أتذره وهو يذرك والهتك وقرأ الحسن
ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ واكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرأ
انس رضي الله عنه ونذرك بالنون والنصب اي يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ
ويذرك والهتك اي عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة
على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد في الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا
على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وامرهم ان يعبدوها تقربا اليه
كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال
انا ربكم الاعلى قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون يعني
سنعيد عليهم ما كنا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة
والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا اثر لها في ملكنا
واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذي تحدث المنجمون والكهنة
بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه
منتظر بعد قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا قال لهم ذلك حين قال
فرعون سنقتل ابناءهم تجزعوا منه وتضجروا فسكنهم وسلاهم ووعدهم النصر
عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم ارضهم وديارهم رعم
فان قلت لم اخليت هذه الجملة عن الواو وادخلت على التي قبلها قلت
هي جملة مبتدأة مستأنفة واما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال
الملأ من قوم فرعون وقوله ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده يجوز ان تكون
اللام للعهد ويراد ارض مصر خاصة كقوله واورثنا الارض وان تكون للجنس
فيتناول ارض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء باصغريه فاراد
بالمرء الجنس وغرضه ان يتناوله تناولا اوليا والعاقبة للمتقين بشارة بان
الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وان المشيئة متناولة لهم وقرئ والعاقبة
للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود عطفا على الارض قالوا اوذينا من قبل ان
تاتينا ومن بعد ما جئتنا يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام الى ان

استنبي

استنبي واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم
والمهن ويمسون به من العذاب قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض
تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده
في ارض مصر فينظر كيف تعملون فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها
ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله انه دخل على المنصور قبل الخلافة
وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو بن عبيد فلم توجد فقرأ عمرو الآية ثم دخل
عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل
فرعون بالسنين ونقص من الثمرات بالسنين سني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة
والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا اسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس
اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان في امصارهم
وعن كعب يأتي على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة لعلهم يذكرون فيتنبهوا على ان
ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس في حال الشدة اضرع
خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها
في ثلاثمائة وعشرين سنة ولو اصابه في تلك المدة وجع او جوع او حمى لما ادعى الربوبية
فاذا جاءتهم الحسنة من الخصب والرخاء قالوا لنا هذه اي هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها
ولم نزل في النعمة والرفاهية واللام مثلها في قولك الجل للفرس وان تصبهم سيئة من
ضيقة وجدب يطيروا بموسى ومن معه يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه
بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك
فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم
بان وتنكير السيئة قلت لان جنس الحسنة وقوعها كالواجب لكثرته واتسا عه
واما السيئة فلا تقع الا في الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعض قد عددت
ايام البلاء فهلا عددت ايام الرخاء الا انما طائرهم عند الله ولكن اكثرهم لا يعلمون
اي سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذي يشاء ما يصيبهم
من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله قل كل من عند الله
وهو عملهم المكتوب عنده الذي يجري عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد
موتهم بما وعدهم الله في قوله النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من
هذا وقرأ الحسن انما طيرهم عند الله وهو اسم جمع لطائر غير تكسير ونظيره
السفر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما
نحن لك بمؤمنين مهما هي ما المتضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة للجزاء في قولك
متى ما تخرج اخرج اينما تكونوا يدرككم الموت فاما نذهبن بك الا ان الالف قلبت
هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصري ومن الناس من زعم
ان مه هي الصوت الذي يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تأتنا
به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فان قلت ما محل مهما قلت
الرفع بمعنى اي شيء تأتنا به او النصب بمعنى ايما شيء تحضرنا تأتنا به ومن آية
تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ
والثاني انث على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول زهير • ومهما يكن عند امرئ من خليقة •
وان خالها تخفى على الناس تعلم • وهذه الكلمة في عداد الكلمات التي يحرفها من لا يد
له في العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتني اعطيتك
وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية في شيء ثم يذهب فيفسر
مهما تأتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد في آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله
مما يوجب الجثو بين يدي الناظر في كتاب سيبويه فان قلت كيف سموها

آية ثم قالوا لتسحرنا بها فلسنا ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبارا
لتسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهي فارسلنا عليهم الطوفان والجراد
والقمل والضفادع والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين الطوفان
ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل وقيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا
ثمانية ايام في ظلمة شديدة لا يرون فيها شمسا ولا قمرا ولا يقدر احد ان يخرج من داره
وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط
مشتبكة فامتلأت بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم
يدخل بيوت بني اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث
والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدري وهو
اول عذاب وقع فيهم فبقي في الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى
ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبت لهم
تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد
فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف البيت
والثياب ولم تدخل بيوت بني اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسى ووعدوه التوبة
فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسى عليه السلام الى الفضاء فاشار بعصاه
نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركي
ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان في قول ابي عبيدة كبار
القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن
سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب
احدهم وبين جلده فيمصه وكان ياكل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم
عشرة اجربة الى الرحا فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير كان الى جنبهم
كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا فاخذت في ابشارهم واشعارهم
واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدري فصاحوا فصرخوا وفزعوا
الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الان انك ساحر وعزة فرعون لا نصدق لك
ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم
واطعمتهم فلا يكشف احد ثوبا ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع
وكان الرجل اذا تكلم وثب الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون
على الرقاد وكانت تقذف بانفسها في القدور وهي تغلي وفي التنانير وهي
تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقي الا ان نتوب التوبة النصوح
ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل
الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان
يجمع بين القبطي والاسرائيلي على اناء واحد فيكون ما يلي الاسرائيلي ماء وما يلي القبطي
دما ويستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطي الدم وللاسرائيلي الماء وحتى ان المرأة
القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلي الماء في فيك ثم مجيه في فيّ فيصير الماء
في فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة
فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا اجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم
النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروي ان موسى عليه السلام مكث
فيهم بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات وروي انه لما اراهم اليد والعصا
ونقص النفوس والثمرات قال يا رب ان عبدك هذا قد علا في الارض فخذه تجعلها
له ولقومه نقمة ولقومي عظة ولمن بعدي آية فحينئذ بعث الله عليهم الجراد
ثم ما بعده من النقم وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف

آيات

آيات مفصلات نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا تشكل على عاقل انها من آيات
الله التي لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض
زمان يمتحن فيه احوالهم وينظر أيستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما
للحجة عليهم ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك ما مصدرية
والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين
احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة
او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اي اقسمنا
بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فلما كشفنا
عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم
ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله اذا هم ينكثون جواب لما يعني لما
كشفنا عنهم فاجأوا النكث وبادروه ولم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا فانتقمنا منهم
فاغرقناهم في اليم بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين فانتقمنا منهم فاردنا الانتقام
منهم فاغرقناهم في اليم واليم البحر الذي لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه
واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه بانهم كذبوا بآياتنا اي كان اغراقهم
بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها واورثنا القوم الذين كانوا
يستضعفون هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه مشارق الارض
ومغاربها ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا
كيف شاؤوا في اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية التي باركنا فيها بالخصب وسعة الارزاق
وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل هي قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا الى قوله
كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بني اسرائيل
مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه بما صبروا بسبب صبرهم
وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن
قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف
وقد سمع قوله تعالى وتلا هذه الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن
رزانة اولي الصبر وقرأ عاصم في رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات
ربه الكبرى ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يفعلون ويسوّون من العمارات
وبناء القصور وما كانوا يعرشون من الجنات وهو الذي انشأ جنات معروشات او ما
كانوا يرفعون من الابنية المشيدة في السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون
بالكسر والضم وذكر اليزيدي ان الكسر افصح وبلغني انه قرأ بعض الناس يغرسون
من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه وهذا آخر ما اقتص الله من نبأ فرعون
والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبأ بني اسرائيل
وما احدثوا بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام
ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر
والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصف ظلوم جهول كفار كنود الا من عصمه
وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل
بالمدينة وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وروي انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد
ما اهلك الله فرعون وقومه فصاموه شكرا لله فأتوا على قوم فمروا عليهم يعكفون
على اصنام لهم يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك
اول شأن العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين امر موسى
بقتالهم وقرئ وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه
كقولك اعلاه وعلاه وعالاه وقرئ يعكفون بضم الكاف وكسرها قال يا موسى اجعل لنا

الها صنما يعكف عليه كما لهم الهة اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة
بعدها وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماوه
فقال قلتم اجعل لنا الها ولم تجف اقدامكم قال انكم قوم تجهلون تعجب من قولهم على
اثر ما راوا من الاية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل
اعظم مما راى منهم ولا اشنع ان هولا يعني عبدة تلك التماثيل متبر ما هم فيه مدمر
مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر اي
يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا
وباطل ما كانوا يعملون اي ما عملوا شيا من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون
به وان كان في زعمهم تقربا الى الله كما قال وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا
وفي ايقاع هولا اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة
الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب
ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغضوا اليهم ما احبوا قال اغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم
على العالمين اغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون غيركم من
الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى
الانكار والتعجب من طلبهم مع كونهم مغمورين في نعمة الله عبادة غير الله يسومونكم
سوء العذاب يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها فان قلت ما محل
يسومونكم قلت هو استيناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من
ال فرعون يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم ذلكم اشارة
الى الانجاء او الى العذاب والبلاء النعمة او المحنة وقرى يقتلون بالتخفيف وواعدنا موسى
ثلاثين ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة روي ان موسى عليه السلام وعد
بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما ياتون
وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين وهو شهر
ذي القعدة فلما اتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملايكة كنا نشم من
فيك رايحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله اليه اما علمت ان خلوف
فم الصايم اطيب عند الله من ريح المسك فامره الله ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي
الحجة لذلك وقيل امره الله ان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيه بما يقربه من الله
ثم انزلت عليه التوراة في العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين في سورة البقرة
وفصلها هاهنا وميقات ربه ما وقت له من الوقت وضربه له واربعين ليلة
نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد وقال موسى لاخيه هرون هارون عطف
بيان لاخيه وقرى بالنصب على النداء اخلفني في قومي كن خليفتي فيهم واصلح ولا
تتبع سبيل المفسدين وكن مصلحا او اصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل
ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه ولما جاء موسى لميقاتنا لوقتنا
الذي وقتنا له وحددنا ومعنى اللام الاختصاص وكانه قيل واختص مجيه لميقاتنا
كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر وكلمه ربه من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه
ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان
موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس كلمه اربعين
يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين قال رب
ارني انظر اليك مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك فان قلت
الروية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك قلت معنى ارني نفسك اجعلني
متمكنا من رويتك بان تتجلى لي فانظر اليك واراك فان قلت فكيف قال
لن تراني ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك قلت لما قال ارني بمعنى اجعلني

متمكنا

هنا زلة فاحذرها وتنبه لها

متمكنا من الروية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الروية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني
ولم يقل لن تنظر الي فان قلت كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس بربه
وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الروية التي هي ادراك ببعض الحواس
وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع
المجبرة احالته في العقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه
وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا ارنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله
تضل بها من تشاء فتبرا من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا قلت ما كان طلب الروية
الا ليبكت هولاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرا من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين
طلبوا الروية انكر عليهم واعلمهم الخطا ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم
وقالوا لا بد ولن نومن لك حتى نرى الله جهرة فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك
وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني
انظر اليك فان قلت فهلا قال ارهم ينظروا اليك قلت لان الله سبحانه
انما كلم موسى وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة ارادوا ان يرى موسى ذاته
فيبصروه كما اسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال
موسى رب ارني انظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه
وزلفته عند الله وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته
وكان ما يخاطب به او يخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك وما فيه من معنى المقابلة
التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم
وجل صاحب الجمل ان يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرف
في معرفة الله من واصل بن عطا وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع
المتكلمين فان قلت ما معنى لن قلت تاكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك ان لا
تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا اكدت نفيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله
ينافي حالي كقوله تعالى لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للروية
فيما يستقبل ولن تراني تاكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته فان قلت
كيف اتصل الاستدراك في قوله ولكن انظر الى الجبل بما قبله قلت اتصل به على
معنى ان النظر الي محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر اخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي
يرجف بك وبمن طلبت الروية لاجلهم كيف افعل بهم وكيف اجعله دكا بسبب طلبك
الروية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الروية
ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فان استقر
مكانه كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته فسوف تراني تعليق لوجود الروية
بوجود ما لا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا
كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من
النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بني الوعيد بالرجفة الكاينة بسبب
طلب النظر على الشريطة في وجود الروية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني
فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته جعله دكا اي مدكوكا
مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرى
دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة او ارضا دكاء مستوية ومنه قولهم
ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك
دكاء اي مدها مستوية وقرا يحيى بن وثاب دكا اي قطعا دكا جمع دكاء وخر
موسى صعقا من هول ما راى وصعق من باب فعلته ففعل صعقته فصعق واصله
من الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على راسه ومعناه خر مغشيا

عليه غشية كالموت وروي أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة فلما أفاق من صعقته قال سبحانك أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها تبت إليك من طلب الرؤية وأنا أول المؤمنين بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس فإن قلت فإن كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمما تاب قلت من إجرائه تلك المقالة العظيمة وإن كان لغرض صحيح على لسانه من غير إذن فيه من الله فانظر إلى إعظام الله أمر الرؤية في هذه الآية وكيف أرجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في إعظام الأمر وكيف سبح ربه ملتجئا إليه وتاب من إجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا أول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالإسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فإنه من منصوبات أشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وتفسير آخر وهو أن يريد بقوله أرني أنظر إليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كأنها إراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق إلى معرفتك أنظر إليك أعرفك معرفة اضطرار كأني أنظر إليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كإبصاركم القمر إذا امتلأ واستوى قال لن تراني أي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر إلى الجبل فإني أورد عليه وأظهر له آية من تلك الآيات فإن ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما أفاق قال سبحانك تبت إليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا أول المؤمنين بعظمتك وجلالك وأن شيئا لا يقوم لبطشك وبأسك قال يا موسى إني اصطفيتك على الناس اخترتك على أهل زمانك وآثرتك عليهم برسالاتي وهي أسفار التوراة وبكلامي وبتكليمي إياك فخذ ما آتيتك ما أعطيتك من شرف النبوة والحكمة وكن من الشاكرين على النعمة في ذلك فهي من أجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة وأعطي التوراة يوم النحر فإن قلت كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هارون مصطفى مثله ونبيا قلت أجل ولكنه كان تابعا له وردءا ووزيرا والكليم هو موسى والأصيل في حمل الرسالة وكتبنا له في الألواح ذكر في عدد الألواح وفي جوهرها وطولها أنها كانت عشرة ألواح وقيل سبعة وقيل لوحين وأنها كانت من زمرد جاء بها جبريل وقيل من زبرجد خضراء وياقوتة حمراء وقيل أمر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها بأصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وأن طولها كان عشرة أذرع وقوله من كل شيء في محل النصب مفعول كتبنا وموعظة وتفصيلا لكل شيء بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو إسرائيل محتاجين إليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الأحكام وقيل أنزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها إلا أربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسى عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الألواح إني أنا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيئا ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبا فإن من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين فخذها فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز أن يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في فخذها للألواح أو لكل شيء لأنه في معنى الأشياء أو للرسالات أو للتوراة ومعنى بقوة أي بجد وعزيمة فعل أولي

العزم

جوابه
هل نحن من أهل الهوى أم أنتم * ومن الذي منا حمير موكفه
اعكس تصب فالعكس فيكم ظاهر * كالشمس فارجع عن مقال الزخرفه
يكفيك في ردي عليك بأننا * نحتج بالآيات لا بالسفسفه
وبنفي رؤيته فأنت حرمتها * إن لم تقل بكلام أهل المعرفه
فنراه بالأخرى بلا كيفية * وكذاك من غير ارتسام للصفه

العزم من الرسل وأمر قومك يأخذوا بأحسنها أي فيها ما هو حسن وأحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم أن يحملوا على أنفسهم في الأخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم وقيل يأخذوا بما هو واجب أو ندب لأنه أحسن من المباح ويجوز أن يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء سأريكم دار الفاسقين يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في أسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن سأوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال أورني كذا وأوريته ووجهه أن يكون من أوريت الزند كأن المعنى بينه لي وأنره لأستبينه وقرئ سأورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله تعالى وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض سأصرفهم عن آياتي بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا عظمت أمتي الدنيا نزع عنها هيبة الإسلام وإذا تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن إبطالها وإن اجتهدوا كما اجتهد فرعون أن يبطل آية موسى بأن جمع لها السحرة فأبى الله إلا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا بإهلاكهم وفيه إنذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا أمثالهم فيسلك بهم سبيلهم بغير الحق فيه وجهان أن يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لأن التكبر بالحق لله وحده وأن يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم وإن يروا كل آية من الآيات المنزلة عليهم لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا وقرأ مالك بن دينار وإن يروا بضم الياء وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما أسفه من ركب المفازة فإن رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه وإن رأى معتسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه أسفه ذلك في محل الرفع أو النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم أو صرفهم الله ذلك الصرف بسببه والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون إلا ما كانوا يعملون ولقاء الآخرة يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن إضافة المصدر إلى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة واتخذ قوم موسى من بعده من فراقهم إياه إلى الطور من حليهم عجلا فإن قلت لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم إنما كانت عواري في أيديهم قلت الإضافة تكون بأدنى ملابسة وكونها عواري في أيديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من أملاكهم ألا ترى إلى قوله عز وعلا فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك وأورثناها بني إسرائيل جسدا له خوار بدنا ذا لحم ودم كسائر الأجساد والخوار صوت البقر قال الحسن إن السامري قبض قبضة من تراب من أثر فرس جبريل يوم قطع البحر فقذفه في العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جأر إذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا ألم يروا حين اتخذوه إلها أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا أنه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل أن تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق إلى سبيل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الأدلة وبما أنزل في كتبه ثم ابتدأ فقال اتخذوه أي أقدموا على ما أقدموا عليه من الأمر المنكر وكانوا ظالمين واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا ولا أول مناكرهم ولما سقط في أيديهم ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لأن من شأن من اشتد ندمه وحسرته أن يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لأن فاه قد وقع

فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرا ابو السميقع على تسمية الفاعل
اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وانفسهم
كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب
وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين ورأوا انهم قد ضلوا وتبينوا ضلالهم تبينا
كانهم ابصروه بعيونهم وقرئ قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء
وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن
من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا الاسف الشديد الغضب فلما اسفونا
انتقمنا منهم وقيل هو الحزين قال بئسما خلفتموني فعلتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي
وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم
هارون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئسما
خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله او حيث لم تكفوا من عبد غير الله فان قلت
اين ما يقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم قلت الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني
والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعدي خلافتكم فان قلت
اي معنى لقوله من بعدي بعد قوله خلفتموني قلت معناه من بعد ما رأيتم مني
من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل
على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها
كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه خلف
من بعدهم خلف يقال خلف بعدا وليك الموصوفين بالصفات الحميدة اعجلتم امر ربكم يقال عجل
عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجل عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى
تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى وما وصاكم
به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت
الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم
واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين
ثم احدثوا ما احدثوا والقى الالواح وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه
حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هارون
الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة
اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي سبع واحد وكان فيما رفع
تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة واخذ براس اخيه اي بشعر راسه يجره اليه بذوائبه
وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط
في الكف قال ابن ام قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن
امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى
الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب
ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره
بحقها ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني يعني اني لم آل جهدا في كفهم بالوعظ والانذار
وبما بلغته طاقتي من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروني واستضعفوني ولم يبق الا ان
يقتلوني فلا تشمت بي الاعداء فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة
الي وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون
به لاجله ولا تجعلني مع القوم الظالمين ولا تجعلني في موجدتك علي وعقوبتك لي
قرينا لهم وصاحبا او ولا تعتقد اني واحد من الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم قال
رب اغفر لي ولاخي وادخلنا في رحمتك وانت ارحم الراحمين لما اعتذر اليه اخوه وذكر
له شماتة الاعداء قال رب اغفر لي ولاخي ليرضي اخاه وليظهر لاهل الشماتة رضاه عنه

فلا تتم

فلا تتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسى فرط في حسن
الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولا تزال منتظمة لهما في الدنيا والآخرة ان الذين
اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة الغضب ما امروا به من قتل انفسهم والذلة
خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة
والنضير من غضب الله بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية في الحياة الدنيا وكذلك
نجزي المفترين المكذبين على الله ولا فرية اعظم من قول السامري هذا الهكم واله موسى
ويجوز ان يتعلق في الحياة الدنيا بالذلة وحدها ويراد سينالهم غضب في الآخرة وذلة
في الحياة الدنيا لقوله وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله والذين عملوا السيئات
من الكفر والمعاصي كلها ثم تابوا ثم رجعوا من بعدها الى الله واعتذروا اليه وآمنوا واخلصوا
الايمان ان ربك من بعدها من بعد تلك العظائم لغفور لستور عليهم محاء لما كان منهم رحيم
منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جنايتهم اولا
ثم اردفها بعظم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه اعظم
واجل ولكن لا بد من حفظ الشريطة وهي وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية
لا يلتفت اليها حازم ولما سكت عن موسى الغضب هذا مثل كان الغضب كان يغريه
على ما فعل ويقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر براس اخيك اليك فترك النطق
بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذي طبع سليم وذوق
صحيح الا لذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن
موسى الغضب لا تجد النفس عندها شيئا من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ
ولما سكت واسكت اي اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفئ
غضبه اخذ الالواح التي القاها وفي نسختها وفيما نسخ منها اي كتب والنسخة فعلة
بمعنى مفعول كالخطبة هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون دخلت اللام لتقدم المفعول
لان تأخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت واختار
موسى قومه اي من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله منا الذي اختير الرجال سماحة
سبعين رجلا لميقاتنا قيل اختار من اثني عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تناموا
اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل اجر
من خرج فقعد كالب ويوشع وروي انه لم يصب الا ستين شيخا فاوحى الله اليه ان يختار
من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا ابناء ما عدا العشرين
ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسى ان يصوموا ويتطهروا ويطهروا
ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سيناء لميقات ربه وكان لا ياتيه الا باذن منه فامره ربه ان ياتيه في سبعين من بني
اسرائيل فلما دنا موسى من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا
موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتى اذا دخلوا في الغمام وقعوا سجدا فسمعوه
وهو يكلم موسى يامره وينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا
الرؤية فوعظهم وزجرهم وانكر عليهم فقالوا يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله
جهرة فقال رب ارني انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب
بلن ورجف بهم الجبل فصعقوا فلما اخذتهم الرجفة ولما كانت الرجفة قال موسى
رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياي وهذا تمن منه للاهلاك قبل ان يرى ما يرى من
تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله لاهلكني قبل
هذا اتهلكنا بما فعل السفهاء منا يعني اتهلكنا جميعا يعني نفسه واياهم لانه انما طلب
الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا ان هي الا فتنتك اي محنتك وابتلاؤك حين كلمتني
وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا تضل
بها من تشاء وتهدي من تشاء تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين في معرفتك وتهدي العالمين

بك للثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا
لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع في الكلام انت ولينا من لا نا القائم
بامورنا فاغفر لنا وارحمنا وانت خير الغافرين واكتب لنا واثبت لنا واقسم في هذه الدنيا حسنة
عافية وحياة طيبة او توفيقا في الطاعة وفي الآخرة الجنة انا هدنا اليك تبنا اليك وهاد
اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم يا راكب الذنب هدهد
واسجد كانك هدهد وقرا ابو وجزة السعدي هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده
اذا حركه وامالة ويحتمل ان يكون مبنيا للفاعل وللمفعول بمعنى حركنا انفسنا اليك
وامِلناها او حُركنا اليك وامِلنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين
فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضم فيمن قال عود المريض
وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده قال
عذابي من حاله وصفته اني اصيب به من اشاء اي من وجب علي في الحكمة تعذيبه ولم يكن
في العقوبة ولم يكن في العفو عنه مساغ لكونه مفسدة ورحمتي وسعت كل شيء واما
رحمتي فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شيء ما من مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا
عاص الا وهو متقلب في نعمتي وقرا الحسن من اساء من الاساءة فساكتبها فسأكتب
هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بني اسرائيل للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم
باياتنا يؤمنون للذين يكونون في اخر الزمان من امة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم
بجميع اياتنا وكتبنا يؤمنون ولا يكفرون بشيء منها الذين يتبعون الرسول الذي
يوحى اليه كتابا مختصا به وهو القران النبي صاحب المعجزات الامي الذي يجدونه ومنه
يجدون نعته اولئك الذين يتبعونه من بني اسرائيل مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل
يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ما حرم عليهم من الاشياء الطيبة
كالشحوم وغيرها او ما طاب في الشريعة مما ذكر اسم الله عليه وما خلا كسبه من السحت
ويحرم عليهم الخبائث ما يستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما اهل لغير
الله به او ما خبث في الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة ويضع عنهم اصرهم
والاغلال التي كانت عليهم الاصر الثقل الذي ياصر صاحبه اي يحبسه من الحراك
لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل النفس في صحة توبتهم وكذلك
الاغلال مثل لما كان في شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او
خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد
والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق في اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت
بنو اسرائيل اذا قامت تصلي لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل
ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرئ
اصارهم على الجمع فالذين امنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي انزل معه اولئك
هم المفلحون وعزروه ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرئ بالتخفيف واصل العزر
المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع من معاودة القبيح الا ترى الى تسميته الحد
والحد هو المنع والنور القران فان قلت ما معنى قوله انزل معه وانما انزل مع
جبريل قلت معناه انزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقران مشفوعا به
ويجوز ان يعلق باتبعوا اي واتبعوا القران المنزل مع اتباع النبي والعمل بسنته
وبما امر به ونهى عنه اي واتبعوا القران كما اتبعه مصاحبين له في اتباعه فان قلت
كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه قلت لما دعا لنفسه
ولبني اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بني اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله
وعلى كفرهم بايات الله العظام التي اجراها على موسى عليه السلام وعرض بذلك في قوله
والذين هم باياتنا يؤمنون واريد ان يكون استماع اوصاف اعقابهم الذين امنوا برسول

الله وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا في اخلاص الايمان والعمل الصالح
وفي ان يحشروا معهم ولا يفرق بينهم وبين اعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء قل يا ايها الناس
اني رسول الله اليكم جميعا قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة وبعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس
وكافة الجن وجميعا نصب على الحال فان قلت الذي له ملك السموات والارض ما محله قلت
الاحسن ان يكون منتصبا باضمار اعني وهو الذي يسمى النصب على المدح ويجوز ان يكون جرا على
الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله لا اله الا هو بدل من الصلة
التي هي له ملك السموات والارض وكذلك يحيي ويميت وفي لا اله الا هو بيان للجملة قبلها
لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية
لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته
وما انزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القران
او اراد جنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسى بن مريم وقيل هي الكلمة التي تكون
عنها عيسى وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسى كلمة الله فخص بهذا الاسم
لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى واتبعوه لعلكم تهتدون ارادة ان
تهتدوا فان قلت فهلا قيل فامنوا بالله وبي بعد قوله اني رسول الله اليكم قلت
عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجري عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة
الالتفات من مزية البلاغة وليعلم ان الذي وجب الايمان به هو هذا الشخص المستقل
بانه النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان انا او غيري اظهارا للنصفة وتفاديا
من العصبية لنفسه ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وبه يعدلون هم المؤمنون التائبون
من بني اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتى اقدموا على العظيمتين
عبادة العجل واستجازة رؤية الله ذكر ان منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة
الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم وبالحق يعدلون بينهم في الحكم لا يجورون
او اراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وامن به من اعقابهم وقيل ان بني
اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثني عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا
واعتذروا وسالوا الله ان يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا
فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا
وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسرى نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل
هل تعرفون من تكلمون قالوا لا فقال هذا محمد النبي الامي فامنوا به وقالوا يا رسول
الله ان موسى اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ احمد مني عليه السلام فرد محمد على
موسى السلام ثم اقرأهم عشر سور من القران نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير
الصلاة والزكاة وامرهم ان يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا
السبت وعن مسروق قرئ بين يدي عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعني لمن كان
في مجلسه من المؤمنين وهل تزيدون على ما يكم عليهم شيئا من يهدي بالحق وبه يعدل
وقيل لو كانوا بطرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين
هذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل
افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر
في مشارق الارض ومغاربها الا وقد القاه اليهم وملأ به مسامعهم والزمهم به الحجة وهو
سائلهم عنه يوم القيمة وقطعناهم وصيرناهم قطعا اي فرقا وميزنا بعضهم من بعض
لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف اثنتي عشرة اسباطا كقوله اثنتي عشرة
قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثني عشر ولدا من
ولد يعقوب عليه السلام فان قلت مميز ما عدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه
مجموعا وهلا قيل اثني عشر سبطا قلت لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم

اثنتي عشرة اسباطا قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع اسباطا موضع قبيلة ونظيره
بين رماحي مالك ونهشل وامما بدل من اثنتي عشرة بمعنى قطعناهم امما لان كل اسباط كانت
امة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف وقرئ
اثنتي عشرة بكسر الشين واوحينا الى موسى اذ استسقاه قومه ان اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا
عشرة عينا فانبجست فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج
وكيف غربي دالج تبجسا فان قلت فهلا قيل فضرب فانبجست قلت لعدم الالباس
وليجعل الانبجاس على الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانتفا
الشك عنه بحيث لا حاجة الى الافصاح به وقوله قد علم كل اناس مشربهم نظير قوله اثنتي عشرة
اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الثنتي عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وثناء وتؤام
واخوات لها ويجوز ان يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما ابدلت في نحو
سكارى وغيارى من الفتحة وظللنا عليهم الغمام وجعلناه ظليلا عليهم في التيه وانزلنا عليهم
المن والسلوى كلوا على ارادة القول من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا وما رجع الينا ضرر ظلمهم
بكفرانهم النعم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولكن كانوا يضرون انفسهم ويرجع وبال ظلمهم عليهم
واذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا
واذكر اذ قيل لهم والقرية بيت المقدس فان قلت كيف اختلفت العبارة هاهنا وفي
سورة البقرة قلت لا باس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض
بين قوله اسكنوا هذه القرية فكلوا منها وبين قوله وكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسبب
سكناهم للاكل منها فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والاكل منها وسوا قدموا الحطة
على دخول الباب او اخروها فهم جامعون في الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض
اثباته وقوله نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة
وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استيناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران
فقيل له سنزيد المحسنين وكذلك زيادة منهم زيادة بيان فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي
قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون وارسلنا وانزلنا ويظلمون
ويفسقون من واد واحد وقرئ نغفر لكم خطيئاتكم ويغفر لكم خطاياكم وخطيئاتكم وخطيتكم
على البنا للمفعول واسالهم عن القرية واسال اليهود وقرئ واسالهم وهذا السوال معناه
التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والاعلام بان هذا من علومهم
التي لا تعلم الا بكتاب او وحي فاذا اعلمهم به من لم يقرا كتابهم علم انه من جهة الوحي ونظيره
همزة الاستفهام التي يراد بها التقرير في قولك اعدوتم في السبت والقرية ايلة وقيل
مدين وقيل طبرية والعرب تسمي المدينة قرية وعن ابي عمرو بن العلا ما رايت قرويين افصح
من الحسن والحجاج يعني رجلين من اهل المدن التي كانت حاضرة البحر قريبة منه راكبة
لشاطيه اذ يعدون في السبت اي يتجاوزون حدود الله فيه واصطيادهم في يوم السبت
وقد نهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون ادغمت التاء في الدال ونقلت حركتها الى العين
ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون الات الصيد يوم السبت وهم مامورون بان لا يشتغلوا
فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال
بالتعبد فمعناه يعدون في تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله اذ تاتيهم حيتانهم يوم سبتهم
شرعا ومعناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
وقرا عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرا علي رضي الله عنه
لا يسبتون بضم اليا من اسبتوا وعن الحسن على البنا للمفعول اي لا يدار عليهم السبت
ولا يومرون بان يسبتون فان قلت اذ يعدون واذ تاتيهم ما محلهما من الاعراب
قلت اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية هو اهلها كانه قيل وسلهم عن اهل
القرية وقت عدوانهم في السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز ان يكون منصوبا بكانت او بحاضرة

واما الثاني فمنصوب بيعدون ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل والحيتان السمك واكثر ما تستعمل
العرب الحوت في السمك شرعا ظاهرة على وجه الما وعن الحسن تشرع على ابوابهم كانها الكباش
البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا واشرف علينا وشرعت على فلان في بيته فرايته
يفعل كذا كذلك نبلوهم مثل ذلك البلا الشديد نبلوهم بما كانوا يفسقون بسبب فسقهم
واذ قالت معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه في الاعراب امة منهم جماعة من اهل القرية
من صلحايهم الذين ركبوا الصعب في موعظتهم حتى يسوا من قبولهم لاخرين كانوا
لا يقلعون عن وعظهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اي مخترمهم ومطهر الارض منهم او معذبهم
عذابا شديدا لتماديهم في الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم ان الوعظ لا ينفع فيهم قالوا معذرة الى
ربكم اي موعظتنا ابلاغ عذر الى الله ولئلا ننسب في النهي عن المنكر الى بعض التفريط ولعلهم
يتقون ولطمعنا في ان ينتفعوا بعض الانتفاع وقرئ معذرة بالنصب اي وعظناهم معذرة الى ربكم
او اعتذرنا معذرة فلما نسوا ما ذكروا به يعني اهل القرية فلما تركوا ما ذكرهم به الصالحون
ترك الناسي لما ينساه انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا
يفسقون واخذنا الظالمين الراكبين للمنكر فان قلت الامة الذين قالوا لم تعظون
من اي الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين قلت من فريق الناجين لانهم من
فريق الناهين وما قالوا ما قالوا الا سايلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا
صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يوثر فيه سقط عنه النهي
وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الا ترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين
على المآصر او الجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك
ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الاخرون فانما لم يعرضوا عنهم اما لان ياسهم لم يستحكم كما
استحكم ياس الاولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في امرهم كما وصف
الله رسوله في قوله فلعلك باخع وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين
لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم ومعذبهم وعن ابن عباس انه قال
ليت شعري ما فعل بهولا الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة قلت جعلني الله فداك
الا ترى انهم كرهوا ما هم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم ازل به
حتى عرفته انهم ناجون وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين اخذوا
الحيتان وروي ان اليهود لما امروا باليوم الذي امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوا واختاروا
السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وامروا بتعظيمه وكانت الحيتان تاتيهم يوم
سبتهم شرعا بيضا سمانا كانها المخاض لا يرى الما من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تاتيهم
فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن اخذها يوم السبت
فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتاخذونها
يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم
الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره
عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما راوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا
وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار اهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني
عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال
المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود
عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا
ان للناس شانا فعلوا الجدار فنظروا فاذا هم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود
انسباها من الانس والانس لا يعرفون انسباهم من القردة فجعل القرد ياتي نسيبه
فيشم ثيابه ويبكي فيقول الم ننهكم فيقول براسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ
خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها اثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا

في الآخرة هاه وأيم الله ما حوت أخذه قوم فأكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعداً والساعة أدهى وأمر بئيس شديد يقال بؤس يبؤس بأساً إذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبيس على فعيل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بئيس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل فلما عتوا عما نهوا عنه فلما تكبروا وأبوا أن يتركوا ما نهوا عنه كقوله وعتوا عن أمر ربهم قلنا لهم كونوا قردة خاسئين عبارة عن مسخهم قردة كقوله إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون والمعنى أن الله عذبهم أولاً بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ وإذ تأذن ربك عزم ربك وهو تفعل من الإيذان وهو الإعلام لأن العازم على الأمر يحدث به نفسه ويؤذنها بفعله وأجري مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك أجيب بما يجاب به القسم وهو قوله ليبعثن والمعنى وإذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن عليهم على اليهود إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فكانوا يؤدون الجزية إلى المجوس إلى أن بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم إلى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عباداً لنا أولي بأس شديد وقطعناهم في الأرض أمماً وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم منهم الصالحون الذين آمنوا منهم بالمدينة أو الذين وراء الصين ومنهم دون ذلك ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهو الكفرة والفسقة فإن قلت ما محل دون ذلك قلت الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه وما منا إلا له مقام معلوم بمعنى وما منا أحد إلا له مقام وبلوناهم بالحسنات والسيئات بالنعم والنقم لعلهم يرجعون ينتهون فينيبون فخلف من بعدهم فخلف من بعد المذكورين خلف وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ورثوا الكتاب التوراة بقيت في أيديهم بعد سلفهم يقرؤونها ويقفون على ما فيها من الأوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها يأخذون عرض هذا الأدنى أي حطام هذا الشيء الأدنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفي قوله هذا الأدنى تخسيس وتحقير والأدنى إما من الدنو بمعنى القرب لأنه عاجل قريب وإما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا يأخذونه من الرشى في الأحكام وعلى تحريف الكلم للتسهيل على العامة ويقولون سيغفر لنا لا يؤاخذنا الله بما أخذنا والفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا ويجوز أن يكون الأخذ الذي هو مصدر يأخذون وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه الواو للحال أي يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون إلى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح إلا بالتوبة والمصر لا غفران له ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب يعني قوله في التوراة من ارتكب ذنباً عظيماً لا يغفر له إلا بالتوبة أن لا يقولوا على الله إلا الحق ودرسوا ما فيه في الكتاب من اشتراط التوبة في غفران الذنوب والذي عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار يأتي على الناس زمان إن قصروا عما أمروا به قالوا سيغفر لنا لم نشرك بالله شيئاً كل أمرهم إلى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الأمة أشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية والدار الآخرة خير من ذلك العرض الخسيس للذين يتقون الرشا ومحارم الله وقرئ ورثوا الكتاب وأن لا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا أفلا تعقلون بالياء والتاء فإن قلت ما موقع قوله أن لا يقولوا على الله إلا الحق قلت هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور في الكتاب وفيه أن إثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ما ليس بحق وإن فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان أن لا يقولوا مفعولاً له ومعناه

لئلا

لئلا يقولوا ويجوز أن تكون أن مفسرة ولا تقولوا نهياً كأنه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله إلا الحق فإن قلت علام عطف قوله ودرسوا ما فيه قلت على ألم يؤخذ عليهم لأنه تقرير فكأنه قيل أخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه والذين يمسكون بالكتاب وأقاموا الصلاة فيه وجهان أحدهما أن يكون مرفوعاً بالابتداء وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين والمعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن المصلحين في معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً والثاني أن يكون مجروراً عطفاً على الذين يتقون ويكون قوله إنا لا نضيع اعتراضاً وقرئ يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة أبي والذين مسكوا بالكتاب فإن قلت التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها إقامة الصلاة فكيف أفردت قلت إظهاراً لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والإيمان وقرأ ابن مسعود والذين استمسكوا بالكتاب وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء إذا نفضه لتقتلع الزبدة منه والظلة كل ما أظلك من سقيفة أو سحاب وقرئ بالطاء من أطل عليه إذا أشرف وظنوا أنه واقع بهم وعلموا أنه ساقط عليهم وذلك أنهم أبوا أن يقبلوا أحكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤوسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخاً في فرسخ وقيل لهم إن قبلتموها بما فيها وإلا ليقعن عليكم فلما نظروا إلى الجبل خر كل رجل منهم ساجداً على حاجبه الأيسر وهو ينظر بعينه اليمنى إلى الجبل فرقاً من سقوطه فلذلك لا ترى يهودياً يسجد إلا على حاجبه الأيسر ويقولون هي السجدة التي رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الألواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر إلا اهتز فلذلك لا ترى يهودياً يقرأ عليه التوراة إلا اهتز وأنغض لها رأسه خذوا ما آتيناكم على إرادة القول أي وقلنا خذوا ما آتيناكم من الكتاب بقوة وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه واذكروا ما فيه من الأوامر والنواهي ولا تنسوه أو اذكروا ما فيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز أن يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة إن كنتم تطيقونه كقوله إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا واذكروا ما فيه من الدلالة على القدرة الباهرة والإنذار لعلكم تتقون ما أنتم عليه وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم من ظهورهم بدل من بني آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم إخراجهم من أصلابهم نسلاً وإشهادهم على أنفسهم وقوله ألست بربكم قالوا بلى شهدنا من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الأدلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التي ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكأنه أشهدهم على أنفسهم وقررهم وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على أنفسنا وأقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع في كلام الله تعالى ورسوله وفي كلام العرب ونظيره قوله عز وعلا إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين وقوله إذا قالت الأنساع للبطن الحق قالت له ريح الصبا قرقار ومعلوم أنه لا قول ثم وإنما هو تمثيل وتصوير للمعنى أن تقولوا مفعول له أي فعلنا ذلك من نصب الأدلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين لم ننبه عليه أو كراهة أن تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فاقتدينا بهم لأن نصب الأدلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم في الإعراض عنه والإقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم في الشرك وأدلة التوحيد منصوبة لهم فإن قلت بنو آدم وذرياتهم من هم قلت عنى ببني آدم أسلاف اليهود الذين أشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على أنها في المشركين وأولادهم قوله أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل والدليل على أنها في اليهود الآيات التي عطفت عليها وهي على نمطها وأسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية

التي واذ قالت امة منهم واذ تاذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبا الذي آتيناه اياتنا
افتهلكنا بما فعل المبطلون اي كانوا السبب في شركنا لتاسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة
لنا وكذلك ومثل ذلك التفصيل البليغ نفصل الايات لهم ولعلهم يرجعون وارادة ان يرجعوا
عن شركهم نفصلها وقرئ ذريتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء واتل عليهم على اليهود نبا الذي
آتيناه اياتنا فانسلخ منها هو عالم من علماء بني اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء
اوتي علم بعض كتب الله فانسلخ من الايات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره فاتبعه الشيطان
فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له او فاتبعه خطواته وقرئ فاتّبعه بمعنى فتبعه فكان
من الغاوين فصار من الضالين الكافرين وروي ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه
فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل ولو شئنا لرفعناه بها
لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الايات ولكنه اخلد الى الارض مال الى الدنيا
ورغب فيها واتبع هواه فان قلت كيف علق رفعه بمشيئته ولم
يعلق بفعله الذي يستحق به الرفع قلت المعنى ولو لزم العمل بالايات ولم ينسلخ منها
لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله رفعه تابعة للزومه الايات فذكرت المشيئة والمراد ما هي تابعة
له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك
المشيئة باخلاده الذي هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا في معنى ما هو فعله ولو كان الكلام
على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشا فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث
او تتركه يلهث فصفته التي هي مثل في الخسة والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها وهي
حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج وطرد او ترك غير متعرض له
بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث
والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه
اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع فحططناه ابلغ
حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها بمعنى ذلك وعن ابن عباس الكلب منقطع
الفؤاد يلهث ان حمل عليه او لم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال
كالكلب ان طردته لهث وان تركته على حاله لهث فان قلت ما محل الجملة الشرطية
قلت النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما
دعا بلعم على موسى خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب ذلك مثل القوم
الذين كذبوا باياتنا من اليهود بعد ما قرءوا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر
القرآن المعجز وما فيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به فاقصص القصص
فاقصص قصص بلعم الذي هو نحو قصصهم لعلهم يتفكرون فيحذرون مثل عاقبته اذا
ساروا نحو سيرته وزاغوا نحو زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك
وتزداد الحجة لزوما لهم ساء مثلا القوم الذين كذبوا باياتنا اي ساء مثل القوم او ساء مثلا مثل اصحاب
القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم وانفسهم كانوا يظلمون اما ان يكون معطوفا على كذبوا
فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بايات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما
منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص
كانه قيل وخصوا انفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها من يهد الله فهو المهتدي حمل على اللفظ ومن
يضلل فاولئك هم الخاسرون حمل على المعنى ولقد ذرانا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب
لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها كثير من الجن والانس هم المطبوع
على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق
ولا ينظرون باعينهم الى ما خلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون ما يتلى عليهم سماع تدبر كانهم
عدموا فهم القلوب وابصار العيون واسماع الآذان وجعلهم لاغراقهم في الكفر وشدة
شكائمهم فيه وانه لا ياتي منهم الا افعال اهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات

وعلمهم

وعلمهم بانهم يدخلون النار ومنه كتاب عمر رضي الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان اهل الشام
اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض
الامور ما خلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ما اقدموا عليه من تكذيب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم انه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد
الايمان ياتي منهم كانهم خلقوا للنار اولئك كالانعام في عدم الفقه والنظر للاعتبار
والاستماع للتدبر بل هم اضل من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر اولئك هم الغافلون
الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ما تبصره وهؤلاء
اكثرهم يعلم انه معاند فيقدم على النار ولله الاسماء الحسنى التي هي احسن الاسماء لانها تدل
على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك فادعوه بها فسموه بتلك الاسماء وذروا الذين
يلحدون في اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب
فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون
بجهلهم يا ابا المكارم يا ابيض الوجه يا نخي او ان يابوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو ان
يقولوا يا الله ولا يقولوا يا رحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا
فله الاسماء الحسنى ويجوز ان يراد ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير
والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيصفونه
بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر وبما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل
الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز
لما قال ولقد ذرانا لجهنم كثيرا فاخبر ان كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله
وممن خلقنا امة يهدون بالحق وبه يعدلون وعن النبي عليه السلام انه كان يقول اذا قراها
هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه صلى
الله عليه وسلم ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وعن الكلبي هم الذين
آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين والذين كذبوا باياتنا سنستدرجهم
الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد والاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى

فلو كنت في جب ثمانين قامة ۞ ورقيت اسباب السماء بسلم

ليستدرجنك القول حتى تهره ۞ وتعلم اني عنكم غير مفحم

ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم
مات بعضهم في اثر بعض ومعنى سنستدرجهم سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم
ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم
مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون
في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان تواتر النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان
منه وتبعيد فهو استدراج الله نعوذ بالله منه واملي لهم عطف على سنستدرجهم وهو
داخل في حكم السين ان كيدي متين سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان
وفي الحقيقة خذلان اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ما بصاحبهم يعني محمدا صلى الله عليه وسلم من جنة
من جنون وكانوا يقولون شاعر ومجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم هم
فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح
ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا نظر استدلال في ملكوت السموات والارض فيما تدلان عليه من عظم
الملك والملكوت الملك العظيم وما خلق الله من شيء وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس
لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف وان عسى ان مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى
على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسى ان يكون قد اقترب
اجلهم ولعلهم يموتون عن قريب فليسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة
الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي قبلها

ضمير الشان فان قلت بم يتعلق قوله فباي حديث بعده يؤمنون قلت بقوله عسى ان
يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الايمان بالقرآن قبل
الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا من يضلل الله
فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون قرئ ويذرهم بالنون والرفع على الاستيناف ويذرهم
بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد ويذرهم يسالونك عن
الساعة قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان
ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش والساعة من الاسماء
الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة او لسرعة حسابها او على العكس
لطولها او لانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق ايان بمعنى متى وقيل اشتقاقه
من اي فعلان منه لان معناه اي وقت واي فعل من اويت اليه لان البعض اوى الى الكل
متساند اليه قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرأ السلمي ايان
بكسر الهمزة مرساها ارساؤها او وقت ارسائها اي اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه
ثبوته واستقراره ومنه رسا الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا
اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله
قل انما علمها عند ربي اي علم وقت ارسائها عنده قد استاثر به لم يخبر به احدا من ملك
مقرب ولا نبي مرسل ليكون ذلك ادعى الى الطاعات وازجر عن
المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك لا يجليها لوقتها الا هو لا تزال
خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها في وقتها بغتة لا يجليها
بالخبر عنها قبل مجيئها احد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها ثقلت في السموات
والارض اي كلت من اهلها من الملائكة والثقلين اهمه شان الساعة ويوده ان يتجلى له علمها
وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها
واهوالها او لان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهي ثقيلة فيهما لا تاتيكم الا بغتة الا فجاة
على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح
حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه
ويرفعه يسالونك كانك حفي عنها كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ في السؤال عنها لان
من بالغ في المسالة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه
المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استيصاله واحفى في المسالة اذا
الحف وحفي بفلان وتحفى به بالغ في البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى
علمت وقرأ ابن مسعود كانك حفي بها اي عالم بها بليغ في العلم بها وقيل ان قريشا
قالوا له ان بيننا وبينك قرابة فقل لنا متى الساعة فقيل يسالونك عنها كانك حفي
تتحفى بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوي علمها عن غيرهم ولو اخبرت
بوقتها لمصلحة عرفها الله في اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص
كسائر ما اوحي اليك وقيل كانك حفي بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعني انك تكره
السؤال عنها لانه من علم الغيب الذي استاثر الله به ولم يؤته احدا من خلقه كما قال
قل انما علمها عند الله فان قلت لم كرر يسالونك وانما علمها عند الله قلت
للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفي عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق في كتبهم
لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد بن الحسن صاحب ابي حنيفة رحمهما الله
ولكن اكثر الناس لا يعلمون انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها قل لا املك لنفسي نفعا
ولا ضرا الا ما شاء الله هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب
اي انا عبد ضعيف لا املك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضرر كالمماليك والعبيد
الا ما شاء ربي ومالكي من النفع والدفع عني ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء

ولو

ولو كنت اعلم الغيب لكانت حالي على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب
السوء والمضار حتى لا يمسني شيء منها ولم اكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى في الحروب رابحا
وخاسرا في التجارات ومصيبا ومخطئا في التدابير ان انا الا نذير وبشير ان انا الا عبد
ارسلت نذيرا وبشيرا وما من شاني ان اعلم الغيب لقوم يؤمنون يجوز ان يتعلق بالبشير
والنذير جميعا لان النذارة والبشارة انما ينفعان فيهم او يتعلق بالبشير وحده ويكون
المتعلق بالنذير محذوفا اي الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون هو الذي خلقكم
من نفس واحدة وهي نفس ادم وجعل منها زوجها وهي حواء خلقها من جسد ادم من ضلع
من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا ليسكن اليها ليطمئن اليها ويميل
ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه انس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة
ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر
بعد ما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها ادم
ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثى ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى
فلما تغشاها التغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان حملت حملا خفيفا
خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله
كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول في ولدها ما كان اخفه على كبدي حين حملته
فمرت به فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا
يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس فاستمرت به وقرأ يحيى
ابن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت به من المرية كقوله افتمرونه وافتمارونه
ومعناه فوقع في نفسها ظن الحمل وارتابت به فلما اثقلت حان وقت ثقل حملها كقولك
اقربت وقرئ اثقلت على البناء للمفعول اي اثقلها حملها دعوا الله ربهما دعا ادم وحواء
ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجا اليه فقالا لئن اتيتنا لئن وهبت لنا
صالحا ولدا سويا قد صلح بدنه وبري وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة
لنكونن من الشاكرين والضمير في اتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما فلما اتاهما
صالحا فلما اتاهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء اي جعل اولادهما له
شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك فيما اتاهما اي اتى اولادهما
وقد دل على ذلك بقوله فتعالى الله عما يشركون حيث جمع الضمير وادم وحواء بريان من
الشرك ومعنى اشراكهم فيما اتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة
وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه اخر وهو
ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم ال قصي الا
ترى الى قوله في قصة ام معبد فيا لقصي ما زوى الله عنكم به من فخار لا يبارى وسودد
ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن
اليها فلما اتيهما ما طلباه من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما اتاهما حيث سميا
اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير في يشركون
لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه وقرئ
شركا اي ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله اشراكا في الولد اجريت الاصنام مجرى
اولي العلم في قوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون بناء على اعتقادهم وتسميتهم
اياها الهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم يخلقون لان الله
خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم
اعجز من عبدتهم ولا يستطيعون لهم لعبدتهم نصرا ولا انفسهم ينصرون فيدفعون عنها ما يعتريها
من الحوادث بل عبدتهم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم وان تدعوهم وان تدعوا هذه
الاصنام الى الهدى الى ما هو هدى ورشاد والى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما

يطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل
عليه قوله تعالى فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون
ام صمتم عن دعائهم في انه لا فلاح معهم فان قلت هلا قيل ام صمتم ولم وضعت
الجملة الاسمية موضع الفعلية قلت لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم
كقوله واذا مس الناس ضر وكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم
لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم وبين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم ان الذين
تدعون من دون الله اي تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله عباد امثالكم فادعوهم فليستجيبوا
لكم ان كنتم صادقين وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اي قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء
فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا امثالهم فقال
الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها
وقيل عباد امثالكم مملوكون وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم
بتخفيف ان ونصب عبادا امثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا امثالكم فعلى
على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية قل ادعوا شركاءكم واستعينوا بهم في عداوتي ثم كيدون
جميعا انتم وشركاؤكم فلا تنظرون فاني لا ابالي بكم ولا يثق بهذا القول الا واثق بعصمة الله
وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء فقال لهم اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
ان وليي الله اي ناصري عليكم الله الذي نزل الكتاب الذي اوحى الي كتابه واعزني برسالته وهو
يتولى الصالحين ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم والذين تدعون من
دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم
ينظرون اليك يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء
ينظر اليه وهم لا يبصرون وهم لا يدركون المرئي خذ العفو العفو ضد الجهد اي خذ
ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب
منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله عليه السلام يسروا ولا تعسروا قال

خذي العفو مني تستديمي مودتي ولا تنطقي في سورتي حين اغضب

وقيل خذ الفضل وما تسهل عليهم من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت امر ان
ياخذهم بها طوعا او كرها وامر بالعرف المعروف والجميل من الافعال واعرض عن
الجاهلين ولا تكافئ السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك
منهم وقيل لما نزلت الآية سأل جبريل عليه السلام فقال لا ادري حتى اسال ثم رجع
فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن
جعفر الصادق امر الله نبيه بمكارم الاخلاق وليس في القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق
منها واما ينزغنك من الشيطان نزغ واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على
خلاف ما امرت به فاستعذ بالله ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه
ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده انه هو السميع
العليم وروي انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يا رب والغضب
فنزل واما ينزغنك ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابي بكر رضي
الله عنه ان لي شيطانا يعتريني ان الذين اتقوا اذا مسهم طيف من الشيطان
لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال انى الم بك الخيال يطيف
او هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرئ
طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهو تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة
بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا اصابهم ادنى نزغ من الشيطان
والمام بوسوسته تذكروا ما امر الله به ونهى عنه فاذا هم مبصرون فابصروا السداد ودفعوا

ماوسوس

ما وسوس به اليهم ولم يتبعوا انفسهم واخوانهم يمدونهم في الغي واما اخوان الشياطين
الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم في الغي اي يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم
وقرئ يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم ثم لا يقصرون ثم لا يمسكون عن اغوائهم
حتى لا يبصروا ولا يرجعوا وقوله اخوانهم يمدونهم كقوله قوم اذا الخيل جالوا في كواثبها
في ان الخبر جار على غير من هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به
الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم في مقابلة الذين اتقوا
فان قلت لم جمع الضمير في اخوانهم والشيطان مفرد قلت المراد به الجنس كقوله
اولياؤهم الطاغوت واذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اي
جمعه كقولك اجتمعه او جبي اليه فاجتباه اي اخذه كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها والمعنى
لولا اجتبيتها هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى
او هلا اخذتها منزلة عليك مقترحة قل انما اتبع ما يوحى الي من ربي ولست بمفتعل للآيات
او لست بمقترح لها هذا بصائر هذا القرآن بصائر من ربكم اي حجج بينة وهدى ورحمة
ورحمة لقوم يؤمنون يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى او هو بمنزلة بصائر القلوب واذا
قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت
قراءة القرآن في صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون في الصلاة فنزلت ثم صار سنة
في غير الصلاة ان ينصت القوم اذا كانوا في مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا
عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه
ولا تجاوزوه واذكر ربك في نفسك هو عام في الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح
والتهليل وغير ذلك تضرعا وخيفة متضرعا وخائفا ودون الجهر من القول ومتكلما كلاما دون الجهر
لان الاخفاء ادخل في الاخلاص واقرب الى حسن التفكر بالغدو والآصال لفضل هذين
الوقتين او اراد الدوام ومعنى بالغدو باوقات الغدو وهي الغدوات وقرئ والايصال
من آصل اذا دخل في الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو ولا تكن من الغافلين من الذين
يغفلون عن ذكر الله ويلهون عنه ان الذين عند ربك هم الملائكة ومعنى عند دنو الزلفة والقرب
من رحمة الله وفضله لتوفرهم على طاعة الله وابتغاء مرضاته لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه
وله يسجدون ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه وبين ابليس سترا
وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

سورة الانفال مدنية وهي ست وسبعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم يسألونك عن الانفال النفل الغنيمة لانها من
فضل الله وعطائه قال لبيد ان تقوى ربنا خير نفل والنفل ما ينفله الغازي اي يعطاه
زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء في الحرب من قتل قتيلا
فله سلبه او قال لسرية ما اصبتم فهو لكم او فلكم نصفه او ربعه ولا يخمس النفل ويلزم الامام
الوفاء بما وعد وعند الشافعي رحمه الله في احد قوليه لا يلزم ولقد وقع اختلاف بين المسلمين
في غنائم بدر وفي قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم في
قسمتها للمهاجرين ام للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل الانفال لله والرسول اي قل
لهم هي لرسول الله وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما يشاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل
شرط لمن كان له بلاء في ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين واسروا
سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون
وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردءا لكم وفئة تنحازون اليها
ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء
ما شرطت لهم حرمت اصحابك فنزلت وعن سعد بن ابي وقاص قتل اخي عمير يوم بدر
فقتلت به سعيد بن العاص واخذت سيفه فاعجبني فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقلت ان الله قد شفى صدري من المشركين فهب لي هذا السيف فقال ليس هذا لي ولا لك
اطرحه في القبض فطرحته وبي ما لا يعلمه الا الله من قتل اخي واخذ سلبي فما جاوزت قليلا
حتى جاءني رسول الله وقد انزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سالتني السيف وليس
لي وانه قد صار لي فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر اصحاب بدر حين اختلفنا
في النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا وجعله لرسول الله فقسمه بين المسلمين
على السوي وكان في ذلك تقوى الله وطاعة لرسوله واصلاح ذات البين وقرا ابن محيصن
يسالونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن في اللام وقرا
ابن مسعود يسالونك الانفال اي يسالك الشبان ما شرطت لهم من الانفال فان
قلت ما معنى الجمع بين ذكر الله ورسوله في قوله قل الانفال لله والرسول قلت
معناه ان حكمها مختص بالله ورسوله يامر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته ويمتثل الرسول
امر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى راي احد والمراد ان الذي اقتضته حكمة الله تعالى
وامر رسوله ان يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات
فيقاسموهم على السوية ولا يستاثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يومن ان يقدح ذلك
فيما بين المسلمين من التحابب والتصافي واتقوا الله في الاختلاف وكونوا متحدين متآخين
في الله واصلحوا ذات بينكم وتواسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء
كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد اكلنا وانفقنا
فقال ليرد بعضكم على بعض فان قلت ما حقيقة قوله ذات بينكم قلت
احوال بينكم يعني ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور
وهي مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقني ذا انائك
يريدون ما في الاناء من الشراب واطيعوا الله ورسوله وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين
وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف
على التوفر عليها ومعنى قوله ان كنتم مومنين ان كنتم كاملي الايمان واللام في قوله انما المومنون
اشارة اليهم اي انما الكاملون الايمان الذين اذا ذكر الله الذين من صفتهم كيت وكيت والدليل
عليه قوله اولئك هم المومنون حقا وجلت قلوبهم فزعت وعن ام الدرداء الوجل
في القلب كاحتراق السعفة اما تجد له قشعريرة قلت بلى قالت فادع الله فان الدعاء
يذهبه يعني فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة
وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر في قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك
ذكر رحمته ورافته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله
فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهي لغة نحو وبق في وبق وفي قراءة عبد الله فرقت واذا
تليت عليهم اياته زادتهم ايمانا ازدادوا بها يقينا وطمانينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى
للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن ابي هريرة الايمان سبع وسبعون
شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء
شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز ان للايمان سننا وفرايض وشرايع فمن
استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان وعلى ربهم يتوكلون
ولا يفوضون امورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه الذين يقيمون الصلاة ومما
رزقناهم ينفقون جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال
الجوارح من الصلاة والصدقة اولئك هم المومنون حقا حقا صفة للمصدر المحذوف اي
اولئك هم المومنون ايمانا حقا او هو مصدر موكد للجملة التي هي اولئك هم المومنون
كقولك هو عبد الله حقا اي حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا ساله امومن انت قال
الايمان ايمانان فان كنت تسالني عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر
والجنة والنار والبعث والحساب فانا مومن وان كنت تسالني عن قوله انما المومنون

فوالله

والله لا ادري امنهم انا ام لا وعن الثوري من زعم انه مومن بالله حقا ثم لم يشهد انه من اهل
الجنة فقد امن بنصف الاية وهذا الزام منه يعني كما انه لا يقطع بانه من اهل الثواب المومنين
حقا فلا يقطع بانه مومن حقا وهذا تعلق من يستثني في الايمان وكان ابو حنيفة ممن لا يستثني
فيه وحكي عنه انه قال لقتادة لم تستثني في ايمانك قال اتباعا لابراهيم في قوله والذي اطمع
ان يغفر لي فقال هلا اقتديت به في قوله اولم تومن قال بلى لهم درجات شرف وكرامة
وعلو منزلة عند ربهم ومغفرة وتجاوز لسيئاتهم ورزق كريم نعيم الجنة يعني لهم منافع حسنة
دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب كما اخرجك ربك من بيتك فيه وجهان احدهما ان
يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدا محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعني ان حالهم
في كراهة ما رايت من تنفيل الغزاة مثل حالهم في كراهة خروجك للحرب والثاني ان ينتصب
على انه صفة مصدر الفعل المقدر في قوله الانفال لله والرسول اي الانفال استقرت
لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم
كارهون ومن بيتك يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه
فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه بالحق اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب
الذي لا محيد عنه وان فريقا من المومنين لكارهون في موضع الحال اي اخرجك في حال
كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون
راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى
الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا
بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء
على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لم تفلحوا بعدها ابدا وقد رات
اخت العباس بن عبد المطلب رويا فقالت لاخيها اني رايت عجبا رايت كان ملكا نزل من السماء
فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة
فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبئوا حتى تتنبا نساؤهم فخرج
ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له
ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال والله لا يكون
ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع
جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر
وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة ونزل جبريل فقال
يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله
عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول
فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم رد عليهم وقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل
فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض
فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو
يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قالت بنو
اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا هاهنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك
فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت منا عين تطرف فضحك رسول الله ثم قال
اشيروا علي ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء
من ذمامك حتى تصل الى دارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه
ابناءنا ونساءنا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان تكون الانصار لا ترى عليهم نصرته
الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكانك تريدنا يا رسول الله فقال

اجل قال قد امنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا
على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا
البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا وانا لصبر
عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر بنا على بركة الله ففرح
رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد بن معاذ ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا
فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكاني الان انظر الى مصارع القوم وروي انه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو
في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين
وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين يجادلونك
في الحق الحق الذي جادلوا فيه رسول الله تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير بعدما تبين
بعد اعلام رسول الله بانهم ينصرون وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا
قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال كانما يساقون الى الموت وهم
ينظرون ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال
من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر
اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروي انه ما كان فيهم
الا فارسان واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم
اذ منصوب باضمار اذكر وانها لكم بدل من احدى الطائفتين والطائفتان العير والنفير وغير ذات
الشوكة العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت في النفير لعددهم
وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنه
قولهم شاك السلاح اي تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التي لا حدة لها ولا
شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى ويريد الله ان يحق الحق اي يثبته ويعليه بكلماته باياته
المنزلة في محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من اسرهم وقتلهم
وطرحهم في قليب بدر ويقطع دابر الكافرين الدابر الاخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه
دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعني انكم تريدون الفائدة العاجلة
وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم في ابدانكم واموالكم والله عز وجل يريد معالي
الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز في الدارين وشتان
ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم
بقلتكم واعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها وقرئ بكلمته
على التوحيد ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون فان قلت بم يتعلق قوله
ليحق الحق قلت بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله
الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه فان قلت
اليس هذا تكريرا قلت لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين
الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم
عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذي هو سيد الاغراض ويجب
ان يقدر المحذوف متاخرا حتى يفيد معنى الاختصاص وينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق
بيقطع فان قلت بم يتعلق اذ تستغيثون ربكم قلت هو بدل من اذ يعدكم
وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال
طفقوا يدعون الله يقولون اي رب انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين اغثنا
وعن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى
اصحابه وهم ثلاثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لي ما وعدتني
اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد في الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه

فاخذه

فاخذه ابو بكر فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز
لك ما وعدك فاستجاب لكم اني ممدكم بالف من الملائكة مردفين اني ممدكم اصله باني ممدكم فحذف
الجار وسلط عليه فاستجاب فنصب محله وعن ابي عمرو انه قرأ اني ممدكم بالكسر على ارادة القول
او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول فان قلت هل قاتلت الملائكة
يوم بدر قلت اختلف فيه فقيل نزل جبريل عليه السلام في خمسمائة ملك على الميمنة
وفيها ابو بكر وميكائيل في خمسمائة على الميسرة وفيها علي بن ابي طالب رضي الله عنهما في صور
الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض قد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت
يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابي جهل انه قال لابن مسعود من
اين كان ذلك الصوت الذي كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم
غلبونا لا انتم وروي ان رجلا من المسلمين بينا هو يشتد في اثر رجل من المشركين اذ
سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث
الانصاري رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن
ابي داود المازني تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع راسه بين يدي
قبل ان يصل اليه سيفي وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين
والا فملك واحد كاف في اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل اهلك بريشة من جناحه مدائن
قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها
من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذي تستعجلون بمعنى ردفكم
واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور
الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين
لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم
او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة اخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا
الوجه قوله تعالى في سورة ال عمران بثلاثة الاف من الملائكة منزلين بخمسة الاف من الملائكة
مسومين ومن قرأ مردفين فهو بمعنى متبعين او متبعين وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها
وتشديد الدال واصله مرتدفين اي مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال
في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع
الميم وعن السدي بالاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة ال عمران فان قلت
فبم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة اخرين والمردفين
بارتدافهم غيرهم قلت بان المراد بالالف من قاتل منهم او الوجوه منهم الذين من سواهم
اتباع لهم فان قلت الام يرجع الضمير في وما جعله الله قلت الى قوله اني
ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم فان قلت ففيمن قرأ بالكسر قلت
الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز ان يرجع الى الامداد الذي
يدل عليه ممدكم الا بشرى لكم الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم
وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر ولتطمئن قلوبكم
وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم يريد ولا تحسبوا
النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة او وما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب
الا من عند الله والمنصور من نصره الله اذ يغشاكم النعاس امنة منه اذ يغشيكم بدل ثان
من اذ يعدكم او منصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله او باضمار اذكر
وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل وامنة مفعول له
فان قلت اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا قلت بلى ولكن
لما كان معنى يغشيكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى
اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اي لامنكم ومنه صفة لها اي امنة حاصلة لكم من الله فان

بمعنى على هذه القراءة قلت يجوز أن يكون الأمنة بمعنى الأمان أي ينعسكم إيمانا أمنة أو على يغشيكم النعاس فتنعسون أمنا فإن قلت ح

قلت هل يجوز أن ينتصب على أن الأمنة للنعاس الذي هو فاعل يغشيكم أي يغشاكم
النعاس لأمنة على أن إسناد الأمن إلى النعاس إسناد مجازي وهو لأصحاب النعاس
على الحقيقة أو على أنه أنامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف أن لا يقدم
على غشيانكم وإنما غشيكم أمنة حاصلة له من الله لولاها لم يغشاكم على طريقة التمثيل والتخييل
قلت لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال
يهاب النوم أن يغشى عيونا ... تهابك فهو نفار شرود
وقرئ أمنة بسكون الميم ونظير أمن أمنة حيي حياة ونحو أمن أمنة رحم رحمة والمعنى
أن ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وأمنهم رقدوا وعن
ابن عباس النعاس في القتال أمنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان وينزل عليكم
من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الأقدام وينزل
قرئ بالتخفيف والتثقيل وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف
الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور ورجز الشيطان وسوسته إليهم وتخويفه إياهم من العطش
وقيل الجنابة لأنها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك أن إبليس تمثل لهم وكان المشركون
قد سبقوهم إلى الماء ونزل المؤمنون في كثيب أعفر تسوخ فيه الأقدام على غير ماء فاحتلم أكثرهم
فقال لهم أنتم يا أصحاب محمد تزعمون أنكم على الحق وأنكم تصلون على غير وضوء على الجنابة
وقد عطشتم ولو كنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم إلا أن يجهدكم العطش
فإذا قطع العطش أعناقكم مشوا إليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم إلى مكة فحزنوا
حزنا شديدا وأشفقوا فأنزل الله المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول
الله صلى الله عليه وسلم الحياض على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا
وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت عليه الأقدام وزالت وسوسة الشيطان
وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز أن يكون للربط لأن القلب إذا تمكن فيه الصبر
والجراءة ثبت القدم في مواطن القتال إذ يوحي ربك إلى الملائكة يجوز أن يكون بدلا ثالثا
من إذ يعدكم وأن ينتصب بيثبت أني معكم مفعول يوحي وقرئ بالكسر على إرادة القول
أو على إجراء يوحي مجرى يقول كقوله أني ممدكم والمعنى أني معينكم على التثبيت فثبتوا الذين
آمنوا وقوله سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا يجوز أن يكون تفسيرا لقوله أني
معكم فثبتوا ولا معونة أعظم من إلقاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت أبلغ من ضرب أعناقهم
واجتماعهما غاية النصرة ويجوز أن يكون غير تفسير وأن يراد بالتثبيت أن يخطروا
في ببالهم ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وأن يظهروا ما يتيقنون
به أنهم ممدون بالملائكة وقيل كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي
فيقول إني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا لننكشفن ويمشي بين الصفين
فيقول أبشروا فإن الله ناصركم لأنكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه وقرئ الرعب
بالتثقيل فوق الأعناق أراد أعالي الأعناق التي هي المذابح لأنها مفاصل فكان إيقاع
الضرب فيها حزا وتطييرا للرؤوس وقيل أراد الرؤوس لأنها فوق الأعناق يعني ضرب الهام
قال وأضرب هامة البطل المشيح وقال غشيته وهي في جأواء باسلة
عضبا أصاب سواء الرأس فانفلقا واضربوا منهم كل بنان والبنان الأصابع يريد
الأطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لأن الضرب إما واقع على مقتل أو غير
مقتل فأمرهم بأن يجمعوا عليهم النوعين ويجوز أن يكون قوله سألقي إلى قوله كل بنان
عقيب قوله فثبتوا الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كأنه قال قولوا لهم
سألقي أو كأنهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سألقي فالضاربون على هذا
هم المؤمنون ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فإن الله شديد
العقاب ذلكم فذوقوه وأن للكافرين عذاب النار ذلك إشارة إلى ما أصابهم من الضرب

والقتل

والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء وبأنهم خبره أي ذلك العقاب وقع عليهم بسبب
مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لأن كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت
في المنام عن اشتقاق المعاداة فقلت لأن هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة
لأن هذا في خصم أي جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك
لخطاب الرسول أو لخطاب كل أحد منكم وفي ذلكم للكفرة على طريقة الالتفات ومحل
ذلكم الرفع على ذلكم العقاب أو العقاب ذلكم فذوقوه ويجوز أن يكون نصبا على عليكم
ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضربه وأن للكافرين عطف على ذلكم في وجهيه أو نصب
على أن الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم في الآخرة
فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وإن للكافرين بالكسر يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم
الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار زحفا حال من الذين كفروا والزحف الجيش الدهم
الذي يرى لكثرته كأنه يزحف أي يدب دبيبا من زحف الصبي إذا دب على استه قليلا قليلا
سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى إذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وأنتم قليل فلا تفروا
فضلا أن تدانوهم في العدد أو تساووهم أو حال من الفريقين أي إذا لقيتموهم متزاحفين
هم وأنتم أو حال من المؤمنين كأنهم أشعروا بما سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين
وهم زحف من الزحوف اثنا عشر ألفا وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله
ومن يولهم يومئذ دبره أمارة عليه إلا متحرفا لقتال هو الكر بعد الفر يخيل عدوه أنه
منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها أو متحيزا أو منحازا إلى
فئة إلى جماعة أخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنهما
خرجت سرية وأنا فيهم ففروا فلما رجعوا إلى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت
يا رسول الله نحن الفرارون قال بل أنتم العكارون وأنا فئتكم وانهزم رجل من
القادسية فأتى المدينة إلى عمر رضي الله عنه وقال يا أمير المؤمنين هلكت فررت
من الزحف فقال عمر أنا فئتك وعن ابن عباس أن الفرار من الزحف من أكبر الكبائر
فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير فإن قلت بم انتصب إلا متحرفا
قلت على الحال وإلا لغو أو على الاستثناء من المولين أي ومن يولهم إلا رجلا منهم
متحرفا أو متحيزا وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لأنه
من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا أقبلوا على
التفاخر فكان القائل يقول قتلت وأسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسولك اللهم إني
أسألك ما وعدتني فأتاه جبريل فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان
لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت
الوجوه فلم يبق مشرك إلا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم
فقيل لهم فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم والفاء جواب شرط محذوف تقديره إن افتخرتم
بقتلهم فأنتم لم تقتلوهم ولكن الله قتلهم لأنه هو الذي أنزل الملائكة وألقى الرعب
في قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع وما رميت
أنت يا محمد إذ رميت ولكن الله رمى يعني أن الرمية التي رميتها لم ترمها أنت على الحقيقة
لأنك لو رميتها لما بلغ أثرها إلا ما يبلغه أثر رمي البشر ولكنها كانت رمية الله حيث
أثرت ذلك الأثر العظيم فأثبت الرمية لرسول الله لأن صورتها وجدت منه ونفاها
عنه لأن أثرها الذي لا يطيقه البشر فعل الله عز وجل فكأن الله عز وعلا هو فاعل
الرمية على الحقيقة وكأنها لم توجد من الرسول أصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن
الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده وليبلي المؤمنين وليعطيهم منه بلاء حسنا عطاء جميلا قال
زهير فأبلاهما خير البلاء الذي يبلو والمعنى وللإحسان إلى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله

الا الله لك إن الله سميع لدعائهم عليم بأحوالهم ذلكم إشارة إلى البلاء الحسن ومحله الرفع أي الغرض ذلكم وأن الله موهن كيد الكافرين معطوف على ذلكم يعني أن الغرض إبلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الإضافة وعلى الأصل الذي هو التنوين والإعمال إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وإن تنتهوا فهو خير لكم خطاب لأهل مكة على سبيل التهكم وذلك أنهم حين أرادوا أن ينفروا تعلقوا بأستار الكعبة وقالوا اللهم انصر أقرانا للضيف وأوصلنا للرحم وأفكنا للعاني إن كان محمد على حق فانصره وإن كنا على حق فانصرنا وروي أنهم قالوا اللهم انصر على الجندين وأهدى الفئتين وأكرم الحزبين وروي أن أبا جهل قال يوم بدر اللهم أينا كان أهجر وأقطع للرحم فأحنه أي فأهلكه وقيل إن تستفتحوا خطاب للمؤمنين وإن تنتهوا للكافرين يعني وإن تنتهوا عن عداوة رسول الله فهو خير لكم وأسلم وإن تعودوا لمحاربته نعد لنصرته عليكم ولن تغني عنكم فئتكم شيئا ولو كثرت وأن الله مع المؤمنين وأن الله قرئ بالفتح على ولأن الله مع المؤمنين وقرئ ولن يغني عنكم بالياء للفصل يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تولوا وقرئ بطرح إحدى التاءين وإدغامها والضمير في عنه لرسول الله لأن المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله أحق أن يرضوه ولأن طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد أطاع الله وكان رجوع الضمير إلى أحدهما كرجوعه إليهما كقولك الإحسان والإجمال لا ينفع في فلان ويجوز أن يرجع إلى الأمر بالطاعة أي ولا تولوا عن هذا الأمر وامتثاله وأنتم تسمعونه أي ولا تتولوا عن رسول الله ولا تخالفوه وأنتم تسمعون أي تصدقون لأنكم مؤمنون لستم كالصم من الكفرة ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا أي ادعوا السماع وهم لا يسمعون لأنهم ليسوا بمصدقين فكأنهم غير سامعين والمعنى أنكم تصدقون بالقرآن والنبوة فإذا توليتم عن طاعة الرسول في بعض الأمور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق وأشبه سماعكم سماع من لا يؤمن ثم قال إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون أي إن شر من يدب على وجه الأرض وإن شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها ولو علم الله فيهم في هؤلاء الصم البكم خيرا أي انتفاعا باللطف لأسمعهم للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو لو لطف لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم ألطافه أو ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار ابن قصي لم يسلم منهم إلا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا بأحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم وحد الضمير أيضا كما وحده فيما قبله لأن استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وإنما يذكر أحدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بباب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن إجابتي قال كنت أصلي قال ألم تخبر فيما أوحي إلي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني إلا أجبتك وفيه قولان أحدهما أن هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني أن دعاءه كان لأمر لم يحتمل التأخير وإذا وقع مثله للمصلي فله أن يقطع صلاته لما يحييكم من علوم الديانات لأن العلم حياة كما أن الجهل موت ولبعضهم

لا يعجبن الجهول حلته
فذاك ميت وثوبه كفن

وقيل لمجاهدة الكفار لأنهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في الحيوة وقيل للشهادة لقوله بل أحياء عند ربهم واعلموا أن الله

القصاص

يحول

يحول بين المرء وقلبه يعني أنه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من إخلاص القلب ومعالجة أدوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة وأخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله واعلموا أنه إليه تحشرون فيثيبكم على حسب سلامة القلوب وإخلاص الطاعة وقيل معناه أن الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالأمن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما أشبه ذلك مما هو جائز على الله عز وجل فأما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من أفعال القلوب فلا والمجبرة على أنه يحول بين المرء والإيمان إذا كفر وبينه وبين الكفر إذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه أنه يطلع على كل ما يخطر المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكأنه بينه وبين قلبه وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه أنه قد حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر واتقوا فتنة ذنبا قيل هو إقرار المنكر بين أظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله لا تصيبن لا يخلو من أن يكون جوابا للأمر أو نهيا بعد أمر أو صفة لفتنة فإذا كانت جوابا فالمعنى إن أصابتكم لا تصيب الذين ظلموا أي الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى أن بني إسرائيل نهوا عن المنكر تعزيرا فعمهم الله بالعذاب وإذا كانت نهيا بعد أمر فكأنه قيل واحذروا ذنبا أو عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب أو أثر الظلم ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك إذا جعلته صفة على إرادة القول كأنه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله

حتى إذا جن الظلام واختلط ، جاؤوا بمذق هل رأيت الذئب قط

أي بمذق مقول فيه هذا القول لأنه سمار فيه لون الورقة التي هي لون الذئب ويعضد المعنى الأخير قراءة ابن مسعود لتصيبن على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في علي وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرانا من أهلها فإذا نحن المعنيون بها وعن السدي نزلت في أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروي أن الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما إذ أقبل علي رضي الله عنه فضحك إليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي إني أحبه كحبي لولدي أو أشد حبا قال فكيف أنت إذا سرت إليه تقاتله **فإن قلت** كيف جاز أن تدخل النون المؤكدة في جواب الأمر **قلت** لأن فيه معنى النهي إذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم **فإن قلت** فما معنى من في قوله الذين ظلموا منكم **قلت** التبعيض على الوجه الأول والتبيين على الثاني لأن المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لأن الظلم أقبح منكم من سائر الناس واعلموا أن الله شديد العقاب واذكروا إذ أنتم قليل مستضعفون إذ نصبه على أنه مفعول به مذكور لا ظرف أي اذكروا وقت كونكم أقلة أذلة مستضعفين في الأرض أرض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش تخافون أن يتخطفكم الناس لأن الناس كانوا جميعا لهم أعداء منافين مضادين فآواكم إلى المدينة وأيدكم بنصره بمظاهرة الأنصار وبإمداد الملائكة يوم بدر ورزقكم من الطيبات من الغنائم لعلكم تشكرون إرادة أن تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب أذل الناس وأشقاهم عيشا وأعراهم جلدا وأبينهم ضلالا يؤكلون ولا يأكلون فمكن الله لهم في البلاد ووسع لهم في الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول معنى الخون النقص كما أن معنى الوفاء التمام ومنه تخونه إذا تنقصه ثم استعمل في ضد الأمانة والوفاء لأنك إذا خنت الرجل في شيء فقد أدخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لأنه إذا انقطع به فكأنه لم يف له ومنه قوله وتخونوا أماناتكم والمعنى لا تخونوا

الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به وامانا تكم فيما بينكم بان لا تحفظوها
وانتم تعلمون تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعني ان الخيانة
توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن
وروي ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بني قريظة احدى وعشرين ليلة
فسالوا الصلح كما صالح اخوانهم بني النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحا من
ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ
فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله
وامواله في ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى
حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماي حتى علمت اني قد خنت الله ورسوله
فنزلت فشد نفسه على سارية من سواري المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا
شرابا حتى اموت او يتوب الله علي فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله
عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال والله لا احلها حتى يكون رسول الله هو الذي
يحلني فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتي ان اهجر دار قومي التي اصبت فيها
الذنب وان انخلع من مالي فقال عليه السلام يجزيك الثلث ان تتصدق به
وعن المغيرة نزلت في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم
الله عليه من فرائضه وحدوده وتخونوا جزم هو ام نصب فان قلت
قلت يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله
وتكتموا الحق وقرا مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد واعلموا انما اموالكم واولا دكم
فتنة جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع في الفتنة وهي الاثم او العذاب
او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده وان الله عنده اجر عظيم
فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما يؤدي اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا
على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا انفسكم من اجلها كقوله المال والبنون الاية
وقيل هي من جملة ما نزل في ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده يا ايها الذين
امنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر
باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله يوم الفرقان او بيانا وظهورا
يشهر امركم ويبث صيتكم واثاركم في اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى
سطع الفرقان اي طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة
بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والاخرة ويكفر عنكم سيئاتكم
ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا لما فتح الله عليه ذكر مكر
قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله في نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح
له من حسن العاقبة والمعنى واذكر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما اسلمت الانصار
وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين في امره فدخل عليهم
ابليس في صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت
باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رايا ونصحا فقال ابو البختري
رايي ان تحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه
طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الراي ياتيكم من
يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رايي ان تحملوه على جمل
وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال بئس الراي يفسد
قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا ارى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه
سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يقوى بنو هاشم
على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ صدق

هذا الفتى هو اجودكم رايا فتفرقوا على راي ابي جهل مجمعين على قتله فاخبر جبريل رسول الله
صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت في مضجعه واذن الله له في الهجرة فامر عليا رضي الله
عنه فنام في مضجعه وقال له اتشح ببردتي فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا
ساروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله سعيهم واقتصوا اثره فابطل مكرهم
ليثبتوك ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه
لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرا النخعي ليبيتوك من
البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسر بالايثاق او يقتلوك او يخرجوك
ويمكرون ويخفون المكايد له ويمكر الله ويخفي الله ما اعد لهم حتى ياتيهم بغتة والله خير
الماكرين اي مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا او لانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا
يصيب الا بما هو مستوجب واذا تتلى عليهم اياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا
ان هذا الا اساطير الاولين لو نشاء لقلنا مثل هذا نفاج منهم وصلف تحت الراغم فانهم
لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم اذ كانوا مستطيعين ان
يشاؤوا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم
واستنكافهم ان يغلبوا في باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة
ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله وتهالكهم على
ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحارث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث
القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذي جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم
واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل
واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا
بعذاب هذا اسلوب من الجحود بليغ يعني ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره
بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب اخر ومراده نفي كونه حقا واذا انتفى كونه
حقا لم يستوجب منكره عذابا وكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق
كتعليقه بالمحال في قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم
بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرا الاعمش هو الحق بالرفع
على ان هو مبتدا غير فصل وهي في القراءة الاولى فصل ويقال امطرت السماء كقولك
انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار في معنى
العذاب فان قلت ما فائدة قوله من السماء والامطار لا يكون الا من السماء قلت
كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من
السماء موضع السجيل كما تقول صببت عليه مسرودة من حديد تريد درعا بعذاب اليم اي
بنوع اخر من جنس العذاب الاليم يعني ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا
به او بنوع اخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبا ما اجهل قومك حين ملكوا
عليهم امراة قال اجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله حين دعاهم الى الحق ان كان هذا
هو الحق فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له وما كان الله ليعذبهم
وانت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اللام لتاكيد النفي والدلالة على ان تعذيبهم
وانت بين اظهرهم غير مستقيم في الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته ان لا يعذب قوما
عذاب استئصال ما دام نبيهم بين اظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر
عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله وما لهم ان لا يعذبهم الله وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب
كانه قال وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم وما لهم ان لا يعذبهم
وهم يستغفرون في موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم اي ولو كانوا ممن يؤمن
ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم

ومنهم من يستضعف وهم المسلمون بين اظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين
وما لهم ان لا يعذبهم الله واي شيء لهم في انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم في ذلك وهم
معذبون لا محالة وكيف لا يعذبون وهم يصدون وحالهم انهم يصدون عن المسجد
الحرام كما صدوا رسول الله عام الحديبية واخراجهم رسول الله والمؤمنين من الصد
وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء وما كانوا اولياءه
وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين ان يكونوا ولاة امره وارباته ان اولياؤه الا المتقون
من المسلمين ليس كل مسلم ايضا ممن يصلح لان يلي امره انما يستاهل ولايته من كان برا تقيا
فكيف بالكفرة عبدة الاصنام ولكن اكثرهم لا يعلمون كانه استثنى من كان يعلم وهو
يعاند ويطلب الرياسة او اراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم وما كان صلاتهم عند البيت الا
مكاء وتصدية المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كانه
سمي بذلك لكثرة مكائه واصله الصفة نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما
البكا والبكاء والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى او من صد يصد اذ قومك منه
يصدون وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه فان
قلت ما وجه هذا الكلام قلت هو نحو قوله

وما كنت اخشى ان يكون عطاؤه ... اداهم سودا او محدرجة سمرا

والمعنى انه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع
الصلاة وذلك انهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون
بين اصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله
صلى الله عليه وسلم في صلاته يخلطون عليه فذوقوا العذاب عذاب القتل والاسر
يوم بدر بما كنتم تكفرون بسبب كفركم وافعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة ان الذين
كفروا ينفقون اموالهم قيل نزلت في المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد كل يوم عشر
جزر وقيل قالوا لكل من كانت له تجارة في العير اعينوا بهذا المال على حرب محمد
لعلنا ندرك منه ثارنا بما اصيب منه ببدر وقيل نزلت في ابي سفيان وقد استاجر
يوم احد الفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وانفق عليهم اربعين
اوقية والاوقية اثنان واربعون مثقالا ليصدوا عن سبيل الله اي غرضهم في الانفاق
الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك فسينفقونها ثم تكون
عليهم حسرة اي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكان ذاتها تصير ندما وتنقلب
حسرة ثم يغلبون اخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك
ثم يرجعون طلقا كتب الله لاغلبن انا ورسلي والذين كفروا والكافرون منهم الى
جهنم يحشرون لان منهم من اسلم وحسن اسلامه ليميز الله الخبيث الفريق الخبيث
من الكافرين من الفريق الطيب من المؤمنين فيجعل الفريق الخبيث بعضه على بعض
فيركمه جميعا عبارة عن الضم والجمع حتى يتراكموا كقوله كادوا يكونون عليه لبدا يعني
لفرط ازدحامهم فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون اولئك اشارة الى الفريق
الخبيث الذي انفقه المشركون في عداوة رسول الله من المال الطيب الذي انفقه المسلمون
كابي بكر وعثمان رضي الله عنهما في نصرته فيركمه فيجعله في جهنم في جملة ما يعذبون به
كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الاية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم
حسرة وعلى الاول بيحشرون واولئك اشارة الى الذين كفروا وقرئ ليميز على التخفيف
قل للذين كفروا من ابي سفيان واصحابه اي قل لاجلهم هذا القول وهو ان ينتهوا يغفر لهم
ما قد سلف ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه
وقال الذين كفروا للذين امنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه
اي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام

يغفر

يغفر لهم ما قد سلف من العداوة وان يعودوا لقتاله فقد مضت سنة الاولين منهم الذين حاق
بهم مكرهم يوم بدر او فقد مضت سنة الذين تحزبوا على انبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا
مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه ان الكفار اذا انتهوا عن الكفر واسلموا غفر لهم ما قد
سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما ينسل الشعر من العجين ومنه قوله عليه السلام
الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا اسلم لم يبق عليه تبعة قط واما الذمي فلا يلزمه قضاء
حقوق الله وتبقى عليه حقوق الادميين وبها احتج ابو حنيفة رحمه الله في ان المرتد اذا اسلم
لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد وقرئ
يغفر لهم على ان الضمير لله عز وجل وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة الى ان لا يوجد فيهم شرك قط
ويكون الدين كله لله ويضمحل عنهم كل دين باطل ويبقى فيهم دين الاسلام وحده فان انتهوا
عن الكفر واسلموا فان الله بما يعملون بصير يثيبهم على اسلامهم وتوبتهم وقرئ تعملون
بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من
ظلمة الكفر الى دين الاسلام بصير يجازيكم عليه احسن الجزاء وان تولوا ولم ينتهوا فاعلموا
ان الله مولاكم اي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته نعم المولى ونعم النصير واعلموا انما غنمتم
من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل انما غنمتم
ما موصولة ومن شيء بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط فان لله مبتدا خبره محذوف تقديره
فحق او فواجب ان لله خمسه وروى الجعفي عن ابي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة
النخعي فلله خمسه والمشهورة اكد واثبت للايجاب كانه قيل فلا بد من ثبات الخمس
فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد
من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما اشبه ذلك كان اقوى لايجابه من النص
على واحد وقرئ خمسه بالسكون فان قلت كيف قسمة الخمس قلت عند
ابي حنيفة رحمه الله انها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة اسهم سهم لرسول
الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم وبني المطلب دون بني عبد شمس وبني
نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم انهما قالا
لرسول الله عليه السلام هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم
ارايت اخواننا بني المطلب اعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال عليه السلام
انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد وشبك
بين اصابعه وثلاثة اسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل واما بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم
فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى اغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن
السبيل واما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة اسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من الكراع والسلاح
ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من اغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ
الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن انس رحمه الله الامر فيه مفوض
الى اجتهاد الامام ان راى قسمه بين هؤلاء وان راه اعطاه بعضهم دون
بعض وان راى غيرهم اولى واهم فغيرهم فان قلت ما معنى ذكر الله
وعطف الرسول وغيره عليه قلت يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول
الله كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف
الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون
متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله
وجبريل وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ما قال ابو العالية
انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله



صلى الله عليه وسلم يأخذ الخمس فيضرب يده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو
سهم الله ثم يقسم ما بقي على خمسة وقيل إن سهم الله لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك
بن أنس رحمه الله وعن ابن عباس انه كان على ستة لله وللرسول سهمان وسهم لأقاربه
حتى قبض فأجرى أبو بكر الخمس على ثلاثة وكذلك روي عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروي أن
أبا بكر رضي الله عنه منع بني هاشم الخمس وقال إنما لكم أن يعطى فقيركم ويزوج أيمكم
ويخدم من لا خادم له منكم فأما الغني منكم فهو بمنزلة ابن السبيل غني لا يعطى من الصدقة شيئا
ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنهما كذلك قال ليس لنا أن نبني منه قصورا ولا أن
نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن علي رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال
واليتامى والمساكين فقال أيتامنا ومساكيننا وعن الحسن في سهم رسول الله انه لولي الأمر من
بعده وعن الكلبي أن الآية نزلت ببدر وقال الواقدي كان الخمس في غزوة بني قينقاع
بعد بدر بشهر وثلاثة أيام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة فإن قلت
بم تعلق قوله إن كنتم آمنتم بالله قلت بمحذوف يدل عليه فاعلموا المعنى إن كنتم آمنتم
بالله فاعلموا أن الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالأخماس الأربعة
وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لأمر الله تعالى لأن العلم المجرد
يستوي فيه المؤمن والكافر وما أنزلنا معطوف على بالله أي إن كنتم آمنتم بالله وبالمنزل
على عبدنا وقرئ عُبُدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين يوم الفرقان يوم بدر ويوم
التقى الجمعان الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح
يومئذ والله على كل شيء قدير يقدر على أن ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل
بكم ذلك اليوم إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى إذ بدل من يوم الفرقان
والعدوة شط الوادي بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء
لأن بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما في الصبية والدنيا والقصوى تأنيث الأدنى
والأقصى فإن قلت كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت إحداهما بالياء والثانية
بالواو قلت القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود في مجيئها على
الأصل وقد جاء القصيا إلا أن استعمال القصوى أكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجيء
استصاب وأغيلت مع أغالت والعدوة الدنيا مما يلي المدينة والقصوى مما يلي مكة
والركب أسفل منكم يعني الركب الأربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل
وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لأنه خبر المبتدأ
فإن قلت ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وأن العير كان أسفل
منهم قلت الفائدة فيه الإخبار عن الحال الدالة على قوة شأن العدو وشوكته
وتكامل عدته وتمهد أسباب الغلبة له وضعف شأن المسلمين والتياث أمرهم وأن غلبتهم
في مثل هذه الحالة ليست إلا صنعا من الله ودليلا على أن ذلك أمر لم يتيسر إلا بحوله
وقوته وباهر قدرته وذلك أن العدوة القصوى التي أناخ بها المشركون كان فيها الماء
وكانت أرضا لا بأس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الأرجل ولا يمشى فيها
إلا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها
تضاعف حميتهم وتشحذ في المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج إلى الحرب
بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحرم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم في القتال وأن
لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز إليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط
همومهم ويوطن نفوسهم على أن لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى
نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه وتعالى من أمر وقعة بدر ليقضي
أمرا كان مفعولا من إعزاز دينه وإعلاء كلمته حين وعد المسلمين إحدى الطائفتين مبهمة
غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين في الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم

أي الله

من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأموالهم حتى نفروا ليمنعوا غيرهم وسبب الأسباب حتى أناخ
هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب
على ساق وكان ما كان ولو تواعدتم أنتم وأهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه
للقتال لاختلفتم في الميعاد لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم عن الوفاء بالموعد
وثبطهم ما في قلوبهم من تهيب رسول الله والمؤمنين فلم يتفق لكم من التلاقي ما وفقه
الله وسبب له ولكن ليقضي الله أمرا كان مفعولا ليقضي متعلق بمحذوف أي ليقضي أمرا
كان واجبا أن يفعل وهو نصر أوليائه وقهر أعدائه دبر ذلك وقوله ليهلك من هلك
عن بينة ويحيى من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم بدل منه واستعير الهلاك والحياة
للكفر والإسلام أي ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا يبقى
له على الله حجة ويصدر إسلام من أسلم أيضا عن يقين وعلم بأنه دين الحق الذي يجب الدخول
فيه والتمسك به وذلك أن ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التي من كفر بعدها
كان مكابرا لنفسه ومغالطا لها وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيي بالإظهار والإدغام لسميع
عليم يعلم كيف يدبر أموركم ويسوي مصالحكم أو لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه
وإيمان من آمن وثوابه إذ يريكهم الله في منامك قليلا نصبه بإضمار اذكر أو هو بدل
ثان من يوم الفرقان أو متعلق بقوله لسميع عليم أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك في
منامك في رؤياك وذلك أن الله عز وجل أراهم إياه في رؤياه قليلا فأخبر بذلك أصحابه
فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن في منامك في عينك لأنها مكان النوم
كما قيل للقطيفة المنامة لأنه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما أحسب الرواية
صحيحة فيه عن الحسن بما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته ولو أراكهم كثيرا لفشلتم
لجبنتم وهبتم الإقدام ولتنازعتم في الأمر في الرأي وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم
وترجحتم بين الثبات والفرار ولكن الله سلم أي عصم وأنعم بالسلامة من الفشل والتنازع
والاختلاف إنه عليم بذات الصدور يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع
وإذ يريكموهم إذ التقيتم في أعينكم قليلا ويقللكم في أعينهم ليقضي الله أمرا كان مفعولا وإلى
الله ترجع الأمور وإذ يريكموهم الضميران مفعولان وإذ يبصركم إياهم وقليلا نصب على الحال
وإنما قللهم في أعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله وليعاينوا ما أخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا
ويثبتوا قال ابن مسعود لقد قللوا في أعيننا حتى قلت لرجل بجنبي أتراهم سبعين
قال أراهم مائة فأسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال ألفا ويقللكم في أعينهم حتى قال
قائل منهم إنما هم أكلة جزور فإن قلت الغرض في تقليل الكفار في أعين المؤمنين
ظاهر فما الغرض في تقليل المؤمنين في أعينهم قلت قد قللهم في أعينهم قبل اللقاء
ثم كثرهم فيما بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجأهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا
وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن في حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأي
العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم في استيضاح الآية البينة من
قلتهم أولا وكثرتهم آخرا فإن قلت بأي طريق يبصرون الكثير قليلا قلت
بأن يستر الله عنهم بعضه بساتر أو يحدث في عيونهم ما يستقلون به الكثير كما أحدث في عين
الأحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم إن الأحول يرى الواحد اثنين فكان بين يديه
ديك واحد فقال ما لي لا أرى هذين الديكين أربعة يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة
فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون إذا لقيتم فئة إذا حاربتم جماعة من الكفار وترك أن
يصفها لأن المؤمنين ما كانوا يلقون إلا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب فاثبتوا
لقتالهم ولا تفروا واذكروا الله كثيرا في مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به
داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم لعلكم تفلحون لعلكم تظفرون
بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه إشعار بأن على العبد أن لا يفتر عن ذكر ربه أشغل ما يكون

قلبا واكز ما يكون عما ان تكون نفسه مجتمعة كذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما في خطب
امير المومنين في ايام صفين وفي مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعاني
وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا تشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم ١
واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا قرئ بتشديد التا فتفشلوا منصوب باضمار ان ويجوز
لدخوله في حكم النهي وتدل على التقدير قراءة من قرا وتذهب ريحكم بالتا والنصب وقراءة
من قرا ويذهب ريحكم باليا والجزم والريح الدولة شبهت في نفوذ امرها وتمشيه بالريح
وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دارت له الدولة ونفذ امره ومنه قوله
اتنظران قليلا ريث غفلتهم ، ام تعدوان فان الريح للعادي
وقيل لم يكن قط نصر الا بريح يبعثها الله وفي الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور
واصبروا ان الله مع الصابرين حذرهم بالنهي عن التنازع واختلاف الراي نحو ما وقع
لهم باحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم
ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله
بما يعملون محيط هم اهل مكة حين نفروا لحماية العير فاتاهم رسول ابي سفيان وهم
بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور
وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم
فوافوها فسقوا كؤوس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا
مثلهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من اهل التقوى والكآبة والحزن من خشية
الله مخلصين اعمالهم لله واذ زين لهم الشيطان اعمالهم واذكر اذ زين لهم الشيطان
اعمالهم التي عملوها في معاداة رسول الله وقال لا غالب لكم اليوم من الناس واني جار لكم
ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته
مما يجيرهم فلما تراءت الفئتان فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان على عقبيه وقال اني بريء
منكم اني ارى ما لا ترون اني اخاف الله والله شديد العقاب وتبرا منهم اي بطل كيده
من حيث نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل
لهم وقيل لما اجتمعت قريش على المسير ذكرت التي بينها وبين كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم
فتمثل لهم ابليس في صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكناني وكان من اشرافهم
في جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم واني مجيركم من بني كنانة فلما راى
الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده في يد الحارث بن هشام فلما نكص قال له الحارث
الى اين اتخذلنا في هذه الحال فقال اني ارى ما لا ترون ودفع في صدر الحارث وانطلق
وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت
بمسيركم حتى بلغتني هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفي الحديث ما روي ابليس
يوما اصغر ولا احقر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما روي يوم بدر
فان قلت هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا قلت
لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالب اياكم لكان الامر كما قلت ولكنه خبر يكون من صفة
المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتي الاقدام في الاسلام وعن
الحسن هم المشركون غر هؤلاء دينهم يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون
به وينصرون من اجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال
جوابا لهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز غالب حكيم يسلط القليل الضعيف على الكثير
القوي ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم ولو
عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال
واذ نصب على الظرف وقرئ يتوفى ضمير الله عز وجل باليا والتا والملائكة رفعها
بالفعل ويضربون حال منهم ويجوز ان يكون في يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة

بالابتداء ويضربون خبره وعن مجاهد وادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكني وانما خصوهما
بالضرب لان الخزي والنكال في ضربهما اشد وبلغني عن اهل الصين ان عقوبة الزاني عندهم ان
يصبر ثم يعطى الرجل القوي البطش سبا عملا من حديد كهيئة الطين فيه رزانة وله مقبض
فيضربه على دبره ضربة واحدة بقوته فيجمد في مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر
وذوقوا معطوف على يضربون على ارادة القول اي ويقولون ذوقوا عذاب الحريق اي
مقدمة عذاب النار او ذوقوا عذاب الاخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد
كلما ضربوا بها التهبت النار او يقال لهم يوم القيمة ذوقوا وجواب لو محذوف اي لرايت امرا فظيعا
منكرا ذلك بما قدمت ايديكم يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتدا
وبما قدمت خبره وان الله عطف عليه اي ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان
الله ليس بظلام للعبيد لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المومنين وقيل ظلام للتكثير
لاجل العبيد ولان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما
بليغ الظلم متفاقمه كداب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بايات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان
الله قوي شديد العقاب الكاف في محل الرفع داب هولا مثل داب ال فرعون ودابهم عادتهم
وعملهم الذي دابوا فيه اي داوموا عليه وواظبوا وكفروا تفسير لداب ال فرعون وذلك
اشارة الى ما حل بهم يعني ذلك العذاب او الانتقام بسبب ان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها
على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم لم ينبغ له ولم يصح في حكمته ان يغير نعمته عند قوم حتى يغيروا
ما بهم من الحال فان قلت فما كان من تغيير ال فرعون ومشركي مكة حتى غير الله
نعمته عليهم ولم يكن لهم حال مرضية فغيروها الى حالة مسخوطة قلت كما تتغير
الحال المرضية الى المسخوطة تتغير الحال المسخوطة الى المضية واولئك كانوا قبل بعثة الرسول
الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالايات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا
عليه ساعين في اراقة دمه غيروا حالهم الى اسوا مما كانت فغير الله ما انعم به من الامهال
وعاجلهم بالعذاب وان الله سميع لما يقول مكذبو الرسل عليم بما يفعلون كداب ال فرعون والذين
من قبلهم كذبوا بايات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا ال فرعون كداب ال فرعون تكرير
للتاكيد وفي قوله بايات ربهم زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق وفي ذكر الاغراق
بيان للاخذ بالذنوب وكل كانوا ظالمين وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش وكانوا
ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصي ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يومنون
اي اصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم الايمان الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم
في كل مرة هم بنو قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان
اعانوا مشركي مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطانا ثم عاهدهم فنكثوا ومالؤوا يوم الخندق
وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة وحالفهم والذين عاهدت منهم بدل من الذين كفروا اي الذين
عاهدتهم من الذين كفروا وجعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم
وشر المصرين الناكثون للعهود وهم لا يتقون لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون ما فيه من
العار والنار فاما تثقفنهم في الحرب فاما تصادفنهم وتظفرن بهم في الحرب فشرد بهم من
خلفهم ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من الكفرة حتى
لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه
فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكانه مقلوب من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر
الملتقط من المعدن لتفرقه وقرا ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم فقد
فعل التشريد في الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشركين فاذا جعل الوراء جهة للتشريد
فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين لعلهم يذكرون لعل المشردين من ورائهم
يتعظون واما تخافن من قوم معاهدين خيانة ونكثا بامارات تلوح لك فانبذ اليهم فاطرح
اليهم العهد على سواء على طريق مستو قصد وذلك ان يظهر نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا

بينا انك نقضت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك
انه لا يحب الخائنين فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على سواء في العلم بنقض
العهد وقيل على استواء في العداوة والجار والمجرور في موضع الحال كانه قيل فانبذ اليهم
ثابتا على طريق قصد سوي او حاصلين على استواء في العلم والعداوة على انها حال على النابذ
والمنبوذ اليهم معا ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم انهم لا
يعجزون انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ انهم بالفتح بمعنى لانهم
وكل واحد من المكسورة والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرا ابن محيصن
يعجزون وقرا الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة
وقرا حمزة ولا يحسبن على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفت
ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود انهم سبقوا وقيل وقع الفعل
على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا في محل الحال بمعنى سابقين اي مفلتين هاربين
وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل لا يحسبن
قبيل الذين كفروا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التي تفرد بها حمزة
بنيرة وعن الزهري انها نزلت فيمن افلت من فل المشركين وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة
ومن رباط الخيل من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة
عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل
الله ويجوز ان يسمى بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز ان يكون جمع ربيط كفصيل
وفصال وقرا الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز ان يكون قوله
ومن رباط الخيل تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين
سئل عمن اوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشترى به الخيل فترابط في سبيل الله
ويغزى عليها فقيل له انما اوصى في الحصون فقال الم تسمع قول الشاعر
ان الحصون الخيل لا مدر القرى ترهبون به عدو الله وعدوكم ترهبون قرئ بالتشديد
والتخفيف وقرا ابن عباس ومجاهد تخزون به والضمير في به راجع الى ما استطعتم وعدوكم
عدو الله هم اهل مكة وآخرين من دونهم هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي
هم اهل فارس وقيل كفرة الجن لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف
اليكم وانتم لا تظلمون وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس
عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو
السميع العليم جنح له واليه اذا مال والسلم تؤنث تانيث نقيضها وهي الحرب قال
السلم تاخذ منها ما رضيت به والحرب يكفيك من انفاسها جرع
وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس ان الآية منسوخة بقوله قاتلوا الذين لا يؤمنون
بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف
على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب وسلم وليس بحتم ان يقاتلوا
ابدا ويجابوا الى الهدنة ابدا وقرا الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون وتوكل على الله
ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم
وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله فان حسبك
الله قال جرير اني وجدت من المكارم حسبكم ان تلبسوا حر الثياب وتشبعوا
هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين
قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم التاليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله
صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء
على الضغينة في ادنى شيء والقائه بين اعينهم الى ان ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان

ثم ائتلفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وانشاوا يرمون عن قوس واحدة
وذلك لما نظم الله من الفتهم وجمع بين كلمتهم واحدث بينهم من التواد والتحاب واماط عنهم من التباغض
والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها
كما شاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك سادتهم
ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم امد ولا منتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم
التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكره
وتنفر عنه فانساهم الله ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا
اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين
الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر
المجرور على المكنى ممتنع قال فحسبك والضحاك عضب مهند والمعنى كفاك وكفى تباعك
من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية
نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن مسعود نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه
وعن سعيد بن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم
عمر فنزلت يا ايها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين
وان يكن منكم مائة يغلبوا الفا من الذين كفروا التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض
وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان يسميه حرضا ويقول له ما اراك
الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحركه منه وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة
حكاها الاخفش من الحرص ويقارب حركه وحضه وحرشه وحربه بمعنى وهذه عدة من الله
وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله
وتاييده ثم قال بانهم قوم لا يفقهون اي بسبب ان الكفار قوم جهلة يقاتلون
على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم ويعدمون لجهلهم بالله نصرته ويستحقون
خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر والاظهار من الله الآن خفف
الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم الف يغلبوا
الفين باذن الله والله مع الصابرين عن ابن جريج كان عليهم ان لا يفروا ويثبت الواحد للعشرة
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة في ثلاثين راكبا فلقي ابا جهل في ثلاثمائة راكب
قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ وخفف بمقاومة الواحد
الاثنين وقيل كان فيهم قلة في الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف وقرئ ضعفا
بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف وقرئ الفعل
المسند اليه بالتاء والياء في الموضعين والمراد بالضعف الضعف في البدن وقيل في البصر
والاستقامة في الدين وكانوا متفاوتين في ذلك فان قلت لم كرر المعنى
الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف وبعده قلت للدلالة
على ان حال القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين
المائتين والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين ما كان لنبي
ان يكون له اسرى حتى يثخن في الارض قرئ للنبي على التعريف واسارى ويثخن بالتشديد
ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته
حتى تثقل عليه الحركة واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة
يعني يذل الكفر ويضعفه باشاعة القتل ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر
ثم الاسر بعد ذلك ومعنى ما كان ما صح له وما استقام وكان هذا يوم بدر فلما كثر
المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بسبعين
اسيرا فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر فيهم فقال قومك واهلك
استبقهم لعل الله ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوي بها اصحابك وقال عمر كذبوك

وأخرجوك فقدمهم واضرب أعناقهم فإن هؤلاء أئمة الكفر وإن الله أغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكني من فلان لنسيب له فلنضرب أعناقهم فقال عليه السلام إن الله ليلين قلوب رجال حتى تكون ألين من الزبد ويشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم قال فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا ثم قال لأصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن أحد منهم إلا بفداء أو ضرب عنق وروي أنه قال لهم إن شئتم قتلتموهم وإن شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا بأحد وكان فداء الأسارى عشرين أوقية وفداء العباس أربعين أوقية والأوقية أربعون درهما وستة دنانير وروي أنهم لما أخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو وأبو بكر يبكيان فقال يا رسول الله أخبرني فإن وجدت بكاء بكيت وإن لم أجد بكاء تباكيت فقال أبكي على أصحابك في أخذ الفداء ولقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروي أنه قال لو نزل عذاب من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ لقوله كان الإثخان في القتل أحب إلي تريدون عرض الدنيا حطامها سمي به لأنه حدث قليل اللبث يريد الفداء والله يريد الآخرة يعني ما هو سبب الجنة من إعزاز الإسلام بالإثخان في القتل وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على حذف المضاف وإبقاء المضاف إليه على حاله كقوله ونار توقد بالليل نارا ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعني ثوابها والله عزيز يغلب أولياءه على أعدائه ويتمكنون منهم قتلا وأسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه حكيم يؤخره إلى أن يكثروا ويعزوا وهم يعجلون لولا كتاب من الله سبق لولا حكم منه سبق إثباته في اللوح وهو أنه لا يعاقب أحد بخطأ لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم وكان هذا خطأ في الاجتهاد لأنهم نظروا في أن استبقاءهم ربما كان سببا في إسلامهم وتوبتهم وأن فداءهم يتقوى به على الجهاد في سبيل الله وخفي عليهم أن قتلهم أعز للإسلام وأهيب لمن وراءهم وأفل لشوكتهم وقيل كتابه أنه سيحل لهم الفدية التي أخذوها وقيل أن أهل بدر مغفور لهم وقيل أنه لا يعذب قوما إلا بعد تأكيد الحجة عليهم وتقديم النهي ولم يتقدم النهي عن ذلك فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا روي أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم إليها فنزلت وقيل هو إباحة للفداء لأنه من جملة الغنائم واتقوا الله فلا تقدموا على شيء لم يعهد إليكم فيه فإن قلت ما معنى الفاء قلت التسبيب والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم وحلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا إن الله غفور رحيم معناه أنكم إذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل أن يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسارى في ملكتكم كأن أيديكم قابضة عليهم وقرئ من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيرا خلوص إيمان وصحة نية يؤتكم خيرا مما أخذ منكم من الفداء إما أن يخلفكم في الدنيا أضعافه أو يثيبكم في الآخرة ويغفر لكم والله غفور رحيم وفي قراءة الأعمش يثبكم خيرا وعن العباس أنه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يكن ما تذكر حقا فالله يجزيك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا وكان أحد الذين ضمنوا إطعام أهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال افد ابني أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث فقال يا محمد تركتني أتكفف قريشا ما بقيت فقال فأين الذهب الذي دفعته إلى أم الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا أدري ما يصيبني في وجهي هذا فإن حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله ولعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال أخبرني به ربي قال العباس فأنا أشهد أنك صادق وأن لا إله إلا الله وأنك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه أحد إلا الله ولقد دفعته إليها في سواد الليل ولقد كنت مرتابا في أمرك فأما إذ أخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس فأبدلني

الله

الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا إن أدناهم ليضرب في عشرين ألفا وأعطاني زمزم ما أحب أن لي بها جميع أموال أهل مكة وأنا أنتظر المغفرة من ربي وروي أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون ألفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وأمر العباس أن يأخذ منه فأخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما أخذ مني وأرجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما أخذ منكم على البناء للفاعل وإن يريدوا خيانتك نكث ما بايعوك عليه من الإسلام والردة واستحباب دين آبائهم فقد خانوا الله من قبل في كفرهم به ونقض ما أخذ على كل عاقل من ميثاقه فأمكن منهم كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم إن أعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أي فارقوا أوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون والذين آووا ونصروا والذين آووهم إلى ديارهم ونصروهم على أعدائهم هم الأنصار أولئك بعضهم أولياء بعض أي يتولى بعضهم بعضا في الميراث وكان المهاجرون والأنصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوي القرابات حتى نسخ ذلك بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر أي من توليهم في الميراث ووجه الكسر أن تولي بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كأنه بتوليه صاحبه يزاول أمرا ويباشر عملا حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر فواجب عليكم أن تنصروهم على المشركين إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق عهد فإنه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لأنهم لا يبتدئون بالقتال إذ الميثاق مانع من ذلك والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ظاهره إثبات الموالاة بينهم كقوله في المسلمين أولئك بعضهم أولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وإيجاب مباعدتهم ومصارمتهم وإن كانوا أقارب وأن يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال إلا تفعلوه أي إلا تفعلوا ما أمرتكم به من تواصل المسلمين وتولي بعضهم بعضا حتى في التوارث تفضيلا لنسبة الإسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا قرابتهم كلا قرابة تكن فتنة في الأرض تحصل فتنة في الأرض وفساد كبير ومفسدة عظيمة لأن المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا وقرئ كثير بالثاء والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقا لأنهم صدقوا إيمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الأهل والانسلاخ من المال لأجل الدين وليس بتكرار لأن هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم بقوله لهم مغفرة ورزق كريم والأولى للأمر بالتواصل والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فأولئك منكم وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله إن الله بكل شيء عليم والذين آمنوا من بعد يريد اللاحقين بعد السابقين إلى الهجرة كقوله والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ألحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا وأولوا الأرحام أولوا القرابات أولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة في كتاب الله في حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل في القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به أصحاب أبي حنيفة رحمهم الله على توريث ذوي الأرحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأنفال وبراءة فأنا شفيع له يوم القيامة وشاهد أنه بريء من النفاق وأعطي عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له أيام حياته في الدنيا والله أعلم

والله عليم حكيم

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة أسماء براءة، التوبة، المقشقشة، المبعثرة، المشردة، المخزية، الفاضحة، المثيرة، الحافرة، المنكلة، المدمدمة، سورة العذاب، لأن فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق أي تبري منه وتبعثر عن أسرار المنافقين أي تبحث عنها وتثيرها وتحفر

عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة انكم تسمونها سورة
التوبة وانما هي سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه **فان قلت** هلا صدرت
باية التسمية كما في سائر السور **قلت** سأل عن ذلك ابن عباس عثمان رضي الله عنهما فقال ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا نزلت عليه السورة او الاية قال اجعلوها في الموضع الذي
يذكر فيه كذا وكذا وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها
شبيهة بقصتها ولذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابي بن كعب انما
توهموا ذلك لان في الانفال ذكر العهود وفي براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة فقال
اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم
السلام لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى اهل الحرب بسم
الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من
اتبع الهدى فمن دعي الى الله فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ
انما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس
ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت في القتال
تعدان السابعة من الطوال وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست
فهما بمنزلة احدى الطوال وهي سبع وقيل اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال بعضهم الانفال وبراءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة
لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله لقول من قال هما سورة واحدة **براءة من الله
ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر** براءة خبر مبتدا محذوف
اي هذه براءة ومن لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما في قولك برئت من الدين والمعنى
هذه براءة واصلة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم كما تقول كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان
تكون براءة مبتداة لتخصصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم في الدار وقرئ
براءة بالنصب على اسمعوا براءة وقرا اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف
لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذي عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم
فان قلت لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين **قلت** قد اذن
في معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما
نقضوا العهد اوجب الله النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان
الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين وروي انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم
من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وامروا ان
يسيحوا في الارض اربعة اشهر امنين اين شاؤوا لا يتعرض لهم وهي الاشهر الحرم في قوله فاذا
انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة الاشهر الحرم من القتل والقتال وكان نزولها سنة تسع
من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم
ابا بكر على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا رضي الله عنه راكب العضباء ليقراها على اهل الموسم
فقيل له لو بعثت بها الى ابي بكر فقال لا يؤدي عني الا رجل مني فلما دنا علي سمع ابو بكر الرغاء
فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله فلما لحقه قال امير او مامور قال مامور وروي ان
ابا بكر رضي الله عنه لما كان ببعض الطريق هبط جبريل فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل
منك فارسل عليا فرجع ابو بكر رضي الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اشيء نزل
من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلي ينادي بالاي فلما كان قبل التروية خطب ابو بكر رضي
الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام علي يوم النحر عند جمرة العقبة فقال يا ايها الناس اني رسول
رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرا عليهم ثلاثين او اربعين اية وعن مجاهد ثلاث عشرة ثم قال امرت
باربع ان لا يقرب هذا البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ولا يدخل الجنة الا كل
نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذي عهد عهده فقالوا عند ذلك يا علي ابلغ ابن عمك انا قد نبذنا العهد

وراء

وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقالوا لما امر ان لا يبلغ
الا رجل منهم لان العرب عادتها في نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منهم فلو تولاه
ابو بكر لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك
عليا **فان قلت** الاشهر الاربعة ما هي **قلت** عن الزهري ان براءة نزلت في شوال
فهي اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هي عشرون من ذي الحجة والمحرم
وصفر وشهر ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الاخر وكانت حرما لانهم اومنوا فيها وحرم قتلهم
وقتالهم او على التغليب لان ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذي القعدة الى عشر من
شهر ربيع الاول لان الحج في تلك السنة كان في ذلك الوقت للنسيء الذي كان فيهم ثم صار في
السنة الثانية في ذي الحجة **فان قلت** ما وجه اطباق اكثر العلماء على جواز مقاتلة
المشركين في الاشهر الحرم وقد صانها الله عن ذلك **قلت** قالوا قد نسخ وجوب
الصيانة وابيح قتال المشركين فيها **واعلموا انكم غير معجزي الله** لا تفوتونه وانا مهلكم **وان الله مخزي
الكافرين** فهو مخزيكم اي مذلكم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالعذاب **واذان من الله ورسوله الى
الناس** واذان ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه
لقول من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد في قولك زيد قائم وعمرو
قاعد والاذان بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء
فان قلت اي فرق بين معنى الجملة الاولى والثانية **قلت** تلك اخبار بثبوت
البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت **فان قلت** لم علقت البراءة بالذين عو هدوا
من المشركين وعلق الاذان بالناس **قلت** لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين منهم
واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث
يوم الحج الاكبر يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر
والحلق والرمي وعن علي رضي الله عنه ان رجلا اخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر فقال
يومك هذا خل عن دابتي وعن ابن عمر رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم
النحر عند الجمرات في حجة الوداع فقال هذا يوم الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة
تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه معظم واجباته لانه اذا فات
فات الحج وكذلك ان اريد يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج الاكبر وعن
الحسن سمي يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد اهل الكتاب ولم
يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم في قلب كل مسلم وكافر **ان الله بريء من المشركين ورسوله**
حذفت الباء التي هي صلة الاذان تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان في معنى القول
ورسوله عطف على المنوي في بريء اي بريء هو ورسوله او على محل ان المكسورة واسمها وقرئ
بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اي بريء معه منهم وبالجر على الجوار وقيل على
القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرؤها فقال ان كان الله بريئا من رسوله فانا
بريء منه فلببه الرجل الى عمر رضي الله عنه فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر بتعلم
العربية **فان تبتم** من الكفر والغدر **فهو خير لكم وان توليتم** عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض
عن الاسلام والوفاء **فاعلموا انكم غير معجزي الله** غير سابقين الله ولا فائتين اخذه وعقابه **وبشر
الذين كفروا بعذاب اليم فان قلت** مم استثني قوله **الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم
ينقصوكم شيئا ولم يظاهروا عليكم احدا قلت** وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا
في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم
من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا **فاتموا اليهم عهدهم الى
مدتهم** والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد ان امروا في الناكثين ولكن الذين لم
ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر **ان الله يحب
المتقين** يعني ان قضية التقوى ان لا يسوي بين القبيلتين فاتقوا الله في ذلك لم ينقصوكم شيئا

لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط ولم يظاهروا عليكم ولم يعادوا عليكم عدوا كما عدت بنو بكر
على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو
ابن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد

لا هم إني ناشد محمدا ۞ حلف أبينا وأبيك الأتلدا
إن قريشا أخلفوك الموعدا ۞ ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا ۞ وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه السلام لا نصرت إن لم أنصركم وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة أي لم ينقضوا عهدكم
ومعنى فأتموا إليهم عهدهم فأدوه إليهم تاما كاملا قال ابن عباس بقي لحي من كنانة من عهدهم
تسعة أشهر فأتم إليهم عهدهم فإذا انسلخ الأشهر الحرم انسلخ الشهر كقولهم انجرد الشهر
وسنة جرداء والأشهر الحرم التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا فاقتلوا المشركين يعني الذين
نقضوا وظاهروا عليكم حيث وجدتموهم من حل أو حرم وخذوهم وأسروهم والأخيذ الأسير
واحصروهم وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس وحصرهم أن يحال
بينهم وبين المسجد الحرام واقعدوا لهم كل مرصد كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه
على الظرف كقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم فإن تابوا وأقاموا الصلاة فخلوا سبيلهم
فأطلقوا عنهم بعد الأسر والحصر وفكوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله

خل السبيل لمن يبني المنار به ۞

وعن ابن عباس دعوهم وإتيان المسجد الحرام إن الله غفور
رحيم يغفر لهم ما قد سلف منهم من الكفر والغدر وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى
يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه أحد مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره
وإن استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لأن إن من عوامل الفعل لا تدخل على غيره
والمعنى وإن جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الأشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق
فاستأمنك ليسمع ما تدعو إليه من التوحيد والقرآن ويتبين ما بعثت له فأمنه حتى
يسمع كلام الله ويتدبره ويطلع على حقيقة الأمر ثم أبلغه بعد ذلك داره التي يأمن فيها
إن لم يسلم ثم قاتله إن شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت
وعن الحسن هي محكمة إلى يوم القيمة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين إلى
علي رضي الله عنه فقال إن أراد الرجل منا أن يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الأجل يسمع
كلام الله أو يأتيه لحاجة قتل قال لا لأن الله يقول وإن أحد من المشركين استجارك
الآية وعن السدي والضحاك هي منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين ذلك أي ذلك
الأمر يعني الأمر بالإجارة في قوله فأجره بأنهم بسبب أنهم قوم جهلة لا يعلمون
ما الإسلام وما حقيقة ما تدعو إليه فلا بد من إعطائهم الأمان حتى يسمعوا ويفهموا
الحق كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله كيف استفهام في معنى الاستنكار
والاستبعاد لأن يكون للمشركين عهد عند رسول الله وهم أضداد وغر صدورهم
يعني محال أن يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا في ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا
تفكروا في قتلهم ثم استدرك ذلك بقوله إلا الذين عاهدتم أي ولكن الذين عاهدتم
منهم عند المسجد الحرام ولم يظهر منهم نكث كبني كنانة وبني ضمرة فتربصوا أمرهم
ولا تقاتلوهم فما استقاموا لكم على العهد فاستقيموا لهم على مثله إن الله يحب
المتقين يعني أن التربص بهم من أعمال المتقين كيف وإن يظهروا عليكم كيف تكرار
لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال

وخبرتماني إنما الموت بالقرى ۞ فكيف وهاتا هضبة وقليب

يريد فكيف مات أي كيف يكون لهم عهد وحالهم أنهم إن يظهروا عليكم بعد ما سبق لهم
من تأكيد الأيمان والمواثيق لم ينظروا في حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم لا يرقبوا
فيكم إلا ولا ذمة لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وأنشد لحسان

لعمرك إن إلك من قريش ۞ كإل السقب من رأل النعام ۞ وقيل إلا إلها وقرئ إيلا بمعناه
وقيل جبرئيل وجبرائيل من ذلك وقيل منه اشتق الآل بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن
والوجه أن اشتقاق الإل بمعنى الحلف لأنهم إذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به أصواتهم
وشهروه من الأل وهو الجؤار وله أليل أي أنين يرفع به صوته ودعت ألليها إذا ولولت
ثم قيل لكل عهد وميثاق إل وسميت به القرابة لأن القرابة عقدت بين الرجلين ما لا
يعقده الميثاق يرضونكم بأفواههم كلام مبتدأ في وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن
مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد وتأبى قلوبهم أبا القلوب مخالفة ما فيها من الأضغان
لما يجرونه على ألسنتهم من الكلام الجميل وأكثرهم فاسقون متمردون خلعاء لا مروءة
تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك في بعض الكفرة من التفادي عن الكذب والنكث
والتعفف عما يثلم العرض ويجر أحدوثة السوء اشتروا استبدلوا بآيات الله بالقرآن
والإسلام ثمنا قليلا وهو اتباع الأهواء والشهوات فصدوا عن سبيله فعدلوا عنه أو
صرفوا غيرهم إنهم ساء ما كانوا يعملون وقيل هم الأعراب الذين جمعهم أبو سفيان وأطعمهم
لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة وأولئك هم المعتدون هم المجاوزون الغاية في الظلم والشرارة
فإن تابوا عن الكفر ونقض العهد وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فإخوانكم فهم إخوانكم في الدين
على حذف المبتدأ كقوله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم ونفصل الآيات لقوم يعلمون ونبينها
وهذا اعتراض كأنه قيل وإن من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من
أحكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا
في دينكم وثلبوه وعابوه فقاتلوا أئمة الكفر فقاتلوهم وضع أئمة الكفر موضع ضميرهم إشعارا
بأنهم إذا نكثوا في حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الأوفياء من العرب ثم آمنوا
وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا إخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن
الإسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الإيمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون في دين الله
ويقولون ليس دين محمد بشيء فهم أئمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر
غبارهم وقالوا إذا طعن الذمي في دين الإسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لأن العهد معقود
معه على أن لا يطعن فإذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة إنهم لا أيمان لهم لأنهم
لا أيمان لهم وقرئ لا إيمان لهم أي لا إسلام لهم ولا يعطون الأمان لا بعد الردة والنكث
ولا سبيل إليه فإن قلت كيف أثبت لهم الأيمان في قوله وإن نكثوا أيمانهم ثم نفاها
عنهم قلت أراد أيمانهم التي أظهروها ثم قال لا أيمان لهم على الحقيقة وأيمانهم ليست
بأيمان وبه استشهد أبو حنيفة رحمه الله على أن يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي يمينهم
يمين وقال معناه أنهم لا يوفون بها بدليل أنه وصفها بالنكث لعلهم ينتهون متعلق بقوله
فقاتلوا أئمة الكفر أي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم أن
تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء
بالرحمة كلما فإن قلت كيف لفظ أئمة قلت همزة بعدها همزة بين بين أي
بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وإن لم تكن مقبولة عند البصريين
وأما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز أن تكون ومن صرح بها فهو لاحن محرف ألا تقاتلون
قوما دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة
نكثوا أيمانهم التي حلفوها في المعاهدة وهموا بإخراج الرسول من مكة حين تشاوروا في أمره
بدار الندوة حتى أذن الله له في الهجرة فخرج بنفسه وهم بدؤوكم أول مرة وهم الذين كانت منهم
البداءة بالمقاتلة لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم أولا بالكتاب المنير وتحداهم به
فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها إلى القتال فهم البادئون بالقتال والبادي أظلم فما يمنعكم من
أن تقابلوهم بمثله وأن تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها
ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر أن من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد وإخراج الرسول

والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا يترك مضادته وان يوبخ من فرط فيها اتخشونهم تقرير
بالخشية منهم وتوبيخ عليها فالله احق ان تخشوه فقاتلوا اعداءه ان كنتم مومنين يعني ان قضية الايمان
الصحيح ان لا يخشى المومن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله ولا يخشون احدا الا الله قاتلوهم
يعذبهم الله بايديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مومنين ويذهب غيظ قلوبهم
لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال قاتلوهم ووعدهم ليثبت قلوبهم وتصحح
نياتهم انه يعذبهم بايديكم قتلا ويخزهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم ويشف صدور
طايفة من المومنين وهم خزاعة قال ابن عباس هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة واسلموا
فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال
ابشروا فان الفرج قريب ويذهب غيظ قلوبهم لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله
لهم هذه المواعيد كلها وكان ذلك دليلا على صدق رسول الله وصحة نبوته ويتوب
الله على من يشاء ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد
اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب
به الامر من طريق المعنى والله عليم بما سيكون كما يعلم ما قد كان حكيم لا يفعل الا ما اقتضته
الحكمة ام حسبتم ان تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله
ولا المومنين وليجة والله خبير بما تعملون ام منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود
الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا
في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله والمومنين
ولما معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك واتضاحه متوقع كاين وان الذين لم
يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله ولم يتخذوا معطوف على جاهدوا داخل
في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين من دون
الله وليجة والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول
القايل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني ما كان للمشركين ما صح لهم وما استقام
ان يعمروا مسجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد
الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد بالمسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه
قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان
يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد
الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو اكد لان طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان
لا يقرا كتب الله كنت انفى لقراءته القران من تصريحك به وشاهدين حال من الواو في يعمروا والمعنى
ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته
ومعنى شهادتهم على انفسهم بالكفر ظهور كفرهم وانهم نصبوا اصنامهم حول البيت وكانوا
يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد اصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا شوطا سجدوا
لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد اقبل
المهاجرون والانصار على اسارى بدر فعيروهم بالشرك وطفق علي بن ابي طالب يوبخ العباس
بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم واغلظ له في القول فقال العباس تذكرون
مساوينا وتكتمون محاسننا فقال اولكم محاسن قالوا نعم ونحن افضل منكم اجرا انا لنعمر
المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت اولئك حبطت اعمالهم
التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الثابتة
الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك اشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا
عنهم تدل على انهم قارنوا بين العمارة والشهادة بالكفر على انفسهم في حال واحد وذلك محال
غير مستقيم وفي النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله وقرئ بالتوحيد من امن بالله واليوم
الاخر واقام الصلاة واتى الزكاة ولم يخش الا الله اي انما تستقيم عمارة هولاء وتكون

معتدا

معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها
للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو اجله واعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من احاديث الدنيا
فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم ياتي في اخر الزمان ناس من امتي ياتون
المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث
الحديث في المسجد ياكل الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
ان بيوتي في ارضي المساجد وان زوارها فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي
فحق على المزور ان يكرم زايره وعنه من الف المسجد الفه الله وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم الرجل
يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن انس رضي الله عنه من اسرج في مسجد سراجا لم تزل
الملايكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه فان قلت هلا ذكر الايمان
برسول الله صلى الله عليه وسلم قلت لما علم وشهر ان الايمان بالله قرينته الايمان
بالرسول لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كانهما شيء واحد
غير منفك احدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله الايمان بالرسول وقيل دل عليه بذكر اقامة
الصلاة وايتاء الزكاة فان قلت كيف قيل ولم يخش الا الله والمومن يخشى المحاذير
ولا يتمالك ان لا يخشاها قلت هي الخشية والتقوى في ابواب الدين وان لا يختار على رضا الله
رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه امران احدهما حق الله والاخر حق نفسه ان يخاف الله فيوثر
حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم فعسى
اولئك ان يكونوا من المهتدين تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم في الانتفاع با عمالهم
التي استعظموها وافتخروا بها واملوا عاقبتها بان الذين امنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرايع مع
استشعار الخشية والتقوى هولاء هم دايرون بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون انهم مهتدون
ونايلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمومنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض
الاغترار بالله اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن امن بالله واليوم الاخر وجاهد في سبيل
الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر
كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره اجعلتم اهل سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام
كمن امن بالله وتصدقه قراءة ابن الزبير وابي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد
الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمومنين واعمالهم المحبطة باعمالهم المثبتة وان يسوى
بينهم وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج
وعمار المسجد الحرام افنحن افضل ام محمد واصحابه فقالت لهم اليهود انتم افضل وقيل ان عليا قال
للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله فقال الست في افضل من الهجرة اسقي حاج
بيت الله واعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما اراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام
اقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا الذين امنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم
اعظم درجة عند الله من اهل السقاية والعمارة عندكم واولئك هم الفايزون لا انتم والمختصون
بالفوز دونكم يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان
الله عنده اجر عظيم وقرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الوصف
وتعريف المعرف وعن ابن عباس هي في المهاجرين خاصة يا ايها الذين امنوا لا تتخذوا اباءكم واخوانكم
اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان اباؤكم
وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن
ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى ياتي الله بامره والله لا يهدي
القوم الفاسقين كان قبل فتح مكة من امن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع
موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا في الدين قطعنا اباءنا وابناءنا وعشايرنا
وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضايعين فنزلت فهاجروا فجعل
الرجل ياتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض قرابته فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص

لهم بعد ذلك وقيل نزلت في التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة نهاهم الله عن موالاتهم وعن النبي صلى
الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب في الله ويبغض في الله حتى يحب في الله ابعد
الناس ويبغض في الله اقرب الناس اليه وقرئ عشيراتكم وعشائركم وقرأ الحسن وعشايركم
فتربصوا حتى يأتي الله بامره وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن عقوبة عاجلة او اجلة
وهذه اية شديدة لا ترى اشد منها وانها تنعي على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب
حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب في ذات الله
والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الاباء والابناء والاخوان والعشاير والمال والمساكن
وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته فلا يدري اي طرفيه اطول
ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كانما وقع على انفه ذباب فطيره
مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال وكم موطن لولاي طحت كما هوى باجرامه من قلة النيق منهوي
وامتناعه عن الصرف لانه جمع على صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة
والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة **فان قلت** كيف عطف الزمان على المكان وهو يوم
حنين على المواطن **قلت** معناه وموطن يوم حنين او في ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز
ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا
الظاهر وموجب ذلك ان قوله اذ اعجبتكم بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح
لان كثرتهم لم تعجبهم في جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا في جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا
به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين
وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف
وهم اربعة الاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب وكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل
من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله عليه السلام وقيل قائلها رسول الله وقيل ابو
بكر وذلك قوله اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة
وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم
وحده وهو ثابت في مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس اخذا بلجام دابته وابو سفيان بن
الحارث ابن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهي شجاعته ورباطة جاشه وما
هي الا من ايات النبوة وقال يا رب ايتني بما وعدتني وقال للعباس وكان صيتا صح بالناس فنادى
الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب سورة البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك
لبيك ونزلت الملائكة عليهم البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال
المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب
الكعبة فانهزموا قال العباس لكاني انظر الى رسول الله يركض خلفهم على بغلته **وضاقت عليكم الارض
بما رحبت** ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في
موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثيابي والمعنى
لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم **ثم وليتم
مدبرين** ثم انهزمتم **ثم انزل الله سكينته** رحمته التي سكنوا بها وامنوا **على رسوله وعلى المؤمنين**
الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب **وانزل
جنودا لم تروها** يعني الملائكة وكانوا ثمانية الاف وقيل خمسة الاف وقيل ستة عشر الفا **وعذب
الذين كفروا** بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري **وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله** اي يسلم
بعد ذلك ناس منهم **من بعد ذلك على من يشاء منهم والله غفور رحيم** وروي ان ناسا منهم جاؤوا فبايعوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يا رسول الله انت خير الناس وابر الناس وقد سبي
اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة الاف نفس واخذ من الابل والغنم
ما لا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما
اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤوا

مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيئا فمن كان بيده سبي وطابت نفسه
ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيئا فنعطيه مكانه فقالوا رضينا وسلمنا
فقال اني لا ادري لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا
يا ايها الذين امنوا انما المشركون نجس النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس
لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات
فهي ملابسة لهم وجعلوا كانهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما
اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف
هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كانه قيل انما المشركون
جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد **فلا يقربوا
المسجد الحرام** فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية **بعد عامهم هذا** بعد حج عامهم
هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر رضي الله عنه على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه
رحمهم الله ويدل عليه قول علي رضي الله عنه حين نادى ببراءة الا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك
ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي رحمه الله
يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك رحمهم الله يمنعون منه ومن غيره من المساجد
وعن عطاء ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين
ان يقربوا راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام
والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك **وان خفتم عيلة** اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان
لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب **فسوف يغنيكم الله من فضله** من عطائه او من تفضله
بوجه اخر فارسل السماء عليهم مدرارا اغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش
فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به وكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن
عباس القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تاكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب
واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا
عائلة ومعنى قوله **ان شاء** ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم **ان الله عليم** باحوالكم
حكيم لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة وصواب **قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الاخر ولا
يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين اوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن
يد وهم صاغرون** من الذين اوتوا الكتاب بيان للذين مع ما في حيزه نفي عنهم الايمان بالله لان
اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الاخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم
ما حرم الله ورسوله لانهم يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون
في التوراة والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق
وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده سميت
جزية لانها طائفة مما على اهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من منّ عليهم
بالاعفاء عن القتل عن يد اما ان يراد يد المعطي او الاخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى
يعطوها عن يد مواتية غير ممتنعة لان من ابى وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد
ولذلك قالوا اعطى بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال
خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا
على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الاخذ واما على ارادة يد الاخذ فمعناه حتى يعطوها
عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة
عليهم وهم صاغرون اي تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان ياتي بها بنفسه ماشيا غير راكب
ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد
الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة رحمه
الله ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند ابي حنيفة رحمه الله تضرب

على كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم وروى الزهري ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل
مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم الجزية العجم وعند الشافعي رحمه
الله لا تؤخذ من مشركي العجم والماخوذ عند ابي حنيفة رحمه الله في اول كل سنة من الفقير الذي
له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون
ولا يؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي رحمه الله يؤخذ في اخر السنة من كل واحد دينار فقيرا
كان او غنيا كان له كسب او لم يكن **وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله**
عزير ابن الله مبتدا وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته
وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء
الساكنين كقراءة من قرا احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا
فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس
جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفى وشاس بن قيس ومالك
ابن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص بن عازوراء وسبب هذا القول ان
اليهود قتلوا الانبيا بعد موسى عليه السلام فرفع الله عنهم التورية ومحاها من قلوبهم
فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل فقال له الى اين تذهب فقال اطلب
العلم فحفظه التورية فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع
الله التورية في صدره وهو غلام الا انه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم
ان الاية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب **فان قلت**
كل قول يقال بالفم فما معنى قوله **ذلك قولهم بافواههم** **قلت** فيه وجهان احدهما
ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ
المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول
بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول
المذهب كقوله كقول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم
ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلب وذلك انهم
اعترفوا انه لا صاحبة له لم يبق شبهة في انتفا الولد **يضاهئون قول الذين كفروا من قبل**
لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير
المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله
عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم
فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله وقيل الضمير للنصارى
اي يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ يضاهئون
بالهمز من قولهم امراة ضهيا على فعيل وهي التي ضاهات الرجال في انها لا تحيض وهمزتها
مزيدة كما في غرقئ **قاتلهم الله** اي هم احقا بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم
كما يقال لقوم ركبوا شنعا قاتلهم الله ما اعجب فعلهم **انى يؤفكون** كيف يصرفون عن الحق
اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم
في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما يطاع الارباب في اوامرهم ونحوه
تسميته اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا ابت لا تعبد
الشيطان وعن عدي بن حاتم انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي
صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه
قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق
او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى
قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين **وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا** امرتهم

بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه
الجنة **سبحانه عما يشركون** تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما
امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم اربابا الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف
يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم **يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم
ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون** مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله
عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الافاق يريد الله ان يزيده
ويبلغه الغاية القصوى من الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه **هو الذي ارسل رسوله
بالهدى ودين الحق ليظهره** ليظهر الرسول **على الدين كله** على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين
الحق على كل دين **ولو كره المشركون** **فان قلت** كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت
او ابغضت الا زيدا **قلت** قد اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان
يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره **يا ايها الذين امنوا
ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل** معنى اكل
الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله
واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب للاكل ومنه قوله • ياكلن كل ليلة اكافا •
يريد علفا يشترى بثمن الاكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشا في الاحكام
والتخفيف والمسامحة في الشرائع **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل
الله فبشرهم بعذاب اليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم**
والذين يكنزون يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع
خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في
سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين
من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم
طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسختها الزكوة اية الكنز
وقيل هي ثابتة وانما عنى بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكوة وعن النبي صلى
الله عليه وسلم ما ادي زكوته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو
كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا ساله عن ارض باعها فقال احرز مالك
الذي اخذت احفر له تحت فراش امراتك فقال اليس بكنز قال ما ادي زكوته فليس بكنز
وعن ابن عمر رضي الله عنه كل ما اديت زكوته فليس بكنز وان كانت تحت سبع ارضين وما لم
تؤد زكوته فهو الذي ذكره الله وان كان على ظهر الارض **فان قلت** فما تصنع
بما روى سالم بن الجعد انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب وتبا للفضة
قالها ثلاثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين
احدكم على دينه وبقوله عليه السلام من ترك بيضا وصفرا كوي بها وتوفي رجل فوجد
في مئزره دينار فقال رسول الله كية وتوفي اخر فوجد في مئزره ديناران فقال
كيتان **قلت** كان هذا قبل ان تفرض الزكوة فاما بعد فرض الزكوة فالله اعدل
واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه ثم يعاقبه
ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله يقتنون الاموال
ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل
والادخل في الورع والزهد في الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء
حد وما روي عن علي رضي الله عنه اربعة الاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام
في الافضل **فان قلت** لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيئان **قلت** ذهابا
بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم
فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال

وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله «واني وقيار بها لغريب» وقيار كذلك
فان قلت لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال قلت لانهما قانون التمول واثمان
الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثرا عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس
المال وكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما فان قلت ما معنى قوله يحمى عليها وهلا
قيل تحمى من قولك حمي الميسم واحميته ولا تقول احميت على الحديد قلت معناه ان النار
تحمى عليها اي توقد ذات حمي وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى
فان قلت فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل قلت لانه مسند الى الجار
والمجرور واصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن
النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى
الامير وعن ابن عامر انه قرأ تحمى بالتاء وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء فان قلت
لم خصت هذه الاعضاء قلت لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها في سبيل
الله الا الاغراض الدنياوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا
عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون منها
وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك
هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم
ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا ابصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم
واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون
على الجهات الاربع مقاديمهم ومآخيرهم وجنوبهم هذا ما كنزتم على ارادة القول
وقوله لانفسكم اي كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتلتذ وتحصل لها الاغراض التي حامت حولها
وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب وهو توبيخ لهم فذوقوا ما كنتم تكنزون
وقرئ تكنزون بضم النون اي وبال المال الذي كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين ان
عدة الشهور اثنا عشر شهرا في كتاب الله فيما اثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا
وقيل في اللوح منها اربعة حرم ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد
وهو رجب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في خطبته في حجة الوداع الا ان الزمان قد
استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم
ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى
وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج في ذي الحجة وبطل النسيء
الذي كان في الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر
في ذي القعدة ذلك الدين القيم يعني ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم
دين ابراهيم واسماعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر
الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا
الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء فغيروا فلا تظلموا فيهن في الحرم انفسكم
اي لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في
الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراساني احلت القتال في الاشهر
الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه ولا تاثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم
اشهر الحج بقوله فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الاية وان كان ذلك محرما في
سائر الشهور وقاتلوا المشركين كافة حال من الفاعل او المفعول كما يقاتلونكم كافة واعلموا
ان الله مع المتقين ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها انما النسيء زيادة
في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما النسيء تأخير حرمة الشهر
الى شهر آخر وذلك انهم كانوا اصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون
شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر

الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله ليواطئوا عدة ما حرم الله
اي ليوافقوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين
وربما زادوا في عدة الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك
قال عز وجل ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها والضمير في يحلونه ويحرمونه
للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل وروي انه حدث
ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في
الجاهلية فكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه
ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه جعل النسيء زيادة في الكفر
لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا كما ان المؤمن اذا احدث طاعة ازداد
ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء
والضاد ويضل على ان الفعل لله عز وجل وقرأ الزهري ليوطوا بالتشديد والنسيء
مصدر نساه اذا اخره يقال نساه نسأ ونساء ونسيئا كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا
وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء
والنسء فان قلت ما معنى قوله فيحلوا ما حرم الله قلت معناه فيحلوا
بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها
زين لهم سوء اعمالهم خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة والله لا يهدي القوم الكافرين
اي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل
يا ايها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض تثاقلتم وبه قرأ الاعمش
اي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها
وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم
ودياركم وقرئ اثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ فان قلت
ما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانعه من ان يعمل فيه قلت ما دل عليه او ما في ما لكم
من معنى الفعل كانه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان
ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط
وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم
في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة ارضيتم بالحيوة
الدنيا من الآخرة بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة فما متاع الحيوة الدنيا في الآخرة في جنب
الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله
على كل شيء قدير الا تنفروا سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول
عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في
نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده
ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم اهل
اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص الا تنصروه فقد نصره الله اذ اخرجه
الذين كفروا فان قلت كيف يكون قوله فقد نصره الله جوابا للشرط قلت
فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من
الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني
انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده واسند الاخراج
الى الكفار كما اسند اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين هموا باخراجه اذن الله له
في الخروج فكانهم اخرجوه ثاني اثنين اذ هما في الغار احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول
الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر الصديق روي ان جبريل عليه السلام لما امره بالخروج قال من
يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون واذ هما بدل من اذ اخرجه

والغار ثقب في أعلى ثور وهو جبل في يمنى مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا إذ يقول لصاحبه
لا تحزن إن الله معنا إذ يقول بدل ثان وقيل طلع المشركون فوق الغار فأشفق أبو بكر على رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال إن تصب اليوم ذهب دين الله فقال صلى الله عليه وسلم
ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت
فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم أعم أبصارهم فجعلوا يترددون حول
الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بأبصارهم عنه وقالوا من أنكر صحبة أبي بكر فقد كفر لإنكاره
كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل
كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا سكينته ما ألقى في قلبه من الأمنة التي سكن عندها
وعلم أنهم لا يصلون إليه والجنود الملائكة يوم بدر والأحزاب وحنين وكلمة الذين كفروا
دعوتهم إلى الكفر وكلمة الله دعوته إلى الإسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع أوجه
وهو فصل أو مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وأنها المختصة به دون سائر الكلم
انفروا خفافا وثقالا خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم أو خفافا
لقلة عيالكم وأذيالكم وثقالا لكثرتها أو خفافا من السلاح وثقالا منه أو ركبانا ومشاة
أو شبانا وشيوخا أو مهازيل وسمانا أو صحاحا ومراضا وعن ابن أم مكتوم أنه قال لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أعلي أن أنفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الأعمى حرج وعن ابن
عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على
حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت
يا عم لقد أعذر الله إليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا ألا
إنه من يحبه الله يبتليه وعن الزهري خرج سعيد بن المسيب إلى الغزو وقد ذهبت إحدى
عينيه فقيل إنك عليل صاحب ضرر فقال استنفر الله الخفيف والثقيل فإن لم يمكني
الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم إيجاب للجهاد بهما إن
أمكن أو بأحدهما على حسب الحال والحاجة ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا
العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان
ما دعوا إليه غنما قريبا سهل المنال وسفرا قاصدا وسطا مقاربا لاتبعوك ولكن بعدت
عليهم الشقة المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين
والشين ومنه قوله يقولون لا تبعد وهم يدفنونه ولا بعد إلا ما تواري الصفائح
وسيحلفون بالله بالله متعلق بسيحلفون أو هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين
أي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله لو
استطعنا لخرجنا معكم أو سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا معكم سد
مسد جوابي القسم ولو جميعا والإخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم
وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة واستطاعة الأبدان كأنهم
تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت يهلكون
أنفسهم إما أن يكون بدلا من سيحلفون أو حالا بمعنى مهلكين والمعنى أنهم يوقعونها
في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل أن يكون حالا من قوله
لخرجنا أي لخرجنا معكم وإن أهلكنا أنفسنا وألقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير
في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لأنه مخبر عنهم ألا ترى أنه لو قيل سيحلفون
بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولأفعلن فالغيبة على
حكم الإخبار والتكلم على الحكاية والله يعلم إنهم لكاذبون عفا الله عنك كناية عن الجناية لأن
العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت لم أذنت لهم بيان لما كني عنه بالعفو
ومعناه مالك أذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم
وهلا استأنيت بالإذن حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين حتى يتبين لك من

صون

صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما
إذنه للمنافقين وأخذه الفداء من الأسارى فعاتبه الله لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر
أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم ليس من عادة المؤمنين أن يستأذنوك في أن يجاهدوا وكان الخلص من
المهاجرين والأنصار يقولون لا نستأذن النبي أبدا ولنجاهدن معه بأموالنا وأنفسنا ومعنى
أن يجاهدوا في أن يجاهدوا أو كراهة أن يجاهدوا والله عليم بالمتقين شهادة لهم بالانتظام في زمرة
المتقين وعدة لهم بأجزل الثواب إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت
قلوبهم يعني المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا فهم في ريبهم يترددون عبارة عن التحير لأن
التردد ديدن المتحير كما أن الثبات والاستقرار ديدن المستبصر ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة
وقرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال وأخلفوك عد الأمر الذي وعدوا أي
حذف تاء التأنيث وتعويض المضاف إليه منها وقرئ عده بكسر العين بغير إضافة وعده بإضافة
ولكن كره الله انبعاثهم فإن قلت كيف موقع حرف الاستدراك قلت لما كان قوله ولو
أرادوا الخروج معطيا معنى نفي خروجهم واستعدادهم للغزو قيل ولكن كره الله انبعاثهم كأنه
قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما أحسن إلى زيد ولكن أساء إلى
فثبطهم فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم في الانبعاث وقيل اقعدوا مع القاعدين جعل
إلقاء الله في قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو
قولهم لأنفسهم وقيل هو إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود فإن قلت
كيف جاز أن يوقع الله في نفوسهم كراهة الخروج إلى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن إلهام القبيح
قلت خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا فكان إيقاع كراهة
ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة فإن قلت فلم خطأ رسول الله في الإذن لهم
فيما هو مصلحة قلت لأن إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن للنظر في هذه المصلحة
ولا علمها إلا بعد القفول بإعلام الله ولكن لأنهم استأذنوه واعتذروا إليه وكان عليه أن يتفحص
عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز في قبولها فمن ثم أتاه العتاب ويجوز أن يكون في ترك رسول
الله الإذن لهم مع تثبيط الله إياهم مصلحة أخرى فبإذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك
أنه إذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير إذن من رسول الله قامت عليهم الحجة
ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك أستارهم وكشف أسرارهم وشهد عليهم
بالنفاق وأنهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر فإن قلت ما معنى قوله مع القاعدين
قلت هو ذم لهم وتعجيز وإلحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شأنهم القعود
والجثوم في البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله رضوا بأن يكونوا
مع الخوالف إلا خبالا ليس من الاستثناء المنقطع وهو أن يكون المستثنى من غير جنس المنقطع
المستثنى منه في هذا الكلام غير مذكور وإذا لم يذكر وقع الاستثناء من أعم العام الذي هو الشيء
وكان استثناء متصلا لأن الخبال بعض أعم العام كأنه قيل ما زادوكم شيئا إلا خبالا والخبال
الفساد والشر ولأوضعوا خلالكم ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وإفساد ذات البين يقال
وضع البعير وضعا إذا أسرع وأوضعته أنا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الإسراع
بالنمائم لأن الراكب أسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير ولأرقصوا من رقصت الناقة رقصا
إذا أسرعت وأرقصتها أنا قال والراقصات إلى منى فالغبغب وقرئ ولأوفضوا فإن قلت
كيف خط في المصحف ولا أوضعوا بزيادة الألف قلت كانت الفتحة تكتب ألفا قبل الخط
العربي والخط العربي اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الألف أثر في الطباع فكتبوا
صورة الهمزة ألفا وفتحتها ألفا أخرى ونحوه أو لأذبحنه يبغونكم الفتنة يحاولون أن يفتنوكم
بأن يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم في مغزاكم وفيكم سماعون لهم أي نمامون يسمعون
حديثكم فينقلونه إليهم أو فيكم قوم يسمعون للمنافقين ويطيعونهم لقد ابتغوا الفتنة أي
العنت ونصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك وتفريق أصحابك عنك كما فعل عبد الله بن أبي

يوم حد حين انصرف لمن معه وعن ابن جريج وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة
العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به من قبل من قبل غزوة تبوك وقلبوا لك الامور ودبروا
لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف حتى جاء الحق وهو
تاييدك ونصرك وظهر امر الله وغلب دينه وعلا شرعه وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي
في القعود ولا تفتني ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تاذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك
اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن
قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم
ولكني اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من افتنه الا في الفتنة سقطوا اي ان الفتنة هي
التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى
وان جهنم لمحيطة بالكافرين يعني انها تحيط بهم يوم القيمة او هي محيطة بهم الان لان اسباب
الاحاطة معهم فكانهم في وسطها ان تصبك في بعض الغزوات حسنة ظفر وغنيمة تسؤهم
وان تصبك مصيبة نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى يوم احد يفرحوا بحالهم في الانصراف
عنك ويقولوا قد اخذنا امرنا اي امرنا الذي نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم
من قبل من قبل ما وقع ويتولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى اهاليهم وهم فرحون
مسرورون وقيل تولوا عن رسول الله قل لن يصيبنا وقرا ابن مسعود قل هل يصيبنا وقرأ
طلحة هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو لقولهم
الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة نحو يفيعل منه يصوب الى ترى
الى قولهم صوب رايه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومنه قوله *
اسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله الا ما كتب الله لنا مفيدة معنى الاختصاص
كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم او الشهادة الا ترى الى قوله
هو مولانا اي الذي يتولانا ونتولاه ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم
وعلى الله فليتوكل المؤمنون وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم هل تربصون بنا الا
احدى الحسنيين الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة
ونحن نتربص بكم احدى السوأيين من العواقب ان يصيبكم الله بعذاب من عنده وهو قارعة من
عند السماء كما نزلت على عاد وثمود او بعذاب بايدينا وهو القتل على الكفر فتربصوا بنا
ما ذكرنا من عواقبنا انا معكم متربصون ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه
قل انفقوا يعني في سبيل الله ووجوه البر طوعا او كرها نصب على الحال اي طائعين او مكرهين
فان قلت كيف امرهم بالانفاق ثم قال لن يتقبل منكم قلت هو امر في معنى
الخبر كقوله قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا او كرها
ونحوه قوله تعالى استغفر لهم او لا تستغفر لهم وقوله اسيئي بنا او احسني لا ملومة *
اي لن يغفر الله لهم استغفرت لهم او لم تستغفر لهم ولا نلومك اساءت الينا او احسنت فان
قلت متى يجوز نحو هذا قلت اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم
الله زيدا وغفر له فان قلت لم فعل ذلك قلت لنكتة فيه وهي ان كثيرا
كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان
وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت او محسنة وفي معناه قول القائل *

* اخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك في الود *

وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم او لا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا
بين حال الاستغفار وتركه فان قلت ما الغرض في نفي التقبل اهو ترك رسول الله قبوله
منهم ورده عليهم ما يبذلون منه او هو كونه غير مقبول عند الله ذاهبا هباء لا ثواب له قلت
يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين
وسمي الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير

اكراه

اكراه من رؤسائهم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين
من جهتهم وروي انها نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه
وسلم هذا مالي اعينك به فاتركني انكم كنتم فاسقين تعليل لرد انفاقهم والمراد بالفسق التمرد
والعتو وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله انهم فاعل منع وهم
وان تقبل مفعولاه وقرئ ان تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد
وقرأ السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى
بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى في سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم
ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت في بعض
الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الآية
وان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه ولا ينفقون الا وهم كارهون
فان قلت الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله طائعين في قوله طوعا ثم وصفهم
بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون قلت المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول
الله او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهة واضطرار لا عن رغبة واختيار فلا تعجبك
اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون الاعجاب
بالشيء ان تسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا تفتتن بما اوتوا
من زينة الدنيا كقوله ولا تمدن عينيك فان الله اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم
والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم بالانفاق منه في ابواب الخير وهم كارهون له
على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم في جمعه واكتسابه وفي تربية اولادهم
فان قلت ان صح تعليق التعذيب بارادة الله فما زهوق انفسهم وهم كافرون قلت
المراد الاستدراج بالنعم كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم
نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة ويحلفون بالله انهم لمنكم
لمن جملة المسلمين وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون
بالاسلام تقية لو يجدون ملجا مكانا يلجئون اليه متحصنين به من راس جبل او قلعة او جزيرة
او مغارات او غارات وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية الشيء
واغرته انا يعني امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع
بمعنى مهارب ومغار او مدخلا او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول
وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه انفسهم وقرأ ابي بن كعب متدخلا وقرا
لولوا اليه لالتجاوا اليه وهم يجمحون يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح
وهو الذي اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ انس يجمزون فقيل ما يجمزون قال يجمحون ويجمزون ويشتدون
واحد ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون
يلمزك يعيبك في قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذي الخويصرة
راس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله
فقال ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو ابو الجواظ من المنافقين وقال الا ترون الى صاحبكم
انما يقسم صدقاتكم في رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابا لك
اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه السلام احذروا هذا واصحابه
فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة
في اللمز ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان
رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب اهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر
المنافقون منه واذا للمفاجاة اي وان لم يعطوا منها فاجؤوا السخط ولو انهم رضوا ما اتاهم
الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله جواب لو محذوف تقديره ولو
انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم



وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا ما قسم لنا سيرزقنا غنيمة اخرى فيوتينا رسول الله
اكثر مما اتانا اليوم انا الى الله في ان يغنمنا ويخولنا فضله راغبون انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين
عليها والمولفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل قصر جنس الصدقات على الاصناف المعدودة
وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد
لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب
ابو حنيفة رحمه الله وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم انهم قالوا
في اي صنف منها وضعتها اجزاك. وعن سعيد بن جبير لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين
فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي رحمه الله لا بد من صرفها الى الاصناف وعن عكرمة انها تفرق
في الاصناف الثمانية والعاملين عليها وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف
الثمانية والعاملين عليها السعاة الذين يقبضونها والمولفة قلوبهم اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يتالفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيئا منها كان في المسلمين قلة وفي الرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى
وقيل تبتاع الرقاب فتعتق والغارمين الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل
الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا وفي سبيل الله فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم وابن السبيل
المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله فريضة من الله والله عليم حكيم فريضة في معنى
المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات عليهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك
فريضة فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة قلت للايذان بانهم ارسخ
في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات
ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين
من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة
وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل
الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين فان قلت
فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم قلت دل بكون هذه
الاصناف مصارف الصدقات خاصة على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم بهم
الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم على التكلم فيها ولمز قاسمها
ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة
للذين امنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم الاذن الرجل الذي يصدق كل ما يسمع
ويقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم
للربيئة عين وايذاؤهم له هو قولهم فيه هو اذن واذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة
والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن في الخير والحق
فيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن في غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه
اي هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله ثم فسر كونه اذن خير بانه يصدق بالله لما قام
عنده من الادلة ويقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن امن منكم اي
اظهر الايمان ايها المنافقون حيث يسمع منكم ويقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم
ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما يفعل بالمشركين مراعاة لما راى الله من المصلحة في الابقاء
عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر
بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير لفطنته وشهامته وانه من
اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه وبلغه ذلك فاستعلت قلوبهم
فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذا جئنا ونحن ناتيه
فنعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضى فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم
على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اي هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون
فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرا نافع بتخفيف الذال فان

قلت لم عدي فعل الايمان بالباء الى الله تعالى والى المؤمنين باللام قلت لانه قصد
التصديق بالله الذي هو نقيض الكفر به فعدي بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم
ما يقولونه ويصدقه لكونهم صادقين عنده فعدي باللام الا ترى الى قوله وما انت
بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما انباه عن الباء ونحوه فما امن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك
واتبعك الارذلون امنتم له قبل ان اذن لكم فان قلت ما وجه قراءة ابن ابي عبلة
ورحمة بالنصب قلت هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم ياذن لكم فحذف لان
قوله اذن خير لكم يدل عليه يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين
الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم ياتونهم فيعتذرون
اليهم ويؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم ويرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون
فاحق من ارضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا
الله ورضا رسوله وكانا في حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني
او والله احق ان يرضوه ورسوله كذلك الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدا فيها ذلك الخزي العظيم المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق فان له على حذف الخبر
اي فحق ان له نار جهنم وقيل معناه فله وان تكرر لانه توكيدا ويجوز ان يكون فان
له معطوفا على انه على ان جواب من محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له
نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا
ان الله مخرج ما تحذرون كانوا يستهزءون بالاسلام واهله فكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي
فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت اني قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا
ينزل فينا شيء يفضحنا والضمير في عليهم وتنبئهم للمؤمنين وفي قلوبهم للمنافقين وصح ذلك
لان المعنى يقود اليه ويجوز ان تكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت في معناهم
فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما في قلوبهم كانها تقول لهم في قلوبكم كيت وكيت يعني
انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة وكانها تخبرهم بها وقيل معنى
الامر بالحذر اي ليحذر المنافقون فان قلت الحذر واقع على انزال السورة في قوله
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة فما معنى قوله مخرج ما تحذرون قلت معناه
محصل مبرز انزال السورة وان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اي تحذرون اظهاره من نفاقكم
ولئن سالتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في غزوة تبوك
وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام
وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه على ذلك فقال احبسوا على الركب فاتاهم فقال قلتم
كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا في شيء من امرك ولا امر اصحابك ولكن كنا في شيء مما
يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر قل ابالله واياته ورسوله كنتم تستهزءون
لم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود
منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزا به يلي حرف التقرير وذلك
انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته لا تعتذروا لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها
لا تنفعكم بعد ظهور سركم قد كفرتم قد اظهرتم كفركم باستهزائكم بعد ايمانكم بعد اظهاركم
الايمان ان نعف عن طائفة منكم باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق نعذب طائفة
بانهم كانوا مجرمين مصرين على النفاق غير تائبين منه او ان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا
رسول الله ولم يستهزءوا فلم نعذبهم في العاجل نعذب في العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين
مؤذين رسول الله مستهزئين وقرا مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع كتابة
والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه
ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان
يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتانيث وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب

طايفة على البناء للفاعل وهو الله عز وجل المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم في قوله ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين يامرون بالمنكر بالكفر والمعاصي وينهون عن المعروف عن الايمان والطاعات ويقبضون ايديهم شحا بالمبار والصدقات والانفاق في سبيل الله نسوا الله غفلوا ذكره فنسيهم فتركهم من رحمته وفضله ان المنافقين هم الفاسقون هم الكاملون في الفسق الذي هو التمرد في الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذي وصف الله به المنافقين حين بالغ في ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل في قوله كسالى فما ظنك بالفسق وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها مقدرين الخلود هي حسبهم دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه ولعنهم الله واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم اهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين ولهم عذاب ولهم نوع من العذاب سوى الصلي بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم في العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم كالذين من قبلكم الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحو قول النمر كاليوم مطلوبا ولا طلبا باضمار لم ار وقوله كانوا اشد منكم تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اي قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اي اثبت وخضتم الخوض الدخول في الباطل واللهو كالذي خاضوا كالفوج الذي خاضوا او كالخوض الذي خاضوه فان قلت اي فائدة في قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذي خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذي خاضوا قلت فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر في العاقبة وطلب الفلاح في الاخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذي خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باسناده اليه عن تلك التقدمة اولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والاخرة واولئك هم الخاسرون نقيض قوله واتيناه اجره في الدنيا وانه في الاخرة لمن الصالحين الم ياتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابرهيم واصحاب مدين واهل مدين وهم قوم شعيب والمؤتفكات مداين قوم لوط وقيل قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفاكهن انقلاب احوالهن عن الخير الى الشر اتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ولكن ظلموا انفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله بعضهم اولياء بعض في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض اولئك سيرحمهم الله السين مفيد وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما يعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك سوف يؤتيهم اجورهم ان الله عزيز غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب حكيم واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ومساكن طيبة عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء عن رسول الله

صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته ورضوان من الله اكبر وشيء من رضوان الله اكبر من ذلك كله لان رضاه سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو اكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطه تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان احشر في زمرة المهديين المرضيين عنده ذلك اشارة الى ما وعد او الى الرضوان اي هو الفوز العظيم وحده دون ما يعده الناس فوزا وروي ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء افضل من ذلك قال احل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا يا ايها النبي جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة واغلظ عليهم في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود رضي الله عنه ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرؤ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها ومأواهم جهنم وبئس المصير اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فسمعه من منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم سادتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا صادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم انزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزل يحلفون بالله ما قالوا فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله علي التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم واظهروا الكفر بعد اظهارهم الاسلام وهموا بما لم ينالوا وهو الفتك برسول الله وذلك عند مرجعه من تبوك توافق خمسة عشر منهم على ان يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله وما نقموا وما انكروا وما عابوا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى فان يتوبوا يك خيرا لهم هي الآية التي تاب عندها الجلاس وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والاخرة بالقتل والنار وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون روي ان ثعلبة بن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال عليه السلام يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما تنمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسأل عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسألاه الصدقة واقرآه كتاب رسول الله الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا اخت الجزية

وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه
يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاء ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان اقبل منك فجعل التراب
على رأسه فقال هذا عملك قد امرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها
الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمن
عثمان وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة من الصالحين قال ابن عباس يريد الحج فاعقبهم
نفاقا عن الحسن وقتادة ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل نفاقا متمكنا في قلوبهم لانه كان
سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في
قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى يوم يلقونه الى ان يموتوا بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث
النفاق وقرئ يكذبون بالتشديد الم يعلموا بالتاء ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب
عن علي رضي الله عنه سرهم ونجواهم ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون
به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها الذين يلمزون محله النصب
او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم
بالضم المطوعين المتطوعين المتبرعين من المؤمنين في الصدقات روي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة
الاف درهم وقال كان لي ثمانية الاف درهم فاقرضت ربي اربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك له حتى صولحت
امرأته تماضر عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل
الانصاري بصاع من تمر فقال بت ليلتي اجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت
بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون
وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل
ولكنه احب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم الا طاقتهم وقرئ
بالفتح والضم فيسخرون منهم سخر الله منهم كقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى
الى قوله ولهم عذاب اليم استغفر لهم او لا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر
الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين سأل عبد الله بن
عبد الله بن ابي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل
فنزلت فقال عليه السلام ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في موضع الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت
لهم ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون
جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن ابي طالب • لاصبحن العاص وابن العاص •
سبعين الفا عاقدي النواصي • فان قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام وتمثيلاته والذي يفهم من ذكر هذا العدد كثرة
الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الاية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال
قد رخص لي ربي فسازيد على السبعين قلت لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال
اظهار الغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم ومن عصاني فانك غفور رحيم وفي
اظهار النبي الرحمة والرأفة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض فرح المخلفون
الذين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فاذن لهم وخلفهم بالمدينة في غزوة
تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشياطين بمقعدهم بقعودهم عن الغزو وخلاف رسول
الله خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة
خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على انه مفعول
له او حال اي قعدوا لمخالفته او مخالفين له وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم تعريض بالمؤمنين

وتحملهم

وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم في سبيل الله وايثارهم
ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه وما فيهم ما في المؤمنين من باعث الايمان
وداعي الايقان وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم اشد حرا لو كانوا يفقهون استجهال لهم لان من
تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون في مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم

• مسرة احقاب تلقيت بعدها • مساءة يوم اريها شبه الصاب •
• فكيف بان تلقى مسرة ساعة • وراء تقضيها مساءة احقاب •

فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا جزاء بما كانوا يكسبون معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا جزاء
الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره روي ان اهل النفاق
يبكون في النار عمر الدنيا لا يرقأ لهم دمع ولا يكتحلون بنوم فان رجعك الله الى طائفة منهم انما قال
الى طائفة منهم لان منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون
كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم فاستأذنوك للخروج يعني الى غزوة بعد تبوك
فقل لن تخرجوا معي ابدا ولن تقاتلوا معي عدوا انكم رضيتم بالقعود اول مرة اول خرجة هي الخرجة الى
غزوة تبوك وكان اسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذي علم الله انه لم يدعهم
اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين فاقعدوا مع الخالفين قد مر تفسيره وقرأ مالك بن
دينار مع الخلفين على قصر الخالفين فان قلت مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل
فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات قلت اكثر اللغتين هند
اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هي كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امرأة
واول مرة واخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثني عشر رجلا قيل فيهم ما قيل ولا تصل
على احد منهم مات ابدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون روي ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق
عبد الله بن ابي بعث اليه ليأتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله
بعثت اليك لتستغفر لي لا لتؤنبني وسأله ان يكفنه في شعاره الذي يلي جلده ويصلي عليه
فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فسأله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله
الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر اتصلي على عدو الله فنزلت وقيل
اراد ان يصلي عليه فجذبه جبريل عليه السلام فان قلت كيف جازت له تكرمة المنافق في
وتكفينه في قميصه قلت كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا
طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد
ولكنا ناذن لك فقال لا ان لي في رسول الله اسوة حسنة فشكر له رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذلك واجابة له الى مسألته اياه فقد كان عليه السلام لا يرد سائلا وكان
يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روي انه
قال له اسألك ان تكفنه في بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بان
تكفينه في قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه
اياه لطفا لغيره فقد روي انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان
قميصي لن يغني عنه من الله شيئا واني اؤمل من الله ان يدخل في الاسلام كثير بهذا السبب فروي
انه اسلم الف من الخزرج لما رأوه طلب الاستشفاء بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم
وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على
من يظهر الايمان وباطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يتعطف على من واطأ قلبه لسانه
ورآه حتما عليه فان قلت فكيف جازت الصلاة عليه قلت لم يتقدم نهي
عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن
ابن عباس رضي الله عنه ما ادري ما هذه الصلاة الا اني اعلم ان رسول الله لا يخادع

مات صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود
لانه كاين موجود لا محالة انهم كفروا تعليل للنهي وتداعيد فتى له ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما
يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون لان تجدد النزول له شان في تقرير
ما نزل له وتاكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان
العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لا سيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشي الذي اهم
صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر
منه يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله واذا انزلت سورة كما يقع القران والكتاب
على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد ان امنوا هي ان المفسرة بالله
وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول ذوي الفضل والسعة من طال عليه طولا منهم وقالوا
ذرنا نكن مع القاعدين مع الذين لهم علة وعذر في التخلف رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على
قلوبهم فهم لا يفقهون ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك لكن الرسول
والذين امنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اي ان
تخلف هولاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هولاء
فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك الخيرات تتناول منافع الدارين لاطلاق
اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك
الفوز العظيم وجاء المعذرون من الاعراب ليوذن لهم المعذرون من عذر في الامر اذا قصر فيه
وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في
الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم
ولكن لم يثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله تعالى يعتذرون اليكم اذا رجعتم
اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد
وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن
الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم
سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله وعن قتادة
اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا
غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى
واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة
ابن عباس رضي الله عنه الذين لم يفرطوا في العذر وقعد الذين كذبوا الله ورسوله هم
منافقوا الاعراب الذين لم يجيئوا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله
في ادعائهم الايمان وقرأ ابي رضي الله عنه كذبوا بالتشديد سيصيب الذين كفروا منهم
من الاعراب عذاب اليم في الدنيا بالقتل وفي الاخرة بالنار ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على
الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله الضعفاء الهرمى والزمنى والذين لا يجدون
الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر
والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه ما على المحسنين من سبيل
ما على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم والله
غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من
الدمع حزنا قلت حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت
صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد تولوا ولعله لم يذكر المعذورين في التخلف الذين لهم
في انفسهم استطاعة والذين عدموا الة الخروج والذين سالوا المعونة فلم يجدوها وقيل
المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤون وهم ستة نفر من الانصار تفيض
من الدمع كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كان كلها دمع فائض
ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز الا يجدوا ما ينفقوا

لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا انما السبيل على الذين يستأ ذنونك
وهم اغنياء رضوا بان يكونوا مع الخوالف فان قلت رضوا ما موقعه قلت هو استئناف
كانه قيل ما بالهم استأذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف
وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون يعني ان السبب في استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله اياهم
فان قلت فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا اجد استئنافا مثله كانه قيل اذا
ما اتوك لتحملهم تولوا فقيل ما لهم تولوا باكين فقيل قلت لا اجد ما احملكم عليه الا انه وسط
بين الشرط والجزاء كالاعتراض قلت نعم ويحسن يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم قل لا تعتذروا
لن نؤمن لكم علة للنهي عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب
وجب عليه الاخلال به وقوله قد نبأنا الله من اخباركم علة لانتفاء تصديقهم لان الله عز وجل اذا
اوحى الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك
تصديقهم في معاذيرهم وسيرى الله عملكم ورسوله اتنيبون ام تثبتون على كفركم ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة
تردون اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فينبئكم بما كنتم تعملون فيجازيكم على حسب
ذلك لتعرضوا عنهم سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم
فاعرضوا عنهم فاعطوهم طلبتهم انهم رجس تعليل لترك معاتبتهم يعني ان المعاتبة لا تنفع
فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ
بالحمل على التوبة والاستغفار واما هولاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم ومأواهم جهنم جزاء بما
كانوا يكسبون يعني وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم يحلفون لكم لترضوا
عنهم اي غرضهم في الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك في دنياهم فان ترضوا عنهم فان الله
لا يرضى عن القوم الفاسقين فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا
عرضة لعاجل عقوبته واجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضاء المؤمنين
يقتضي رضاء الله عنهم وقيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا
منافقين فقال النبي عليه السلام حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد
الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا الاعراب اهل البدو اشد كفرا ونفاقا من اهل الحضر
لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم في بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة
واجدر ان لا يعلموا حدود ما انزل الله على رسوله واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من
الشرائع والاحكام ومنه قوله عليه السلام ان الجفاء والقسوة في الفدادين والله عليم يعلم
حال كل احد من اهل الوبر والمدر حكيم فيما يصيب به مسيئهم ومحسنهم من عقابه وثوابه ومن
الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه
لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله وابتغاء المثوبة عنده ويتربص بكم الدوائر
ويتربص بكم دوائر الزمان دوله وعقبه لينقلب غلبتكم عليه فيتخلص من اعطاء الصدقة
عليهم دائرة السوء دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله جل وعلا وقالت
اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة
والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقوله رجل سوء في نقيض قولك رجل صدق ولبن من
دارت عليه ذام لها والله سميع لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة عليم بما
يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الاخر ويتخذ
ما ينفق قربات مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات
عند الله وصلوات الرسول لان الرسول كان يدعو للمتصدقين بالخير والبركة ويستغفر
لهم كقوله اللهم صل على ال ابي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ينفق سببا لذلك
قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات الا انها قربة لهم شهادة من الله للمتصدق
بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف
مع حرفي التنبيه والتحقيق المؤذنة بثبات الامر وتمكنه وكذلك سيدخلهم الله في رحمته

ان الله غفور رحيم وما في السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله عن المتصدقين
وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله
ذو البجادين ورهطه والسابقون الاولون من المهاجرين هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين
شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين ومن الانصار
اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين
امنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القران وقرا عمر رضي الله عنه والانصار
بالرفع عطفا على والسابقون والذين اتبعوهم باحسان وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين
اتبعوهم باحسان بغير واو وصفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بابي فقال
تصديق ذلك في اول الجمعة واخرين منهم واوسط الحشر والذين جاءوا من بعدهم واخر الانفال
والذين امنوا من بعد وروي انه سمع رجلا يقراه بالواو فقال من اقراك فقال ابي فدعاه فقال
اقرانيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت
شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم واوينا وطردتم ومن ثم قال عمر رضي الله عنه لقد كنت ارانا رفعنا رفعة
لا يبلغها احد بعدها وارتفع السابقون بالابتدا وخبره رضي الله عنهم ومعناه رضي عنهم لاعمالهم
ورضوا عنه لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين
فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف
تحتها بغير من ومن حولكم يعني حول بلدتكم وهي المدينة من الاعراب منافقون وهم جهينة
واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها ومن اهل المدينة عطف على خبر المبتدا الذي هو
ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم
مردوا على النفاق على ان مردوا صفة موصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول
لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدا وصفة لمنافقين فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره مردوا على
النفاق تمهروا فيه من مرن فلان على عمله ومرد عليه اذا درب وضري حتى لان عليه ومهر
فيه ودل على مرانتهم عليه ومهارتهم فيه بقوله لا تعلمهم اي يخفون عليك مع فطنتك
وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشكك في امرهم ثم قال نحن نعلمهم
اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم
ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المومنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك
انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى سنعذبهم مرتين قيل هما القتل وعذاب
القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس رضي الله عنهما انهم اختلفوا في هاتين المرتين
فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك
منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب
القبر وعن الحسن اخذ الزكوة من اموالهم ونهك ابدانهم ثم يردون الى عذاب عظيم الى عذاب النار
واخرون اعترفوا بذنوبهم اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا
على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد
المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة بن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا
انفسهم حين بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري
المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت
عادته كلما قدم من سفر فراهم موثقين فسال عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم
حتى يكون رسول الله هو الذي يحلهم وانا اقسم ان لا احلهم حتى اومر فيهم فنزلت فاطلقهم
وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال
ما امرت ان اخذ من اموالكم شيا فنزلت خذ من اموالهم خلطوا عملا صالحا خروجا الى الجهاد
واخر سيئا تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم فان قلت قد جعل كل
واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به قلت كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط

كل واحد منهما بالاخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك
خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين
ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء
شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم فان قلت كيف قيل عسى الله ان يتوب عليهم وما ذكرت
توبتهم قلت اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم ان
الله غفور رحيم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره
وتطهرهم بالجزم جوابا للامر ولم يقرا وتزكيهم بها الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب او
لغيبة المونث والتزكية مبالغة في التطهر وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال وصل
عليهم واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا
اخذها وعن الشافعي رحمه الله احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت
وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت وقرئ ان صلوتك على التوحيد سكن لهم يسكنون اليه
وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم والله سميع يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعاءهم عليم
بما في ضمائرهم من الندم والغم لما فرط منهم قرئ الم يعلموا بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما
ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم ان الله يقبل التوبة
عن عباده اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتاكيد
وان الله هو التواب الرحيم وان الله من شانه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص
في هو ان ذلك ليس الى رسول الله انما الله هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها
ووجهوها اليه وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون وستردون الى عالم الغيب
والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وقل لهولاء التائبين اعملوا فان عملكم لا يخفى خيرا كان او شرا
على الله وعباده كما رايتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انه
لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هولاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون
فما لهم فنزلت فان قلت فما معنى قوله ويأخذ الصدقات قلت هو مجاز
عن قبوله لها وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان الصدقة تقع في يد الله قبل ان تقع في يد السائل
والمعنى انه عز وجل يتقبلها ويضاعف عليها وقوله فسيرى الله وعيد لهم وتحذير من عاقبة
الاصرار والذهول عن التوبة واخرون مرجون لامر الله وقرئ مرجون ومرجوون من ارجيته
وارجاته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني واخرون من المتخلفين موقوف امرهم اما يعذبهم
ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا واما يتوب عليهم ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال
ابن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم
ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار
الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله واخلصوا نياتهم ونصحت
توبتهم فرحمهم الله والله عليم حكيم وفي قراءة عبد الله غفور رحيم اما للعباد اي خافوا عليهم
العذاب وارجوا لهم الرحمة والذين اتخذوا مسجدا في مصاحف اهل المدينة والشام الذين
اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو عطفا على قصة مسجد الضرار
الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قبا بعثوا
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم
ابن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا
قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم
الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم
فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان
استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وات بجنود ومخرج محمدا واصحابه
من المدينة فبنوا مسجدا الى جنب مسجد قبا وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجدا لذي

العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيه الجيف والقمامة ومات ابو عامر اللعين بالشام بقنسرين ضرارا مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قبا ومعازة وكفرا وتقوية للنفاق وتفريقا بين المؤمنين لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قبا فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم وارصادا واعدادا لمن حارب الله ورسوله لاجل من حارب الله ورسوله وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة او رياء وسمعة او لغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن سفيان رحمه الله انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار ورياء وسمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء رحمه الله لما فتح الله الامصار على عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه **فان قلت** والذين اتخذوا ما محله من الاعراب **قلت** محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلوة وقيل هو مبتدا وخبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة **فان قلت** بم يتصل قوله من قبل **قلت** باتخذوا اي اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف وليحلفن ان اردنا ما اردنا ببناء هذا المسجد الا الخصلة الحسنى او الارادة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين والله يشهد انهم لكاذبون لا تقم فيه ابدا لمسجد اسس على التقوى قيل هو مسجد قبا اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقبا وهو يوم الاثنين والثلاثا والاربعا والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجدي قبا اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة من اول يوم من ايام وجوده احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطهرين قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على مسجد قبا فاذا الانصار جلوس فقال امؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يا رسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم اترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال عليه السلام مؤمنون ورب الكعبة وجلس ثم قال يا معشر الانصار ان الله عز وجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يا رسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم فيه رجال يحبون ان يتطهروا وقرئ ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لا ينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن رضي الله عنه هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن اخرهم **فان قلت** ما معنى المحبتين **قلت** محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهي له على ايثاره ومحبة الله اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار قرئ اسس بنيانه واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح والكسر جمع اس واساس بنيانه على افعال جمع اس ايضا واس بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهو الحق الذي هو

تقوى

تقوى الله ورضوانه خير ام من اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل جرف هار في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى **فان قلت** فما معنى قوله فانهار به في نار جهنم **قلت** لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانه على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره وقرئ جرف بسكون الراء **فان قلت** فما وجه ما روى سيبويه عن عيسى ابن عمر على تقوى من الله بالتنوين **قلت** قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون الحقها بجعفر وفي مصحف ابي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرئي الدخان يخرج منه وروي ان مجمع بن جارية كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف اصحاب مسجد قبا عمر بن الخطاب في خلافته ان ياذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين اليس بامام مسجد الضرار فقال يا امير المؤمنين لا تعجل علي فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا اعلم ما اضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قاريا للقران وكانوا شيوخا لا يقرؤون من القران شيئا فعذره وصدقه وامره بالصلاة لقوله والله لا يهدي القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله عز وجل لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل اثره الا ان تقطع قلوبهم قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما ما دامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة ويجوز ان يكون ذكر التقطع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء ويقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اي الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرا الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول صلى الله عليه وسلم او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما واسفا على تفريطهم والله عليم حكيم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة مثل الله تعالى اثابتهم الجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشرى وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضي الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن انفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروي ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقراها قال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو واستشهد يقاتلون فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقران وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني

للمفعول او على العكس وعدا مصدر مؤكد اي اخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله
وعد ثابت قد اثبته في التورية والانجيل كما اثبته في القرآن ثم قال ومن اوفى بعهده من الله
فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم
عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه قبيح قط ولا ترى
ترغيبا في الجهاد احسن منه وابلغ التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون
الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين التائبون رفع
على المدح اي هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين وتدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله
عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز
الزجاج ان يكون مبتدأ وخبره محذوف اي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا
كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون
مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اي التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون
لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق والعابدون الذين
عبدوا الله وحده واخلصوا له في العبادة وحرصوا عليها والسائحون الصائمون شبهوا
بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في
الارض يطلبونه في مظانه ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا
اولي قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم قيل قال لعمه ابي طالب انت اعظم الناس علي
حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابى فقال لا ازال استغفر
لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اي ابويه احدث به عهدا فقيل امك آمنة
فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استاذنت ربي في زيارة قبر امي فاذن لي
واستاذنته في الاستغفار فلم ياذن لي ونزلت وهذا اصح لان موت ابي طالب
كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا
ان نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر وهذا محمد يستغفر لعمه ما كان للنبي
ما صح له الاستغفار في حكم الله وحكمته من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم لانهم ماتوا
على الشرك وما كان استغفار ابراهيم لابيه قرأ طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه وعنه
وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية الا عن موعدة وعدها اياه اي وعدها
ابراهيم اباه وهو قوله لاستغفرن لك وتدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها
اباه فان قلت كيف خفي على ابراهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى
وعده قلت يجوز ان يظن انه ما دام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له
على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله
للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك ما لم انه وعن الحسن قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر
لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت
له فقال أليس قد استغفر ابراهيم فان قلت فما معنى قوله فلما تبين له انه
عدو لله تبرأ منه قلت معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت
كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم
ان ابراهيم لأواه حليم أواه فعال من أوه كلأال من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه
انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته
عليه وقوله لارجمنك وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل
شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير
يعني ما امر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين انه محظور
لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا اقدموا

عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل
عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر
من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي
ان يغفل عنها وهي ان المهدي اذا اقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال والمراد
بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة
فغير موقوف على التوقيف لقد تاب الله على النبي كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما
تأخر واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة
والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله
وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء عليهم السلام كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة
الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك
والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة في وقتها والساعة مستعملة في الزمان
المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم ٭ غداة طفت علماء بكر بن وائل ٭
٭ عشية قارعنا جذام وحميرا ٭ اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى والعسرة حالهم في غزوة تبوك
كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر
المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما
مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها
وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة من بعد ما كاد
يزيغ قلوب فريق منهم عن الثبات على الايمان او عن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه
وفي كاد ضمير الشان وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي
قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة
وامثاله ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم تكرير للتوكيد ويجوز ان يكون الضمير للفريق
تاب عليهم لكيدودتهم وعلى الثلاثة الذين خلفوا كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال
ابن امية ومعنى خلفوا خلفوا عن الغزو وقيل عن ابي لبابة واصحابه حيث تيب عليهم بعدهم
وقرئ خلفوا اي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة وخلوف الفم وقرأ جعفر
الصادق خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخلفين حتى اذا ضاقت عليهم الارض بما رحبت
برحبها اي مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا
مما هم فيه وضاقت عليهم انفسهم اي قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط
الوحشة والغم وظنوا وعلموا ان لا ملجأ من الله من سخط الله الا اليه الا الى استغفاره
ثم تاب عليهم ليتوبوا ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم
ويثبتوا او ليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على
من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة ان الله هو التواب الرحيم روي ان ناسا من المؤمنين تخلفوا
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان
لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار
ثمرك اذهب فانت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطاني ولا
خلفني الا الضن بك لا جرم والله لاكابدن المفاوز حتى الحق برسول الله فركب ولحق به
ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لاكابدن
الشدائد حتى الحق برسول الله فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب
من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ان بعيره ابطأ به فحمل متاعه
على ظهره واتبع اثر رسول الله ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده
كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث
وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امراة حسناء فرشت له في الظل

وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد
وامرأة حسناء ورسول الله في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه
ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه
السراب فقال كن ابا خيثمة فكان هو ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له
ومنهم من بقي لم يلحق منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله عليه السلام سلمت عليه فرد
علي كالمغضب بعدما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الا حسن
برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا
ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا
ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب
ابن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت
عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمون فقام الي طلحة بن عبيد الله يهرول حتى
صافحني وقال لتهنك توبة الله تعالى عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك
ثم تلا علينا الاية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على
التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه يا ايها
الذين امنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في
دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة
من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة اي كونوا مثلهم في صدقهم
وثباتهم وعن ابن عباس الخطاب لمن امن من اهل الكتاب اي كونوا مع المهاجرين والانصار
وادخلوا معهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء
عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم
صبيه ثم لا ينجز اقرؤوا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة ما كان لاهل
المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه
ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء ويكابدوا معه الاهوال
برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس
عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر
الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون
اخف شيء عليهم واهونه فضلا ان يربأوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها
على ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته
بانفة وحمية ذلك اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب مشايعته
كانه قيل ذلك الوجوب بانهم بسبب انهم لا يصيبهم ظمأ لا يصيبهم شيء من عطش ولا نصب
ولا تعب ولا مخمصة ولا مجاعة في سبيل الله في طريق الجهاد ولا يطؤون موطئا يغيظ
الكفار ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم
ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم ولا ينالون من عدو نيلا
ولا يرزؤونهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك الا كتب لهم به عمل
صالح واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ان
الله لا يضيع اجر المحسنين ويجوز ان يراد بالموطئ الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام
والحوافر كقوله عليه السلام اخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر
كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل
ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزاه

ونقصه

ونقصه وهو عام في كل ما ينالهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد
خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وبهذه الاية
استشهد اصحاب ابو حنيفة رحمهم الله ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك
الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى
الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وامد ابو بكر الصديق
رضي الله عنه المهاجر بن ابي امية وزياد بن ابي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة
نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي رحمه الله لا يشارك المدد
الغانمين وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء ولا ينفقون نفقة صغيرة
ولو تمرة ولو علاقة سوط ولا كبيرة مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة
ولا يقطعون واديا اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال واكام
يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودى اذا سال ومنه الودي وقد شاع
في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك الا كتب لهم ذلك من
الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله ليجزيهم الله احسن
ما كانوا يعملون متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء وما كان المؤمنون
لينفروا كافة اللام لتأكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم
غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه
على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة فلولا نفر فحين لم يمكن نفير الكافة
ولم تكن مصلحة فهلا نفر من كل فرقة منهم طائفة اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم
يكفونهم النفير ليتفقهوا في الدين ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها
وتحصيلها ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه
انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمون
من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم
ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم
اذا لمح ببصره مدرسة لاخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب
دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا لعلهم
يحذرون ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه اخر وهو ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما انزل في المتخلفين من الايات
الشداد استبق المؤمنون عن اخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه
في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى
لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد
بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم
ولينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا
في ايام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه يا ايها
الذين امنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار يلونكم يقربون منكم والقتال واجب مع كافة
الكفرة قريبهم وبعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين
وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام
وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام
اقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحية ان يقاتلوا من وليهم
ما لم يضطر اليهم اهل ناحية اخرى وعن ابن عمر انه سئل عن قتال اهل الديلم فقال
عليكم بالروم وليجدوا فيكم غلظة وقرئ غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة
والغلظة كالضغطة والغلاظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع

الجراة والصبر على القتال وشدة العداوة والصف في القتل والاسر ومنه ولا تاخذكم بهما
رافة في دين الله واعلموا ان الله مع المتقين ينصر من اتقاه فلم يتراف على عدوه واذا ما انزلت سورة
فمنهم من يقول من المنافقين من يقول بعضهم لبعض ايكم زادته هذه السورة ايمانا انكارا
واستهزاء بالمومنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم
مرفوع بالابتدا وقرا عبيد بن عمير ايكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم
زادت زادته هذه ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم ايمانا لانها فاما الذين امنوا
ازيد لليقين والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان
لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم
رجسا الى رجسهم كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا
ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف نفاقهم وماتوا وهم كافرون قرى او لا يرون بالياء والتاء
انهم يفتنون يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله في كل عام مرة او مرتين ثم لا يتوبون
ثم لا ينتهون ولا يتوبون من نفاقهم ولا هم يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون
بالجهاد مع رسول الله ويعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته وتاييده او يفتنهم الشيطان
فيكذبون وينقضون العهود مع رسول الله فيقتلهم وينكل بهم ثم لا ينزجرون واذا ما انزلت
سورة نظر بعضهم الى بعض تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين هل يريكم
من احد من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه ويغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح
بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد
وقيل معناه اذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم دعا عليهم
بالخذلان وبصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح بانهم بسبب انهم قوم لا يفقهون
لا يتدبرون حتى يفقهوا لقد جاءكم رسول من انفسكم من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم
ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتايج بقوله عزيز عليه ما عنتم اي شديد عليه
شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاكم المكروه وهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في
العذاب حريص عليكم حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به
بالمومنين منكم ومن غيركم رؤف رحيم وقرى من انفسكم اي من اشرافكم وافضلكم وقيل
هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعايشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع
الله اسمين من اسمايه لاحد غير رسول الله في قوله رؤف رحيم فان تولوا فان اعرضوا عن
الايمان بك وناصبوك فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت فاستعن بالله وفوض اليه
فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك فهو ناصرك عليهم وهو رب العرش العظيم وقرى
العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما العرش لا يقدر احد قدره وعن ابي بن كعب
اخر اية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل علي
القران الا اية اية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله احد فانهما انزلتا علي ومعهما سبعون الف صف
من الملايكة

سورة يونس مكية وهي ماية وتسع ايات

بسم الله الرحمن الرحيم الر تلك ايات
الكتاب الحكيم الر تعديد للحروف على طريق التحدي وتلك ايات الكتاب اشارة الى ما تضمنته
السورة من الايات والكتاب السورة والحكيم ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف
بصفة محدثه قال الاعشى وغريبة تاتي الملوك حكيمة قد قلتها ليقال من ذا قالها اكان
للناس عجبا الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه وان اوحينا الى رجل منهم اسم كان وعجبا
خبره وقرا ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله
يكون مزاجها عسل وماء والاجود ان تكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب فان
قلت فما معنى اللام في قوله اكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك اكان
عند الناس عجبا قلت معناه انهم جعلوه لهم اعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم

يوجهون

يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي يعجبوا منه
ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من افناء رجالهم دون عظيم من عظمايهم فقد كانوا يقولون
العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر
بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم
لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملايكة يمشون مطمينين لنزلنا
عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير واليتيم ليس بعجب ايضا لان الله انما يختار من
من استحق الاختيار لجمعه اسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا
ليس من تلك الاسباب في شي وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى والبعث
للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول
تعطيل الجزاء ان انذر الناس ان هي المفسرة لان الايحا فيه معنى القول ويجوز ان يكون
المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس وبشر
الذين امنوا ان لهم الباء معه محذوف قدم صدق عند ربهم اي سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة
فان قلت لم سميت السابقة قدما قلت لما كان السعي والسبق بالقدم سميت
المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها
يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من
السوابق العظيمة وقيل مقام صدق قال الكافرون ان هذا ان هذا الكتاب وما جاء به محمد
لسحر مبين ومن قرا الساحر فهذا اشارة الى رسول الله عليه السلام وهو دليل عجزهم واعترا فهم
به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ما هذا الا سحر ان ربكم الذي خلق السموات
والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش يدبر الامر يدبر يقضي ويقدر على حسب مقتضى
الحكمة ويفعل ما يفعل المتحري للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره
اخرا والامر امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش فان قلت
ما موقع هذه الجملة قلت قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات
والارض مع بسطتها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه
الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضايه وتقديره وكذلك
قوله ما من شفيع الا من بعد اذنه دليل على العزة والكبريا كقوله يوم يقوم الروح والملايكة
صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن ذلكم الله ربكم اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اي ذلك
العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق العبادة منكم فاعبدوه وحده
ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع افلا تذكرون
فادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطا فيما انتم عليه اليه مرجعكم جميعا اي لا ترجعون
في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقايه وعد الله مصدر موكد لقوله اليه مرجعكم
حقا مصدر موكد لقوله وعد الله انه يبدا الخلق ثم يعيده استيناف معناه التعليل لوجوب
المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم
وقرى انه يبدا الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذي نصب وعد الله اي وعد الله
وعدا بدا الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه وقرى وعد الله على لفظ
الفعل ويبدئ من ابدا ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اي حق حقا بدا الخلق كقوله
٭ احقا عباد الله ان لست جايا ٭ ولا ذاهبا الا علي رقيب ٭
وقرى حقا انه يبدا الخلق كقولك حقا ان زيدا منطلق ليجزي الذين امنوا وعملوا الصالحات بالقسط
والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون بالقسط بالعدل وهو متعلق بيجزي
والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين
امنوا وعملوا صالحا لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام
انفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون هو الذي جعل الشمس ضيا

منقلبة عن واو مضموم لكسرة ما قبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على
العين كما قيل في عاق عقا والضياء اقوى من النور والقمر نورا وقدره وقدر القمر والمعنى وقدر
مسيره منازل او قدره ذا منازل كقوله والقمر قدرناه منازل لتعلموا عدد السنين والحساب
وحساب الاوقات من الاشهر والايام والليالي ما خلق الله ذلك اشارة الى المذكور الا بالحق
اي ما خلقه الا ملتبسا بالحق الذي هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا يفصل الايات لقوم
يعلمون وقرئ نفصل بالنون ان في اختلاف الليل والنهار وما خلق الله في السموات والارض لايات
لقوم يتقون خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر ان الذين لا يرجون
لقاءنا لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب
العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يؤمله او لا يخافون سوء لقائنا الذي
يجب ان يخاف ورضوا بالحيوة الدنيا من الاخرة واثروا القليل الفاني على الكثير الباقي كقوله
ارضيتم بالحياة الدنيا من الاخرة واطمانوا بها وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا
واملوا بعيدا والذين هم عن اياتنا غافلون اولئك ماواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين امنوا
وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم يهديهم ربهم بايمانهم يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة
على سلوك السبيل المؤدي الى الثواب ولذلك جعل تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم بيانا له
وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم في الاخرة بنور ايمانهم
الى طريق الجنة كقوله يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه
الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا
وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة فيقول انا عملك فينطلق
به حتى يدخله النار فان قلت فلقد دلت هذه الاية على ان الايمان الذي يستحق به العبد
الهداية والتوفيق والنور يوم القيمة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان
الذي لم يقرن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور قلت الامر كذلك الا ترى
كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح
ثم قال بايمانهم اي بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه دعواهم
فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام دعواهم دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا
نسبحك كقول القانت في دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلي ونسجد ويجوز ان يراد
بالدعاء العبادة واعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف في الجنة ولا عبادة وما
عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة
كقوله وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية واخر دعواهم وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح
ان الحمد لله ان يقولوا الحمد لله رب العالمين ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيي بعضا
بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان
هي المخففة من الثقيلة واصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله ان هالك كل من يحفى وينتعل
وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد اصله ولو يعجل الله للناس الشر تعجيله لهم الخير فوضع
استعجالهم بالخير موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان
استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد اهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا
لهم الشر الذي دعوا به كما يعجل لهم الخير ويجيبهم اليه لقضي اليهم اجلهم لاميتوا واهلكوا وقرئ
لقضى اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم
فان قلت فكيف اتصل به قوله فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون وما معناه
قلت قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي
اليهم اجلهم فنذرهم في طغيانهم اي فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم
واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه لجنبه في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اي دعانا
مضطجعا او قاعدا او قائما فان قلت فما فائدة ذكر هذه الاحوال قلت معناه

ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا
عاجز النهض متخاذل النوى او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب
الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو
اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام
وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس فلما كشفنا عنه ضره مر
اي مضى على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع
لا يرجع اليه كانه لا عهد له به كان لم يدعنا الى ضر مسه كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان
قال كان ثدياه حقان كذلك مثل ذلك التزيين زين للمسرفين زين الشيطان بوسوسته او
الله عز وجل بالخذلان والتخلية ما كانوا يعملون من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات ولقد
اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات لما ظرف لاهلكنا والواو في وجاءتهم
للحال اي ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله
وما كانوا ليؤمنوا يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني
وما كانوا يؤمنون حقا تاكيدا لنفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم مصرون على كفرهم وان
الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة
في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل كذلك مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك نجزي
القوم المجرمين نجزي كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله وقرئ
يجزي بالياء ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه
وسلم اي استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكنا لننظر كيف تعملون لننظر اتعملون
خيرا او شرا فنعاملكم على حسب عملكم وكيف في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام
فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله فان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه
معنى المقابلة قلت هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه
بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه واذا تتلى عليهم اياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا
ائت بقران غير هذا غاظهم ما في القران من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا ائت
بقران اخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك او بدله بان تجعل مكان اية عذاب اية رحمة وتسقط
ذكر الالهة وذم عبادتها فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان
يضع مكان اية عذاب اية رحمة مما انزل وان يسقط ذكر الالهة واما الاتيان بقران اخر فغير
مقدور عليه للانسان قل ما يكون لي ما ينبغي لي وما يحل كقوله ما يكون لي ان اقول ما ليس لي بحق
ان ابدله تلقاء نفسي من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي ان
اتبع الا ما يوحى الي لا اتي ولا اذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت
اية تبعت النسخ وان بدلت اية مكان اية تبعت التبديل وليس الي تبديل ولا نسخ
اني اخاف ان عصيت ربي بالتبديل والنسخ من عند نفسي عذاب يوم عظيم فان قلت
اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القران حتى قالوا ائت بقران غير هذا
قلت بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا
ويقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله
مع علمهم بان العرب كثير فصحاؤها وبلغاؤها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم اعجز
فان قلت لعلهم ارادوا ائت بقران غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقران من
جهته واراد بقوله ما يكون لي ان ابدله ما يتسهل لي وما يمكنني ان ابدله قلت يرده قوله اني
اخاف ان عصيت ربي فان قلت فما كان غرضهم وهم ادهى الناس واكرمهم في هذا
الاقتراح قلت الكيد والمكر اما اقتراح ابدال قران بقران ففيه انه من عندك وانك قادر
على مثله فابدل مكانه اخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع والاختبار الحال وانه ان وجد
منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او يجعلوا التبديل حجة عليه ويصححوا افتراءه على الله

قل لو شاء الله ما تلوته عليكم يعني ان تلاوته ليست الا بمشية الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن
العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشا
في بلد فيه علماء فيقرا عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو كل منثور ومنظوم مشحونا
بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبار مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها
الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم اربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره
وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به ولا ادراكم به
ولا اعلمكم به على لساني وقرا الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته وارضاته في معنى
اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادراتكم به بالهمز
وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبات بالحج ورثات الميت وذلك لان
الالف والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون
من درأته اذا دفعته وادراته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني
بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولادراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء
الله ما تلوته انا عليكم ولاعلمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني
بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس فقد لبثت فيكم عمرا من قبله وقرئ عمرا بالسكون
يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت
عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه افلا تعقلون فتعلموا انه ليس
الا من عند الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقران غير هذا من اضافة
الافتراء اليه فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب باياته انه لا يفلح المجرمون يحتمل ان يراد افتراء
المشركين على الله في قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من
الافتراء ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم الاوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع
ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان
يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل
مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة وكانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله وعن
النضر بن الحرث اذا كان يوم القيمة شفعت لي اللات والعزى قل اتنبئون الله بما لا يعلم اتخبرونه
بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم
الذات المحيط بجميع المعلومات لم يكن شيئا لان الشيء ما يعلم ويخبر عنه وكان خبرا ليس
له مخبر عنه فان قلت كيف انبأوا الله بذلك قلت هو تهكم بهم
وبما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبأوا به باطل غير
منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما
لا يعلمه وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله في السموات ولا في الارض تاكيد لنفيه لان ما لم
يوجد فيهما فهو منتف معدوم سبحانه وتعالى عما يشركون قرئ بالياء والتاء وما موصولة او
مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم وما كان الناس الا امة واحدة
حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد ادم الى ان قتل
قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا ولولا كلمة
سبقت من ربك وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيمة لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون
فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه
الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب ويقولون لولا انزل عليه اية من ربه ارادوا
اية من الايات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الايات العظام
المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقران وحده اية باقية على وجه الدهر
بديعة غريبة في الايات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول
كانه لم ينزل عليه اية قط حتى قالوا لولا انزل عليه اية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم

وتماديهم

وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي فقل انما الغيب لله اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به
لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الايات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو
فانتظروا نزول ما اقترحتموه اني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الايات
واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في اياتنا سلط الله القحط سبع سنين
على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحياء فلما رحمهم طفقوا يطعنون في ايات الله
ويعادون رسول الله ويكيدونه واذا الاولى للشرط والاخرى جوابها وهي للمفاجاة والمكر
اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى مستهم خالطتهم حتى احسوا
بسوء اثرها فيهم فان قلت ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله قل الله اسرع مكرا
قلت بلى دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤوا
وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤوسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما
يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف
تعملون في اطفاء نور الاسلام ان رسلنا يكتبون ما تمكرون اعلام بان ما تظنونه
خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم وقرئ يمكرون بالياء والتاء وقيل مكرهم قولهم
سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة ويمسيهم بها فتصبح طائفة
منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك
وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط
بهم قرا زيد بن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون
فان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما
هو بالكون في الفلك قلت لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير ولكن مضمون
الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه
الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء
بالانجاء فان قلت ما جواب اذا قلت جاءتها فان قلت فدعوا
قلت بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به فان قلت
ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة قلت المبالغة كانه يذكر لغيرهم
حالهم ليعجبهم منها ويستدعي منهم الانكار والتقبيح فان قلت ما وجه قراءة
ام الدرداء في الفلكي بزيادة ياء النسب قلت هما زائدتان كما في الخارجي
والاحمري ويجوز ان يراد به اللج والماء الغمر الذي لا تجري الفلك الا فيه والضمير في جرين
للفلك لانه جمع فلك كالاسد في فعل اخي فعل وفي قراءة ام الدرداء للفلك ايضا لان
الفلكي يدل عليه جاءتها جاءت الريح الطيبة اي تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان
من جميع امكنة الموج احيط بهم جعل احاطة العدو بالحي مثلا في الهلاك دعوا الله
مخلصين له الدين من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ معه غيره لئن انجيتنا من هذه
لنكونن من الشاكرين على ارادة القول او لان دعوا من جملة القول فلما انجاهم اذا هم يبغون
في الارض يفسدون فيها ويعبثون مترقين في ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح
اذا ترامى الى الفساد فان قلت ما معنى قوله بغير الحق والبغي لا يكون بحق
قلت بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم
وقلع اشجارهم كما فعل رسول الله ببني قريظة يا ايها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحيوة
الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون وقرئ متاع الحيوة الدنيا بالنصب فان
قلت ما الفرق بين القراءتين قلت اذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدا الذي
هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على امثالكم والذين
جنسهم جنسكم يعني بغي بعضكم على بعض منفعة الحيوة الدنيا لا بقاء لها
واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحيوة

الدنيا في موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويجوز أن يكون الرفع على
هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تمكر
ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه
السلام أسرع الخير ثوابا صلة الرحم وأعجل الشر عقابا البغي واليمين الفاجرة وروي ثنتان
يعجلهما الله في الدنيا البغي وعقوق الوالدين وعن ابن عباس لو بغى جبل على جبل لدك الباغي
وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين في أخيه

يا صاحب البغي إن البغي مصرعة • فارجع فخير فعال المرء أعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل • لاندك منه أعاليه وأسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغي والنكث والمكر قال تعالى إنما بغيكم على
أنفسكم إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا
في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الإقبال بحال نبات الأرض في جفافه وذهابه حطاما
بعد ما التف وتكاثف وزين الأرض بخضرته ورفيفه فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس
والأنعام فاختلط به فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا حتى إذا أخذت الأرض
زخرفها وازينت كلام فصيح جعلت الأرض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس إذا أخذت
الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من ألوان الزين وأصل ازينت تزينت
فأدغم وبالأصل قرأ عبد الله وقرئ وأزينت على أفعلت من غير إعلال الفعل كأغيلت
أي صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت وظن أهلها أنهم قادرون عليها متمكنون
من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا وهو ضرب زرعها
ببعض العاهات بعد أمنهم واستيقانهم أنه قد سلم فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا
شبيها بما يحصد من الزرع في قطعه واستئصاله كأن لم تغن بالأمس كأن لم يغن زرعها
أي لم تلبث على حذف المضاف في هذه المواضع لا بد منه وإلا لم يستقم المعنى وقرأ الحسن
كأن لم يغن بالياء على أن الضمير للمضاف المحذوف الذي هو الزرع وعن مروان أنه قرأ على
المنبر كأن لم تتغن من قول الأعشى طويل الثواء طويل التغني والأمس مثل في الوقت القريب
كأنه قيل كأن لم تغن آنفا كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعو إلى دار السلام
دار السلام الجنة أضافها إلى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لأن أهلها سالمون من
كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم إلا قيلا سلاما سلاما ويهدي
ويوفق من يشاء وهم الذين علم أن اللطف يجدي عليهم لأن مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو
العباد كلهم إلى دار السلام ولا يدخلها إلا المهديون إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى
المثوبة الحسنى وزيادة وما يزيد على المثوبة وهي التفضل ويدل عليه قوله ويزيدهم من فضله
وعن علي رضي الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس الحسنى الحسنة والزيادة
عشر أمثالها وعن الحسن عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وعن مجاهد الزيادة مغفرة من
الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة أن تمر السحابة فتقول لهم ما تريدون أن أمطركم
فلا يريدون شيئا إلا أمطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة أن الزيادة النظر إلى وجه الله
وجاءت بحديث موضوع إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا أن يا أهل الجنة فيكشف
الحجاب فينظرون إليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب إليهم منه ولا يرهق
وجوههم ولا يغشاها قتر غبرة فيها سواد ولا ذلة ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى
لا يرهقهم ما يرهق أهل النار إذكارا بما ينقذهم منه رحمة ألا ترى إلى قوله ترهقها
قترة وترهقهم ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون فإن قلت ما وجه قوله
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وكيف يتلاءم قلت لا يخلو إما أن يكون
والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم أن تجازى سيئة واحدة بسيئة
مثلها لا يزاد عليها وهذا أوجه من الأول لأن في الأول عطفا على عاملين وإن كان الأخفش

يجيز وفي هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لأنه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل
ثم بإثبات الزيادة على المثوبة من فضله وترهقهم ذلة وقرئ ويرهقهم ذلة ما لهم من الله من
عاصم أي لا يعصمهم أحد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم
كما يكون للمؤمنين كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما مظلما حال من الليل ومن قطعا
بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له ويعضده قراءة أبي بن كعب كأنما يغشى وجوههم
قطع من الليل مظلم فإن قلت إذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه
قلت لا يخلو إما أن يكون أغشيت من قبل أن من الليل صفة لقوله قطعا فكان إفضاؤه
إلى الموصوف كإفضائه إلى الصفة وإما أن يكون معنى الفعل في من الليل أولئك أصحاب النار هم
فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم مكانكم الزموا
مكانكم حتى لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم وأنتم أكد به الضمير في مكانكم لسده مسد قوله
الزموا وشركاؤكم عطف عليه وقرئ وشركاءكم على أن الواو بمعنى مع والعامل فيه ما في
مكانكم من معنى الفعل فزيلنا بينهم ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت
بينهم في الدنيا أو فباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم في الموقف وتبرؤ شركائهم منهم ومن
عبادتهم كقوله أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم
كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون إنما كنتم
تعبدون الشياطين حيث أمروكم أن تتخذوا لله أندادا فأطعتموهم فكفى بالله شهيدا بيننا
وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين إن هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين
النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولي العقل وقيل الأصنام
ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم
هنالك في ذلك المقام وفي ذلك الموقف أو في ذلك الوقت على استعارة اسم المكان
للزمان تبلو كل نفس تختبر وتذوق ما أسلفت من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن
أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يتعرف الرجل الشيء باختباره ويتعرفه ليكتنهه ومنه قوله تعالى
يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل أي نختبرها باختبار
ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها إن كان حسنا فهي سعيدة وإن كان
سيئا فهي شقية والمعنى نفعل بها فعل الخابر كقوله ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويجوز أن
يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ
تتلو أي تتبع ما أسلفت من الشر لأن عمله هو الذي يهديه إلى طريق الجنة أو إلى طريق
النار أو تقرأ في صحيفتها ما قدمت من خير أو شر وردوا إلى الله مولاهم الحق ربهم الصادق
ربوبيته لأنهم كانوا يتولون ما ليس لربوبيته حقيقة أو الذي يتولى حسابهم وثوابهم
العدل الذي لا يظلم أحدا وقرئ الحق بالفتح على تأكيد قوله ردوا إلى الله كقولك هذا
عبد الله الحق لا الباطل أو على المدح كقولك الحمد لله وضل عنهم ما كانوا يفترون
وضاع عنهم ما كانوا يدعون أنهم شركاء الله أو بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب
وشفاعة الآلهة قل من يرزقكم من السماء والأرض أي يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم
على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته أمن يملك السمع والأبصار من
يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سويا عليه من الفطرة العجيبة أو من
يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما أدنى
شيء بكلاءته وحفظه ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر ومن
يلي تدبير أمر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص فسيقولون الله فقل أفلا تتقون
أفلا تقون أنفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما أنتم بصدده من الضلال فذلكم الله
ذلكم إشارة إلى من هذه قدرته وأفعاله ربكم الحق الثابت ربوبيته ثباتا لا ريب فيه
لمن حقق النظر فماذا بعد الحق إلا الضلال يعني أن الحق والضلال لا واسطة

بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال فأنى تصرفون عن الحق إلى الضلال وعن التوحيد إلى الشرك
وعن السعادة إلى الشقاء كذلك مثل ذلك الحق حقت كلمة ربك أي كما حق وثبت أن الحق بعده
الضلال أو كما حق أنهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أي تمردوا
في كفرهم وخرجوا إلى الحد الأقصى فيه أنهم لا يؤمنون بدل من الكلمة أي حق عليهم انتفاء
الإيمان وعلم الله منهم ذلك أو حق عليهم كلمة الله أنهم من أهل الخذلان وأن إيمانهم غير كائن
أو أراد بالكلمة العدة بالعذاب وأنهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لأنهم لا يؤمنون فإن
قلت كيف قيل لهم هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده وهم غير معترفين بالإعادة
قلت قد وضعت إعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما إن دفعه دافع كان مكابرا
رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على أنهم في إنكارهم لها منكرون أمرا مسلما
معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون
فأمره بأن ينوب عنهم بالجواب يعني أنه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم أن ينطقوا بكلمة الحق
فكلم عنهم قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع
أم من لا يهدي إلا أن يهدى يقال هداه للحق وإلى الحق فجمع بين اللغتين ويقال هدى بنفسه
بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله أمن لا يهدي وقرئ لا يهدي
بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والأصل يهتدي فأدغم وفتحت الهاء بحركة التاء
وكسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لإتباع ما بعدها وقرئ إلا أن يهدى من هداه
وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه أن الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب
في المكلفين من العقول وأعطاهم من التمكين للنظر في الأدلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم
ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم أندادا
لله أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي إلى الحق مثل هداية الله ثم قال أفمن يهدي إلى
الحق هذه الهداية أحق بالاتباع أم الذي لا يهدي أي لا يهتدي بنفسه أو لا يهدي غيره
إلا أن يهديه الله وقيل معناه أم من لا يهتدي من الأوثان إلى مكان فينتقل إليه إلا أن
يهدى إلا أن ينقل أو لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله
حيوانا مكلفا فيهديه فما لكم كيف تحكمون بالباطل حيث تزعمون أنهم أنداد لله وما يتبع أكثرهم
في إقرارهم بالله إلا ظنا لأنه قول غير مستند إلى برهان عندهم إن الظن في معرفة الله
لا يغني من الحق وهو العلم شيئا وقيل وما يتبع أكثرهم في قولهم للأصنام إنها آلهة وإنها
شفعاء عند الله إلا الظن والمراد بالأكثر الجميع إن الله عليم بما يفعلون وعيد على ما يفعلون
من اتباع الظن وتقليد الآباء وقرئ تفعلون بالتاء وما كان هذا القرآن أن يفترى
افتراء من دون الله ولكن كان تصديق الذي بين يديه وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لأنه
معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد بصحتها كقوله هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن
تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما
كان أن يفترى وما صح وما استقام وكان محالا أن يكون مثله في علو أمره وإعجازه
مفترى وتفصيل الكتاب وتبيين ما فرض وكتب من الأحكام والشرائع من قوله كتاب
الله عليكم فإن قلت بم اتصل قوله لا ريب فيه من رب العالمين قلت
هو داخل في حيز الاستدراك كأنه قال ولكن تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب
كائنا من رب العالمين ويجوز أن يراد ولكن تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب
في ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل ويكون لا ريب فيه اعتراضا
كما تقول زيد لا شك فيه كريم أم يقولون افتراه بل أتقولون اختلقه على أن الهمزة
تقرير لإلزام الحجة عليهم أو إنكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان قل إن كان
الأمر كما تزعمون فأتوا أنتم على وجه الافتراء بسورة مثله فأنتم مثلي في العربية والفصاحة
ومعنى بسورة مثله على الإضافة أي بسورة كتاب مثله وادعوا من استطعتم من دون الله وادعوا

من دون من استطعتم من خلقه للاستعانة على الإتيان بمثله يعني أن الله وحده هو القادر على
أن يأتي بمثله لا يقدر على ذلك أحد غيره فلا تستعينوا به وحده ثم استعينوا بكل من دونه إن كنتم
صادقين أنه افتراه بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه بل سارعوا إلى التكذيب بالقرآن وفاجؤه
في بديهة السماع قبل أن يفقهوه ويعلموا كنه أمره وقبل أن يتدبروه ويقفوا على تأويله
ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم
كالناشئ على التقليد من الحشوية إذا أحس بكلمة لا توافق ما نشأ عليه وألفه وإن كانت أضوأ
من الشمس في ظهور الصحة وبيان الاستقامة أنكرها في أول وهلة واشمأز منها قبل أن
يحس إدراكها بحاسة سمعه من غير فكر في صحة أو فساد لأنه لم يشعر قلبه إلا صحة
مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب فإن قلت ما معنى التوقع في قوله ولما يأتهم
تأويله قلت معناه أنهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل تقليدا
للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع إلى التكذيب قبل العلم به وجاء
بكلمة التوقع ليؤذن أنهم علموا بعد علو شأنه وإعجازه لما كرر عليهم التحدي وراز وا
قواهم في المعارضة فاستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا كذلك أي مثل
ذلك التكذيب كذب الذين من قبلهم يعني قبل النظر في معجزات الأنبياء وقبل تدبرها عن
إنصاف من أنفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو في الذين كذبوا وهم شاكون
ويجوز أن يكون معنى ولما يأتهم تأويله ما فيه من الإخبار بالغيوب أي عاقبته حتى يتبين
لهم أهو كذب أم صدق يعني أنه كتاب معجز من جهتين من جهة إعجاز نظمه ومن جهة ما فيه
من الإخبار بالغيوب فتسرعوا إلى التكذيب به قبل أن ينظروا في نظمه وبلوغه حد الإعجاز
وقبل أن يخبروا أخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه فانظر كيف كان عاقبة الظالمين
ومنهم من يؤمن به من يصدق به في نفسه ويعلم أنه حق ولكنه يعاند بالتكذيب ومنهم من
لا يؤمن به ومنهم من يشك فيه لا يصدق به أو يكون للاستقبال أي ومنهم من سيؤمن به ومنهم
من يصر وربك أعلم بالمفسدين بالمعاندين أو المصرين وإن كذبوك وإن تموا على تكذيبك
ويئست من إجابتهم فقل لي عملي ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا بريء مما تعملون
فتبرأ منهم وخلهم فقد أعذرت كقوله فإن عصوك فقل إني بريء وقيل هي منسوخة بآية السيف
ومنهم من يستمعون إليك معناه ومنهم ناس يستمعون إليك إذا قرأت القرآن وعلمت
الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من
ينظر إليك أفأنت تهدي العمي ولو كانوا لا يبصرون وناس ينظرون إليك ويعاينون أدلة
الصدق وأعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون ثم قال أتطمع أنك تقدر على إسماع الصم ولو
انضم إلى صممهم عدم عقولهم لأن الأصم العاقل ربما تفرس واستدل إذا وقع في صماخه دوي
الصوت فإذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الأمر وأتحسب أنك تقدر على
هداية العمي ولو انضم إلى فقد البصر فقد البصيرة لأن الأعمى الذي له في قلبه بصيرة قد يحدس
ويظن وأما العمى مع الحمق فجهد البلاء يعني أنهم في اليأس من أن يقبلوا أو يصدقوا كالصم
والعمي الذين لا عقول لهم ولا بصائر وقوله أفأنت دلالة على أنه لا يقدر على إسماعهم
وهدايتهم إلا الله عز وجل بالقسر والإلجاء كما لا يقدر على رد الأصم والأعمى المسلوبي
العقل حديدي السمع والبصر راجحي العقل إلا هو وحده إن الله لا يظلم الناس شيئا أي
لا ينقصهم شيئا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وإنزال الكتب ولكن الناس أنفسهم
يظلمون ولكنهم يظلمون أنفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز أن يكون وعيدا للمكذبين
يعني أن ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب
ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببا فيه ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا
إلا ساعة من النهار يستقرب وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون يتعارفون
بينهم يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا إلا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور

ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم فان قلت كان لم يلبثوا ويتعارفون كيف موقعهما
قلت اما الاولى فحال منهم اي نحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة واما الثانية
فاما ان تتعلق بالظرف واما ان تكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقى
مع طول العهد وينقلب تناكرا قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله على ارادة القول اي يتعارفون
بينهم قائلين ذلك وهي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم
وبيعهم الايمان بالكفر وما كانوا مهتدين للتجارة عارفين بها وهو استيناف فيه معنى التعجب
كانه قيل ما اخسرهم واما نرينك بعض الذي نعدهم فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون
فالينا مرجعهم جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذي نعدهم
في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الاخرة فان قلت الله شهيد
على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم قلت ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها
وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرا ابن ابي عبلة ثم بالفتح اي هنالك ويجوز
ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيمة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم
وارجلهم شاهدة عليهم ولكل امة رسول يبعث اليهم لينبههم على التوحيد ويدعوهم الى دين
الحق فاذا جاء رسولهم بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه قضي بينهم اي بين النبي ومكذبيه بالقسط
بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون وهم لا يظلمون كقوله وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا
او لكل امة من الامم يوم القيمة رسول تنسب اليه وتدعى به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد
عليهم بالكفر والايمان كقوله وجيء بالنبيين والشهداء وقضي بينهم ويقولون متى هذا الوعد
ان كنتم صادقين استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له قل لا املك لنفسي ضرا من مرض
او فقر ولا نفعا من صحة او غنى الا ما شاء الله استثناء منقطع اي ولكن ما شاء الله من
ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب لكل امة اجل فاذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة
ولا يستقدمون يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان اذا جاء ذلك
الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرا ابن سيرين فاذا جاء اجالهم قل ارايتم ان اتاكم
عذابه بياتا او نهارا بياتا نصب على الظرف بمعنى وقت بيات فان قلت هلا قيل
ليلا او نهارا قلت لانه اريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون
لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك
قوله نهارا معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون
ضحى وهم يلعبون ماذا يستعجل منه المجرمون الضمير في منه للعذاب والمعنى ان العذاب كله
مكروه مر المذاق موجب للنفار فاي شيء تستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال
ويجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اي شيء هول شديد تستعجلون منه ويجوز ان تكون
من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى فان قلت بم تعلق الاستفهام
واين جواب الشرط قلت تعلق بارايتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون
وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطا فيه فان قلت
فهلا قيل ماذا تستعجلون منه قلت اريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال
وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على اجرامه ويهلك فزعا من مجيئه
وان ابطا فضلا ان يستعجله ويجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا
للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارايتم وان يكون اثم اذا
ما وقع امنتم به جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه
امنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على
الواو والفاء في قوله افامن اهل القرى اوامن اهل القرى الان على ارادة القول اي قيل لهم
اذا امنوا بعد وقوع العذاب الان امنتم به وقد كنتم به تستعجلون يعني وقد كنتم
به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرئ آلان بحذف الهمزة التي

بعد اللام

بعد اللام والقاء حركتها على اللام ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم
تكسبون ثم قيل للذين ظلموا عطف على قيل المضمر قبل الان ويستنبؤنك ويستخبرونك فيقولون
احق هو وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرا الاعمش آلحق هو وهو ادخل في الاستهزاء
لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل او هو
الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود قل اي وربي انه لحق اي بمعنى نعم في القسم خاصة
كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو
القسم ولا ينطقون به وحده وما انتم بمعجزين بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة ولو ان
لكل نفس ظلمت ظلمت صفة لنفس على ولو ان لكل نفس ظالمة ما في الارض اي ما في الدنيا
اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها لافتدت به لجعلته فدية لها يقال فداه
فافتدى ويقال افتداه ايضا بمعنى فداه واسروا الندامة لما راوا العذاب لانهم بهتوا لرؤيتهم
ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ما سلبهم قواهم وبهرهم
فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب
كما ترى المقدم للصلب يثخنه ما دهمه من فظاعة الخطب ويغلب حتى لا ينبس بكلمة ويبقى
جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم
وقيل اسروها اخلصوها اما لان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه
تهكم بهم وباخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر
الشيء واشره اذا اظهره وليس هناك تجلد وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون اي بين
الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه
المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر
عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع فقال الا ان لله ما في السموات والارض الا ان وعد
الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي ويميت واليه ترجعون ليعلم ان الامر كذلك فيخاف
ويرجى ولا يغتر به المغترون يا ايها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى
ورحمة للمؤمنين اي قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة وتنبيه على التوحيد وشفاء
اي دواء لما في صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق ورحمة لمن امن به منكم قل بفضل الله
وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون اصل الكلام بفضل الله وبرحمته فليفرحوا والتكرير
للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا
فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء
فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما ويجوز ان يراد بفضل الله وبرحمته فليعتنوا فبذلك
فليفرحوا ويجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله وبرحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا
وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روي
عنه لتاخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة ابي فافرحوا وهو راجع الى
ذلك وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
تلا قل بفضل الله وبرحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل بفضله الاسلام وبرحمته
ما وعد عليه قل ارايتم اخبروني ما انزل الله لكم من رزق ما في موضع النصب بانزل او بارايتم
في معنى اخبروني فجعلتم منه حراما وحلالا اي انزل الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم
هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام
خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا قل الله اذن لكم متعلق بارايتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى
اخبروني الله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام على الله تفترون ام
تكذبون على الله في نسبة ذلك اليه ويجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى
بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الاية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسال
عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول احد في شيء جائز او غير جائز

الابد ايقان وايقان ومن لم يوقن فليبق لله اوليصمت وان لا فهو مفتر على الله وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيمة منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني اي شي ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقرا عيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واي ظن ظنوا يوم القيمة وجي به على لفظ الماضي لانه كاين وكان قد كان ان الله لذو فضل على الناس حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام ولكن اكثرهم لا يشكرون هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون في شان وما تتلوا منه من قران ما نافية والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والشان الامر واصله الهمز بمعنى القصد من شانت شانه اذا قصدت قصده والضمير في منه للشان لان تلاوة القران شان من شان رسول الله بل هو معظم شانه او للتنزيل كانه قيل وما تتلوا من التنزيل من قران لان كل جزء منه قران والاضمار قبل الذكر تفخيم له او لله عز وجل ولا تعملون انتم جميعا من عمل اي عمل كان الا كنا عليكم شهودا شاهدين رقباء نحصي عليكم اذ تفيضون فيه من افاض في الامر اذا اندفع فيه وما يعزب قرئ بالضمة والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب عن ربك من مثقال ذرة في الارض ولا في السما ولا اصغر من ذلك ولا اكبر القراءة بالرفع والنصب والوجه النصب على نفي الجنس والرفع على الابتدا ليكون كلاما براسه وفي العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا في موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شي الا في كتاب مشكل فان قلت لم قدمت الارض على السما بخلاف قوله في سورة سبا عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض قلت حق السما ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شون اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السما على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية الا في كتاب مبين الا ان اوليا الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون اوليا الله الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك في قوله الذين امنوا وكانوا يتقون فهو توليهم اياه لهم البشرى في الحيوة الدنيا وفي الاخرة فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيل من اوليا الله فقال هم الذين يذكر الله برويتهم يعني السمت والهيبة وعن ابن عباس رضي الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون في الله وعن عمر رضي الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبيا ولا شهدا يغبطهم الانبيا والشهدا يوم القيمة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا في الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرا الاية الذين امنوا نصب او رفع على المدح او على وصف الاوليا او على الابتدا والخبر لهم البشرى والبشرى في الدنيا ما بشر به المومنين المتقين في غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الروية الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه السلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابي ذر قلت لرسول الله الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المومن وعن عطا لهم البشرى عند الموت تاتيهم الملايكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملايكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى في الاخرة فتلقي الملايكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطا الصحايف بايمانهم وما يقرون منها وغير ذلك من المبشرات لا تبديل لكلمات الله لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله ما يبدل القول لدي وذلك اشارة الى كونهم مبشرين في الدارين وكلتا الجملتين اعتراض ولا يحزنك وقري ولا يحزنك من احزنه قولهم تكذيبهم وتهديدهم وتشاورهم في تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به في شانك ان العزة استيناف بمعنى التعليل لانه قيل ما لي لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اي ان

هو الفوز العظيم

العزة

الغلبة والقهر في ملكة الله جميعا لا يملك احد شيا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا قرا ابو حيوة ان العزة بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكره من القراة به هو السميع العليم يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافيهم بذلك الا ان لله من في السموات والارض يعني العقلا المميزين وهم الملايكة والثقلان وانما خصهم ليوذن ان هولا اذا كانوا له وفي ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراهم مما لا يعقل احق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو باطل او تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا ان يتبعون الا الظن ما يتبعون حقيقة الشركا وان كانوا يسمونها شركا لان شركة الله في الربوبية محال ان يتبعون الا ظنهم انها شركا وان هم الا يخرصون يحزرون ويقدرون ان تكون شركا تقديرا باطلا ويجوز ان يكون وما يتبع في معنى الاستفهام يعني واي شي يتبعون وشركا على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركا شركا فاقتصر على احدهما للدلالة ويجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركا اي وله شركاوهم وقرا علي بن ابي طالب رضوان الله عليه تدعون بالتا ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اي واي شي يتبع الذين تدعونهم شركا من الملايكة والنبيين يعني انهم يتبعون الله ويطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هولا المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملايكة والنبيون من الحق هو الذي جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان في ذلك لايات لقوم يسمعون ثم نبه على عظم قدرته ونعمته الشاملة لعباده التي يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد في المعاش والنهار مضيا يبصرون به مطالب ارزاقهم ومكاسبهم لقوم يسمعون سماع معتبر مدكر قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقا هو الغني علة لنفي الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب في كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا له ما في السموات وما في الارض فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ احد منهم ولدا ان عندكم من سلطان بهذا ما عندكم من حجة بهذا القول والبا حقها ان تتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان اتقولون على الله ما لا تعلمون لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقايله فذاك جهل وليس بعلم قل ان الذين يفترون على الله الكذب باضافة الولد اليه لا يفلحون متاع في الدنيا اي افتراوهم هذا منفعة قليلة في الدنيا وذلك حيث يقولون رياستهم في الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون ثم يلقون الشقا المويد بعده واتل عليهم نبا نوح اذ قال لقومه يا قوم ان كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بايات الله كبر عليكم عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين ويقال تعاظمه الامر مقامي مكاني يعني نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامي ومكثي بين اظهركم مددا طوالا الف سنة الا خمسين عاما او مقامي وتذكيري لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليه انه كان يعظ الحواريين قايما وهم قعود فعلى الله توكلت فاجمعوا امركم وشركاكم من اجمع

الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال هل اغدون يوما وامري مجمع والواو بمعنى مع يعني فاجمعوا
امركم مع شركائكم وقرا الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد المنفصل
لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيد وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم
نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا امركم وادعوا شركاءكم
فان قلت كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء قلت على وجه التهكم كقوله قل
ادعوا شركاءكم ثم كيدون فان قلت ما معنى الامرين امرهم الذي يجمعونه وامرهم الذي لا يكون
عليهم غمة قلت اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعني فاجمعوا ما تريدون من
اهلاكي واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم في كيدي وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته
وثقته بما وعده ربه من كلائته وعصمته وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان
احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعني
ثم اهلكوني لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اي غما وهما والغم والغمة
كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها
قوله عليه السلام ولا غمة في فرائض الله اي لا تستر ولكن يجاهر بها يعني ولا يكن قصدكم
الى اهلاكي مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهرونني به ثم اقضوا الى ذلك الامر
الذي تريدون بي اي ادوا الي قطعه وتصحيحه كقوله وقضينا اليه ذلك الامر او ادوا
الي ما هو حق عليكم عندكم من هلاكي كما يقضي الرجل غريمه ولا تنظرون ولا تمهلون
وقرئ ثم افضوا الي بالفاء بمعنى ثم انتهوا الي بشركم وقيل هو من افضى الرجل اذا خرج الى
الفضاء اي اصحروا به الي وابرزوه لي فان توليتم فان اعرضتم عن تذكيري ونصحي
وتصيحتي فما سالتكم من اجر فما كان عندي ما ينفركم عني وتتهمونني لاجله من طمع في
اموالكم وطلب اجر على عظتكم ان اجري الا على الله وهو الثواب الذي يثيبني به في الاخرة
اي ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا وامرت ان اكون من المسلمين الذين لا ياخذون
على تعليم الدين شيئا ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذي كل مسلم
مامور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن
عن تفريط منه في سوق الامر معهم على الطريق الذي يجب ان يساق عليه وانما ذلك
لعنادهم وتمردهم لا غير فكذبوه فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له في اخر المدة المتطاولة كتكذيبهم بهم
في اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان فنجيناه ومن معه في الفلك وجعلناهم
خلائف الهالكين بالغرق واغرقنا الذين كذبوا باياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين
تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله عن مثله وتسلية له ثم بعثنا من بعده
من بعد نوح رسلا الى قومهم يعني هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا فجاءوهم
بالبينات بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم فما كانوا ليؤمنوا فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال
لشدة شكيمتهم في الكفر وتصميمهم عليه بما كذبوا به من قبل يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل
اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم من بعثة الرسل وقبلها كان
لم يبعث اليهم احد كذلك نطبع مثل ذلك الطبع المحكم نطبع على قلوب المعتدين وا للطبع
جار مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبع الابى كيف اسند اليهم الاعتداء
ووصفهم به ثم بعثنا من بعدهم من بعد الرسل موسى وهارون الى فرعون وملائه
باياتنا بالايات التسع فاستكبروا عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة
ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها وكانوا قوما مجرمين كفارا ذوي اثام عظام فلذلك
استكبروا عنها واجترؤوا على ردها فلما جاءهم الحق من عندنا فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند
الله لانه قبل موسى وهارون قالوا لحبهم الشهوات ان هذا لسحر مبين وهم يعلمون
ان الحق ابعد شيء من السحر الذي ليس الا تمويها وباطلا قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم
اسحر هذا ولا يفلح الساحرون فان قلت هو قطعوا بقولهم ان هذا لسحر مبين

فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا قلت فيه اوجه ان يكون معنى قوله اتقولون للحق
اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين
الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوؤه ونحو القول الذكر في قوله سمعنا فتى يذكرهم
ثم قال اسحر هذا فانكر ما قالوه في عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون
وهو ما دل عليه قولهم ان هذا لسحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعني قولهم ان
هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان تكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون
حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح ولا يفلح الساحرون
كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله قالوا اجئتنا لتلفتنا لتصرفنا
واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال عما وجدنا عليه اباءنا يعنون
عبادة الاصنام وتكون لكما الكبرياء اي الملك في الارض لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك
قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولهذا وصف ابن الرقيات مصعبا في قوله

• ملكه ملك رافة ليس فيه جبروت منه ولا كبرياء •

ينفي ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصد ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا
كما قال القبطي لموسى ان تريد الا ان تكون جبارا في الارض وما نحن لكما بمؤمنين اي مصدقين
لكما فيما جئتما به وقرئ ويكون لكما الكبرياء بالياء وقال فرعون ائتوني بكل ساحر عليم فلما جاء
السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر ما موصولة
واقعة مبتدا والسحر خبر اي الذي جئتم به هو السحر لا الذي سماه فرعون وقومه سحرا من ايات
الله وقرئ السحر على الاستفهام وعلى هذه القراءة ما استفهامية اي اي شيء جئتم به
اهو السحر وقرا عبد الله ما جئتم به سحر وقرا ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيت به
ان الله سيبطله سيمحقه او يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة ان الله لا يصلح
عمل المفسدين لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار ويحق الله الحق ويثبته بكلماته
باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته ولو كره المجرمون فما امن لموسى في اول امره الا ذرية
من قومه الا طائفة من ذراري بني اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا
الاباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم على خوف من فرعون وملائهم اي مع
الخوف وقيل الضمير في قوله من قومه لفرعون والذرية من ال فرعون واسية امراته وخازنه وامراة
خازنه وماشطته فان قلت الى م يرجع الضمير في قوله وملائهم قلت الى
فرعون بمعنى ال فرعون كما يقال ربيعة ومضر او لانه ذو اصحاب ياتمرون له ويجوز ان يرجع
الى الذرية اي على خوف من فرعون وخوف من اشراف بني اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم
خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم ويدل عليه قوله ان يفتنهم اي يعذبهم وان فرعون لعال
في الارض لغالب فيها قاهر وانه لمن المسرفين في الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه
الربوبية وقال موسى يا قوم ان كنتم امنتم بالله صدقتم به وباياته فعليه توكلوا فاليه اسندوا امركم
في العصمة من فرعون ثم شرط في التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اي يجعلوها
له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها فقال ان كنتم مسلمين لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره
في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة فقالوا على الله توكلنا انما قالوا ذلك لان القوم
كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه
وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط
الى الاخلاص ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين موضع فتنة لهم اي عذاب يعذبوننا
او يفتنونا عن ديننا او فتنة يفتنون بها ويقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا ونجنا برحمتك
من القوم الكافرين واوحينا الى موسى واخيه ان تبوءا لقومكما بمصر بيوتا تبوأ المكان اتخذه مباءة
كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا
يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه واجعلوا بيوتكم قبلة اي مساجد متوجهة نحو القبلة

وهي الكعبة وكان موسى ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا في اول امرهم مامورين بان يصلوا في
بيوتهم في خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم ويؤذوهم ويفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك
في اول الاسلام بمكة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين فان قلت كيف نوع الخطاب
ثني اولا ثم جمع ثم وحد اخرا قلت خوطب موسى وهارون عليهما السلام ان يتبوءا لقومهما
بيوتا ويختاراها وذلك مما يفوض الى الانبيا ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد
والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى صلوات الله عليه بالبشارة التي
هي الغرض تعظيما لها وللمبشر بها وقال موسى ربنا انك اتيت فرعون وملاه زينة واموالا في الحيوة
الدنيا الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او اثاث او غير ذلك وعن ابن عباس كانت لهم من
فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت فان
قلت ما معنى قوله ربنا ليضلوا عن سبيلك قلت هو دعا بلفظ الامر كقوله
ربنا اطمس على ابصارهم واشدد على قلوبهم وذلك انه لما عرض عليهم ايات الله وبيناته عرضا
مكررا ورد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم
عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين وراهم لا يزيدون على عرض الايات الا كفرا
وعلى الانذار الا استكبارا وعلى النصيحة الا نبوا ولم يبق مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة
انه لا يجي منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذي لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك
بوحي من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون
كما يقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد
عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم
يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على
قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم وما على منهم هم احق بذلك واحق كما يقول الاب
المشفق لولده الشاطر اذا لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه
لا انه يريد خلاعته واتباعه هواه ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها
الايمان فلا يؤمنوا جواب للدعاء الذي هو اشدد او دعاء بلفظ النهي وقد حملت اللام
في ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا في الضلال فكانهم اوتوها ليضلوا
وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم
دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه وقرا الفضل الرقاشي انك اتيت على الاستفهام
واطمس بضم الميم قال قد اجيبت دعوتكما وقرا دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهارون
يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاكما مستجاب وما طلبتما كائن
ولكن في وقته فاستقيما فاثبتا على ما انتما عليه من الدعوة والزيادة في الزام الحجة فقد لبث
نوح في قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلوا قال ابن جريج فمكث موسى بعد
الدعاء اربعين سنة ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون اي لا تتبعا طريق الجهلة
بعادة الله في تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا
كما قال لنوح عليه السلام اني اعظك ان تكون من الجاهلين وقرا ولا تتبعان بالنون
الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع
وجاوزنا ببني اسرائيل البحر وقرا الحسن وجوزنا من اجاز المكان وجاوزه وجوزه
وليس من جوز الذي في بيت الاعشى ❊ واذا تجوزها حبال قبيلة ❊ لانه لو كان منه
لكان حقه ان يقال وجوزنا بني اسرائيل في البحر كما قال ❊ كما جوز السكي في الباب فيتق
فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته وقرا الحسن
وعدوا حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل وانا من
المسلمين قرئ انه بالفتح على حذف الباء التي هي صلة الايمان وانه بالكسر على الاستيناف
بدلا من امنت كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات في ثلاث عبارات حرصا على

القبول

القبول ثم لم يقبل منه حيث اخطا وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة
كافية في حال الاختيار وعند بقاء التكليف الان وقد عصيت قبل اتؤمن الساعة في وقت الا منظار
حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق يعني حين اوشك ان
يغرق وقيل قاله بعد ان غرق في نفسه والذي يحكى انه حين قال امنت اخذ جبريل من حال
البحر فدسه في فيه فللغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما ما يضم اليه
من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما
ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر واحب
بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر وكنت من المفسدين من الضالين المضلين عن
الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
روي ان جبريل اتاه بفتيا ما قول الامير في عبد لرجل نشا في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه
وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج
على سيده الكافر نعماءه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه فاليوم ننجيك
ببدنك ننجيك بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك
بنجوة من الارض وقرئ ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق
بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور ببدنك في موضع الحال اي في الحال
التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا
لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معديكرب ❊ اعاذل شكتي بدني وسيفي ❊
وكل مقلص سلس القياد ❊ وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرا ابو حنيفة رضي الله عنه
بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا
باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها لتكون لمن خلفك اية لمن وراءك من الناس
علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شانا من ان يغرق وروي انهم
قالوا ما مات فرعون ولا يموت ابدا وقيل اخبرهم موسى عليه السلام بهلاكه فلم يصدقوا فالقاه
الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه على ممر بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل
لمن خلفك لمن ياتي بعدك من القرون ومعنى كونه اية ان يظهر للناس عبوديته ومهانته
وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك
ال امره الى ما ترون لعصيانه ربه فما الظن بغيره او لتكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا
يجترؤا على نحو ما اجترات عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله وقرئ لمن خلقك بالقاف
اي لتكون لخالقك اية كسائر اياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك
وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان
مثله لا يغرق ولا يموت اية من ايات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه
لاماطة الشبهة في امرك وان كثيرا من الناس عن اياتنا لغافلون ولقد بوانا بني اسرائيل مبوا
صدق منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا في دينهم
وما تشعبوا فيه شعبا الا من بعد ما جاءهم العلم الا من بعد ما قرؤا التوراة وكسبوا العلم
بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا ان الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل
هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم
في صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعدما جاءهم العلم والبيان انه هو لم يرتابوا فيه
كما قال الله تعالى الذين اتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم ان ربك يقضي بينهم فيما يوم القيمة
كانوا فيه يختلفون فان قلت كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كنت
في شك مما انزلنا اليك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب قلت
فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التاكيد والتحقيق
وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا

وقيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا فسئل الذين يقرءون الكتاب من قبلك والمعنى أن الله عز وجل قدم ذكر بني إسرائيل وهم قراء الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله مكتوب عندهم في التورية والإنجيل وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ويبالغ في ذلك فقال فإن وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين أن يسارع إلى حلها وإماطتها إما بالرجوع إلى قوانين الدين وأدلته وإما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني أنهم من الإحاطة بصحة ما أنزل إليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومسألتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل إلى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال لقد جاءك الحق من ربك أي ثبت عندك بالبراهين والآيات القاطعة أن ما أتاك هو الحق الذي لا مدخل فيه للمرية فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين أي فاثبت ودم على ما أنت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز أن يكون على طريقة التهييج والإلهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد إذ أنزلت إليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل أشهد أنه الحق وعن ابن عباس لا والله ما شك طرفة عين ولا سأل أحدا منهم وقيل خوطب رسول الله والمراد خطاب أمته ومعناه فإن كنتم في شك مما أنزلنا إليكم كقوله وأنزلنا إليكم نورا مبينا وقيل الخطاب لكل سامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب إذا عز أخوك فهن وقيل إن للنفي أي فما كنت في شك فسل يعني لا نأمرك بالسؤال لأنك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد إبراهيم عليه السلام بمعاينة إحياء الموتى وقرئ فسل الذين يقرءون الكتب إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم معنى حقت عليهم أي ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح وأخبر به الملائكة أنهم يموتون كفارا فلا يكون غيرهم وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك فلولا كانت فهلا كانت قرية واحدة من القرى التي أهلكناها تابت عن الكفر وأخلصت الإيمان قبل المعاينة ولم تؤخر كما أخر فرعون إلى أن أخذ بمخنقه فنفعها إيمانها بأن يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ أبي وعبد الله فهلا كا إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحيوة الدنيا ومتعناهم إلى حين إلا قوم يونس استثناء من القرى لأن المراد أهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز أن يكون متصلا والجملة في معنى كأنه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة إلا قوم يونس وانتصابه على أصل الاستثناء وقرئ بالرفع على البدل وروي عن الجرمي والكسائي روي أن يونس عليه السلام بعث إلى نينوى من أرض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه وخافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا أربعين ليلة وقيل قال لهم يونس أجلكم أربعين ليلة فقالوا إذا رأينا أسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون أغامت السماء غيما أسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتى يغشى مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا إلى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب وأولادها فحن بعضها إلى بعض وعلت الأصوات والعجيج وأظهروا الإيمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم أن ترادوا المظالم حتى إن الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليها أساس بنيانه فيرده وقيل خرجوا إلى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا يا حي حين لا حي ويا حي محيي الموتى ويا حي لا إله إلا أنت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت وأنت أعظم منها وأجل افعل بنا ما أنت أهله ولا تفعل بنا ما نحن أهله ولو شاء ربك مشيئة القسر والإلجاء لآمن من في الأرض كلهم على وجه الإحاطة والشمول جميعا مجتمعين على الإيمان مطبقين عليه لا يختلفون

ألا ترى في قوله أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين يعني إنما يقدر على إكراههم واضطرارهم إلى الإيمان هو لا أنت وإيلاء الاسم حرف الاستفهام للإعلام بأن الإكراه ممكن مقدور عليه وإنما الشأن في المكره من هو وما هو إلا هو وحده لا يشارك فيه لأنه هو القادر على أن يفعل في قلوبهم ما يضطرون عنده إلى الإيمان وذلك غير مستطاع للبشر وما كان لنفس يعني من النفوس التي علم أنها تؤمن أن تؤمن إلا بإذن الله أي بتسهيله وهو منح الألطاف ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون مقابل الإذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم إيمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمي فهم لا يعقلون وسمي الخذلان رجسا وهو العذاب لأنه سببه وقرئ بالزاي وقرئ ونجعل بالنون قل انظروا ماذا في السموات والأرض من الآيات والعبر وما تغني الآيات والنذر والرسل المنذرون والإنذارات عن قوم لا يؤمنون لا يتوقع إيمانهم وهم الذين لا يعقلون وقرئ وما يغني بالياء وما نافية أو استفهامية فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم أيام الذين خلوا من قبلهم ووقائع الله فيهم كما يقال أيام العرب لوقائعها قل فانتظروا إني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم كأنه قيل نهلك الأمم ثم ننجي رسلنا على حكاية الأحوال الماضية والذين آمنوا ومن آمن معهم كذلك حقا علينا ننج المؤمنين مثل ذلك الإنجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين وحقا علينا اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننجي بالتشديد قل يا أيها الناس يا أهل مكة إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله إن كنتم في شك من ديني وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الإنصاف لتعلموا أنه دين لا مدخل فيه للشك وهو أني لا أعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو إلهكم وخالقكم ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وإنما وصفه بالتوفي ليريهم أنه الحقيق بأن يخاف ويتقى فيعبد دون ما لا يقدر على شيء وأمرت أن أكون من المؤمنين يعني أن الله أمرني بذلك بما ركب في من العقل وبما أوحى إلي في كتابه وقيل معناه إن كنتم في شك من ديني ومما أنا عليه أأثبت عليه أم أتركه وأوافقكم فلا تحدثوا أنفسكم بالمحال ولا تشكوا في أمري واقطعوا عني أطماعكم واعلموا أني لا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولا أختار الضلالة على الهدى كقوله قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون وأمرت أن أكون أصله بأن أكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل أن يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع أن وأن وأن يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله أمرتك الخير فاصدع بما تؤمر فإن قلت عطف قوله وأن أقم وجهك للدين على أن أكون فيه إشكال لأن أن لا تخلو من أن تكون التي للعبارة أو التي تكون مع الفعل في تأويل المصدر فلا تصح أن تكون للعبارة وإن كان الأمر مما يتضمن معنى القول لأن عطفها على الموصولة يأبى ذلك والقول بكونها موصولة مثل الأولى لا يساعد عليه لفظ الأمر وهو أقم لأن الصلة حقها أن تكون جملة تحتمل الصدق والكذب قلت قد سوغ سيبويه أن توصل أن بالأمر والنهي وشبه ذلك بقولهم أنت الذي تفعل على الخطاب لأن الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والأمر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الأفعال أقم وجهك استقم إليه ولا تلتفت يمينا ولا شمالا وحنيفا حال من الدين أو من الوجه ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذا من الظالمين فإن فعلت معناه فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فكنى عنه بالفعل إيجازا فإنك إذا من الظالمين إذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كأن سائلا سأل عن تبعة عبادة الأوثان وجعل من الظالمين لأنه لا ظلم أعظم من الشرك إن الشرك لظلم عظيم وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله أتبع النهي عن عبادة الأوثان ووصفها بأنها لا تنفع ولا تضر أن الله عز وجل هو الضار النافع الذي إن أصابك بضر لا يقدر على كشفه إلا هو وحده دون كل أحد فكيف بالجماد الذي لا شعور به وكذا لو أرادك بخير لم يرد أحد ما يريده بك من فضله وإحسانه فكيف بالأوثان فهو الحقيق إذا بأن توجه إليه العبادة دونها وهو أبلغ من قوله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته فإن قلت لم ذكر المس في أحدهما والإرادة في الثاني قلت كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا الإرادة والإصابة في كل واحد من الضر والخير وأنه لا راد لما يريد منهما ولا

مزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الاخر ليدل
بما ذكر على ما ترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم
بالمراد بالمشية مشية المصلحة قل يا ايها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة
فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه فمن اهتدى
فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم
الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك وما
انا عليكم بوكيل بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير واتبع ما يوحى اليك
واصبر على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم حتى يحكم الله لك بالنصرة عليهم والغلبة وهو خير
الحاكمين وروي انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون
بعدي اثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني اني امرت في هذه الاية بالصبر على ما سامتني الكفرة
فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبر وروي ان ابا قتادة رضي الله عنه
تخلف عن تلقي معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه فقال له ما لك لم تتلقنا
قال لم تكن عندنا دواب قال واين النواضح قال قطعناها في طلبك وطلب ابيك يوم بدر وقد قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الانصار انكم ستلقون بعدي اثرة قال معاوية فماذا
قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذا نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

الا ابلغ معاوية بن حرب ۰ امير الظالمين نثا كلامي ۰
بانا صابرون فمنظروكم ۰ الى يوم التغابن والخصام ۰

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من
صدق بيونس وكذب به وبعدد من غرق مع فرعون سورة هود مكية وهي مائة
وثلاث وعشرون اية بسم الله الرحمن الرحيم الر كتاب احكمت اياته
نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا
بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اي جعلت حكيمة كقوله ايات الكتاب الحكيم وقيل
منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير
ابني حنيفة احكموا سفهاءكم ۰ اني اخاف عليكم ان اغضبا ۰ وعن قتادة احكمت من الباطل ثم فصلت كما
تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص او جعلت فصولا
سورة سورة واية اية او فرقت في التنزيل ولم تنزل جملة واحدة او فصل فيها ما يحتاج اليه العباد
اي بين ولخص وقرئ احكمت اياته ثم فصلت اي احكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك
ثم فصلت اي فرقت بين الحق والباطل فان قلت ما معنى ثم قلت ليس
معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال كما تقول هي محكمة احسن الاحكام ثم مفصلة احسن
التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف واحكمت صفة له وقوله
من لدن حكيم خبير صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون صلة لاحكمت وفصلت
اي من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى احكمها حكيم وفصلها اي بينها وشرحها
خبير عالم بكيفيات الامور ان لا تعبدوا مفعول له على معنى لان لا تعبدوا او تكون ان مفسرة
لان في تفصيل الايات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله او امركم ان لا تعبدوا الا
الله انني لكم منه نذير وبشير وان استغفروا ربكم اي امركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون
كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة
ويدل عليه قوله انني لكم منه نذير وبشير كانه قال ترك عبادة غير الله انني لكم منه نذير كقوله
تعالى فضرب الرقاب والضمير في منه لله عز وجل اي انني لكم نذير وبشير من جهته كقوله
رسول من الله او هي صلة لنذير اي انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وابشركم بثوابه ان امنتم
فان قلت ما معنى ثم في قوله ثم توبوا اليه قلت معناه استغفروا من الشرك
ثم ارجعوا اليه بالطاعة او استغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها

كقوله ثم استقاموا يمتعكم متاعا حسنا يطول نفعكم في الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة
ونعمة متتابعة الى اجل مسمى الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حيوة طيبة ويؤت كل ذي فضل
فضله ويعط في الاخرة كل من كان له فضل في العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه او فضله
في الثواب والدرجات تتفاضل في الجنة على قدر تفاضل الطاعات وان تولوا وان تتولوا
فاني اخاف عليكم عذاب يوم كبير هو يوم القيمة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل وبين
عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء بقوله الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير
فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرئ وان تولوا من ولي الا انهم يثنون صدورهم
يزورون عن الحق وينحرفون عنه لان من اقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه
وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه ليستخفوا منه يعني ويريدون ليستخفوا من الله فلا
يطلع رسوله والمؤمنين على ازورارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار في
قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى الا حين يستغشون
ثيابهم ويريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم كراهة لاستماع كلام الله كقول نوح عليه السلام
جعلوا اصابعهم في اذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم ما يسرون وما يعلنون يعني انه
لا تفاوت في علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع
على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم ونفاقهم غير نافق عنده انه عليم بذات الصدور روي
انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث
وكان يعجب رسول الله مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت في المنافقين
وقرئ يثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة
قرئ بالياء والتاء وعن ابن عباس لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن
وهو ما هش وضعف من الكلا يريد مطاوعة صدورهم للثني كما يثني الهش من النبات او اراد
ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنان افعال منه ثم همز كما قيل ابياضت
وادهامت وقرئ تثنوي بوزن ترعوي فان قلت كيف قال وما من دابة في الارض الا على الله
رزقها بلفظ الوجوب وانما هو تفضل قلت هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به
عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد ويعلم مستقرها ومستودعها والمستقر مكانه من الارض
ومسكنه والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب او رحم او بيضة كل كل واحد من
الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها في كتاب مبين في اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين
وهو الذي خلق السموات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء اي ما كان تحته خلق قبل
خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين
قبل السموات والارض وقيل كان الماء على متن الرياح والله اعلم بذلك وكيف ما كان
فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه ليبلوكم متعلق بخلق
اي خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم ويكلفهم
الطاعات واجتناب المعاصي فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصى عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار
المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلي لاحوالكم كيف تعملون فان قلت
وكيف جاز تعليق فعل البلوى قلت لما في الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه
فهو ملابس له كما تقول انظر ايهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من
طرق العلم فان قلت كيف قيل ايكم احسن عملا واعمال المؤمنين هي التي تتفاوت
الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتهما الى حسن وقبيح قلت
الذين هم احسن عملا المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم
بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين
وترغيبا في حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع
عن محارم الله واسرع في طاعة الله ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت وقرئ قلت انكم بفتح

الهمزة ووجه ان يكون من قولهم ابت السوق عنك تشتري لحما اي اعني على نشتري ولئن قلت
لهم انكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين لا ثبتوا
القول بانكاره ولقالوا ان هذا الا سحر مبين يابثن القول ببطلانه ويجوز ان يضمن قلت معنى
ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر ان السحر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له
به او اشاروا بهذا الى القران لان القران هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته
انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل
ولئن اخرنا عنهم العذاب عذاب الاخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين
الى امة معدودة الى جماعة من الاوقات ليقولن ما يحبسه ما يمنعه من النزول استعجالا له على
وجه التكذيب والاستهزاء الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم ويوم منصوب بخبر ليس
ويستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم معمول
خبرها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الا حيث يقع العامل
وحاق بهم واحاط بهم ما كانوا به يستهزءون العذاب الذي كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزءون
موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة
الله في اخباره ولئن اذقنا الانسان الانسان للجنس منا رحمة نعمة من صحة وامن وجدة
ثم نزعناها منه ثم سلبناه تلك النعمة انه ليؤس شديد الياس من ان يعود اليه مثل تلك
النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع
كفور عظيم الكفران لما سلف له من التقلب في نعمة الله نساء له ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء
مسته ليقولن ذهب السيئات عني اي المصائب التي ساءتني انه لفرح اشر بطر فخور على الناس
بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر الا الذين صبروا وعملوا الصالحات
الا الذين امنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا اولئك
لهم مغفرة واجر كبير كانوا يقترحون عليه ايات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين
لكانت اية واحدة مما جاء به كافية في رشادهم ومن اقتراحهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك
وكانوا لا يعتدون بالقران ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول
الله ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحرك الله منه وهيجه لاداء الرسالة
وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك
لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به وضائق به صدرك
بان تتلوه عليهم ان يقولوا مخافة ان يقولوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك اي هلا انزل
عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم ينزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال انما انت
نذير اي ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا
او تهاونوا او اقترحوا والله على كل شيء وكيل يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل
فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحي بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى
استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم فان قلت لم عدل عن ضيق الى ضائق
قلت ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله كان افسح الناس صدرا
ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث
قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين في بعض القراءات وقول السمهري العكلي بمنزلة
اما اللئيم فسامن بها وكرام الناس باد شحوبها
ام يقولون افتراه قل فاتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين
ام منقطعة والضمير في افتراه لما يوحى اليك تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول
المخاير في الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه
قال له قد اقتصرت منك على سطر واحد مثله بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها
له مفتريات صفة لعشر سور لما قالوا له افتريت القران واختلقته من عند نفسك وليس

عندالله

عند الله فادهم على دعواهم وارخى معهم العنان وقال هبوا اني اختلقته من عند نفسي ولم يوح
الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء
مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام فان قلت كيف يكون ما ياتون به مثله
وما ياتون به مفترى وهذا غير مفترى قلت معناه مثله في حسن النظم والبيان
وان كان مفترى فان قلت ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله فان لم يستجيبوا لكم
فاعلموا بعد قوله قل قلت معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله والمؤمنين
كانوا يتحدونهم وقد قال في موضع اخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم
رسول الله كقوله فان شئت حرمت النساء سواكم ووجه اخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين
والضمير في لم يستجيبوا لمن استطعتم يعني فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة
على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه فاعلموا انما انزل بعلم الله
اي انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه وان
لا اله الا هو واعلموا عند ذلك ان لا اله الا الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم
عظيم فهل انتم مسلمون مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن
مطرد ومن جعل الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا
وثبات قدم على انه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل انتم مسلمون فهل انتم مخلصون
من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون نوف اليهم نوصل
اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق
وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل
الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقد قيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرئ فقد
قيل وعن انس بن مالك هم اليهود والنصارى ان اعطوا سائلا او وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك
بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله
فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالتاء
على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله
يقول لا غائب مالي اولئك الذين ليس لهم في الاخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وحبط في
الاخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الاخرة انما ارادوا به
الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا وباطل ما كانوا يعملون اي كان عملهم في نفسه باطلا لانه لم
يعمل لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب
وفيه وجهان ان يكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اي باطل كانوا يعملون
وان يكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون افمن كان على بينة من ربه معناه امن
كان يريد الحيوة الدنيا كمن كان على بينة اي لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين
الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من امن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره
كان على بينة من ربه اي على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل ويتلوه
ويتبع ذلك البرهان شاهد منه اي شاهد يشهد بصحته وهو القران منه من الله او شاهد
من القران فقد تقدم ذكره انفا ومن قبله ومن قبل القران كتاب موسى وهو التوراة اي ويتلو
ذلك البرهان ايضا من قبل القران كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على
بينة من ربه وهو الدليل على ان القران حق ويتلوه ويقرأ القران شاهد منه شاهد ممن كان
على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده
علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلوه من قبل التوراة القران اماما كتابا مؤتما به في الدين
قدوة فيه ورحمة ونعمة عظيمة على المنزل عليهم اولئك يعني من كان على بينة يؤمنون به يؤمنون
بالقران ومن يكفر به من الاحزاب يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله فالنار
موعده فلا تك في مرية منه وقرئ مرية بالضم وهما الشك منه من القران او من الموعد

انه الحق من ربك ولكن اكثر الناس لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا اولئك يعرضون على ربهم
يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم وتشهد
عليهم الاشهاد من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال
الا لعنة الله على الظالمين فوا خزياه وا فضيحتاه والاشهاد جمع شاهد وشهيد كاصحاب
واشراف الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او
يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد وهم بالآخرة هم كافرون وهم الثانية للتاكيد كفرهم بالآخرة
واختصاصهم به اولئك لم يكونوا معجزين في الارض اي ما كانوا يعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم
لو اراد عقابهم وما كان لهم من دون الله من اولياء وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم
من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد يضاعف
لهم العذاب وقرئ يضعف ما كانوا يستطيعون السمع اراد انهم لفرط تصامهم عن استماع الحق
وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيرعرع به
على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون في كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه
وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا الهتهم اولياء من دون
الله وولايتها ليست بشيء فما كان لهم في الحقيقة من اولياء ثم بين نفي كونهم اولياء بقوله ما كانوا
يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض
بوعيد اولئك الذين خسروا انفسهم وضل عنهم اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان
خسرانهم في تجارتهم ما لا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم وضل عنهم وبطل
عنهم وضاع ما اشتروه ما كانوا يفترون من الالهة وشفاعتها لا جرم فسر في مكان آخر انهم في
الآخرة هم الاخسرون لا ترى احدا ابين خسرانا منهم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى
ربهم واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة
ومنه قولهم للشيء الدني الخبيت قال ينفع الطيب القليل من الرزق ولا ينفع الكثير الخبيت
وقيل التائه بدل من الثاء اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم
والبصير والسميع شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو
من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب
الطير بالحشف والعناب وان يشبه بالذي جمع بين العمى والصمم او الذي جمع بين البصر والسمع
على ان تكون الواو في الاصم وفي السميع لعطف الصفة على الصفة كقوله الصابح والغانم فالآيب
هل يستويان الفريقان مثلا تشبيها افلا تذكرون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه اني لكم
نذير مبين اي ارسلناه بانى لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله اني لكم
نذير مبين بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح في كان والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد
وقرئ بالكسر على ارادة القول ان لا تعبدوا الا الله اني اخاف عليكم عذاب يوم اليم ان لا تعبدوا
بدل من اني لكم نذير اي ارسلناه بان لا تعبدوا الا الله او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا
او بنذير ووصف اليوم باليم من الاسناد المجازي لوقوع الالم فيه فان قلت فاذا وصف
به العذاب قلت مجازي مثله لان الاليم في الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك
صائم وجد جده قال الملأ الذين كفروا من قومه الملأ الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان
مطيقا له وقد ملؤا بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤن
اي يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس بهاء او لانهم ملاء بالاحلام
والآراء الصائبة ما نراك الا بشرا مثلنا تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها
في احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملا وموازن لهم في المنزلة فما جعلك احق
منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا انه كان ينبغي ان يكون ملكا لا بشرا
وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا والاراذل جمع الارذل كقوله اكابر مجرميها احاسنكم اخلاقا قا
وقرئ بادي الراي بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الراي او ظاهر الراي وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث

اراذلنا

او اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما
هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتاخرهم في الاسباب الدنيوية
لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى
اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد زل عنهم ان التقدم
في الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار
للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء بعثوا مرغبين في طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها
مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما ابعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما
هو ضعة عند الله وما نرى لكم علينا من فضل من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة بل نظنكم كاذبين
فيما تدعونه قال يا قوم ارايتم اخبروني ان كنت على بينة على برهان من ربي وشاهد منه يشهد بصحة
دعواي واتاني رحمة من عنده بايتاء البينة على ان البينة في نفسها هي الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة
النبوة فان قلت فقوله فعميت عليكم ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثاني
وحقه ان يقال فعميتا قلت الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار
على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى اخفيت وفي قراءة ابي فعماها عليكم فان
قلت فما حقيقته قلت حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت
عمياء لان الاعمى لا يهتدي ولا يهدي غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم
دليلهم في المفازة بقوا بغير هاد فان قلت ما معنى قراءة ابي قلت
المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه
والدليل عليه قوله انلزمكموها وانتم لها كارهون يعني انكرهكم على قبولها ونقسركم
على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه في الدين وقد جيء بضميري المفعولين
متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثاني منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم
الله ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن
الا خلسة خفيفة فظنها الراوي سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه
وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر والضمير
في قوله ويا قوم لا اسالكم عليه مالا راجع الى قوله اني لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله
ان اجري الا على الذي فطرني وما انا بطارد الذين آمنوا وقرئ وما انا بطارد الذين
آمنوا بالتنوين على الاصل فان قلت ما معنى قوله انهم ملاقوا ربهم قلت
معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما في قلوبهم من ايمان
صحيح ثابت كما ظهر لي منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تعرفونهم به من بناء
ايمانهم على بادي الراي من غير نظر وتفكر وما علي ان اشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم
حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او هم
مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة ولكني اراكم قوما تجهلون
تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا او تجهلون لقاء
ربكم او تجهلون انهم خير منكم ويا قوم من ينصرني من الله من يمنعني من انتقامه ان طردتهم
افلا تذكرون وكانوا يسالونه ان يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء
ولا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب اعلم الغيب معطوف على عندي خزائن الله — ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندي خزائن الله ع
فادعي فضلا عليكم في الغنى حتى تجحدوا فضلي بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا
ادعي علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما في نفوس اتباعي وضمائر
قلوبهم ولا اقول اني ملك حتى تقولوا لي ما انت الا بشر مثلنا ولا اقول للذين تزدري
اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله لن يؤتيهم خيرا
في الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم الله اعلم بما في
انفسهم اني اذا لمن الظالمين ان قلت شيئا من ذلك والازدراء افتعال من زرى عليه

اذا اعياه واذري به تصريفه يقال اذريته عينه واقتحمته عينه قالوا يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا جادلتنا فاكثرت معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب فاتنا بما تعدنا من العذاب المعجل ان كنت من الصادقين قال انما ياتيكم به الله اي ليس الاتيان بالعذاب الي انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه ان شاء يعني ان اقتضت حكمته ان يعجله لكم وقرا ابن عباس فاكثرت جدلنا وما انتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم واليه ترجعون فان قلت ما وجه ترادف هذين الشرطين قلت قوله ان كان الله يريد ان يغويكم جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الي احسنت اليك ان امكنني فان قلت فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم قلت اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل ان يغويكم ان يهلككم من غوى الفصيل اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر الطافه كيف ينفعكم نصحي ام يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي واجرامي بلفظ الجمع والمصدر لقوله تعالى والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال وينصر الجمع ان فسره الاولون باثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتالبوا علي وانا بريء يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى مما تجرمون من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم

واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع الا من قد آمن الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فلا تحزن حزن بائس مستكين قال

ما يقسم الله اقبل غير مبتئس منه واقعد كريما ناعم البال

والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم واصنع الفلك باعيننا في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله احد من اعدائه ووحينا وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحى الله اليه ان يصنعها مثل جؤجؤ الطائر ولا تخاطبني في الذين ظلموا ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك انهم مغرقون انهم محكوم عليهم بالاغراق قد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ويصنع الفلك حكاية حال ماضية وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية بهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم يعني في المستقبل كما تسخرون منا الساعة اي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم اولى بالاستجهال منا او ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروي ان نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسين ذراعا وطولها في السماء ثلاثين ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك فقال اتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله اعلم قال هذا كعب بن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن راسه وقد شاب فقال له عيسى هكذا هلكت قال مت وانا شاب ولكنني ظننت انها الساعة فمن ثم شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه من ياتيه في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي ياتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق ويحل عليه حلول الدين والحق اللازم الذي لا انفكاك له عنه عذاب مقيم وهو عذاب الآخرة حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الا من سبق عليه القول ومن آمن حتى هي التي يبتدا بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء فان قلت وقعت غاية لماذا قلت لقوله ويصنع الفلك اي وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد فان قلت فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام قلت هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه فان قلت فما جواب كلما قلت انت بين الامرين اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملا وقال جوابا واهلك عطف على اثنين وكذلك ومن آمن يعني واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم واستثنى من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامراته وما آمن معه الا قليل وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد بن اسحاق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسى للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكاني الاجراء والارساء وانتصابهما بما في بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة اي بسم الله اجراؤها وارساؤها روي انه كان اذا اراد ان تجري قال بسم الله فجرت واذا اراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اي بقدرته وامره وقرئ مجريها ومرسيها بفتح الميم من جرى ورسا اما مصدرين او وقتين او مكانين وقرا مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله فان قلت ما معنى قولك جملة مقتضبة قلت معناه ان نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره نسخة ويحتمل ان تكون غير مقتضبة بان تكون في موضع الحال كقوله وجاءنا بهم سكر علينا فلا تكون كلاما براسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله فادخلوها خالدين ان ربي لغفور رحيم لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما انجاكم فان قلت بم اتصل قوله وهي تجري بهم قلت بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجري بهم اي تجري وهم فيها في موج كالجبال يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل في تراكمها وارتفاعها فان قلت الموج ما يرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجري في جوف الماء كما تسبح

السمكة فما معنى جريها في الموج قلت كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال الا ترى
الى قول ابنه ساوي الى جبل يعصمني من الماء في قوله ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا
ولا تكن مع الكافرين قال ساوي الى جبل يعصمني من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام
وقرا علي رضي الله عنه ابنها والضمير لامراته وقرا محمد بن علي وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريد
ان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سالته فقال والله
ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابني من اهلي وانت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون
في انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من اهل الكتاب واستدل بقوله من اهلي ولم يقل مني ولنسبته
الى امه وجهان ان يكون ربيبا له كعمر بن ابي سلمة لرسول الله وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة
عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرا السدي ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اي احداهما
قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعني وكان في مكان عزل فيه نفسه
عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان في معزل عن دين ابيه يا بني قرئ بكسر الياء اقتصارا
عليه من ياء الاضافة وبالفتح عليه من الالف المبدلة من ياء الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت
الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة قال لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم
الا الراحم وهو الله او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين
وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال
له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله
ونجاهم يعني السفينة وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو
المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول وحال
بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي نادى الارض والسماء بما ينادى
به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو
قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة
على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها
ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلالته وثوابه وعقابه
وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون
من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم
امره كان المامور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء والبلع عبارة عن النشف والاقلاع الامساك
يقال اقلع المطر واقلعت الحمى وغيض الماء من غاضه اذا نقصه وقضي الامر وانجز ما وعد
الله نوحا من هلاك قومه واستوت واستقرت السفينة على الجودي وهو جبل بالموصل
وقيل بعدا للقوم الظالمين يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث
الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول
للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين
مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في فعله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض
ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي
وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه
الآية ورقصوا لها رؤوسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي
الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن
قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت
بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا
وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا عليه السلام صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا
شكرا لله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده
من اقتضاء وعده في تنجية اهله فان قلت فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف

فقال رب على نادى بالفاء قلت اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء
قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء ان ابني من اهلي اي بعض اهلي لانه كان ابنه
من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله وان وعدك الحق وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت
الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي وانت احكم
الحاكمين اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في
الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضى القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر
واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من
الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل قال يا نوح انه عمل غير صالح تعليل لانتفاء كونه من
اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك
من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن
على دينك وان كان امس اقاربك رحما فهو ابعد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح
مبالغة في ذمه كقولها فانما هي اقبال وادبار وقيل الضمير لنداء نوح عليه السلام اي ان نداءك
هذا عمل غير صالح وليس بذاك فان قلت فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه
عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقى معها لفظ المنفي واذن بذلك انه انما انجى من
انجى من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه
ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ
عمل غير صالح اي عمل عملا غير صالح وقرئ فلا تسئلني بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون
الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم اصواب هو ام غير صواب
حتى تقف على كنهه وذكر المسئلة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه
فان قلت لم سمي نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه قلت قد تضمن دعاؤه
معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق
فقد استنجز وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى
امثاله من افعال الجاهلين فان قلت قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان
ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف
الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة
الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا قلت ان الله عز وعلا قدم له الوعد
بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو
مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف
ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب على ان اشتبه عليه ما يجب ان
لا يشتبه قال رب اني اعوذ بك ان اسالك ما ليس لي به علم من ان اطلب منك في المستقبل
ما لا علم لي بصحته تاديبا بادبك واتعاظا بموعظتك والا تغفر لي ما فرط مني من ذلك وترحمني
بالتوبة علي اكن من الخاسرين اعمالا قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك
وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء بسلام منا مسلما محفوظا من
جهتنا او مسلما عليك مكرما وبركات عليك ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ
وبركة عليك على التوحيد وعلى امم ممن معك يحتمل ان يكون من للبيان فتراد الامم
الذين كانوا معه في السفينة لانهم كانوا جماعات او قيل لهم امم لان الامم تتشعب
منهم وان تكون لابتداء الغاية اي على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه
وقوله وامم رفع بالابتداء وسنمتعهم صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم
وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين
ينشأون ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام
ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه في السفينة وعن محمد بن كعب القرظي

وقيل في ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما بعده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد
هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود
وصالح ولوط وشعيب تلك اشارة الى قصة نوح ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار من
انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا اي تلك القصة بعض انباء الغيب
موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك من قبل هذا من قبل ايحاي اليك واخبارك بها او من قبل
هذا العلم الذي كسبته بالوحي او من قبل هذا الوقت فاصبر على تبليغ الرسالة واذى
قومك كما صبر نوح وتوقع في العاقبة لك ولمن كذبك نحو ما قيض لنوح ولقومه ان العاقبة
في الفوز والنصر والغلبة للمتقين وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم
ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لا يعرف هذا عبد الله
ولا اهل بلده والى عاد اخاهم واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا وهودا عطف
بيان قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ بالجر صفة على
اللفظ ان انتم الا مفترون تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء يا قوم لا اسألكم
عليه اجرا ان اجري الا على الذي فطرني ما من رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شانهم النصيحة
والنصيحة لا يمحضها ولا يمحصها الا حسم المطامع وما دام يتوهم شيء منها لم تنجح ولم تنفع افلا تعقلون
اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك ويا قوم
استغفروا ربكم قيل استغفروا ربكم امنوا به ثم توبوا اليه من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان يرسل
السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم المدرار الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم
فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا
احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والباس والنجدة مستحرزين بها من العدو
مهيبين في كل ناحية وقيل اراد القوة في المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين
وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن علي انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل
ذو مال ولا يولد لي فعلمني شيئا لعل الله يرزقني ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار
حتى ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال
ذلك فوفد وفدة اخرى فساله الرجل فقال الم تسمع قول هود ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح ويمددكم
باموال وبنين ولا تتولوا ولا تعرضوا عني وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه مجرمين مصرين على اجرامكم واثامكم
قالوا يا هود ما جئتنا ببينة كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه اية من ربه
مع فوت اياته الحصر وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك حال من الضمير في تاركي آلهتنا كانه قيل وما نترك
آلهتنا صادرين عن قولك وما نحن لك بمؤمنين وما يصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما تدعوهم اليه اقناطا
له من الاجابة ان نقول الا اعتراك اعتراك مفعول نقول والمعنى ما نقول الا قولنا اعتراك
بعض آلهتنا بسوء اي خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها
على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من اوليك
ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عاد اعلام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم
من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب عن ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم
معه على عشر مما كانوا عليه في ايام الجاهلية من الموادة وما ذاك الا لان عرقة الالحاد الى الان ينبض
وضبة الزندقة اراد ان يطلع راسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ
الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل
مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون
الثواب قال اني اشهد الله واشهدوا اني بريء مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون
من اعظم الايات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد امة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك
لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الي
ولا تنظرون اكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة

العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا ويقول لقومه كونوا شهداء على اني لا افعله فان
قلت هلا قيل اني اشهد الله واشهدكم قلت لان اشهاد الله على البراءة من الشرك
اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم
ودلالة على قلة مبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر
بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد علي اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله
مما تشركون من دونه من اشراككم آلهة من دونه اي انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء
ولم ينزل بذلك سلطانا فكيدوني جميعا انتم وآلهتكم اعجل ما تفعلون من غير انظار فاني لا ابالي
بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما
هي الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني
وتذهب بعقلي اني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها لما ذكر توكله على الله
وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن
كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك ان ربي على
صراط مستقيم يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم
به فان تولوا فان تتولوا فقد ابلغتكم ما ارسلت به اليكم فان قلت الابلاغ كان
قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فان تتولوا لم اعاتب على تفريط في الابلاغ
وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول ويستخلف
ربي قوما غيركم كلام مستانف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في
دياركم واموالكم ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع
وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد
ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم ان ربي على كل
شيء حفيظ اي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مواخذتكم او من كان رقيبا على
الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ولما جاء امرنا نجينا
هودا والذين آمنوا معه قيل كانوا اربعة آلاف برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ فان قلت
ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ
وذلك ان الله عز وعلا بعث عليهم السموم فكانت تدخل في انوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا
عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد وقوله برحمة
منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له وتلك عاد اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه
قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استانف وصف احوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم
وعصوا رسله لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله وقيل
لم يرسل اليهم الا هود وحده واتبعوا امر كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب
الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة الا ان عادا كفروا
ربهم الا بعدا لعاد قوم هود ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم
على وجوههم في عذاب الله والا وتكريرها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث
على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فان قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به
عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله اخوتي لا تبعدوا ابدا
وبلى والله قد بعدوا قوم هود عطف بيان لعاد فان قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل
بدونه قلت الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه
من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم والى ثمود
اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشاكم من الارض واستعمركم فيها هو انشاكم من الارض
لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب واستعمركم وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى
واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا

فسال نبي من انبيا بني اسرايل زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحي الله اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن
معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احيا الارض في اواخر امره فقيل له فقال حملني عليه الا قول القايل
ليس الفتى بفتى لا يستضا به ولا يكون له في الارض اثار وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من
البقا وقد جعل من العمري وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقوله استهلكه في معنى
اهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضا اعماركم والثاني ان يكون
بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره
ثم يتركها لغيره فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب داني الرحمة سهل المطلب مجيب لمن دعاه وساله
قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا اتنهانا ان نعبد ما يعبد اباونا فيما بيننا رجوا كانت تلوح
فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في
التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاونا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا
نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه يعبد اباونا حكاية حال ماضية
وانا لفي شك مما تدعونا اليه مريب مريب من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفا الطمانينة
باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي
واتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته قيل ان كنت على بينة من حرف الشك وكان على يقين
انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان
تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله فما تزيدونني اذن حينئذ غير تخسير يعني
تخسرون اعمالي وتبطلونها اي فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران
واقول لكم انكم خاسرون ويا قوم هذه ناقة الله لكم اية اية نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة
من معنى الفعل فان قلت فبم يتعلق لكم قلت باية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت
صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال فذروها تاكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب عاجل
لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم فعقروها فقال تمتعوا استمتعوا بالعيش
في داركم في بلدكم ثلاثة ايام وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب
الذين حوالي مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعا
وهلكوا يوم السبت ذلك وعد غير مكذوب غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرايه مجرى المفعول
به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للموعد نفي بك فاذا وفي به فقد
صدق ولم يكذب او وعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى
الصدق فلما جا امرنا نجينا صالحا والذين امنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ قري يومئذ بفتح الميم
لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله على حين عاتبت المشيب فان قلت علام عطف قلت على
نجينا لان تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ اي من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان
هلاكه بغضب الله ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الاخرة ان
ربك هو القوي العزيز واخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا ان ثمودا
كفروا ربهم الا بعدا لثمود قري الا ان ثمود ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او
الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة ولقد جات رسلنا ابراهيم يريد الملايكة عن ابن عباس
جا جبريل وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر بالبشرى
هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد قالوا سلاما سلمنا عليكم سلاما قال سلام امركم
سلام وقري فقالوا سلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت
كما اكتل بالبرق الغمام اللوايح فما لبث ان جا بعجل فما لبث في المجي به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه والعجل ولد
البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة اهل السراة وكان مال ابراهيم البقر حنيذ مشوي بالرضف في
اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليها الجل حتى يقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين
فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط يقال نكره وانكره
واستنكره ومنكور قليل في كلامهم وكذلك انا انكرتك وبك منكر وستنكر وانكرك وقال الاعشى

وانكرتني

وانكرتني وما كان الذي نكرت من الحوادث الا الشيب والصلعا قيل كان ينزل في طرف من الارض فخاف ان
يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم اذا مس من يطرقهم طعامهم امنوه والا خافوه والظاهر انه احس
بانهم ملايكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف
انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا فاوجس فاضمر وانما قالوا لا تخف لانهم راوا
اثر الخوف والتغير في وجهه وعرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملايكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون
الا بعذاب وامراته قايمة وقيل كانت قايمة ورا الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قايمة على رووسهم تخدمهم
وفي مصحف عبد الله وامراته قايمة وهو قاعد فضحكت سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبايث او كان ضحكها
ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن اخيك اليك فاني اعلم انه
ينزل بهولا القوم عذاب فضحكت سرورا لما اتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرا محمد بن زياد
الاعرابي فضحكت بفتح الحا يعقوب رفع بالابتدا كانه قيل ومن ورا اسحق يعقوب مولود او موجود اي من   فبشرناها باسحق ومن ورا اسحق يعقوب
بعده وقيل الورا ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له اهذا ابنك فقال نعم من الورا وكان ولد ولده
وقري يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا له اسحق ومن ورا اسحق يعقوب على طريقة قوله
ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب قالت يا ويلتي االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا الالف في يا ويلتي مبدلة
من يا الاضافة وكذلك في يا لهفي ويا عجبا وقرا الحسن يا ويلتي بالياء على الاصل وشيخا نصب بما دل عليه   من ههنا بدات بتصحيح هذه النسخة باعتنا ... محمد كليم
اسم الاشارة وقري شيخ على انه خبر مبتدا محذوف اي هذا بعلي هو شيخ او بعلي بدل من المبتدا وشيخ خبر او
يكونا معا خبرين قيل بشرت ولها ثمان وتسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون ان هذا لشيء عجيب
ان يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التي اجراها الله قالوا اتعجبين من امر الله وانما انكرت
عليها الملايكة تعجبها فقالوا اتعجبين من امر الله لانها كانت في بيت الايات ومهبط المعجزات والامور الخارقة
للعادات فكان عليها ان تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النسا الناشيات في غير بيوت النبوة وان تسبح الله
وتمجده مكان التعجب والى ذلك اشارت الملايكة صلوات الله عليهم في قولهم رحمت الله وبركاته عليكم اهل
البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا اهل بيت النبوة فليست
بمكان عجب وامر الله قدرته وحكمته وقوله رحمة الله وبركاته كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل   عليكم صح
اياك والتعجب فان امثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط
من بني اسرايل لان الانبيا منهم وكلهم من ولد ابراهيم انه حميد مجيد فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده
مجيد كريم كثير الاحسان اليهم واهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان اهل البيت مدح
لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاته البشرى يجادلنا في قوم لوط الروع
ما اوجس من الخيفة حين نكر اضيافه والمعنى انه لما اطمان قلبه بعد الخوف وملي سرورا بسبب البشرى بدل
الغم فرغ للمجادلة فان قلت اين جواب لما قلت هو محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا
به واجمعوا وقوله يجادلنا كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترا على خطابنا او فطن لمجادلتنا
او قال كيت وكيت ثم ابتدا فقال يجادلنا في قوم لوط وقيل يجادلنا هو جواب لما وانما جي به مضارعا
لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه
اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية
فقال ارايتم لو كان فيها خمسون رجلا من المسلمين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون
قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارايتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا
نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله في قوم لوط في معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون
رفع عنهم العذاب وعن قتادة ما قوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة الاف الف انسان
ان ابراهيم لحليم غير عجول على كل من اسا اليه اواه كثير التاوه من الذنوب منيب تايب راجع الى
الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة   والرافة صح
فيهم رجا ان يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه يا ابراهيم   يحدثون صح
على ارادة القول اي قالت له الملايكة اعرض عن هذا الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فايدة
فيه انه قد جا امر ربك وهو قضاوه وحكمه الذي لا يصدر الا عن صواب وحكمة وانهم اتيهم عذاب غير مردود

والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعا ولا غير ذلك ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم
وضاق بهم ذرعا كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز
عن مقاومتهم ومدافعتهم وروي ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم اربع شهادات فلما مشى
معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية
عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها
وقال هذا يوم عصيب يقال يوم عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده وجاءه قومه
يهرعون يسرعون اليه كانما يدفعون دفعا ومن قبل كانوا يعملون السيئات ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون
الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاءوا يهرعون مجاهرين لا يكفهم
حيا وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم في عمل الفواحش قبل ذلك قال يا قوم هؤلاء بناتي هن اطهر
لكم اراد ان يقي اضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتي فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من
الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابي لهب وابي العاص بن وائل
قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان يزوجهما ابنتيه وقرا ابن مروان هن
اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال الحسن ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرا هن
اطهر لكم فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله
هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كانه قيل خذوا هؤلاء وبناتي بدل ويعمل هذا المضمر في الحال
وهن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزئي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد
خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدا وبناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك
هذا اخي هو ويكون اطهر حالا فاتقوا الله بايثارهن عليهم ولا تخزون في ولا تهينوني ولا تفضحوني
من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء في ضيفي في حق ضيوفي فانه اذا خزي ضيف الرجل او
جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة اليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا
في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء وقرئ
ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه
مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر
واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه وبينهم ومن ثم قالوا لقد علمت مستشهدين بعلمه
ما لنا في بناتك من حق لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران
مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا
في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على
وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة لتعلم ما نريد عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة جواب
لو محذوف كقوله ولو ان قرانا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال ما لي
به قوة وما لي به طاقة ونحوه لا قبل لكم بها وما لي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به
والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي
العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال
النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان ياوي الى ركن شديد وقرئ او اوي بالنصب باضمار ان
كانه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها للبس عباءة وتقر عيني وقرئ الى ركن بضمتين قالوا يا لوط
انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها
ما اصابهم ان موعدهم الصبح اليس الصبح بقريب وروي انه اغلق بابه حين جاءوا وجعل يرادهم على ما حكى
الله عنهم ويجادلهم فتسوروا الجدار فلما رات الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد
انا رسل ربك لن يصلوا اليك فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستاذن جبريل ربه في عقوبتهم
فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق
الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله عز وجل فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون
الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها

Margin: ٢ بالنصب صح
Margin: ٣ مبتدا صح

لانهم كانوا

لانهم كانوا رسل الله لن يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره فاسر قرئ فاسر بالقطع والوصل والا امرأتك بالرفع
والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا اليس الصبح بقريب
وقرئ الصبح بضمتين فان قلت ما وجه قراءة من قرا الا امرأتك بالنصب قلت استثناها
من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب
عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرا بالرفع فابدلها عن
احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت
هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها
اليهم فلم يسر بها واختلاف الروايتين فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها جعل جبريل جناحه في اسفلها — ٧ القرائتين لاختلاف صح
ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من
فوقهم وامطرنا عليهم حجارة من سجيل قيل هي كلمة معربة من سنك كل بدليل قوله حجارة من طين وقيل من
اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب
به من السجل وسجل لفلان منضود نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض
متتابعا مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد مسومة معلمة للعذاب وعن الحسن كانت معلمة
ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من
يرمى به وما هي من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال
جبريل فقال يعني ظالمي امتك ما من ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل
الضمير للقرى اي هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم ببعيد بشيء بعيد ويجوز ان يراد وما
هي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا
بالمرمى فكانها بمكان قريب منه والى مدين اخاهم شعيبا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا
المكيال والميزان اني اراكم بخير يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها
ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوا عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون يا قوم لكم الملك
اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا واني اخاف عليكم عذاب يوم محيط مهلك من قوله
واحيط بثمره واصله من احاطة العدو فان قلت وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم
بها قلت بل وصف اليوم لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع
للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه ويا قوم اوفوا المكيال والميزان بالقسط فان قلت
النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا قلت نهوا اولا عن عين القبيح الذي كانوا عليه
من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذي
هو حسن في العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اي ليكن الايفاء
على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ما جاوز العدل فضل مندوب
اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل
فهذه ثلاث فوائد ولا تبخسوا الناس اشياءهم ولا تعثوا في الارض مفسدين البخس الهضم والنقص ويقال
للمكس البخس قال زهير وفي كل ما باع امرؤ بخس درهم وروي مكس درهم وكانوا ياخذون من كل شيء يباع شيئا
كما يفعل السماسرة او كانوا يمكسون الناس او كانوا ينقصون من اثمان ما يشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك
والعثي في نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض — ٣ الارض صح
بقية الله ما يبقى لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم خير لكم ان كنتم مؤمنين بشرط ان تؤمنوا
فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان
قلت لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده
لانغماس صاحبها في غمرات الكفر وفي ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز ان يراد ان
كنتم مصدقين لي فيما اقول لكم وانصح به اياكم ويجوز ان يريد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله
والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها رزقه الذي يجوز ان يضاف اليه
واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا اريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله

بالنا وهي نقواه ومراقبته التي تصرفكم عن المعايب والقبائح وما انا عليكم بحفيظ وما بعثت لاحفظ عليكم
اعمالكم واجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد اعذرت حين انذرت قالوا يا شعيب
اصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد اباؤنا كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا راوه يصلي
تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم اصلواتك تامرك السخرية والهزء والصلاة وان جاز ان تكون آمرة
على طريق المجاز كما كانت ناهية في قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلاة تامر
بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة
آمرة على سبيل التهكم بصلاته واراد وا ان هذا الذي تامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه
لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به فطنة فلم يبق الا ان يامرك به امر هذيان
ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها في ليلك ونهارك وعندهم ان الصلاة باب الجنون
ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك ان نترك تامرك
بتكليف ان نترك ما يعبد اباؤنا فحذف المضاف الذي هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره
وقرئ اصلاتك بالتوحيد وقرا ابن ابي عبلة او ان تفعل في اموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو
ما كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل
كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وارادوا بقولهم انك لانت الحليم الرشيد نسبته
الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذي لا يبض حجره فيقال له لو ابصرك حاتم
لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد في قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك
وما شهرت به قال يا قوم ارايتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وهو ما رزقه
من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف فان قلت اين جواب
ارايتم وما له لم يثبت كما اثبت في قصة نوح ولوط وصالح قلت جوابه محذوف وانما لم يثبت
لان اثباته في القصص دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة
ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة ايصح لي ان لا امركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي
والانبيا لا يبعثون الا لذلك يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وانت مول عنه وخالفني عنه
اذا ولى عنه وانت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتساله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء
يريد انه قد ذهب اليه واردا وانا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم
عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم ان اريد الا الاصلاح ما اريد الا
ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر ما استطعت ظرف اي مدة استطاعتي
للاصلاح وما دمت متمكنا منه لا الوا فيه جهدا او بدل من الاصلاح اي المقدار الذي استطعته منه
ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعولا له
كقوله ضعيف النكاية اعداءه اي ما اريد الا ان اصلح ما استطعت صلاحه من فاسدكم وما توفيقي
الا بالله عليه توكلت واليه انيب وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما اتي واذر ووقوعه موافقا لرضا
الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق ربه في امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار
على عدوه وفي ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم فيه ويا قوم لا يجرمنكم شقاقي جرم مثل كسب في
تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال
جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا ومنه قوله تعالى لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم اي لا يكسبنكم شقاقي
اصابة العذاب وقرا ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارما له اي كاسبا وهو منقول من
جرم المتعدي الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته
اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان
المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على السنة الفصحاء العرب
الموثوق بعربيتهم ادور وهو لهم اكثر استعمالا وقرا ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب
بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت قوم نوح او قوم هود او قوم
صالح وما قوم لوط منكم ببعيد يعني انهم اهلكوا في عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم اولا يبعدون

منكم في الكفر والمساوي وما يستحق به الهلاك فان قلت ما للبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم
من حمله على لفظ او معناه قلت اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان
او مكان بعيد ويجوز ان يسوي في قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر
التي هي الصهيل والنهيق ونحوها واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود عظيم الرحمة للتائبين
فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا
مما تقول لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه
او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه وقالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه
اذا لم يعبا بحديثه ما ادري ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفعهم كلامه
وهو خطيب الانبياء وقيل كان الثغ وانا لنراك فينا ضعيفا لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع
منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمى
ضريرا وليس بسديد لان فينا يابا ه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم
وفي غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا في قوله ولولا رهطك والرهط من الثلاثة الى العشرة
وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا رهطك احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم
وعزتهم لرجمناك لقتلناك شر قتلة وما انت علينا بعزيز اي لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك
عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل
ايلاء ضميره حرف النفي على ان الكلام واقع في الفاعل لا في الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك
هم الاعزة علينا ولذلك قال في جوابهم قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله ولو قيل وما عززت
علينا لم يصح هذا الجواب فان قلت فالكلام واقع فيه وفي رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف
صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله قلت تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه
دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله واتخذتموه وراءكم
ظهريا ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبا به والظهري منسوب الى الظهر والكسر
من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى الامس امسي ان ربي بما تعملون محيط قد احاط باعمالكم
علما فلا يخفى عليه شيء منها ويا قوم اعملوا على مكانتكم لا تخلوا المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة
ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التي انتم عليها
من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها اني عامل على حسب ما يؤتيني الله من
النصرة والتاييد ويمكنني سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب
من يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا ياتيه عذاب يخزيه
واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذي ياتيه عذاب يخزيه والذي
هو كاذب فان قلت اي فرق بين ادخال الفاء ونزعها في سوف تعلمون قلت ادخال الفاء
وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفي تقديري بالاستئناف الذي هو جواب لسؤال مقدر
كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون فوصل تارة بالفاء وتارة
بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب
من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه وارتقبوا وانتظروا العاقبة وما اقول لكم اني معكم رقيب اي منتظر والرقيب
بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى
المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع فان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على
مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق
حتى ينصرف من ياتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم قلت
القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم
ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين امنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم
جاثمين فان قلت ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان
بالفاء قلت قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء

بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك
المثابة وانما وقعتا مستأنفتين وكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلها كما تعطف قصة على قصة الجاثم
اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا
كان لم يغنوا فيها كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين الا بعدا لمدين البعد بمعنى البعد وهو
الهلاك كالرشد بمعنى الرشد الا ترى الى قوله كما بعدت ثمود وقرأ السلمي بعدت بضم العين
والمعنى في البنائين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفرقة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره
فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبارا
لمعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم كما من رحمة
الله كما بعدت ثمود منها ولقد ارسلنا موسى باياتنا وسلطان مبين فيه وجهان ان يراد ان هذه الايات فيها
سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها الى فرعون وملائه
فاتبعوا امر فرعون وما امر فرعون برشيد تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين
لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم
والشر الذي لا يأتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه
وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما امره برشد انما هو غي صريح وضلال
ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الايات والسلطان
المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في
امره رشد قط يقدم قومه يوم القيمة فاوردهم النار اي كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم
الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة
ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اي كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل
في كل ما يحمد ويرتضى كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة
الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين
فان قلت هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي قلت لان الماضي
يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة وبئس الورد المورود
الورد المورود والمورود الذي ورد وشبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى الماء وشبه اتباعه
بالواردة ثم قيل بئس الورد الذي يردونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد
والنار ضده واتبعوا في هذه لعنة ويوم القيمة اي يلعنون في الدنيا ويلعنون
في الاخرة بئس الرفد المرفود رفدهم اي بئس العون المعان وذلك ان اللعنة في الدنيا رفد للعذاب
ومدد له وقد رفدت باللعنة في الاخرة وقيل بئس العطاء المعطى ذلك مبتدأ من انباء القرى نقصه
عليك خبر بعد خبر اي ذلك النبأ بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك منها قائم وحصيد القرى
اي بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذي حصد فان قلت
ما محل هذه الجملة قلت هي مستأنفة لا محل لها وما ظلمناهم باهلاكنا اياهم ولكن ظلموا
انفسهم بارتكاب ما به اهلكوا فما اغنت عنهم الهتهم فما قدرت ان ترد عنهم بأس الله التي يدعون
يعبدون من دون الله وهي حكاية حال ماضية لما جاء امر ربك منصوب بما اغنت عنهم امر ربك عذابه ونقمته
وما زادوهم غير تتبيب تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه في الخسران وكذلك محل
الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ اخذ ربك والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل
اذا اخذ وقرئ اذ اخذ القرى وهي ظالمة حال من القرى ان اخذه اليم شديد وجيع صعب على المأخوذ
وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها فعلى كل من ظلم غيره او نفسه بذنب
يقترفه فعل ان من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال ان في
ذلك اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم لاية لمن خاف عذاب الاخرة لعبرة له لانه ينظر
الى ما احل الله بالمجرمين في الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم في الاخرة فاذا راى عظمه وشدته اعتبر
به عظم العذاب الموعود فيكون له عظة وعبرة ولطفا في زيادة التقوى والخشية من الله وتحوه ان

في ذلك لعبرة لمن يخشى ذلك يوم مجموع له الناس اشارة الى يوم القيمة لان عذاب الاخرة دل عليه والناس
رفع باسم المفعول الذي هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس فان قلت لاي فائدة اوثر
اسم المفعول على فعله قلت لما في اسم المفعول من دلالة على ثبات معنى الجمع لليوم وانه يوم لا بد من ان يكون ٢ ان من
ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم
لا ينفكون منه ونظيره قول المتهدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس
في الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى
يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب وذلك يوم مشهود مشهود فيه فاتسع
في الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله ويوم شهدناه سليما وعامرا اي يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب
عنه احد والمراد بالمشهود الذي كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال
في محفل من نواصي الناس مشهود فان قلت ما منعك ان تجعل اليوم مشهودا في نفسه دون
ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه قلت الغرض وصف
ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا في نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات
كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما تميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا
فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا في نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده
وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير في فليصمه والمعنى ٣ الشهر من
فمن شهد منكم في الشهر فليصم فيه يعني فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه في شهر رمضان فليصم فيه
ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر وما نؤخره ٤ كلاهما من
الا لاجل معدود الاجل يطلق على مدة التأجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ
الاجل ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد اخر مدة التأجيل والعد انما هو للمدة ٦ آخره من
لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله وما نؤخره الا لاجل معدود الا لانتهاء مدة معدودة بحذف
المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء يوم يأتي لا تكلم نفس الا باذنه قرئ يوم يأت بغير ياء ونحوه
قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير في لغة هذيل فان
قلت فاعل يأتي ما هو قلت الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله
او يأتي ربك وجاء ربك ويعضده قراءة من قرأ وما يؤخره بالياء وقوله باذنه ويجوز ان يكون
الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى ان تأتيهم الساعة فان قلت بم انتصب الظرف قلت
اما ان ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف في قوله الا لاجل معدود اي ينتهي
الاجل يوم يأتي فان قلت فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان
اليوم وحددت الشيء بنفسه قلت المراد اتيان هوله وشدائده لا تكلم لا تتكلم وهو نظير
قوله لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن فان قلت كيف يوفق بين هذا وبين قوله يوم تأتي كل
نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون قلت
ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففي بعضها يجادلون عن انفسهم وفي بعضها يكفون عن
الكلام فلا يؤذن لهم وفي بعضها يؤذن لهم فيتكلمون وفي بعضها يختم على افواههم وتكلم ايديهم ٧ لهم من
وتشهد ارجلهم فمنهم شقي وسعيد الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم
ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس في قوله مجموع له الناس والشقي الذي
وجبت له النار لاساءته والسعيد الذي وجبت له الجنة لاحسانه فاما الذين شقوا ففي النار
لهم فيها زفير وشهيق قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا والزفير
اخراج النفس والشهيق رده قال الشماخ بعيد مدى التطريب اول صوته
زفير ويتلوه شهيق محشرج خالدين فيها ما دامت السموات والارض الا ما شاء ربك ان ربك
فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات الا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ
ما دامت السموات والارض فيه وجهان احدهما ان يراد سموات الاخرة وارضها وهي دائمة مخلوقة للابد
والدليل على ان لها سموات وارضا قوله يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله واورثنا الارض

تبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لابد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله او يظلهم العرش وكل ما اظلك فهو سماء والثاني ان يكون عبارة عن التأبيد ونفي الانقطاع كقول العرب ما دام تعار وما اقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد فان قلت ما معنى الاستثناء في قوله الا ما شاء ربك وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار في الابد من غير استثناء قلت هو استثناء من الخلود في عذاب النار ومن الخلود في نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون في عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله تعالى كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله في مقابلته ان ربك فعال لما يريد انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطي اهل الجنة عطاءه الذي لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثاني ينادي على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغني ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون في النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان لا نغفل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو في سيفيه ومقاتلته بهما علي بن ابي طالب رضي الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث غير مجذوذ غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعد لهم من عذابه قال فلا تك في مرية مما يعبد هؤلاء اي فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص من سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم يريد ان حالهم في الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اي من عبادتهم وكعبادتهم او مما يعبدون من الاوثان ومثل ما يعبدون منها وانا لموفوهم نصيبهم اي حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم انصباءهم فان قلت كيف نصب غير منقوص حالا عن النصيب الموفى قلت يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه آمن به قوم وكفر به قوم كما اختلف في القرآن ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وانهم لفي شك منه مريب ولولا كلمة الانظار الى يوم القيامة لقضي بينهم بين قوم موسى او قومك وهذه من جملة التسلية ايضا وان كلا التنوين عوض من المضاف اليه يعني وان كلهم وان جميع المختلفين فيه لما ليوفينهم جواب قسم محذوف واللام في لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى وان جميعهم والله ليوفينهم ربك اعمالهم من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذي هو التثقيل وقرأ ابي وان كل لما ليوفينهم على ان ان نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبد الله تفسير لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهري وسليمان بن ارقم وان كلا لما بالتنوين كقوله اكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله فسجد الملائكة كلهم اجمعون انه بما يعملون خبير فاستقم كما امرت فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة الحق غير عادل عنها ومن تاب معك معطوف على المستتر في استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل لقيام

احد صح

يعني صح

بلغ

الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك ولا تطغوا ولا تخرجوا عن حدود الله انه بما تعملون بصير عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس رضي الله عنه ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القرآن آية اشد ولا اشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتني هود والواقعة واخواتهما وروي ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتني هود وعن بعضهم رأيت رسول الله في النوم فقلت له روي عنك انك قلت شيبتني هود فقال نعم فقلت ما الذي شيبك منها اقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق رضي الله عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار قرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن ابي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم في كسرهم حروف المضارعة الا الياء في كل ما كان من باب علم يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابي عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا امالة والنهي متناول للانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضى باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتأمل قوله ولا تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله الى الذين ظلموا اي الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى الظالمين وحكي ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط الزهري السلاطين كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو الله لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فيما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شيء في الارض ولا في السماء والسلام وقال سفيان في جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون للملوك وعن الاوزاعي ما من شيء ابغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن سلمة الذباب على العذرة احسن من قارئ على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت وما لكم من دون الله من اولياء حال من قوله فتمسكم اي فتمسكم النار وانتم على هذه الحالة ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم منه عز وجل ثم لا تنصرون ثم لا ينصركم هو لانه وجب في حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم فان قلت فما معنى ثم قلت معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له واقم الصلاة طرفي النهار غدوة وعشية وزلفا من الليل وساعات من الليل وهي ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشي وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفي النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك اقمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله وآخره تنصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه اطراف النهار وقرئ وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم في ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر في بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب

كانت صح

به

لهم

من اخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة
اي اقم الصلاة طرفي النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلوات تتقرب بها الى الله عز وجل في بعض الليل
ان الحسنات يذهبن السيئات فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفي الحديث ان
الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثاني ان الحسنات يذهبن السيئات بان تكون
لطفا في تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت في ابي اليسر عمرو بن غزية الانصاري
كان يبيع التمر فاتته امرأة فاعجبته فقال لها ان في البيت اجود من هذا فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه
وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال انتظر
امر ربي فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروي انه اتى ابا بكر فصل العصر صح
فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله فنزلت
فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيئات ذلك اشارة الى قوله
فاستقم فما بعده ذكرى للذاكرين عظة للمتعظين ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة
التذكير فقال واصبر وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال
وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت
عنه فلا يتم شيء منه الا به فان الله لا يضيع اجر المحسنين جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة
الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات فلولا كان من
القرون فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا في القرآن فمعناها هلا الا التي في الصافات وما
صحت هذه الحكاية فغير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال
مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم اولو بقية ينهون عن الفساد في الارض اولو فضل
وخير وسمي الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقي مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا
في الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اي من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة ان
تذنبوا ثم تأتيني بقيتكم ومنه قولهم في الزوايا خبايا وفي الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية
بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اي فهلا كان منهم ذوو بقاء على انفسهم وصيانة
لها من سخط الله وعقابه وقرئ اولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه انتقام
بقينا رسول الله والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولو مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم
ينتظرون ايقاعه بهم لاشفاقهم الا قليلا استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن انجينا منهم
من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهي ومن في ممن انجينا حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة مع
انما هي للناهين وحدهم بدليل قوله عز وجل انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا فان قلت
هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه قلت ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى
فاسدا لانه يكون تحضيضا لاولي البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك
القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت في تحضيضهم على النهي
عن الفساد الا القليل من الناجين معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الا قليلا كان
استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل
واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه اراد بالذين ظلموا تاركي النهي عن المنكرات اي لم يهتموا بما هو ركن عظيم من
اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه من
التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهني ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه
وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو في رواية الجعفي واتبع الذين ظلموا يعني واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز
ان يكون المعنى في القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوي لتقدم الانجاء كانه
قيل الا قليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر فان قلت علام عطف قوله واتبع الذين
ظلموا قلت ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الا قليلا
ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا

جزا الاتراف

جزاء الاتراف فالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم فان قلت فقوله
وكانوا مجرمين قلت على اترفوا اي اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور
بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اي اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك
ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون
كان بمعنى صح واستقام واللام لتاكيد النفي وبظلم حال من الفاعل والمعنى واستحال في الحكمة ان يهلك
الله القرى ظالما لها واهلها قوم مصلحون تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين
من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون
يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا اخر ولو شاء ربك لجعل الناس امة واحدة
لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اي ملة واحدة وهي ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة
واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم
من الاختيار الذي هو اساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك
قال ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق
غير مختلفين فيه ولذلك خلقهم ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعني ولذلك من
التمكين والاختيار الذي كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب
مختار الباطل بسوء اختياره وتمت كلمة ربك وهي قوله للملائكة لاملأن جهنم من الجنة والناس
اجمعين لعلمه بكثرة من يختار الباطل وكلا التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل
نبأ نقص عليك ومن انباء الرسل بيان لكل وما نثبت به فؤادك بدل من كلا ويجوز ان
يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعني
على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه
وما فيه طمأنينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم وجاءك في هذه الحق
اي في هذه السورة او في هذه الانباء المقتصة فيها ما هو حق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل
للذين لا يؤمنون من اهل مكة وغيرهم اعملوا على مكانتكم على حالكم وجهتكم التي انتم عليها انا عاملون
وانتظروا بنا الدوائر انا منتظرون ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم نحو صح
ولله غيب السموات والارض لا تخفى عليه خافية مما يجري فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم واليه يرجع
الامر كله فلا بد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم فاعبده وتوكل عليه فانه كافيك وكافلك
وما ربك بغافل عما يعملون وقرئ عما تعملون بالتاء اي انت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم من قرأ سورة هود اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسى
وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى ذلك

-١١٢-



